

أحسن البيان

من مواقف أهل الإيمان

دروسُ وعظاتٌ وعبر

طبعة جديدة مزيدة منقّحة ومضبوطة بالشكل

تأليف

((أبوإسلام))

صالح بن طه عبدالواحد

أعزه الله بالإسلام

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

راجعها

فضيلة الشيخ سعد الحصين

قدّم لها

فضيلة الشيخ

مشهور بن حسن آل سلمان

فضيلة الشيخ

علي بن حسن الحلبي الأثري

مكتبة الغرباء

الدار الأثرية

تنبيه: اعلم أن هذه الخطب تُبث على قناة الأثر الفضائية التي ترددها ١١٣٣٤ على النايل سات وعلى الموقع الإلكتروني

salehabuislam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه وعبدِه، وعلى آلِه وصحبهِ وجُندِه.

أمّا بعد:

فإنّ العلمَ الشرعيَّ ذو أبوابٍ مُتعدِّدة، وشُعَبٍ مُتنوّعةٍ؛ منها ما كان فِقهاً، ومنها ما كان حديثاً، ومنها ما كان تفسيراً... وهكذا.

والدّاعي إلى الله تعالى وهو «مُعَلّمُ الناسِ الخَيرَ»[1] -ينبغي أن يكونَ جامِعًا لمعاني هذه الأبواب -كلِّها-، ومستوعباً قواعدَ هذه الشُّعبِ -جميعها-؛ لأنّه في موضع التعليم، وفي موضع الدعوة -في آنٍ-.

وإنَّ مِن توفيق اللهِ -سبحانه- لبعض عبادِهِ أنْ وهبَهُم -جلَّ وعلا- قُدْرَةً على البيان، وسلاسةً في التِّبيان؛ بحيث تُشَدُّ النفوسُ إليه، وتجتمعُ القلوبُ عليه.

فَمَن كان على هذا النَّحْوِ الإيماني من التوفيق الربّاني: فإنَّه يتحتَّمُ عليهِ -أكثرَ وأكثرَ- أن يضبطَ دعوتَهُ بالعقيدةِ، ويربطَ موعظتَهُ بالمنهج؛ ليجتمعَ من هذين الأصلَين أصلُ أُصولِ الدعوةِ وقواعِدها: وهو العلمُ في الدينِ، والفقهُ في شريعةِ ربِّ العالمين..

ولقد رأيتُ وُعَّاظًا: إذا تكلَّموا بكى سامعوهم، وتأثَّر مُجالِسوهم.. وهم للشرعِ مخالفون، وللسنّة مُناقضون!

ومِنَ الوُعَّاظ وُعَّاظٌ: يتكلّمونَ في العُمومات، ويتحدّثون في المُجْملات؛ ويعِظون في الكُلِّيّات؛ فترى بينَهم الصوفيَّ، والحِزبيَّ، والتكفيريّ..

---

(١) قطعةً من حديث نبويٍّ؛ صحَّح سنده شيخنا رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٨١).

وترى بينهم -أيضًا- الجاهلَ، والمثقفَ، ونصف المتعلم، والعامّي..

.. وقلَّ مِن بين هؤلاء وأُولئك -أن تجدَ الداعيَ إلى الله تعالى الجامعَ بين العلمِ الشرعيّ المطلوبِ، والوعظِ المُؤثِّرِ المرغوب..

وإنَّ مِن هذه القلّة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ أخانا الفاضلَ، الداعيَ إلى الله على بصيرة، وطالبَ العلم النبويِّ: الشيخَ أبا إسلام صالحَ بنَ طه حفظه الله، ونفع به؛ فإنّ خُطَبهُ، ومواعظَهُ -ولا نُزَكيه على الله- تجمعُ بين قوّةِ الأسلوبِ، وجَوْدَةِ المعرفة، وسلامةِ العلمِ، والربطِ بالعقيدةِ والمنهجِ..

وهذه هي أُصولُ دعوةِ السلفِ، ومنهجِ السلَفِ.

وإنَّ ممّا يجبُ ذكرُهُ، ولا ينبغي كَتْمُهُ: أنَّ شيخَنا العلامةَ الإمامَ الوالدَ أبا عبدِالرحمنِ محمدَ ناصرَ الدِّين الألبانيَّ -تغمَّده الله برحمته- كان حريصاً الحِرصَ كلَّه -في سَنَواتِ عمرهِ الأخيرةِ- على شُهُودِ خُطَبِ أخينا الفاضلِ -نفع الله به- ومُتابَعتِها-؛ لِمَا رأى فيها مِن خصائصَ ميَّزَتها، ومَزايا رَفَعَتها[1].



ولقد وفَّقَني اللهُ سبحانه لكتابةِ رسالةٍ علميَّةٍ تُؤصِّلُ القاعدةَ الشرعيةَ في ضوابطِ الوعظِ الشرعيِّ: سمّيتُها: «النهجُ المرغوبُ في الوعظِ المطلوبِ»: أتيتُ فيها على ذكر الأدلّة والشواهدِ على هذه القضيّةِ الجليلةِ، الّتي وَقَعَتْ فيها -اليومَ- إشكالاتٌ ليست قليلة!

وإنّي لأعجبُ -أخيراً- مِن بعضِ طلبةِ العلم؛ الذين لم يُعرَفوا (!) إلا بالعلم؛ ولم يتميَّزوا إلا بالسنّة؛ فإذا بهم ينتقلون مِن قائمةِ طَلَبةِ الحديثِ وأهلِهِ -وهم قِلَّةٌ لا يتجاوزُ عددُهم أصابعَ اليد!- إلى قائمةِ الوُعَّاظِ الجمّاعين، الذين لا يتكلّمون في عقيدةٍ، ولا منهج -وهم نحو ألف-!!

(١) ولقد مَنَّ اللهُ تعالى عَلَيَّ بشهود بعضٍ منها، والانتفاع بها -لله الحمدُ-.



فانتقصوا الخمسةَ واحداً، وزادُوا الألفَ واحداً !!!

وما هذا الصنيعُ -المريعُ- إلا بسبب الغِرَّةِ بالجموعِ، والاغترارِ بالكثرةِ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أسألُ اللهَ العظيمَ، ربَّ العرشِ العظيم؛ أن يُوفّقَ فضيلةَ الشيخِ أبي إسلام لمزيدٍ من العلمِ النافعِ والعَمَلِ الصالحِ؛ ربطًا للأمةِ بعلمائها، وضبطاً لمواقِفها بالعقيدةِ والمنهجِ، وإصلاحاً لها، وتصحيحاً لأفكارها.

وممّا لا أتوانى في إيرادِه: إرْجاءُ الشكرِ الجزيلِ لفضيلةِ الأستاذِ الشيخِ أبي طارقٍ سعدِ الحُصَيِّن -متّعَ اللهُ به-؛ حيث بَذَلَ جُهدًا جليلاً جميلاً في قراءةِ هذا الكتابِ النافعِ، وتصحيحِ ما نَدَّ عن جامعِهِ، وإبداءِ ملاحظاتِهِ القيِّمةِ عليه؛ ممّا كان له أكبرُ الأَثر في إعطائِهِ القدرَ العالي من العلميّةِ، والدِّقةِ.




ولقد أعجبني ممّا قال(١) جزاه الله خيراً:

«الكتاب جديرٌ بالنشر؛ لأنّ أكثرَ كتبِ الخطبِ -إن لم تكن كلُّها- تَقْصُرُ عنه. وهي من أقربِ ما قرأتُ -أو سمعتُ- إلى منهاج النبوة».

فجزاه اللهُ خيرَ الجزاءِ على نُصرتِهِ المبرورةِ للسُّنَّة وأهلِها، والدعاةِ ومَوَاقفهم؛ ومن بابِ قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: كتبتُ هذه الكلماتِ! نُصرةً، وتأييداً، وولاءً.

وإلاّ؛ فإنَّ هذا الكتاب(٢) غنيٌّ عن التقريظ، غيرُ مُحتاجٍ إلى إطراءٍ.

أسألُ اللهَ سبحانه أن يُعظِم أجرَ أخينا الشيخِ أبي إسلام، وأن يُجزِلَ له المثوبة؛

---

(١) وفي الصفحة التالية صورةٌ لكلامه -بخطّه- حفظه الله.

(٢) وقد كان الاسمُ الأوّلُ لهذا الكتاب: «ثمرات الإيمان»؛ ثمّ رأى مؤلّفُهُ الفاضل -جزاه الله خيراً- تغييرَه إلى: «أحسن البيان مِن مواقِف أهل الإيمان».

إنه سبحانه سميعٌ مجيبٌ.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين

وكتب

أبو الحارث عليٌّ بن حسن بن علي بن

عبد الحميد الحلبي الأثري

صبيحة يوم الاثنين ١٦ / صفر ١٤٢٣هـ





بسم الله الرحمن الرحيم





الرقم: ٢٦/ح
التاريخ: ٢٦/١٢/١٤٢٤
الموضوع: كتاب خطب.

من: سعد الحصين - هاتفاكس/ ٥٦٩٩٠٦٦ - عمّان.

إلى: أخي في الدين والدعوة الشيخ/ صالح بن طه عبد الواحد

أصلح الله أحوالي وأحواله ومآلي ومآله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد: فقد قرأت أوائل صفحات مؤلّفكم: ثمرات الإيمان من خطبكم يوم الجمعة جزاكم الله خير الجزاء. وأبلغكم ما يلي:

١) كنت أودّ قراءة الكتاب كله لولا خشيتي من تأخيره بسبب انشغالي ببعض الأعمال والسّفر(1).

٢) الكتاب جدير بالنّشر لأن أكثر كتب الخطب إن لم يكن كلّها - تقصر عنه؛ وهذه الخطب من أقرب ما قرأت أو سمعت إلى منهج النبوّة. وخيرها فيما قرأت: الخطبة الأولى ص ٩.

٣) كالعادة، لابدّ من وجود ملحوظات على غير كتاب الله وسنة رسوله، وأبلغكم نماذج منها على صفحات مفصولة عن بقية الكتاب.

٤) قد يكون من تيسير الاستفادة منه توزيعه على أكثر من كتاب يشمل نماذج من الخطب في مختلف أحكام الاعتقاد والعبادة والمعاملة، لا يزيد كثيراً عن ١٠٠ صفحة، ولا يلوّن، ولا يجلّد، حتى تتمكن أكثر الأئمة من اقتنائه، وتقل نفقته.

وفقكم الله لأقرب من هذا رشداً، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعد الحصين



(1) ثم تفضّل - جزاه الله خيرًا - بقراءته كاملاً؛ فشكر الله له.







بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله، نحمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يُضللْ فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله، أما بعد:

فإنّ اللهَ عز وجل خلقَ الزمانَ والمكانَ والإنسانَ واختار، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾، خلق الزمانَ، واختار منه الجمعةَ، وخلق الإنسانَ، واختار الأنبياءَ عليهم السلام، واختار من الأنبياء الرسلَ. واختار من الرسل أولي العزم، واختار من أولي العزم محمداً ﷺ، وجعل له صلوات الله وسلامه عليه ورثةً، وورثَتُه هم معلمو الناسِ الخيرَ.

ومن أهم الوسائل التي قصّر فيها طلبة العلم -إلا من رحم الله- في نشر العلم الشرعي (خطبة الجمعة)، فهي وسيلة، بل غاية وطاعة، قلَّ من يعطيها حقّها، وينزِلُها منزلتها اللائقة بها.

فكثيراً ما يشعر السامع أن الخطيب يلقي الكلام على عواهنه، ويكون وليد لحظته، دون تزوير -فضلاً عن تحضير- له، وبعضهم يعمل على تزويق الألفاظ واختيار الغريب، وتضيع المعاني وراء المباني، ولا يدري السامع (المسكين) ماذا يريد هذا ولا ذاك؟!

وهنالك صنف آخر، يظن سامعه أنه ليس في بيت من بيوت الله، بل تكاد لا تميز ألفاظه من ألفاظ (الساسة)، إذ لا (ذكر لله) عز وجل في كلامه، فلا تجري آية كريمة ولا حديث شريف على لسانه في معرض الاستدلال، ولماذا يفعل ذلك؟!

والموضوع الذي اختاره هذا الخطيب (المسكين) مبناه على الظن والتخمين[١] وهو قائم على (التهييج)، لا على (التأسيس) و(التأصيل).

وهناك فريق رابع -وهو الأخير- من الخطباء[٢]، وهو: من لا يراعي مشاعر الناس، ولا يلتفت إلى ما يجري حواليه، فهو وإن قال الحقَّ، إلا أنّه لم يصنع العدل[٣].

ومن بين الخطباء (أسَّسوا) و(أصّلوا)، وعملوا على (المواءَمَةِ) بين (المباني) و(المعاني)، وأكثروا من الاستدلال بنصوص الوحيين الشريفين، بأسلوب حَسَن سهل، وغَيْرَة ظاهرة على الشرع، غير ناسين مشاعر الناس، ولا متعدّين على (الثوابت) والعاملين على ضبط (العواطف) عند (الفتن العواصف) أخونا الشيخ الفاضل الصّديق أبو إسلام صالح بن طه حفظه الله، خطيب وإمام مسجد إبراهيم الحاج حسن رحمه الله تعالى.



ومن توفيق الله -جل ثناؤه- له -فضلاً عمّا سلف- حسن اختيار موضوع الخطبة، وبين يديك -أخي القارئ- جملة من الخطب[٤] المؤثِّرة في الإحساس،

(١) الخطيب الموفّق يكون مدار كلامه في دائرة (اليقين) معتمداً على الأصول الشرعية التي تخص الحادثة والواقعة التي يعمل على معالجتها، والله الموفق.

(٢) أعني غير الموفَّقين منهم.

(٣) الخطيب الموفّق يوظف (المشاعر) لتأصيل شرعيٍّ فيما يخص (الحدث) القائم، فهو يتكلم في دائرة (اليقين) من خلال النصوص، فيمهد -مثلاً- لنكسة أو عدم تحقق (نصر) يتعجّله (المتحمِّسون) بكلامه عن (معركة أحد) -مثلاً- وبتواطئ الكفار واجتماعهم على (الموحِّدين) بكلامه عن (معركة الخندق) -مثلاً- وهكذا، والله المسدّد والموعد.

وأجاب العز بن عبدالسلام في «فتاويه» (ص٧٦-دار المعرفة): عن حكم ذكر الخطيب على المنبر في الجمعة ما يجري ويحدث؟ فقال: «ولا ينبغي للخطيب أن يذكر في الخطبة إلا ما كان يوافق مقاصدها من الثناء والدعاء والترغيب والترهيب بذكر الوعد والوعيد، وكل ما يحث على طاعة أو يزجر عن معصية، وكذلك تلاوة القرآن»، وقال أيضاً: «ولو حدث بالمسلمين حادثٌ، فلا بأس بالتحدّث فيما يتعلق بذلك الحادث مما حث الشرع عليه، وندب إليه، كعدوّ يحضر، ويحث الخطيب على جهاده والتأهب للقائه..».

(٤) وهي في ثلاث مجموعات، على النحو التالي:

- المجموعة الأولى، بعنوان (العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون)، وهي عبارة عن (٢٣٤) خطبة، في أربعة مجلدات.



الموظفة له بتحريكه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ألقاها على التتالي، شأن الخير فإنه عادة[1]، وقليله يدعو إلى كثيره، ومن سنة الله فيه أنه يثبت ويستقرّ ويستمر، ومن ثمار ذلك: هذا العمل، فالخطب التي ألقيت كانت من نصيب (الآذان)، واستقرت -إن شاء الله- في القلوب، وهذا العمل من نصيب (العيون)، ومن خلاله -إن شاء الله تعالى- يشيع ويذيع لجميع المنتفعين، وهو يسدّ نقصاً في المكتبة الإسلامية، إذ العناية بـ (خطب الجمعة) -تأصيلاً وتمثيلاً- ليس كما ينبغي، وقلّ أن يجد غيرُ المتمكن مادةً تعينه على ذلك، أو تغنيه.

وأخيراً.. فنصيحتي لأخي المؤلف الشيخ أبي إسلام حفظه الله ورعاه، أن يبقى مستمراً مستقراً على هذا المنهج في الإلقاء، مستحضراً الإخلاص متوجّهاً إلى الله عز وجل بأن ينفع به في أوقات استجابة الدعاء، وأن يكتب إرشادات ونصائح للخطباء، وأن يعقد دورات علميّة في فنِّ (الخطابة) و(الأداء)، ونفع الله به وبكتابه هذا وذريته في الدّارين، وجعلنا وإياه من أئمة الهدى، وجنبنا الهوى وركوب ما لا يرتضى، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

بعد ظهر يوم الثلاثاء الثاني والعشرون

من رجب المحرم

عمان / الأردن




- المجموعة الثانية، بعنوان (ثمرات الإيمان – مواقف إيمانية)، وهي عبارة عن (٤٠) خطبة، في مجلد واحد.
- المجموعة الثالثة، بعنوان: (الدعاء من الكتاب والسنة)، وهي عبارة عن (٤٥) خطبة، في مجلد واحد.

(١) أما الشر فإنه لجاجة، وهو خفيف وبيء، والخير ثقيل مريء.







بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يضللْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثَاتُها، وكلَّ محدَثَةٍ بدعةٌ، وَكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ في النار[1]، وبعد؛ فهذهِ مجموعةٌ من خُطَبِ الجمعةِ بعنوان: (ثمراتُ الإيمانِ) مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ، كنت قد ألقيتُها بعد سلسلةِ: (العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون)[2] في مسجدِ إبراهيمَ الحاجِّ حسنِ العامرِ الكائنِ في حيِّ الإذاعةِ/ عمانَ/ الأردن.

ومن فضلِ اللهِ تعالى أن كانَ لهذه الخطبِ وَقْعٌ حسنٌ، وأثرٌ طيبٌ عندَ الكثيرِ مِمَّنْ سمِعَها، وقد انتفعَ منها كثيرٌ منْ طلابِ العلمِ، وأئمةِ المساجدِ سماعاً منَ



---

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبه.

(٢) وقد هيئتها للنشر، بمشورة شيخنا إمام هذا العصر ومحدّثه فضيلة الوالد محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى، وطبعت في أربع مجلدات.

الأشرطةِ، وطلبَ مني بعضُ المحبينَ من طلابِ العلمِ، وأئمةِ المساجدِ طباعةَ هذه الخطبِ وإخراجَها مجموعةً في كتابٍ واحدٍ من أجلِ الانتفاعِ بها مكتوبةً كما انتفعوا بها مسموعةً، فاستخرتُ الله، واستشرتُ أهلَ العلمِ والفضلِ في ذلك فأشاروا بطباعةِ هذهِ الخطبِ.

فاستعنتُ باللهِ عزَّ وجَلَّ، وقُمتُ بإخراجِ الكتابِ على هذه الصورةِ التي بين أيديكم، فمن وجدَ فيه خيراً، وانتفعَ منه فليعلَمْ بأنَّ الفضلَ في ذلكَ للهِ وحدَه ولا ينْسَنَا من دعوةٍ بِظَهْرِ الغيبِ، ومن وجدَ غيرَ ذلك فليعلمْ أنه مني ومنَ الشيطانِ وأنا تائبٌ إلى اللهِ من ذلك.

واعلمْ أيها الأخُ المسلمُ أنَّ الإيمانَ نورٌ يقذفُه اللهُ في قلبِ العبدِ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

والإيمانُ منّةٌ منَ اللهِ على العبدِ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١٧]، والإيمانُ اعتقادٌ وعملٌ كما قال الإمامُ الحسنُ البصريُّ رحمهُ اللهُ: (ليسَ الإيمانُ بالتحلِّي ولا بالتمني ولكنه ما وقرَ في القلوبِ، وصَدَّقته الأعمالُ)[1] ولهذا عرَّفه أهلُ السنةِ والجماعةِ بأنه: «قولٌ باللسانِ واعتقادٌ بالقلبِ وعملٌ بالجوارحِ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ، وهو بهذا الاعتبارِ ضمانةُ الثباتِ في مواقفِ الامتحانِ، ومَرْكَبُ النجاةِ في طوفانِ الفتنِ وأمواجِ المِحَنِ»[2].

أخي المسلمُ -باركَ اللهُ فيكَ- سيتبيَّن لك ذلك جلياً من خلالِ هذه المواقفِ

---

(١) البيهقي في «الشعب» (٦٦).

(٢) الخطب المنبرية: الشيخ صالح الفوزان (٢/ ٢٩).

الإيمانيةِ التي تُتَرْجِمُ صِدْقَ الإيمانِ عند أصحابِها.

يقول الشيخُ محمدُ بنُ صالحِ العُثيمينُ رحمه الله: «أيها الناس إنَّ الإيمان ليس بالتمني، ولا بالتحلي ولكنَّ الإيمانَ ما وقرَ في القلبِ ورسخَ فيه وصَدَّقَتْه الأعمالُ بفعلِ الطاعاتِ واجتنابِ المعاصي، إنّ كلَّ واحدٍ يستطيعُ أن يقول: إنه مسلمٌ بل يرتقي إلى أعلى ويقول: إنه مؤمنٌ، كلُّ واحدٍ يستطيعُ أن يقولَ أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله.

المنافقونَ -وهم في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ- يذكرونَ اللهَ، والمنافقون يأتون النبيَّ ﷺ ويقولون: نشهدُ إنكَ لرسولُ اللهِ، المنافقونَ يحلفونَ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه إنهم لمنهم وما هم منهم، ولكنَّ كُلَّ هذه الشهاداتِ والأيمانِ لم تنفعْهم فهم في الدَّرْكِ الأسفلِ من النارِ تحتَ كُلِّ مشركٍ وكلِّ يهوديٍّ وكلِّ نصرانيٍّ؛ لأنَّ هذه الشهاداتِ والأيمانَ لم تصدرْ عن يقينٍ وإيمانٍ ولا عن قَبولٍ وإذعانٍ قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة].

فالإيمانُ عقيدةٌ راسخةٌ قبلَ كُلِّ شيءٍ تنتجُ قولاً سديداً، وعملاً صالحاً، تنتجُ الُحبَّ للهِ ورسولِه والإخلاصِ في توحيدِ اللهِ واتباعِ رسولِه ﷺ.

الإيمانُ جِدٌّ وعملٌ، ومثابرةٌ ومصابرةٌ وحبسٌ للنفسِ على ما تكرهُ من طاعةٍ، ومنعٌ لها عما تحبُّ منْ معصيةِ اللهِ»[1].

أسألُ اللهَ العظيمَ أن يرزقَني وإياكم إيماناً صادقاً وعملاً صالحاً متقبلاً، وأن يجعلَ عملَنا هذا خالصاً لوجهِه الكريمِ، وأن يجزيَ كُلَّ مَنْ ساهمَ في إخراجِ

(١) «الضياء اللامع» (٣٥٢).

هذا الكتابِ خيراً، وأسألُه سبحانَه أن يكتبَ لهذا الكتابِ القبولَ في الأرضِ وأن ينفَعَ به.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وكتب

أبو إسلام صالح بن طه

عبدالواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم

الحاج حسن

عمان / الأردن





بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ:

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

عبادَ الله! بفضلِ اللهِ ونعمتِه قد أتممنا الكلامَ في سلسلةِ المواعظِ التي كانت تحتَ عنوانِ: «العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون».

وموعدُنا -إنْ شاءَ الله تعالى- معَ سلسلةٍ جديدةٍ بعنوانِ: «أحسنُ البيانِ منْ مواقفِ أهلِ الإيمانِ» فيها دروسٌ وعظاتٌ وعِبَرٌ نجني من رياضِها ثمراتٍ للإيمانِ الصادقِ، والعقيدةِ الصحيحةِ؛ إذ ليسَ الإيمانُ بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وَقَرَ في القلبِ وصَدَّقه العملُ!

ولعلكم تذكرونَ أنَّ الإيمانَ: قولٌ باللسانِ، واعتقادٌ في القلبِ، وعملٌ بالجوارحِ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ.

ولتعلموا أنَّ **الإيمانَ له ثمراتٌ عاجلةٌ** -أي: في الدنيا- وآجلةٌ -أي: في الآخرة- ينتفعُ بها أهلهُ، منها:

١- الأمنُ والأمانُ، ولا يكونُ إلاّ لأهلِ الإيمانِ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام].

٢- الحياةُ الطيبةُ وطمأنينةُ القلوبِ، ولا تكونُ إلاّ لأهلِ الإيمانِ.

قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد].

ولذلكَ قالَ بعضُ الصالحينَ: (لو علمَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ فيه من النعيم والسرورِ، لجَالدونا عليهِ بالسيوفِ).

٣- الشَيطانُ ليسَ له سلطانٌ على أهلِ الإيمانِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [النحل].

٤- الله عزَّ وجلَّ يتولّى الدفاعَ عن أهلِ الإيمانِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس].

وقال تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

٥- الأجرُ العظيمُ والبشرى يومَ القيامةِ لأهلِ الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

٦- الأُخوّةُ الصادقةُ والاتحادُ والاعتصامُ لا تكونُ أبداً إلا في ظِلِّ الإيمانِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم**»(١).

وقال ﷺ: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**»، وَشبَّكَ بين أصابِعِه ﷺ(٢).

وقال ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهم، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»(٣).

وكَمْ منَ الناسِ من يدَّعي الإيمانَ وهو ليسَ بمؤمنٍ!

قال ربُّنا جَلَّ وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة]

ولذلك كانَ من حكمةِ اللهِ جلَّ وعلا أنه لم يتركْ عبادَه هكذا بدونِ امتحانٍ واختبارٍ وابتلاءٍ، نعم! فإنه سبحانه إنما ابتلاهم لِيَميزَ الصادقَ في إيمانِهِ من الكاذبِ المنافقِ.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤).

تنبيه: إذا كان الحديث في الصحيحين أثبتنا رواية البخاري، وإذا كانت الرواية لمسلم أشرنا إليه بـ(اللفظ لمسلم) وذلك في الكتاب كله.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ لمسلم.

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت].

فالابتلاءُ والامتحانُ يُظْهِرُ إيمانَ المؤمنين، وكذلك يُظْهِرُ نفاقَ المنافقين.

وبالمثالِ يتضحُ المقالُ:

أولاً: ما هوَ موقفُ المؤمنينَ الصادقينَ، وما هو موقفُ المنافقينَ الكاذبينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِه ليحكُمَ بينهم؟

الجوابُ:

• **أما موقفُ المؤمنينَ الصادقين فهو:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور].

• **وأما موقفُ المنافقينَ الكاذبينَ:**

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء].

ثانياً: ما هو موقفُ المؤمنينَ الصادقينَ، وما هو موقفُ المنافقينَ الكاذبينَ عند نزولِ القرآنِ، وعند تلاوتِه، وعندَ سماعِهِ؟

الجوابُ:

• المؤمنونَ الصادقونَ يزيدُهم نزولُ القرآنِ وتلاوتُه وسماعُه إيماناً، وهم يستبشرونَ، أما المنافقونَ الكاذبونَ فيزيدُهم ذلك رِجساً إلى رِجْسِهم!

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة].

ثالثاً: ما هو موقفُ المؤمنينَ الصادقينَ، وما هو موقفُ المنافقينَ الكاذبينَ في أرضِ المعركةِ إذا جاءَ الكفارُ مِنْ كُلِّ مكانٍ لمحاربةِ المسلمينَ، فزاغَتِ الأبصارُ، وبلغَتِ القلوبُ الحناجرَ من هولِ الموقفِ؟

الجواب:




• أما موقفُ المؤمنينَ الصادقينَ:

فقد قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].

• وأما موقفُ المنافقينَ الكاذبينَ:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب].

هكذا يَفْعَلُ الإيمانُ بأهلِه إذا تمكَّنَ من القلوبِ، فإذا امتحَنهُمُ اللهُ وابتلاهُمْ نجحوا في الامتحانِ، حتى لو نُشرَ أحدُهم بالمناشيرِ، أو مُشِطَ بأمشاطِ الحديدِ ما بينَ لحمِه وعظمِه لم يتركِ الحقَّ الذي عرفَهُ؛ لأنه على يقينٍ أنْ ليسَ بعدَ الحقِّ إلا

الضلالُ، وأن الحَقَّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ.

فالإيمانُ نعمةٌ عظيمةٌ منَ اللهِ عز وجل، إذا تمكنَ من القلبِ، تغيَّرتِ القلوبُ، وتغيرتِ الأقوالُ والأفعالُ والأهدافُ، والإنسانُ بطبيعته يحبُّ الدنيا الفانيةَ، ويلهثُ خلفَ الشهواتِ ويطلبُ الدنيا بالليلِ والنهارِ ولكن إذا دخلَ الإيمانُ في قلبه تغيَّرَ وانقلبَ إنساناً جديداً تعلو رتبتهُ، وترتفعُ همتهُ، وبعدَ أن كانَ ينظرُ تحتَ أقدامِه إلى الشهواتِ البهيميةِ، واللذاتِ الدنيويةِ، إذ به ينظرُ إلى أعلى، ينظرُ إلى الفردوسِ، وصحبةِ النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقا.

• ولذلك امتنَّ اللهُ عز وجل على عباده بنعمةِ الإيمانِ، فقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

• بل امتنَّ اللهُ عزَّ وجَلَّ على عبادِه المؤمنينَ بأنه حبَّبَ إليهمُ الإيمانَ، وزينَهُ في قلوبِهم، فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧].

وَلْنبدأْ بذكرِ الموقفِ الأولِ منَ المواقفِ الإيمانيةِ: والذي سيبينُ لنا حالَ الإنسانِ قبلَ أن يدخلَ الإيمانُ قَلْبَهُ وكيفَ كان طالباً للدنيا، عبداً للشهواتِ والملذاتِ، عبداً للدنيا والمنْصِبِ، وإذا دخلَ الإيمانُ قلبَه، وتمكنَ منه، تغيرَ وأصبحَ إنساناً جديداً، أصبَح طالباً لجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ، عبداً لربِّ الأرضِ والسمواتِ.

أتدرونَ ما هو هذا الموقفُ؟





١

[موقفُ السَّحَرَةِ في قصةِ موسى مع فرعون]

لما ظهرَ أمر نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام وكانَ من خبرِه ما كانَ، لم يكنْ من فرعونَ -عليهِ منَ اللهِ ما يستحقُّه- إلا أنْ جَمعَ السَّحَرةَ ليبرهنَ للناسِ أنَّ موسى عليه السلام ما هو إلا ساحرٌ!

وأرسلَ فرعونُ في المدائنِ حاشرينَ يأتونَ بِكُلِّ سحَّارٍ عليمٍ وانتشرَ الخبرُ.

وقيل للناسِ: هل أنتم مجتمعونَ لعلنا نتبعُ السحرةَ إن كانوا هم الغالبين؟ فاجتمَع الناسُ من كُلِّ مكانٍ، وجاءَ السحرةُ المَهَرَةُ من كلِّ مكانٍ لِنُصرة فِرعونَ على موسى وما جاءَ به.

وتعالَوا معي عبادَ الله لنتأملَ حالَ السحرةِ قبلَ أن يدخلَ الإيمانُ في قلوبِهم:

طلابُ دنيا، همتُهم دنيئةٌ، نظرتُهم قاصرةٌ، يحبونَ الشهواتِ والأعراضَ الدنيويةَ.

ولذلك قَبل أن ينزلوا إلى المباراةِ ذهبوا إلى فرعونَ، وقالوا له: ﴿أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الشعراء].

وفرعونُ يعرف طبائعَ هذا الصنفِ من البشرِ، فقال لهم مُطَمْئناً ومُبَشراً: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء] أي: إن لكم ما تشتهونَ من الأموالِ، والهباتِ، ولكم كذلكَ من الرُّتَبِ والدرجاتِ ما تتطلعُ إليه نفوسُكم، وتصبو إليه شهواتُكم.

فلما اطمأنَّ السحرةُ على مصالحِهِمُ الدنيويةِ -لأنهم طلابُ دنيا- نزلوا إلى المباراة.

وفي أرضِ المباراةِ، السَّحَرةُ لا هَمّ لهم إلا الدنيا والمالُ والمناصبُ، لذلك قبلَ المباراةِ تنازعوا أمرَهم بينهم، وأسَرُّوا النجوى! فما هي هذه النجوى التي أسَرُّوها؟ لقد أظهرَها اللهُ لنا في كتابه فقالَ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه].

ثم بعد ذلك قالوا لموسى عليه السلام في أرضِ المباراةِ –والناسُ من حولهم ينظرون:

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ [طه].

وفي موضعٍ آخرَ:

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف].



وهذا يدلُّ على أنهم على ثقةٍ من أنفسِهم بأنَّ النصرَ حليفٌ لهم! وأيُّ غرورٍ كانوا فيه حينَ طلبوا؛ بل خَيَّروا موسى عليه السلام إما أن يُلقيَ أولاً، أو يكونوا هُمُ المُلْقين؟! ثم ما كانَ منْ موسى عليه السلام إلا أنْ قالَ لهم:

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء].

انظروا إليهم: هذا هو عبدُ الدنيا قبل أن يدخلَ الإيمانُ قلبَه: يركَعُ، ويسجدُ لفرعونَ، لا هَمَّ له إلا أن يحصُلَ على الدنيا ولذلك فهم يُقْسِمون بعزةِ فرعونَ!

بذلَ السحرةُ ما عندهم من قوةٍ وعلمٍ وفنٍّ في سِحرِ التخييلِ حتى إنهم جاءوا بسحرٍ عظيمٍ.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ



وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ [الأعراف]، وفي هذا الموقفِ العصيبِ الرهيبِ يتنزلُ التأييدُ والتثبيتُ لنبيِّ الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

ويَثْبُتُ نبيُّ اللهِ موسى عليه السلام ويلقي عصاه فإذا هي تلقَفُ بحقٍّ ما صنعوا! فما أدراك ما ذاكَ التعجبُ والحيرةُ والانبهارُ الذي أذهل السحرة، إنهم يعرفون السحرَ وفنونَه، بل إنهم جاءوا متحدين لموسى عليه السلام وهاهم يوقنونَ دونَ أدنى شكٍّ أن ما فعلَه موسى عليه السلام ليس بسحرٍ، بل هو معجزةٌ منَ اللهِ عز وجل أيَّد بها رسولَه موسى عليه السلام تدلُّ على صدقه وعلى رسالتِه، وما أَنْ عرَفَ السحرةُ ذلك حتى دخلَ الإيمانُ في قلوبِهم وخرُّوا لله سُجَّداً!



قال تعالى: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه].

وفي موضعٍ آخرَ:

قال تعالى: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء].

اللهُ أكبرُ! قبلَ قليلٍ كانوا يسجدونَ ويركعونَ لفرعونَ!

قبل قليلٍ كانوا يقولونَ: بعزةِ فرعونَ!

والآن وبعد لحظاتٍ هاهم يركعونَ ويسجدونَ لربِّ العالمينَ، ربِّ السمواتِ والأرضِ! قالوا: آمنا بربِّ العالمين، ربِّ موسى وهارون.



إنه الإيمانُ إذا خالَطتْ بشاشَتُه القلبَ، إنها حلاوةُ الإيمانِ إذا تمكنت من القلبِ وتغلغلَتْ فيه.



فما هذا التغيرُ الذي حدَث؟!

فرعونُ –قبلَ قليلٍ– كان يعِدُ السحرةَ ويُمنّيهم بحطامِ الدنيا، حتى إنه قال لهم: نعم، وإنكم إذاً لمن المقربينَ فجمَعَ لهم بينَ المالِ والمنصبِ!

والآن: بعد أن آمنوا يهددُّهم بالقتْلِ، والصَّلْبِ، وتقطيعِ الأيدي والأرجلِ، ويتوعدُهم بالعذابِ المُهينِ الأليم، لكنْ هل يخافُ الذي ملأ الإيمانُ قلبَه من الجبابرةِ والطواغيتِ؟! وهل يخافُ مَنْ ذاقَ حلاوَة الإيمانِ ويتزعزع إذا نُشِرَ بالمناشيرِ، ومُشِطَ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ لحمه وعظمِهِ؟ أبداً، لا يتزعزعُ؛ لأنه علمَ أنه على الحقِّ، وعلمَ أنه ليسَ بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ، وعلم أنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع.

إن اللهَ عز وجل أخبرنا في كتابِه العزيزِ بما هدَّد به فرعونُ السحرةَ من العذابِ الأليم، قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الشعراء].




وفي موضعٍ آخرَ قالَ لهم: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [الشعراء].

تأملوا أولئكَ السحرةَ همُ الذين كانوا يقولون قبلَ قليلٍ: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾، وهم من قال: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾، وها همُ بعدَ أن دخلَ



الإيمانُ في قلوبِهم يقولونَ: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾[طه:٧٣].

فاللهمَّ يا مقلبَ القلوبِ والأبصارِ ثَبِّتْ قلوبَنا على دينك.

ومنَ الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من موقفِ السحرةِ:

أولاً: أنَّ الإيمانَ إذا دخلَ القلوبَ وتمكنَ منها غَيَّر القلوبَ، وغيرَ الأقوالَ، والأهدافَ، والأفعالَ، فيتحولُ صاحبُ القلبِ المؤمنِ مِنْ طالبٍ للدنيا إلى طالبٍ للآخرة.

فالسحرةُ قبلَ الإيمانِ كانَ مِنْ حالهم قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الشعراء].

لكنهم بعدَ الإيمانِ قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].



وقالوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء].

قبلَ الإيمانِ كانت همتُهم دنيئةً، ونظرتُهم قاصرةً، يعبدونَ الشهواتِ، لا همَّ لهم إلا الدنيا، وبعدَ الإيمانِ أصبحت همتُهم عاليةً ونظرتُهم بعيدةً، يريدونَ الجنَة، يريدون صُحْبةَ النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحينَ.

ثانياً: أنَّ الإيمانَ إذا دخَل في القلبِ صَغُرَتِ الدنيا في عينِ صاحبِه وعَظُمَتِ الآخرةُ، فتراه يطلبُ الآخرةَ بالليلِ والنهارِ.

ولذلك ترى السحرةَ قبلَ أن يدخلَ الإيمان قلوبَهم طلابَ دنيا، وبعد أن دخلَ الإيمان قلوبهم لا يطلبون إلا الآخرةَ؛ لأنها قد عظمَتْ في أعينهم ولا يريدونَ سواها.

ثالثاً: أن الإيمانَ إذا تمكن منَ القلبِ فإنَّ المؤمنَ لا يخافُ من التهديدِ والتنكيلِ، ولو قطعوا أطرافَه من خلافٍ، وصلبوه في جذوعِ النخل؛ لأنه يعلمُ علمَ اليقينِ



أنه إذا انتقلَ من هذه الدنيا على الإيمانِ فهو في جنةٍ في قبره، ويومَ القيامةِ يفوزُ بجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ.

فالمؤمنُ لا يخافُ وإن وُضِعَ المِنشارُ على مَفْرِقِ رأسِه، وقُسِمَ قسمين، وإنْ مُشِطَ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ لحمِه وعظمِه، لأنه قد علمَ وأيقَن أنه على الحقِّ.

رابعاً: أنَّ السحرَ حرامٌ.

قال تعالى عن السحرةِ أنهم قالوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ فالسحرُ حرام؛ فلا يجوزُ للمسلم أبداً أن يتعلمَ السحرَ، ولا أنْ يُعلِّمَه غَيْرَهُ، ولا يجوزُ للمسلم أبداً أن يذهبَ إلى ساحرٍ.

قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»**[1].

خامساً: أن المكرَ السيءَ لا يحيقُ إلا بأهله.

فقد مكرَ فرعونُ بموسى عندما جاءَ بالسحرةِ، وجاء بالناس من كلِّ مكان واجتمعوا جميعاً، وقيلَ للناس: ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء] فأحاقَ اللهُ بهم مكرَهم، وجعلَ الدائرةَ تدورُ عليهم، ونصرَ اللهُ عز وجل موسى وآمنَ السحرةُ الذين استعانَ فرعونُ بهم لينتصرَ على موسى، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

فاتقوا الله عبادَ الله واحذروا من المكرِ السيءِ.

«اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى دِينِهِمْ رَدّاً جَمِيلاً»

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٥٣)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤٧)].



موقفُ في الثباتِ على الدينِ (موقفُ الغلامِ والراهِب)

عبادَ الله: قلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إن الإنسانَ قبلَ أن يدخلَ الإيمانُ قلبَه طالبُ دنيا، همتُه دنيئةٌ، نظرتُه قاصرةٌ، ينظرُ إلى أسفلَ دائماً، إلى الشهوات والملذاتِ ولا همَّ له إلا الدنيا، ولكنْ إذا دخَلَ الإيمانُ قلبه، وازدادَ، تغيرَ هذا الإنسانُ، وأصبح إنساناً جديداً؛ همتُه عاليةٌ، ونظرتُه بعيدةٌ.

ينظرُ إلى أعلى؛ إلى الجنةِ، وصحبةِ النبيينَ والصديقين والشهداءِ في دار النعيمِ، وضربنا مثلاً في الجمعةِ الماضيةِ على ذلك بالسَّحرة مع فرعون.

كانوا قبل أنْ يدخلَ الإيمان قلوبهم: طلابَ دنيا، جاءوا إليه وقالوا: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الشعراء].

وقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء].

ولكن لما دخل الإيمان قلوبهم تغيرتْ أقوالُهم، وأفعالُهم، وأهدافُهم، فبعدَ أن آمنوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء].

فهمْ طلابُ آخرةٍ، ينظرونَ إلى النعيم المقيم في جناتِ النعيم، ولذلك بعدَ الإيمانِ قالوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِ﴾ [طـه:٧٣]، وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

فلما هددهم فرعون: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:٧٢].

هكذا يفعل الإيمان بأهلِه.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع:

الموقف الثاني من المواقف الإيمانية

أتدرون ما هوَ يا عبادَ الله؟

هو موقفٌ في الثباتِ على الدين.

فالمؤمنُ الصادقُ في إيمانه إذا نُشرَ بالمناشير، ومُشِطَ بأمشاط الحديد، وحُرِّقَ بالنيران لا يصدُّه ذلكَ عن دينِه أبداً.

فتعالوا بنا عبادَ الله لنستمعَ إلى هذا الموقفِ العجيبِ منْ أصدَقِ البشرِ وخيرِهم، من خاتَمِ النبيينَ، نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

روى الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه» عن صهيب رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ للمَلِك: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامَاً يُعَلِّمُهُ»**.



هذا هو حالُ كثيرٍ منَ الحكام قديماً، وحديثاً، -ممن يحكمونَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ- يستخدمونَ السحرةَ في أمورٍ كثيرةٍ، وهذا بلا شكٍّ ولا ريبٍ حرامٌ؛ لأَنَّ السحرَةَ من المفسدينَ في الأرضِ.

قال تعالى على لسان موسى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

وإذا عرفْتَ أَنَّ السحرةَ من المفسدينَ في الأرضِ، فلا يجوزُ أبداً أن يُستعانَ بهم في أيِّ أمرٍ من الأمورِ، وكذلك لأن السحرةَ يتعاملونَ مع الشياطينِ، والشياطينُ يكذبونَ، ولا يجوزُ أبداً أن يتعاملَ المسلمُ معَ الشياطين.

ثم يقولُ ﷺ: **«فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ،**



فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيْتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيْتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ»،

أرادوا للغلام أن يكونَ ولياً من أولياءِ الشيطانِ، واللهُ عز وجل أراد له غيرَ ذلك.

الساحرُ أرادَ أن يُعلِّمَ الغلامَ السحرَ، واللهُ عزَّ وجلَّ أراد خلافَ ذلكَ، لتعلموا أنَّ ما شاءَ الله كان وما لم يشأْ لم يكنْ، ولتعلموا أنَّ قلوبَ العبادِ بينَ أُصْبُعينِ من أصابعِ الرحمن يقلبُها كيفَ شاء فيهدي سبحانَه منْ يشاءُ، ويُضِلُّ من يشاء، سبحانَ مَنْ هدى الغلامَ إلى الحقِّ وهو في أحضانِ الساحرِ وتحتَ إشرافِ الملكِ!




• اشتكى الغلامُ الساحرَ للراهب، فلَقَّنهُ الراهبُ أمراً يتخلصُ به من ضربِ الساحرِ، وهذا جائزٌ عندَ المصلحةِ وهو ما يسمى بالتوريةِ.

ثم يقولُ ﷺ: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ** -أَيْ: الغُلَامُ-: **الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَةِ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ**».

هذه هي الكرامةُ التي يُكرمُ اللهُ بها عبادَه الصالحينَ -أولياءَ اللهِ- الذين وصفهمُ اللهُ في كتابِه بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِياً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ..**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

ثم يقول ﷺ: «**فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيّ! أَنْتَ، اليَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيْتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ**».

اعلموا أنه لا بُدَّ مِنَ الابتلاءِ في هذه الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت]، ولذلكَ سألَ رجلٌ الشافعيَّ رحمه الله: فقال يا أبا عبدِالله أيُّهما أفضلُ للرجلِ أن يُمكَّن أو يُبتلى؟ فقالَ الشافعيُّ: لا يُمكَّنُ حتى يُبتلى؛ فإنَّ اللهَ ابتلى نوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمداً صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكَّنهُمُ اللهُ[1].

ثم يقول ﷺ: «**وَكَانَ الغُلاَمُ يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَداً إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ، فَشَفَاهُ اللهُ**».

انظروا إلى هذا الغلام صاحبِ العقيدةِ السليمةِ، والأخلاقِ النبيلة، لم يتأثرْ قلبُه بدنيا الناسِ، ولم تَشْرُفْ نفسُه إلى ما يُجمَعُ له مقابلَ علاجِه لمرضِ الناس، بل كان همُّه أن يُصَحِّحَ عقيدتَهم، ويطهرَ قلوبَهم من التعلق بغيرِ اللهِ فقالَ: «**إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَداً إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ**». لقد أرادَ أن يُبينَ لهم أنَّ علاجَ القلوبِ أولى من علاجِ الأبدانِ؛ لأنه إذا صَلَحَتِ القلوبُ صلَحَتِ الأبدانُ، وإذا فسدَتِ القلوبُ فسدَتِ الأبدانُ.

ثم قال ﷺ: «**فَأَتَى المَلِكَ** -أي: جليسُه- **فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِس، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ**

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٣).




الله، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلاَمُ».

رَدَّ اللهُ إليه بصرَه فنظرَ حولَه فرأى الناسَ، ونظرَ فرأى الغلامَ..

البصرُ نعمةٌ، كانَ لا يرى وبعدَ أن آمنَ ودخلَ الإيمانُ في قلبهِ رَدَّ اللهُ عليه بصرَه، فأَبصرَ الناسَ، فجاء هذا الجليسُ إلى الملكِ يجلسُ معَ الملكِ كعادته فنظرَ إليه الملكُ فرأى وجهَه قد تَغيرَ، فالإنسانُ الأعمى إذا ردَّ اللهُ إليه بَصَرَه تغيرَ وجهُهُ، فنظرَ إليه فقال الملكُ لجليسِه: مَنْ رَدَّ عليكَ بصرَك؟! قال: ربي، فقال له: أوَ لكَ ربٌ غيري؟! فقال له: ربي وربُّك اللهُ.

هكذا يَفْعَلُ الإيمانُ في أصحابه؛ هذا جليسُ الملكِ قبلَ قليلٍ يطمَعُ في منصبٍ من مناصبِ الدنيا، كان قبلَ قليلٍ يريدُ مالاً، ويطمعُ فيما عندَ الملكِ.

الآنَ يقولُ له: ربي وربُّك اللهُ، فلم يزل يُعَذِّبهُ حتى دَلَّ على الغلامِ، قبل قليلٍ كان جليسَه يُضحِكُه، ويشاورُه، والآنَ يعذبُه لأنه آمنَ باللهِ رباً.

ثم يقولُ عليهِ الصلاة والسلامُ: «**فَجِيءَ بِالغُلاَم، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيْ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟**

فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهْ: إِرْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالمِئْشَارِ، فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ».

موقفٌ إيمانيٌّ في الثباتِ على الدينِ، ثباتٌ إلى آخرِ نفَسٍ، بل إلى آخرِ قطرةِ دمٍ، إنه الإيمانُ الصادقُ الذي يُهَوِّنُ على صاحِبه كُلَّ المصائبِ، هانت عليه نفسُه في الله، ولَم يَهُنْ عليه دينُه، وفارقَ الدنيا، لكنه لم يفارقْ دينَه. كلُّ ذلكَ وجليسُ الملكِ الذي رَدَّ الله عليه بصرَه ينظرُ إلى هذا الموقفِ، والغلامُ الصغيرُ ينظرُ إلى هذا الموقفِ أيضاً.





ويقول ﷺ: «**ثُمَّ جيءَ بِجَليسِ المَلِك فَقيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبى فَوَضَعَ المِنْشَارَ في مَفْرِقِ رَأْسِه، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ**».

«**ثُمَّ جِيءَ بِالغُلامِ فَقيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبى**».

إنهُ الإيمانُ، إنها العقيدةُ الراسخةُ، إنها مواقفُ إيمانيةٌ تُسَجَّل في قلوبِ الصالحينَ بماءِ الذهبِ.

إنه الصبرُ على الدينِ؛ كيفَ لا، والدينُ هو أغلى ما يملكُ المرءُ في هذه الدنيا.

فهاهمُ الصحابةُ أيضاً يتعرضونَ لألوانٍ شتى من التعذيبِ والتنكيلِ على أيدي الكَفَرَة والمشركينَ، وكانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يُعَلِّمهمُ الصبرَ ويحثُّهم على تَحمُّلِ الأذى في سبيلِ الله عز وجل؛ فعن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قالَ: شَكَوْنا إلى رسولِ الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً لهُ في ظلِّ الكعبةِ فقلنا: ألا تستنصرُ لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: **قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرَ لَهُ في الأَرْضِ، فَيُجْعَلَ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلَ نِصْفَيْن، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِه، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه، وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَموتَ، لاَ يَخَافُ إِلاَّ الله وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُون**»[١].



فلمْ يقتُلِ الملكُ الغلامَ، ولكن ماذا فعل به؟

يقول ﷺ: «**فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ**».

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).



إنه الإيمان! أيها الغلام! اهرُبْ، أيها الغلام! أين تذهب؟، ماذا يريدُ الغلامُ يا عبادَ الله؟، هل يريدُ منصِباً من مناصبِ الدنيا عندَ الملك؟ لا

هل يريدُ الغلامُ أن يدَبِّرَ انقلاباً ليصلَ إلى الحكمِ في بلدِ الملِك؟ لا

هذه أمورٌ دنيويةٌ يَطلُبها طالبُ الدنيا، الغلامُ يريدُ شيئاً نعرفُه بعدَ قليل.

يقول ﷺ: «**فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَىَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ**[1]**، فَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْر، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَ شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ**».

وَصدقَ اللهُ القائلُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].




وصدقَ رسولُه ﷺ الذي قالَ يوماً لابن عباس: «**يَا غُلامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ..** »[2] فاللهُ عز وجل يدافعُ عن الذين آمنوا، ويحفظُهم من كُلِّ سوءٍ.

«**فَقَالَ لِلمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمْ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلاَمِ! ثُمَّ ارْمِنِي بِهِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي**» إنه الذكاءُ والفطنةُ والحرصُ على إظهارِ الحقِّ للناس، إنهُ الداعيةُ بحقٍّ الذي لو ضَحَّى بحياته، فهي رخيصةٌ بنظرِه مقابلَ دخولِ الناسِ في دينِ اللهِ، وَمقابلَ

---

(١) **القرقور**: السفينة الصغيرة.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤١٧)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

أن تكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُليا.

الملوكُ عادةً - هم الذين يأمرونَ فيُطاعون..

انظروا إلى الغلامِ هل يريدُ الدنيا؟ هل يريدُ المالَ؟ لا، إنما يريدُ أن تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا.

فقامَ الملكُ بتنفيذِ أوامرِ الغلامِ كلِّها لأنه لو تخلَّفَ شيءٌ مما أمرَه به لم يقتلْه أبداً، والخبرُ قد انتشرَ في كُلِّ مكانٍ، وعلم الناسُ بأمرِ الغلامِ فأتوا يريدونَ أن يعرفوا الحقيقةَ، وخاصةً أنَّ الإعلامَ الفاسدَ الظالمَ شوَّهَ صورةَ الغلامِ. والناسُ الآن يريدونَ أن يَرَوُا الحقيقةَ بأبصارهم.

«فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ! ثُمَّ رَمَاهُ فَوَضَعَ السَّهْمَ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ،».

اسمعوا بطانَةَ السوءِ ماذا قالوا للملكِ: **«فَأُتِيَ المَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ، وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ بِأَفْوَاهِ[١] السِّكَكِ فَخُدَّتْ[٢] وَأَضْرَمَ النِيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ[٣] أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ! اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ»[٤]**.

أمةَ الإسلام! إنه الإيمانُ، إنها المواقفُ الإيمانيةُ في الثباتِ على الدينِ، فتعالَوا



(١) أفواه السكك: أي أبواب الطرق.

(٢) أي: جعلت أخاديد.

(٣) تقاعست: أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠٠٥).



بنا ننتقلُ من سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى كتابِ رَبِّنا، ففيه يُبيِّنُ لنا ربُّنا جَلَّ وعلا هذا المشهدَ الأليمَ أحسنَ بيانٍ، النيرانُ تتأجَّجُ في الأخاديدِ، النيرانُ تشتعلُ وتتعاظَمُ، والمؤمنون يُقْحَمُون في هذه النارِ العظيمةِ ظلماً وعُدْواناً، لا لشيءٍ إلا لأنهم قالوا: ربُّنا اللهُ.

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج].

واللهِ إنها مواقفُ إيمانيةٌ عظيمةٌ فيها الكثيرُ منَ الدروسِ والعظاتِ والعبرِ، منها:

أولاً: أَنَّ الدينَ عندَ المؤمنِ الصادقِ أغلى من النفسِ والمالِ والأهلِ والولدِ، فهذا الراهبُ قَدَّمَ نَفسَه رخيصةً في سبيلِ الثباتِ على دينِه، وجليسُ الملكِ قَدَّمَ نفسه رخيصةً في سبيلِ الثباتِ على دينِه، وهذا الغلامُ قَدَّمَ نَفسَه رخيصةً في سبيلِ الثباتِ على دينِه، وأكثرُ الناس آمنوا وأُلقوا في النارِ وقَدَّموا أنفسَهم وأموالَهم وأولادَهم في سبيلِ الثباتِ على دينِهم.

ثانياً: الداعي إلى الله يموتُ ويُقَدِّمُ نفسَه من أجلِ دعوتِه لتبقى دعوتُه في الناسِ، فهذا الغلامُ ماتَ وقدمَ نفسَه رخيصةً في سبيلِ أن تبقى دعوتُه، فماتَ الغلامُ وآمنَ الناسُ بربِّ الغلامِ، فالداعي إلى الله إذا قدمَ نفسَه في سبيلِ دعوتِه فهو الرابحُ في الدنيا والآخرةِ، وإذا ماتَ الداعي إلى اللهِ بقيَتِ الدعوةُ، وموقفُه يزيدُ الإيمانَ في قلوبِ المؤمنينَ إلى يوم القيامةِ.

وقد ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ أعظمُ الدعاةِ منزلةً عندَ اللهِ، وفُجعَ الجميعُ بموتِه، ولكنَّ رجلَ المواقِف أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه قام خطيباً في الناسِ وقال لهم: (مَنْ كان منكم يعبدُ محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد ماتَ، ومَنْ كانَ يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران])[1]، نعم، يا صدِّيقَ الأمةِ! إنها العبادةُ الخالصةُ للهِ التي مَنِ اتخذَها نهجاً ومَسلكاً لم يضرَّهُ فقدانُ الأشخاصِ أو انعدامُ القدوةِ والمساندةِ من البشرِ، فاللهمَّ ثَبِّتْنا على دينِك.



ثالثاً: لا ينفعُ حذَرٌ مِنْ قدرٍ.

لقد بالَغ هذا الملكُ في أخذِ كُلِّ وسائلِ الحيطةِ والحذَرِ مما كان يخافُ ويخشى من إيمانِ الناسِ، وعملَ كُلَّ ما يستطيعُ مِنَ التصدي بل والقتلِ للدعاةِ، ولكنَّ اللهَ غالبٌ على أمرِه فقد حَذِرَ الملكُ، وعملَ كلَّ ما يستطيعُ عملَه حتى لا يؤمنَ الناسُ، ولكنْ ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يشأْ لم يكن، فقد آمنَ الناسُ بربِّ الغلامِ.

رابعاً: أنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ.

فهؤلاءِ الذين أضرموا النيرانَ وأشعلوها، وعذبوا المؤمنينَ بها في هذه الدنيا،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٥٤).

وأحرقوا أجسادَهم فإنَّ اللهَ عز وجل توعدَهم بأن يعذبَهم يومَ القيامةِ بالتحريقِ في نارِ جهنمَ، وشتانَ شتانَ بين عذابِ الدنْيا وعذابِ الآخرةِ، وبينَ حريقِ نارِ الدنيا وحريقِ نارِ الآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج].



خامساً: أنَّ اللهَ وحدَه هو الذي يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه.

فالذي استجابَ للغلامِ عندما رمى الدابةَ هو اللهُ.

والذي استجابَ للغلامِ عندما دعا على ذروةِ الجبلِ هوَ اللهُ.

والذي استجابَ للغلامِ وهو في وسطِ البحرِ هو اللهُ.

والذي استجابَ ليونُسَ عليه السلام وهو في ظلمةِ البحرِ، وظلمةِ بطنِ الحوتِ، وظلمةِ جوفِ الليلِ هوَ اللهُ.

ومن استجاب لأنبيائه وعباده الصالحين؟

إنه هو الله، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْبَةً صَادِقَةً قَبْلَ المَوْتِ





٣

موقفٌ في الإخلاصِ لله عزَّ وَجلَّ
(موقفُ الثلاثةِ الذينَ دخلوا الغارَ)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الثالثِ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ في الإخلاصِ للهِ عز وجل.

• الإخلاصُ لله عز وجل في القولِ والعملِ هو سرُّ النجاحِ.

• الإخلاصُ لله عز وجل في القولِ والعملِ يرفعُ صاحبَه في الدنيا والآخرة.

• الإخلاصُ لله عز وجل هو سفينةُ النجاةِ في الدنيا والآخرة.



ففي الدنيا: تنجو بالإخلاصِ من كُلِّ شدةٍ، وتخرُجُ بالإخلاصِ مِنْ كُلِّ كربٍ.

وفي الآخرةِ: لا يقبلُ اللهُ عز وجل عملاً إلا منَ المخلصين.

• الإخلاصُ هو الحصنُ الحصينُ، الذي يتحصنُ فيه المؤمنُ من كيدِ الشياطينِ.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

• الإخلاصُ هو السببُ الوحيدُ للنصرِ على الأعداءِ وللتمكينِ في الأرضِ: قال ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ**»(١).

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٣١٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٤٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦)].



وقال ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِه الأُمَّةَ بالسَّنَاء وَالدِّين وَالرِّفْعَة، وَالنَّصر وَالتَّمْكِين فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ للدُّنْيا؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيب**»(١).

● الإخلاصُ لله عز وجل في القولِ والعملِ، والسرِّ والعلنِ، والسراءِ والضراءِ سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرة.

من أجلِ ذلكَ أمرَ اللهُ عز وجل عبادَه في كتابهِ بالإخلاصِ.

وأمرَ الرسولُ ﷺ في سنته وربَّى أمتَه على الإخلاص.

قال تعالى: ﴿**وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥**﴾ [البينة]، وقال تعالى: ﴿**فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤**﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**﴾ [غافر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**﴾ [الأعراف:٢٩].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وإِنَّمَا لامْرِىءٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه**»(٢).

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُر إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(٣).

تعالَوا بنا يا عباد الله! لنتعلمَ الإخلاصَ من أهلِ الإخلاصِ الذين أخلَصوا لله عز وجل في أعمالهم، وفي دعائِهم وفي التجائِهم إلى الله عز وجل في السرِّ والعلنِ في الشدةِ والرخاءِ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٣٣)، [«صحيح الجامع» (٢٨٢٥)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) واللفظ لمسلم.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

يقول ابْنُ عمرَ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آواهُمُ المَبِيتُ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**».

وهكذا يلتجئُ المؤمنُ في مثلِ هذه الشدائدِ، ويتوجهُ بقلبِهِ ولسانِهِ ويدِهِ إلى اللهِ لأنه قد عَلِمَ وأيقنَ أنه سبحانه يجيبُ المضطَّرَّ إذا دعاه.

لذلك قالَ هؤلاءِ الثلاثةُ: إنه لا ينجيكُمْ من هذه الصخرةِ إلا أن تدعوا اللهَ بصالحِ أعمالكم.

«فقال رجلٌ منهم: **اللهمَّ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيران** -أي: في سِنِّ الهرَمِ والشيخوخَةِ، أي: في مرحلةِ الضعفِ، وفي اللحظةِ التي يحتاجُ فيها الأبُ والأمُّ إلى البرِّ والحنانِ والعطفِ والخدمةِ والنفقةِ -**وكنتُ لا أَغْبِقُ**[1] **قبلهما أهلاً ولا مالاً**- أي: لا أقدِّمُ عليهما زوجةً ولا ولداً ولا عبداً ولا خادماً، إنما البرُّ والإحسانُ والنفقةُ والطعامُ والشرابُ تُقدَّمُ أولاً إلى الوالدَين يقول: -**فنأى بي طلبُ شيءٍ** [وفي رواية: الشجرِ] **يوماً، فلم أُرِحْ عليهما حتى ناما**»- أي: لم أرجِعْ إليهما حتى ناما.



راعٍ بسيطٌ يرعى الغنمَ لكنه يعرفُ قَدْرَ أبويه، أقولُ هذا في زَمنٍ كثرَ فيه العقوقُ، لا أقولُ أنَّ العقوقَ للوالدينِ يقعُ منَ الذين تركوا الصلاةَ، بل أقولُ إنه واقعٌ منَ الذين يُصَلُّون!! فتعلَّمْ أيها العاقُّ البَّر لوالِدَيك منْ هذا الراعي الذي لم يتخرجْ من الجامعةِ طبيباً ولا مهندساً، إنما يرعى الغنمَ لكنَّهُ يحرصُ على برِّ والديه! يقول: «**فحلبْتُ لهما غبوقَهما فوجدْتُهما نائمَين**- عندما وصلَ متأخراً أسرعَ في حَلْبِ الغنمِ، وذهبَ بسرعةٍ إلى والِدَيه قبلَ الزوجةِ وقبلَ الأولادِ، -يقولُ: **وكَرِهْتُ أن**

(١) أسقيهما الغبوق بفتح المعجمة وضم الموحدة وهو شرب آخر النهار مقابل الصَّبُوح (نهاية).



أَغْبِقَ قبلَهما أهلاً أو مالاً [وفي رواية: أوقظهما] -انظروا إلى هذا الموقفِ الإيماني العجيبِ في برِّ الوالدين! يقول: وكرِهْتُ أن أسقيَ أحداً قبلَهما خشيةَ أن يكونَ ذلكَ من العقوقِ! -يقول: «**فلبثتُ والقدَحُ على يَدي انتظرُ استيقاظَهما حتى بَرِقَ الفجْرُ**»- أَهي ساعةٌ أم ساعتان أم ثلاث... باللهِ عليكم يا أمةَ الإسلام، هل يستطيع أحدُنا أنْ يفعلَ ذلكَ؟ لكنه الإيمانُ الصادقُ الذي امتلأَ به القلبُ هكذا يفعلُ بأهلِه؛ رجلٌ طِوالَ يومه يرعى الغنمَ يريدُ أن يستريحَ، له زوجةٌ، له أولادٌ، عندَه خدَمٌ لكنْ لا همَّ له إلا أنْ يَبرَّ والديه، لأنَّ اللهَ أَمره ببرِّ الوالدين بعد عبادتِه مباشرةً.

وانظروا إلى الموقفِ الآخرِ الذي كلنا نضعُفُ عنده: [وفي رواية: **والصبيةُ يَتَضَاغَوْن عندَ قدمي**]- أي: يبكون بكاءَ الحزينِ، أولادُه يريدونَ الطعامَ والشرابَ، ولو أطعَمهم -واللهِ- لا شيءَ عليه ولكنْ مِنْ بِرِّهِ لِوالِدَيْه لم يقدِّمْ عليهما أحداً من أهلٍ ولا مالٍ- «**فاستيقَظا فشربا غَبوقَهما**».

يقولُ هذا البارُّ بوالدَيه وهو في الغار المظلم، وقد أيقنوا الهلاكَ، وهو لا يدري أَقَبِلَ اللهُ منه هذا العملَ العظيمَ أم لا: **اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِكَ**- أي: طلباً لرضاكَ وإخلاصاً لك يا ربِّ- **فَفَرِّجْ عنا ما نحنُ فيه من هذه الصخرة، فانفرجَتْ شيئاً لا يستطيعونَ الخروجَ**».

مَنِ الذي حرَّكَ الصخرةَ فجعلَها تنحدرُ من الجبلِ وتسدُّ بابَ الغارِ؟ إنه اللهُ عز وجل، فإنَّ ساكناً لا يتحرَّكُ إلا بأمرٍ منَ الله، وهو سبحانه مَنْ أذنَ لها -بعد دعاءِ هذا المخلصِ البارِّ بوالديه- أن تنفرجَ قليلاً استجابةً لدعاءِ هذا الصادقِ الذي نفعَه صدقُه وإخلاصُه بعمله وتطبيقُه لأمر من أوامرِ اللهِ عز وجل القائل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ

﴿ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

فَلْيَحْذَرْ كُلُّ عاقٍّ لوالدَيه إنَّه على خطرٍ عظيم، حيث عرَّضَ نفسَه لِسُخْطِ اللهِ؛ فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**رِضَا الربِّ في رِضَا الوَالِدَيْنِ وَسُخْطُهُ في سُخْطِهِما**»(١).

فاعملْ ما شئتَ أيها العاقُّ إنَّ الله بما تعملُ بصير.

وَلْتعلمْ أيها العاقُّ أنك قد عَرَّضْتَ نفسَك لِلَعنةِ الله، قالَ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ**»(٢).

موقفٌ إيمانيٌّ في الإخلاصِ للهِ عز وجل في البِرِّ بالوالدين.

يقولُ ﷺ: «**وقال الآخرُ: اللهمَّ كانَتْ لي بنت عمٍّ كانت أحبَّ الناس إلي**» [وفي رواية: (**أحببتُها كأشدِّ ما يحبُّ الرجالُ النساءَ**)] -يحبُّ ابنةَ عمه حباً شديداً- «**فأردتها عن نفسها**» -أي: راودتها عن نفسها- أي: طلب منها ما يطلبُ الرجلُ من زوجَتِه، أي: طلبَ منها الفاحشَة- يقول: «**فامتنَعتْ مني**»- إنه الإيمانُ، إنها المرأةُ التي تتربى على مائدةِ الإيمانِ- يقول: «**حتى ألمت بها سَنَةٌ من السنين**» -أي: نزلَتْ بها الحاجةُ- «**فجاءَتني فأعطيتُها عشرينَ و مائةَ دينار**» أي: من الذهبِ، انظروا كَمْ يدفَعُ من أجلِ أن يزنيَ بامرأةٍ يحبُّها، يقولُ: «**على أن تُخلِّيَ بيني وبين نفسها فَفَعَلَتْ**» - وافقت للحاجة... للفقرِ وهذا لا يجوزُ شرعاً، لا يجوزُ للمرأة أن تُقَدِّمَ عِرضَها وشرفَها للحصول على المالِ من أجلِ الحاجة.

المهمُّ أنَّ هذا الذي حصلَ، ففعلَت ووافَقَت لفقرِها وفاقَتِها.

تأملوا معيَ الآن، الشهوةُ تسيطرُ على عقلِ هذا المحبِّ لابنةِ عمِّه، والشياطينُ حولَه من كُلِّ مكانٍ فماذا حصل معه؟ يقول: «**حتى إذا قَدَرْتُ عليها**»، [وفي رواية:

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني عن عبدالله بن عمرو، [«صحيح الجامع» (٣٥٠٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٧٨).




فلما قَعدْتُ بين رجليها]- كما يجلسُ الرجلُ من زوجته، وما هي إلا ثوانٍ وتقعُ الفاحشةُ، المرأةُ تتألمُ لأنها ما فعلَتِ الفاحشةَ قطُّ، ولم تتعرضْ لمثلِ هذا الموقفِ أبداً، تربَّتْ على الإيمانِ، والرجلُ عندَه إيمانٌ لكنَّ الشهوةَ تغلِبُ على العقلِ فيصبحُ الإنسانُ كالحيوانِ، وفي اللحظةِ الأخيرةِ وإذا بالكلمةِ تخرُجُ من قلبٍ مؤمنٍ فتقولُ الفتاةُ لابنِ عَمِّها: [**يا عبدَ الله! اتقِ اللهَ**] أي: خَفْ منَ الله، أي: تذكرِ الوقوفَ أمامَ اللهِ «**لا أَحِلُّ لكَ أن تَفضَّ الخاتمَ إلا بحقه**» والخاتَمُ كنايةٌ عن البَكارةِ -أي: تقولُ له اتقِ اللهَ ولا تُزِلْ بَكارتي وعفتي وشرفي بالحرام، ولكنْ إن كنتَ لا بدَّ فاعلاً فَتزَوَّجْني بالحلالِ، أي: بالطريقِ المشروعِ الحلالِ، كلمةٌ كالقنبلةِ تخرجُ من قلبِ فتاةٍ مؤمنةٍ فتتفجَّرُ في قلبِ رجلٍ مؤمنٍ، وتردُّه إلى صوابه فيقول: «**فَتَحَرَّجْتُ من الوقوعِ عليها، فانصرفْتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إلي**» أي: تَركَهَا ولم يَزنِ بها «**وتركْتُ الذهبَ الذي أعطيتُها، اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِكَ**» -أي: تركْتُ الزنا بعدَ أن قَدَرْتُ عليه مخافةً منكَ- «**فافرُجْ عنا ما نحنُ فيه، فانفرجَتِ الصخرةُ غيرَ أنهم لا يستطيعون الخروجَ منها**».




قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف] تذكرتْ هذه الفتاةُ الموقفَ بينَ يدَيِ اللهِ، فذكَّرتِ الفتى بذلك فقالتْ له: اتقِ الله!

فأينَ هذه من فتياتِ القرنِ العشرينَ التي تَخرجُ الواحدةُ منهن من بيتها -بعدَ أن يخرجَ زوجُها إلى العملِ- لتبحثَ عمن يزني بها؟!

وأينَ هذا الرجلُ مِنْ رجلٍ يذهبُ كُلَّ ليلةٍ ويدفعُ المالَ الكثيرَ في الأماكنِ السوداءِ مقابلَ ليلةٍ حمراءَ يزني بامرأةٍ زانيةٍ حقيرةٍ رخيصةٍ؟!



والزنى حرام.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

إخوةَ الإسلام! احذروا الزنا وما يُقَرِّبُ منه فإنَّ الزنا يُطأطِىءُ الرؤوسَ، يُخْرِسُ الألسنةَ، يُسَوِّدُ الوجوهَ.

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].

ويقول ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

فحافظْ على عِرضِكَ يا أخي وتُبْ إلى الله؛ واتركِ الزنى؛ فإنَّ لك زوجةً، وبنتاً، وأختاً وأماً، فهل ترضى أن يزنيَ بهنَّ أحدٌ؟؟

انفرجَتِ الصخرةُ ولكن لا يستطيعونَ الخروجَ.

وقال النبيُّ ﷺ: «**وقالَ الثالثُ: اللهمَّ إني استأجرتُ أَجراءَ**» -أي: عمالاً- أقولُ ذلكَ في زمنٍ يُظلَمُ فيه العاملُ، ولا يتقي الناسُ اللهَ في العمالِ- «**فأعطيتُهم أجرَهم**»- لأنه يعلمُ أنَّ العاملَ بشرٌ، وله كرامةٌ، وله حَقٌّ. فإلى كُلِّ من يُهِينُ العاملَ، ويتعاملُ معه كأنه عبدٌ نقولُ له: لا يا أخا الإسلام، لا تنسَ أنَّ اللهَ عز وجل هو الذي أعطاكَ المالَ وهو سبحانه قادرٌ على أن ينزِعَهُ منك لتصبحَ عاملاً تعملُ عندَ الناسِ.

وكم من إنسانٍ كان يملكُ مئاتِ الألوفِ ولكنه لم يتقِ اللهَ في العمال فهو الآن لا يجدُ حتى مَنْ يرضى به عاملاً عنده، فإياكَ يا أخي أن تظلمَ الضعيفَ- ثم قالَ: «**غيرَ رجلٍ واحدٍ تركَ الذي له وذهبَ، فثمَّرْتُ أجرَه**» أقولُ: واللهِ الذي لا إلهَ غيرُه ولا رَبَّ سواه لا أحدَ فينا في هذا الزمانِ يفعلُ مثلَ ما فعلَ هذا الرجلُ -إلا مَنْ

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).



رحمَ ربي- ولكنه الإيمانُ إذا تمكنَ من القلبِ يدفعُ صاحبَه إلى كُلِّ خير، فيصبحُ لا هَمَّ له إلا أن يُرضي ربَّه. ثم قالَ: «**حتى كثَرتْ منهُ الأموالُ، فجاءني بعدَ حينٍ، فقال: يا عبدَ الله أدِّ إليَّ أجري**» يطلبُ أجرَه فقط.

فقلتُ له: «كُلُّ ما ترى مِنْ أجرِك! منَ الإبلِ والبقرِ والغنمِ والرقيقِ» -ثروةٌ كبيرةٌ فتعجَّبَ الرجلُ- «**فقالَ: يا عبدَ الله لا تستهزِئْ بي**» أي: لا تسخَرْ بي.

فقلتُ: «**إني لا أستهزيءُ بكَ، فأخذَه كُلَّهُ فاستاقَه فلم يترك منه شيئاً**» يقول: «**اللهمَّ فإنْ كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهك**» أي: طلباً لرضاك- «**فافرُجْ عنا ما نحنُ فيه فانفرَجَتِ الصخرةُ فخرجوا يمشون**»(١).

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في أداءِ الحقوقِ لأصحابها.

يقول ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(٢).

يقول ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٣).

وقال ﷺ: «**إنَّ الله لَيُملي للظَّالمِ، حتَّى إذَا أَخذَهُ لَمْ يُفْلِتَهُ**» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود](٤).

عبادَ الله! الإخلاصُ سرُّ النجاحِ.

الإخلاصُ في القولِ والعملِ، في السرِّ والعلنِ، سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرة.

ومنَ الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخَذُ مِنْ هذه المواقفِ الإيمانيةِ المذكورةِ في الحديثِ الآنفِ الذكرِ ما يلي:

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٢٧٢) واللفظ له، والزيادة ما بين [ ] لمسلم (٢٧٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وأحمد (٣/ ٤١٤) والحاكم (٢/ ٥٣)، [«صحيح الجامع» (٢٤٠)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (٣٨٥٢).



أولاً: تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يعرفْكَ في الشدة.

فهؤلاءِ الثلاثةُ الذين دخلوا الغارَ تعرفوا إلى الله في الرخاءِ قبل أن يقعوا في هذه الشدةِ، فالأولُ كان بارّاً بوالِدَيه، والثاني تعففَ عن الزنا، والثالثُ أعطى العاملَ حَقَّه، فَعَرَفَهُمُ اللهُ في الشدةِ وهم في داخلِ الغارِ، فلما دَعَوُا اللهَ عز وجل استجابَ لهم، ولمثلِ هذا فَأَعِدَّ يا عبدَ الله.

وهذا يونسُ عليه السلام لما سُجِنَ في بطنِ الحوتِ، واجتمعتْ عليه ظلمةُ بطنِ الحوتِ وظلمةُ البحرِ وظلمةُ جوفِ الليلِ دعا اللهَ عز وجل فاستجابَ اللهُ له، ونَجَّاهُ من هذا الغَمِّ ومن هذا السجنِ، أتدرونَ لِمَ يا عبادَ الله؟ لأنه كانَ قبلَ هذا السجنِ منَ المسبحين، كان يعرفُ رَبَّه في الرخاءِ فعرفَه اللهُ عَز وجل في الشدة.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات].



ثم هذا فرعونُ الذي أعطاه ربُّهُ عز وجل أسبابَ الرخاءِ من مُلكٍ وجاهٍ ومالٍ وصحةٍ لكنه لم يعرفْ رَبَّه بل كانَ ناكراً لنعم اللهِ عليه جاحداً بها بل متعدياً ظالماً حتى قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات] و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨] و﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف:٥١].

وعندما وقَعَ في الشدةِ وأدركَه الغُرَقُ قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس].

فلم يَنفعْهُ ذلكَ القولُ، قالَ الله عز وجل: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].



لم يتعرفْ إلى ربه في الرخاءِ والسراءِ فلم يعرفْه ربُّه في الشدةِ.

ثانياً: اعلمْ يا عبدَ الله أن اللهَ وحدَه هو الذي يستجيبُ الدعاءَ، فأينما كنتَ، وأينما وقَعْتَ في شدةٍ وكربٍ، فارفَعْ يديكَ وقل: يا ربِّ، فإنه سبحانه سميعُ الدعاءِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

تذكَّر يا أخي حَالَ هؤلاء الثلاثةِ وهم في الغارِ حيثُ لا يعلمُ بهم أحدٌ إلا اللهُ، فما كان منهم إلا أنْ رفعوا أيديَهم ودَعَوُا اللهَ عز وجل فاستجابَ لهم.

ثالثاً: أنَّ التوسلَ إلى اللهِ بالعملِ الصالحِ جائزٌ.

أن تتوسلَ إلى اللهِ عز وجل بعملٍ صالحٍ فهذا توسُّلٌ مشروعٌ جائزٌ، أما أن تتوسلَ إلى اللهِ بالأولياءِ والصالحينَ والأنبياءِ وغيرهم منَ الأمواتِ فلا يجوزُ لكَ ذلك أبداً.




وهؤلاء الثلاثةُ الذين دَخلوا الغارَ توسَّلوا إلى اللهِ بصالحِ أعمالهم.

رابعاً: اعلموا أنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً.

فهؤلاء الذين دخلوا الغارَ أحسنوا أعمالَهم في السراءِ، واللهُ عز وجل ادَّخرها لهم، وقَبِلَها منهم ونفعهم بها في الدنيا، وَسينتفعون بها في الآخرةِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى دِينِكَ رَدّاً جَمِيلاً

٤

موقفٌ في العفةِ والاستعفافِ (يوسفُ عليهِ السلامُ)

عبادَ الله: هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعِظاتٌ وعِبَرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ الرابعِ من المواقفِ الإيمانيةِ... أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه «**موقفٌ في العِفَّةِ والاستعفافِ**».

والعفة: خلقٌ إيمانيٌ رفيع، زينةٌ للرجلِ المسلمِ وللمرأةِ المسلمة في الدنيا والآخرة.

ولما كانتِ المرأةُ تشكِّلُ فتنةً عظيمةٌ على الرجل، وَلِما لها من خطرٍ واسعٍ فقدْ عدَّها اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه في مقدمة الشهواتِ الدنيويةِ التي يُفتَتَنُ بها: قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ** ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران].

وكذلك حَذَّرَ النبيُّ ﷺ من فتنةِ النساءِ.

فقال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء**»[١].

وقال ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[٢].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

وقال ﷺ: «**المَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»(١).

أي: زَيَّنها في أعينِ الناظرينَ.

وسداً للذرائع، وحفظاً للعِرْضِ والدينِ والشرفِ نَبَّهَ الإسلامُ على عِظَمِ خطرِ فتنةِ النساءِ وحَذَّرَ كُلَّ الحَذَرِ من أسبابِ الافتتانِ بهنَّ وأرشدَ إلى سَدِّ جميعِ المنافذِ التي قد تتسربُ منها آفةُ الزنا أو أحدُ مسبباتِه ومقدِّماته.

فَحَرَّمَ النظرَ إلى المرأةِ الأجنبيةِ، والخَلْوَةَ بها، والدخولَ عليها ومصافحَتَها.

وأمرَ الإسلامُ المرأةَ بالحجابِ الشرعي، وحَذَّرهَا أن تخرجَ متطيبةً متعطرةً، وحَذَّرَهَا أن تَلِينَ بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ.

وجاءَ الإسلامُ يأمرُ بالعفةِ والاستعفافِ.

فقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٣].

وقال ﷺ: «**مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ**»(٢).

• فالعفةُ خيرٌ لصاحبِها في الدنيا والآخرةِ.

قال تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور]

تعالَوا بنا لنتعلمَ العفةَ والاستعفافَ من كتابِ رَبِّنا وهو يقصُّ علينا أحسنَ القصصِ في قصةِ نبيٍّ منْ أنبيائِه ضربَ لنا مثلاً أعلى في العفةِ والاستعفافِ.

أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٧٣)، [«صحيح الجامع» (٦٦٩٠)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣).



إنه نبيُّ اللهِ ابنُ نبيِّ الله ابنِ نبيِّ الله ابنِ خليل الله، إنه يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهم السلام.

يوسفُ عليه السلام أنزلَ اللهُ في شأنه سورةً طويلةً تقصُّ لنا حياتَه ومراحلَها من طفولته إلى موتِه عليه السلام.

وأخبرَنا بالابتلاءاتِ والمحنِ التي مَرَّ بها هذا النبيُّ الكريمُ وكيفَ تلقاها وواجَهها بأخلاقِ النبوةِ صابراً محتسباً.

فيوسفُ عليه السلام ينتقلُ وهو طفلٌ منَ البئرِ بعدَ أن وضعَه إخوتُه فيه ليتربى في قصورِ المترّفين، وما أدراكَ ما قصورُ المترَفين؟!

يقولُ الله عز وجل: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف]

وترعرعَ يوسفُ عليه السلام في قصورِ المترفين، في بيتِ العزيزِ، عند امرأةِ العزيزِ حتى بلغَ سِنَّ الشبابِ.

ها هو يوسفُ عليه السلام الذي أعطاهُ اللهُ عز وجل شطرَ الجمالِ، يعيشُ ليلاً ونهاراً عندَ امرأةٍ منْ أهل التبرجِ والسُّفورِ ذاتِ منصبٍ وجمالٍ، وكانتِ المرأةُ تُحبُّ يوسفَ حباً شديداً، طاشَ بها وحادَ بها عنِ الصوابِ ولم تسيطر على عواطِفها واندفعتْ تُعبِّرُ عن حُبِّها ليوسفَ عليه السلام، فَغَلَّقَتِ الأبوابَ لإحرازِ الأمنِ والأمان، وتهيأتْ





أحسنَ ما يكونُ وراودَتْ يوسفَ عن نفسِه وطَلَبتْ منهُ الفاحشَةَ!! فأيُّ ابتلاءٍ هذا وأيُّ امتحانٍ وقَع ليوسفَ عليه السلام هذا النبيُّ الكريمُ الذي لم يزل شاباً في رَيْعانِ الشباب، جميلٌ قد أُعطي شطرَ الجمالِ، غريبٌ في بلدِ الغربةِ لا يعرفُه أحدٌ، مملوكٌ عندَها وعليه أن لا يَرُدَّ لها طلباً، تأمرهُ أن يفعلَ الفاحشةَ، وفي وسَطِ هذا الجوِّ المشحونِ بكلِّ التسهيلاتِ والمغرياتِ التي لا تتحملُها الجبالُ، يقولُ يوسفُ عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف].

اللهُ أكبرُ! اللهُ أكبر! إنه الإيمانُ ينطقُ على لسانِ صاحبِه في هذا الموقفِ العصيبِ! موقفٌ ليسَ منَ السهلِ الصمودُ أمامَه، ولا يثبتُ في مثل هذه الموقفِ إلا من امتلأ قلبُه بالإيمان والخوفِ من الله، وهؤلاء قِلّةٌ، قال فيهم رسولُ الله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ**» -فذكر منهم-: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»(١).




نعم لقد رفضَ يوسفُ عليه السلام طلبَ امرأةِ العزيزِ، وهربَ منَ الفاحشةِ، واستبقَا البابَ وهي تلاحِقهُ، فهوَ يهربُ منَ المعصيةِ، والمعصيةُ تلاحِقُه، يوسفُ يريدُ أن يفتحَ البابَ لينجوَ من المعصيةِ، والمرأةُ تلاحقهُ وتجذبُه من قميصِه مِنْ خلفِه، إنهُ الإيمان يحفظُ أصحابَه في هذهِ المواقفِ العصيبةِ. لكنَّ المفاجأةَ كانت عند البابِ حيثُ وجدا سيدَه وسيدَها هناك.

تعالَوا بنا لنستمعَ إلى هذا الموقفِ الذي يخبرُنا اللهُ به في كتابه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف].

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ -أي: همت به تريد فاحشةَ الزنى.

﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قالوا: لولا أن رأى برهانَ ربه لَهَمَّ بها، فهو عليه السلام لم يكنْ منه همٌّ فعلِ البتةَ، وهذا هو الراجحُ، قالوا: هَمَّ: هَمَّ الخواطِر لأنه بشرٌ، ومثالُ هذا كالخواطرِ تأتي عليك وأنتَ صائمٌ في نهارِ رمضانَ في شدةِ الحرِّ فيخطرُ على بالكَ الماءُ الباردُ والطعامُ، ولكن لا تتناولُ منه شيئاً فلا تأكلُ ولا تشربُ في نهارِ رمضانَ لأنك صائمٌ لله تباركَ وتعالى، فَهَمُّهُ عليه السلام هنا كان هَمَّ الخواطر، وقالوا: همَّ يدفعها عن نفسِه، وأكبرُ دليلٍ على ذلك أنه استبقَ البابَ يريدُ أن يخرجَ وهي التي كانت تلاحِقُه، فهي التي أرادتِ الزنى وهو لم يُرِدِ الفاحشة.

كذلك لنصرفَ عنه السوءَ والفحشاءَ إنه من عبادِنا المخْلَصين، واستبقا الباب وقَدَّت قميصَه -أي: ثوبَه- من دُبرٍ وألفيا سيدَها لدا البابِ، قالتْ ما جزاءُ مَنْ أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُسْجَنَ أو عذابٌ أليم. قال: هي راودَتني عن نفسي وشهدَ شاهدٌ من أهلِها إنْ كانَ قميصُه قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهو منَ الكاذبين -أي: هو يريدُ الفاحشةَ وهي تمنعُه فَمَزَّقَتْ ثيابَه من الأمَام- وإن كانَ قميصُه قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فكذَبَتْ وهو منَ الصادقين أي: هو يريدُ النجاةَ وهي تجذبُه تريدُ منه الفاحشةَ- فلما رأى قميصَه قُدّ من دبرٍ قال إنه من كَيدِكُنَّ إنَّ كيدَكُنَّ عظيم، يوسفُ أعرضْ عن هذا، واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين.




وعجبُكَ لا ينتهي إذا علمتَ بعدَ كُلِّ أدلّةِ الإدانةِ لامرأةِ العزيز أنَّ الأمرَ انتهى عند هذا الحدِّ ومرَّ كسحابةِ صيفٍ!! والحالُ هذا حالُ كثيرٍ من المترفَين الذين لا يَغارون على أعراضِهم، فبكلِّ بساطةٍ تنتهي القضيةُ وتُطوى وكأنَّ شيئاً لم يكن!!

بل ويقال ليوسفَ: أعرضْ عن هذا الأمرِ، أي: لا تتكلَّمْ بهذا الخبرِ، أمسِكْ لسانَك، ولا تحدِّثْ أحداً بما جَرى، وأنتِ استغفري لذنبكِ إنك كنتِ من الخاطئين، هكذا الغَيرةُ عندَ الذين تشبهوا بالكفارِ، لا يعرفونَ قيمةَ العِرضِ، ولا يغارون على العِرضِ أبداً!!



ويعودُ يوسفُ عليه السلام إلى البيتِ ليعيشَ مع امرأة العزيز، فهي سيدتُه تأمُره وتنهاهُ، قد اشترتهُ بمالها، لكنَّ المرأةَ لا زالت تحبُّه فلجأَتْ إلى أسلوبِ التخويفِ وأخذت تهدِّدُ يوسفَ عليه السلام بالسجنِ إن لم يفعلِ الفاحشةَ فقالت: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف].



وبعدَ أن جمعَتِ النسوَة اللاتي قَطَّعنَ أيديَهُن أخذَتْ كُلُّ امرأةٍ منهن تطلبُ من يوسفَ الفاحشةَ لنفسها فأيُّ ابتلاءٍ هذا!!

إنه امتحانٌ وابتلاءٌ آخرُ، في المرةِ الأولى كانتِ امرأةُ العزيزِ وحدَها التي تراودُ يوسُفَ، أما الآنَ فإنَّ المرأةَ عاودتِ المطالبةَ وجمعَتْ معها نسوةً منْ المدينة ليشكلوا جوّاً مليئاً بالشهوة، جواً زاخراً بالفتنةِ يحيطُ بيوسفَ عليه السلام من كلِّ جانبٍ.

ولكنه في هذه المرة وبعدَ أن هددوه بالسِّجنِ قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف].

الله أكبرُ! إنه الإيمانُ، موقفٌ تعجزُ عنه الجبالُ، في هذا الابتلاءِ يختارُ حياةَ السجونِ بدلَ أن يعيشَ في هذا الجوِّ المليءِ بالفتنةِ والشهوةِ والهوى، يقولُ اللهُ عز

وجل واصفاً هذا المشهدَ العجيبَ:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)﴾ [يوسف].




وهكذا دخلَ يوسفُ عليه السلام السجنَ مظلوماً بريئاً، أدخلوه السجنَ لأنه رفضَ أن يزني! أدخلوه السجنَ لأنه رفضَ أن يلوثَ نفسَه بالزنى! لأنه رفضَ أن يخونَ الذي تربى عنده في بيته!

ولكنَّ الله عز وجل هو الذي يتولى الدفاعَ عن عباده المؤمنينَ بنفسِه وهوَ القائلُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج:٣٨].

قُدّر ليوسَف أن يخرجَ من السجنِ بسببِ رؤيا رآها الملكُ في منامِه، ولم يجدْ مَنْ يُؤَوِّلُ هذه الرؤيا له إلا يوسفَ عليه السلام، فلما أرسلَ الملكُ إلى يوسفَ عليه السلام وقد رأى وقدّر حاجتَه إليه: رفضَ يوسفُ عليه السلام أن يخرجَ من السجنِ إلا أن يشهدَ الجميعُ ببراءته، يقولُ اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ -أي: ارجِعْ إلى الملكِ- ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا

عِلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف].

المرأةُ فتنةٌ عظيمةٌ للرجلِ.

• والإيمانُ الصادقُ، والعقيدةُ الصحيحةُ هي التي تحفظُ الإنسانَ إذا تعرضَ لهذا الابتلاءِ والامتحانِ.

موقفٌ إيـمانيٌّ رفيعٌ ضربَ لنا فيه يوسفُ عليه السلام مثلاً أعلى في العفةِ والاستعفافِ.

ومنَ الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخَذُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ العجيبِ.

أولاً: أن الاختلاطَ بين الرجالِ والنساءِ سببٌ لكلِّ شرٍّ.

فهذه امرأةُ العزيزِ افْتُتِنَتْ بيوسفَ عليه السلام عندما نظرت إليه، وخالَطَتْه في قصرِها.

وكذلك النسوةُ في المدينةِ افْتُتِنَّ بيوسفَ عليه السلام عندما نَظَرْنَ إليه، واختلَطْنَ به، ولعلكَ من خلالِ ذلكَ تلمحُ حكمةَ الإسـلام -الذي ارتضاهُ اللهُ عز وجل للناسِ ديناً- حين يأمرُ الرجالَ والنساءَ بغضِّ البصرِ، فقالَ تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾[النور:٣١].

وفي السُّنّة:

عن جريرِ بنِ عبدِالله قالَ: (سألتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن نظرَةِ الفُجاءَةِ، فأمرني أنْ أصرفَ بصري)[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٥٩).

ابنَ آدم!

كُلُّ الحَـوادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُستَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نظرةٍ فَعَلَتْ في قَلْبِ صاحِبِهَا ... فعْلَ السِّهامِ بلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ

وجاءَ الإسلامُ أيضاً يُحَرِّمُ دخولَ الرجالِ على النساءِ -أي: يحرمُ الاختلاطَ بينَ الرجالِ والنساءِ إلا ذوي المحارم-.

فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»، فقال رجلٌ منَ الأنصار: يا رسولَ الله! أفرأيتَ الحمو؟ فقال ﷺ: «**الحَمْو المَوْت**»[(١)].

أي: البلايا والمصائبُ لا تكونُ إلا منْ أقاربِ الزوجِ إذا دخلوا على زوجاتِ أقربائِهم في غيابِ أزواجِهنَّ.

وقال ﷺ: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»[(٢)].

فيا أمةَ الإسلام! احذروا منَ اختلاطِ الرجالِ بالنساءِ.

احذروا من وجودِ الخادمينَ والخادماتِ فكلاهما فتنةٌ للنساءِ وللرجالِ على حدٍ سواءٍ، فلا تستخِفوا الأمورَ أو تتجاهلوا العواقبَ وقد وَعَيتُمْ ما كان من امرأةِ العزيزِ.

وما يحدثُ في كثيرٍ منَ البيوتِ التي ابتُلِيَتْ بالخادمين والخادمات لا يخفى عليكم.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والحاكم (١/ ١٩٧)، [«المشكاة» (٣١١٨)].

شبابٌ تَرَبَّوْا في بيوتِ المترَفين على شاشاتِ (المفسِدْيونَ)، وعلى الأفلامِ التي تعرفونها، وعلى القنواتِ التي تأتي عبرَ المحطات الفضائية.

ثم لا يجدُ أمامَه ليشبعَ شهوتَه -والعياذُ باللهِ- إلا الخادمةَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله... في بيوتِكم وأولادِكم.

• فهذه امرأةُ العزيزِ افتُتنَتْ بيوسفَ عليه السلام لما جلس معها ونظرت إليه.

• والنسوةُ افْتُتِنَّ بيوسفَ عليه السلام عندَ النظر إليه، وبعد أن اختلَطْنَ به، والعاقلُ من اتعَظَ بغيره.

ثانياً: أنَّ مَنْ ترَك شيئاً لله عَوَّضَهُ اللهُ خيراً منه.

فيوسفُ عليه السلام لمّا تعففَ عن الزنى، وتركَه، ونبذَ حياةَ القصورِ إذا كانت مدعاةً للفاحشةِ وآثرَ حياةَ السجونِ إذ خَلَّصَتْهُ منَ الوقوعِ في المعصيةِ والافتتانِ بتلكَ النسوةِ، لما فعلَ ذلك ابتغاءَ مرضاةِ الله أخرجه اللهُ تباركَ وتعالى منَ السجنِ، وَمكَّنَ له في الأرضِ، وأنزلَ الله فيه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ، وجعله مثالاً أعلى يُتأسَّى به في العفةِ والطهارةِ.

• وأحدُ الثلاثة الذين دخلوا الغارَ عندما تركَ الزنى بعد أن قَدرَ عليه وتعفف، عَوَّضَهُ اللهُ عن ذلك بأنْ نجاهُ بهذا العملِ من الموتِ فاستجابَ دعوتَه وهو في الغارِ فتحركتِ الصخرةُ وخرجوا يمشونَ.

والمهاجرونَ رضي الله عنهم عندما تركوا الأموالَ والديارَ والأهلَ في مكة، وهاجروا لينصروا دينَ اللهِ عوضهُمُ اللهُ تبارك وتعالى بأن جعلهم قادةً، وفتحَ لهُمُ الدنيا من مشرقِها إلى مغربها، ومكنَ لهم في الأرض.

وكذلك يا عبدَ اللهَ! كُلُّ مَنْ تركَ شيئاً لله عوضَه الله تبارك وتعالى خيراً منه،

ومن تركَ الحرامَ ابتغاءَ مرضاةِ الله عز وجل عوضَه الله بالحلالِ.

فمن يتركِ الزنى يُكْرِمْهُ اللهُ عز وجل بالزواجِ الحلالِ.

من يتركِ الربا والسرقةَ والرِّشْوَة والغشَّ يرزقْه اللهُ عز وجل من حلالٍ، ومن يستعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ





٥

موقفُ في الصبرِ على أذى الناس (عائشةُ رضي الله عنها وحادثةُ الإفكِ)

عبادَ الله: هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر، وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- معَ الموقفِ الخامسِ منَ المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ في الصبرِ على أذى الناس.

موقفٌ في الصبرِ على الشائعاتِ التي يُرَوِّجُها المنافقونَ، والذينَ في قلوبهم مرض.

الإنسانُ في هذه الدنيا مُبْتَلى

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

ومن أصنافِ الابتلاءِ في هذه الدنيا أن يُبتلى المؤمنُ بألسنةِ المنافقينَ، والذين في قلوبهم مرضٌ، فَيُشيعونَ عنه في كُلِّ مكانٍ ما هو منه بريءٌ، ويتكلمونَ عنه في كُلِّ مجلسٍ ولا هَمَّ لهم إلا أن يَشيعوا الفاحشةَ في الذين آمنوا. والمؤمنُ إذا ابتُلِيَ بألسنةِ الناسِ فما عليه إلا أن يصبرَ، ويحتسبُ أجرَه عندَ الله عز وجل.

فتعالَوا بنا يا عبادَ الله! لنتعلمَ الصبرَ على أذى الناس، وعلى الشائعاتِ الكاذبةِ التي يُروِّجُها المنافقونَ، والذين في قلوبهم مرضٌ من أمِّ المؤمنينَ الصِّدِّيقةِ بنتِ الصِّديقِ عائشةَ رضي الله عنها.

إنها أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها التي تعرفون، زوجةُ خيرِ البشرِ وحبيبتُه، سُئل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عَائِشَةُ**»(١).

قال عنها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(٢).

وَقال صلى الله عليه وسلم: «**عَائِشَةُ زَوْجِي فِي الجَنَّةِ**»(٣).

وقالَ لها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**يَا عَائِشُ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ**»(٤).

إنها صاحبةُ تلكَ المنزلةِ الشريفةِ التي قالَ عنها صلى الله عليه وسلم: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ، لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا**»(٥).



فتعالَوا بنا لنستمعَ إلى أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها وهي تروي لنا ما قيلَ في حَقِّها منَ الكذبِ والبهتانِ، وكيفَ صبرَتْ صبراً جميلاً بعدما سمعَتْ ما قيل عنها، واحتَسَبتِ الأجْرَ عندَ الله عز وجل واستعانَتْ باللهِ وحدَه، فَبَرَّأَها اللهُ عز وجل من فوقِ سبعِ سمواتٍ وأنزلَ في براءتِها قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

روى مسلمٌ في «صحيحهِ» أن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا أرادَ أن يخرجَ سَفَراً، أقرعَ بين نسائِه، فَأَيَّتُهُنَّ خرجَ سهمُها، خرجَ بها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم معهُ.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٦)، [«الصحيحة» (١١٤٢)].

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٧٦٨) ومسلم (٢٤٤٧).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٧٥).



قالت عائشةُ: فأقرعَ بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرجَ فيها سهمي، فخرجتُ معَ رسولِ الله ﷺ وذلك بعدما نَزَلَ الحجابُ.

فأنا أُحْمَلُ في هودجي، وأُنْزَلُ فيه مسيرَنا. -أي: تدخلُ في هذا الهودجِ وهو كالغرفةِ الصغيرةِ، فيُحْمَلُ هذا الهودجُ على الجملِ، ويُنَزَّلُ وهي بداخله- حتى إذا فرغَ رسولُ ﷺ من غزوةٍ وقَفَلَ -أي: رجع- ودنونا من المدينةِ، آذنَ(١) ليلةً بالرحيلِ، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل، فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيشَ، فلما قضيتُ من شأني أقبلْتُ إلى الرَّحْلِ، فلمسْتُ صدري فإذا عِقدي من جَزَعِ ظَفَارِ(٢) قد انقطَع، فرجعْتُ فالتمسْتُ عِقدي فحبسَني ابتغاؤُه -أي: طلبُه والبحثُ عنه- وأقبلَ الرهطُ الذين كانوا يَرحَلُون لي فحملوا هودجي، فَرَحَلوه على بعيري الذي كنتُ أركَبُ، وهم يحسَبون أني فيه.




قالت: وكانتِ النساءُ إذ ذاكَ خِفافا لم يُهَبَّلنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحمُ، إنما يأكلْنَ العُلَقَةَ منَ الطعام، فلم يستنكرِ القومُ ثِقَلَ الهودجِ حينَ رَحَلوه ورفعوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجملَ وساروا، ووجدتُ عِقدي بعدما استمَرَّ الجيشُ، فجئتُ منازِلَهم وليسَ بها داعٍ ولا مجيبٌ، فتيممتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنَّ القومَ سيفقدونني فيرجعونَ إلي، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلبتني عيني فنمْتُ، وكان صفوانُ بنُ المعَطِّلِ السُّلميُّ، ثمّ الذِّكوانيُّ قد عَرَّسَ منْ وراءِ الجيشِ فادَّلَجَ -وهو السيرُ آخرَ الليل- فأصبَح عند منزلي.

فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كانَ يراني قبل أن يُضرَبَ الحجابُ عليَّ. فاستيقَظْتُ باسترجاعه -أي: وهو يقولُ: إنا لله وإنا إليه

---

(١) **آذن ليلةً بالرحيل**: أي: أعلم.

(٢) **الجزع**: خرز يماني.

راجعون- حين عرفَني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، ووالله! ما يُكلِّمُني كلمةً ولا سمعْتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعِه.

حتى أَنَاخَ راحلته، فَوَطِئَ على يدِها فركبتُها، فانطلقَ يقودُ بيَ الراحلةَ، حتى أتينا الجيشَ، بعدما نزلوا مُوغرين في نحرِ الظهيرة، فهلَكَ من هلَكَ في شأني، وكانَ الذي تولَّى كبرَهُ عبدُ الله بنُ أُبي ابن سلول.

فقدمنا المدينةَ، فاشتكيْتُ، حين قدمنا المدينةَ، شهراً، والناسُ يُفيضون في قولِ أهلِ الإفكِ، ولا أشعرُ بشيءٍ منْ ذلك، وهو يُريبني في وجَعي أني لا أعرفُ مِنْ رسولِ الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخلُ رسولُ الله ﷺ فيسلمُ ثم يقولُ: «**كيفَ تِيكُمْ؟**» فذاك يَريبني ولا أشعرُ بالشر، حتى خرجْتُ بعد ما نَقَهْتُ وخَرَجَتْ معي أمُّ مسطَح قِبلَ المناصِع، وهو مُتَبَرَّزُنا، ولا نخرجُ إلا ليلاً إلى ليل. وذلك قبلَ أن نتخذَ الكُنُفَ قريباً من بيوتِنا، وأمرُنا أمرُ العربِ الأُولِ في التنزهِ، وكنا نتأذى بالكنفِ أن نتخذَها عندَ بيوتنا، فانطلَقْتُ أنا وأمُّ مِسطح وهي بنتُ أبي رُهم بنِ المطلبِ بنِ عبدِ مناف، وأمُّها بنتُ صخرِ بنِ عامر خالةُ أَبي بكرٍ الصديقِ، وابنُها مِسطَحُ ابنُ أُثاثَةَ بنِ عبّادِ بنِ المطلبِ فأقبلتُ أنا وبنتُ أبي رُهم قِبَلَ بيتي، حين فَرَغْنا من شأنِنا.

فَعَثَرَتْ أُمُّ مسطح في مِرطِها فقالت: تَعِسَ مسطحٌ. فقلتُ لها: بئسَ ما قلتِ، أتسبينَ رجلاً قد شَهِدَ بدراً. قالت: أيْ هَنْتَاه! أَوَ لم تسمعي ما قالَ؟ قلتُ: وماذا قال؟ قالت: فأخبرَتني بقولِ أهلِ الإفكِ، فازددْتُ مرضاً إلى مرضي. فلما رجَعْتُ إلى بيتي، فدخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ فسلمَ ثم قال: «**كيفَ تيكم؟**» قلت: أتأذَنُ لي أن آتي أَبَوَيَّ؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريدُ أنْ أتيقنَ الخبرَ من قِبَلِهمَا. فأذنَ لي رسولُ الله ﷺ، فجئتُ أبويَّ فقلتُ لأمي: يا أمتاه! ما يتحدثُ الناسُ؟ فقالت: يا بُنيَّه! هوِّني




عليكِ، فوالله لقلما كانت امرأةٌ قَطُّ وضيئةٌ عندَ رجلٍ يحبُّها ولها ضرائرُ، إلا كَثَّرْنَ عليها، قالت: قلت: سبحانَ اللهِ! وقد تحدثَ الناسُ بهذا؟

قالت: فبكيتُ تلكَ الليلةَ حتى أصبحْتُ لا يرقأُ لي دمعٌ، ولا أكتحِلُ بنومٍ، ثم أصبحتُ أبكي.

ودعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، وأسامةَ بن زيد رضي الله عنه حين استلبثَ الوحيُ، يستشيرُهما في فراقِ أهلِه.

قالت: فأما أسامةُ بنَ زيدٍ فأشارَ على رسولِ اللهِ ﷺ بالذي يعلمُ منْ براءةِ أهلهِ، وبالذي يعلمُ في نفسِه لهم مِنَ الودِّ.

فقال: يا رسولَ الله! همْ أهلُك ولا نعلُم إلا خيراً.



وأما عليُّ بنُ أبي طالبٍ فقال: لم يُضيِّق اللهُ عليكَ، والنساءُ سِواها كثيٌر، وإنْ تسألِ الجاريةَ تصدُقْكَ، قالت فدعا رسولُ الله ﷺ بَريرةَ فقال: «**أَيْ بَرِيرَة! هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكَ مِنْ عَائِشَة؟**» قالت له بريرة: والذي بعثكَ بالحقِّ! إنْ رأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمِصُهُ عليها، أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السِّن، تنامُ عن عجينِ أهلِها فتأتي الداجنُ فتأكلُهُ.

قالت: فقامَ رسولُ الله ﷺ على المنبرِ، فاستعذَرَ منْ عبدِ الله بنِ أُبي ابنِ سلول.

قالت: فقالَ رسولُ الله ﷺ وهو على المنبر: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلمينَ! مَنْ يَعْذُرُني مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَوالله! مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلي إلاَّ خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلاَّ خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلي إلاَّ مَعِي**» فقام سعدُ بنُ معاذٍ الأنصاريُّ فقال: أنا أعذِرُكَ منه يا رسولَ الله! إنْ كانَ منَ الأوسِ ضربنا عنقَه،

وإن كانَ من إخوانِنا الخزرجِ أَمرْتَنا ففعلنا أمرَك.

قالت: فقامَ سعد بنُ عبادَة، وهو سيدُ الخزرجِ وكانَ رجلاً صالحاً ولكنِ اجتهلته الحميةُ(١) فقال لسعدِ بنِ معاذٍ: كذبتَ، لعمرُ الله! لا تقتلُه ولا تقدِرُ على قتلِه. فقام أُسيدُ بنُ حُضيرٍ، وهو ابنُ عَمِّ سعدِ بنِ معاذٍ فقال لسعدِ بنِ عبادةَ: كذبتَ، لعمرُ الله! لنقتلنَّه، فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقينَ، فثار الحيَّان الأوسُ والخزرجُ حتى هموا أن يقتتلوا، ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ على المنبر. فلم يزَلْ رسولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا وسكت.

قالت: وبكيتُ يومي ذلك، لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، ثم بكيتُ ليلتي المقبلةَ. لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، وأبواي يظنان أنَّ البكاءَ فالقٌ كبدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنتْ عليَّ امرأةٌ منَ الأنصارِ فأذنْتُ لها، فجلسَتْ تبكي.




قالت: فبينما نحنُ على ذلك دخلَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فسلَّم ثم جلسَ.

قالت: ولم يجلسْ عندي منذ قيلَ ما قيل، وقد لبثَ شهراً لا يُوحَى إليه في شأني بشيء.

قالت: فتشهدَ رسولُ الله ﷺ حينَ جلَس ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيهِ**».

قالَتْ: فلما قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالَته، قَلَصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، -وهذه حالةٌ شبيهةٌ بالحالةِ التي يمرُّ فيها الإنسانُ قَبْلَ الموتِ: الدمُ يتوقفُ، والدموعُ تنقطِعُ؛ إنها لحظةٌ أليمةٌ-.

(١) اجتهلته الحمية: أي: استخفته وأغضبته وحملته على الجهل.

فقلت لأبي: أجبْ عني رسولَ اللهِ ﷺ فيما قال.

فقال: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ.

فقلت لأمي: أجيبي عني رسولَ الله ﷺ، فقالت: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ فقلت، وأنا جاريةٌ حديثةُ السنِّ لا أقرأ كثيراً منَ القرآن: إني، والله! لقد عرفْتُ أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقرَّ في أنفسِكم وصدقتم به، فإن قلتُ لكم: إني بريئةٌ، واللهُ يعلمُ أني بريئةٌ لا تُصدِّقوني بذلكَ، ولئن اعترفْتُ لكم بأمرٍ، واللهُ يعلمُ أني بريئة، لَتُصَدِّقوني، وإني، والله! ما أجدُ لي ولكم مثلاً إلا كما قالَ أبو يوسفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف].

قالت: ثم تحولْتُ واضطجعتُ على فراشي، قالت: وأنا واللهِ! حينئذ أعلمُ أني بريئةٌ، وأنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي، ولكنْ، واللهِ! ما كنتُ أظنُّ أن يُنزَلَ في شأني وحيٌ يُتلى، ولَشأني كان أحقرَ في نفسي من أن يتكلمَ اللهُ عزَّ وجل فيَّ بأمر يُتلى، ولكني كنتُ أرجو أن يرى رسولُ اللهِ ﷺ في النومِ رؤيا يُبرِئُني اللهُ بها.

قالت: فواللهِ! ما رامَ رسولُ اللهِ ﷺ مجلسَهُ، ولا خرجَ من أهلِ البيتِ أحدٌ، حتى أنزلَ اللهُ عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كانَ يأخذهُ من البُرحَاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدَّرُ منه مثلُ الجُمان من العرقِ، في اليومِ الشاتي، من ثِقلِ القولِ الذي أُنزِلَ عليه.

قالت: فلمَّا سُرِّي عنْ رسولِ الله ﷺ، وهو يضحَكُ، فكان أولُ كلمةٍ تكلَّم بها أنْ قالَ: «**أَبْشِرِي يَا عَائِشَةَ! أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**» فقالت لي أمي: قُومي إليه، فقلتُ: واللهِ لا أَقومُ إليه، ولا أحمدُ إلا اللهَ، هو الذي أنزلَ براءتي.

قالت: فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم

بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور:١٠]، فأنزلَ اللهُ عزّ وجل هذهِ الآياتِ ببراءتي»(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠﴾

وهذه العصبةُ هم مجموعةٌ كان لهم هدفٌ، وغايةٌ؛ كانوا يريدون أن تشيعَ الفاحشةُ في المجتمعِ المسلمِ.

والذي تولى كبرَه منهم أي: نشرَ هذا الإفكَ والبهتانَ وهو زعيمُ المنافقين.

وفي هذه الآياتِ رَبَّى ربُّنا جل وعلا المسلمينَ وعلَّمهم كيفَ يواجهونَ الأخبارَ والشائعاتِ الكاذبةَ، كما بيَّن رَبُّنا جل وعلا تحذيرَه وتهديدَه لكلِّ من تُسَوِّلُ له نفسُه بإشاعةِ أخبارِ الفاحشةِ في المؤمنين.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾[النور].

- ثم ختم الله عز وجل الآيات بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) واللفظ لمسلم.

ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور].

هكذا عاشَ الرسولُ ﷺ وآلُ بيته، وأبو بكرٍ وآلُ بيته، والمجتمعُ المسلمُ كُلُّه شهراً كاملاً في غَمٍّ وحزنٍ ونكدٍ وَهَمٍّ بسببِ كلمةٍ واحدةٍ اختلَقها وألّفها وكذَبَ بها منافقٌ حاقدٌ ثم أشاعَها في كلِّ مكانٍ وتبعه من المؤمنين الصادقين مَنْ تبعه.

ومن الدروسِ والعبرِ التي تؤخذُ من هذه الحادثةِ، ومنَ الآياتِ التي نزلت في براءةِ أمِّ المؤمنينَ عائشة رضي الله عنها:

أولاً: أنَّ كُلَّ ما يصيبُ المسلمَ في هذه الدنيا فهو خيرٌ له في الدنيا والآخرة.

فإن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].

والرسولُ ﷺ يقول: «**عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إنّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ**»(١).

وكم يظنُّ الإنسانُ بأمرٍ شراً فيأتيه الخيرُ بسببه، وكم يحتسبُ الإنسانُ الخيرَ بأمرٍ فيأتيه الشرُّ بسببه، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: أنه يجبُ على المسلمِ إذا سمعَ شيئاً عن أخيهِ المسلم أن يحسِنَ الظنَّ به.

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور].

ثالثاً: أنه على الإنسانِ إذا سمعَ ما سمعَ من الشائعاتِ ومنَ الأخبارِ أن يتثبتَ ويطالبَ المتكلمَ بالدليلِ على ما قال، فإذا لم يأتِ صاحبُ الشائعةِ بالدليل فليَعلم أنه من الكاذبين، قال تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾ -أي: على هذا الخبر- ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور].

فيا أمةَ الإسلام:

إياكم وتلقفَ الأخبارِ دونَ تثبت، وإياكم وتقبّلَ الشائعاتِ ونشرَها.

احذروا أن تسمَعوا فتتحدثوا بما سمعتم دونَ تثبتٍ فقد قالَ ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(١).

فيا عبدَ الله! إذا سمعتَ خبراً ما ففكِّر، وأحسِنِ الظنَّ بأخيك، ولا تتكلَّمْ إلا بعدَ أن تتبينَ، وإذا تبيَّنتَ فلا تغتبْ أحداً، وارقَ بنفسِك عن سفاسِفِ الأمورِ وصغارِها، وكن حريصاً على دينِك أن يُثلَمَ ولو بكلمةٍ.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ -وفي قراءة: فتثبتوا- ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ - [الحجرات].

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ أَلْسِنَةِ المُنَافِقِينَ وَالكَاذِبِينَ



(١) **صحيح:** أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٥)، وأبو داود (٤٩٩٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠٢٥)].



٦

موقفٌ في الصبرِ على المرضِ (أيوبُ عليه السلامُ، المرأةُ السوداءُ)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاء الله تعالى- مع الموقفِ السادسِ من المواقفِ الإيمانيةِ... أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

هو: [**موقفٌ في الصبرِ على المرضِ**]

الإنسانُ في هذه الدنيا في ابتلاءٍ دائمٍ؛ يُبتلى بالسراءِ مرةً وبالضراءِ أخرى، ويُبتلى بالخيرِ تارةً وبالشرِّ أخرى، ويُبتلى بالصحةِ أحياناً وبالمرضِ أخرى، وقد يُبتلى بالفقرِ زمناً ثم يُغنيهِ الله الغنيُّ العزيزُ ليَمتحَنَه أيشكُرُ في الرخاءِ أم يكفُر؟

قالَ الله تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

فالمؤمنُ الصادقُ في إيمانِه، الذي يؤمِنُ بقضاءِ اللهِ وقَدَره هو مَنْ إذا ابتُلي بالسراءِ شكرَ، وإذا ابتُلي بالضراءِ صبر.

قال ﷺ: «**عَجباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ**»[١].

واللهُ عز وجل يَبتلي عبادهُ بالأمراضِ في هذه الدنيا لحكمةٍ يعلمُها:

يقول ﷺ: «**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مَنْ نَصَبٍ**» -أي: تعب- «**وَلاَ وَصَبٍ**» -أي: مرض- «**وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّر اللهُ بِهَا**

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

مِنْ خَطَايَاه»(١).

ويقول ﷺ: **«مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»**(٢).

ويقول ﷺ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلاَ يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا»**(٣).

إِنَّ الابتلاءَ بكلِّ أصنافه وأشكالِه سواءٌ كانَ بالمرضِ أو الفقرِ ونحوِهما إذا أصيبَ به المؤمنُ فليعلَمْ أنه ليس عنوانَ السُّخْطِ والغضب عليه منَ الله عز وجل بل هو -إنْ شاءَ الله- دليلٌ لمحبةِ اللهِ له، فهو ليسَ نذيرَ شَرٍّ بل هو بشيرُ خيرٍ بإذن الله، واسمع لقولِ رسولِ الله ﷺ: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ؛ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخط»**(٤).



وقال ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»**(٥).

وقال ﷺ: **«إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**(٦).

فيا عبدَ الله! إذا ابتُليتَ بمرضٍ ما فاصبرْ واحتَسِبْ ولا تجزَعْ ولا تفزَعْ -مهما كانَ ذاكَ المرضُ-، ولا تشتكِ إلا إلى الله، فإنك إذا شكوتَ ما أنزلَ اللهُ بكَ من

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، وابن حبان (٢٩١٣)، [«الصحيحة» (٢٢٨٠)].

(٣) **حسن**: أخرجه ابن حبان (٢٨٩٧)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وأبو يعلى (٦٠٨٨)، [«صحيح الجامع» (١٦٢٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«صحيح الجامع» (٢١١٠)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٦٤٥).

(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وأبو يعلى (٤٢٥٤)، والحاكم (٤/ ٦٥١) والروياني في «مسنده» (٨٨٨)، [«صحيح الجامع» (٣٠٨)].

البلاءِ إلى عبادِ الله فإنما أنتَ تشكو الرحيمَ إلى مَنْ لا يرحم!

فعليك بالصبرِ والاحتسابِ، وارفَعْ يديك متوجهاً إلى الذي بيده الشفاءُ وإزالةُ الداءِ، توجَّهْ للذي يجيبُ المضطَّرَّ إذا دعاه، وخذ بعدَ ذلك بالأسبابِ المشروعةِ للعلاجِ فإنَّ:

١- رسولَ الله ﷺ قال: «**تَدَاوَوا عِبادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ، الهَرَم**»(١).

٢- وقال ﷺ: «**لِكُلِّ داءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أصاب دَوَاءُ الدَّاءَ بَرِئَ بِإِذْنِ اللهِ عزَّ وجلَّ**»(٢).

٣- وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ لَمْ يُنْزِل دَاءً إلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٣).

تعالَوا بنا يا عبادَ الله! نتعلم الصبرَ على المرض من عبدٍ ابتلاهُ الله عز وجل بالمرضِ ثمانيَ عَشْرةَ سنةً، فصبرَ واحتسَب، فأثنى اللهُ عليه، وأنزلَ فيه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامة.

قال تعالى فيه: ﴿.... إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص]

أتدرونَ مَنْ هو؟.. إنه نبيُّ اللهِ أيوبُ عليه السلام.

قال علماءُ التفسيرِ والتاريخِ وغيرُهم: كان أيوبُ عليه السلام رجلاً كثيرَ المال -أي: غنياً- وكان لهُ أولادٌ وأهلونَ كثيرٌ فسُلِبَ منه ذلكَ جميعُهُ، وابتُلي في جسدِه بالمرضِ، وأخذَ المرضُ يزدادُ فما تركَ جزءاً من جسدِه إلا وصلَ إليه سوى قلبِه ولسانِه ليذكرَ ربَّه بِهما، فصبرَ أيوبُ عليه السلام، واحتسبَ الأجرَ عندَ الله، وكان يذكُرُ ربَّه بقلبِه ولسانِه



(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٦٨)، وأحمد (٤/ ٢٧٨)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٣)، والحاكم (٨٢٠٥)، [«صححه محققو المسند»].



ليلاً ونهاراً، صباحَ مساءَ.

وطالَ مرضُه حتى عافَه الجليسُ، واستوحشَ منه الأنيسُ، وانقطعَ عنه الناسُ، ولم يبقَ أحدٌ يحنو عليه سوى زوجتِه التي وقفت بجانبِه ترعى له حقَّه، وتقوم على خدمتِه، وتعرفُ قديمَ إحسانِه إليها وشفقتَه عليها فكانت تترددُ إليه فَتُصلِحُ من شأنه، وتُعينُه على قضاءِ حاجتِه وتقومُ بمصلحتِه، وضَعُفَ حالها، وقَلَّ مالُها، حتى كانت تخدِمُ الناسَ بالأجرِ لتطعِمَه، وهي صابرةٌ معَه على ما حَلَّ بهما من فراقِ المالِ والولدِ، وما يختصُّ بها منَ المصيبةِ بالزوجِ وضيقِ ذاتِ اليدِ، وخدمةِ الناسِ، بعدَ السعادةِ والنعمةِ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سُئل رسولُ اللهِ ﷺ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**»(١).

وقال ﷺ: «**يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ، زِيدَ فِي بَلَائِهِ**»(٢).



المرضُ يزدادُ يوماً بعد يوم، وأيوبُ عليه السلام يصبرُ ويحتسبُ حتى ضربَ لنا مثلاً أعلى في الصبرِ على المرضِ.

ويكفيه أنَّ اللهَ عز وجل أثنى عليه في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

وأيوبُ عليه السلام يعلمُ أنه لا يكشفُ الضُّرَّ إلا اللهُ، ولا يستجيبُ دعاءَ المضطرِّ إلا الله، فتأملوا عبادَ الله قولَه تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧].

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وأحمد (١/ ١٧٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٢٠٢)، وابن حبان (٢٨٨٩)، [«حسنه محققو المسند»].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٥٢)، أحمد (١/ ١٧٢)، وابن حبان (٢٨٩٠)، [«حسنه محققو المسند»].



وقولَه تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

ثم أيوبُ عليه السلام يعرفُ أنَّ الدعاءَ ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزلْ، فما كانَ من أيوبَ عليه السلام إلا أن توَجَّهَ إلى ربه بالدعاء.

ولم يذهبْ أيوبُ إلى السحرةِ والمشعوذين، ولم يسارعْ إلى الكهنةِ والكذابين، إنما توجَّه إلى ربِّ العالمين فقال متوكلاً على الله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

دعاءٌ توجَّه بِه إلى الله ذكرَ فيه حاجتَه وضُرَّه في منتهى الأدبِ معَ اللهِ عز وجل.

فلم يقلْ أيوبُ: يا ربَّ ماذا فعلْتُ؟ ولم يقل: يا ربِّ أمرضتني؟

قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: يا ربِّ هذا حالي أمامَك، يا ربِّ فإنْ كانت هذهِ الأمراضُ والآلامُ التي تسري في أوصالي، وهذهِ الآلامُ التي تؤذيني تُرضيك، وإن كانَ يُرضيك فقري، وزوالُ أموالي وأولادي، إنْ كان يرضيكَ هذا فلا شكَّ أنه يُرضيني، وإنْ كانَ عفوُك وكرمُك ورحمتُك تقتضي أن ترحَمني وتزيلَ ما بي من بؤسٍ وألمٍ فالأمرُ كُلُّه راجعٌ إليك ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك.



كما قال موسى عندما كانَ في بلدِ الغربة، وانقطعَ عنه الجميعُ، وجلَسَ في الظِّلِّ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

و دعا أيوب عليه السلام ربَّه ولم ييأسْ ولمْ يَقْنَطْ فأتاه الفرجُ من قريبٍ واستجابَ الله له، وكشفَ ضُرَّه، وردَّ عليه صحَّتَه وأهلَه.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ



﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء].

فتذكرْ عبدَ الله أن تفعلَ كما فعلَ أيوبُ في مرضه.

وقبل أن تذهبَ إلى الطبيبِ قل: يا ربِّ! فالشافي هوَ اللهُ، والذي يكشفُ الضُّرَّ هو الله، والذي يستجيبُ للمضطرِّ إذا دعاه هو الله.

ولنستمعْ إلى رسولِ الله ﷺ وهو يخبرُنا عن خبرِ أيوبَ عليه السلام، الذي ضرب لنا مثلاً أعلى في الصبرِ على المرض.

يقول ﷺ: «**إنَّ نَبيَّ اللهِ أَيُّوبَ ﷺ لبثَ به بَلاَؤُهُ ثَمانِ عَشْرَةَ سَنَةً**» -يا من لا يصبرُ على المرض- «**فَرَفَضَهُ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ؛ إلاَّ رَجُلَيْنِ مِنْ إخْوَانِهِ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعْلَمُ! وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْباً مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ العَالَمِينَ.**

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفُ مَا بِه. فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيوبَ؛ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لاَ أَدْرِي مَا تَقُولانِ؛ غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَم أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللهَ» -أي: يذكرانِ اللهَ عند الغضب، أي: ربما بالسوءِ- «**فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي، فَأُكَفِّرَ عَنْهُمَا؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إلاَّ فِي حقٍّ**».

فظنَّ الرجلُ الأول أن ما نزلَ بأيوبَ من بلاءٍ -كما يظنُّ الجهلةُ من الناسِ- دليلٌ على غضبِ اللهِ، وسَخَطِ الله، لا يا عبادَ الله! فهذا أيوبُ عليه السلام لما قيلَ له ذلك تذكرَ ماضيَه فلم يجدْ معصيةً اقترفَها تُغضِبُ اللهَ، بل وجدَ طاعةً لله.

فالبلاءُ دليلٌ على محبةِ الله، والبلاءُ دليلٌ على الاستقامةِ على المنهجِ، والبلاءُ




دليلٌ على أنَّ العبدَ قائمٌ بأمرِ الله.

كما قال ﷺ: «**أشدُّ الناسِ بلاءً الأنْبيَاءُ ثُمَّ الصالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**»[(١)].

أما العقوبةُ فقد تكونُ غضباً منَ اللهِ على العبدِ إذا وقعَ في المعصيةِ، فإن ابتُليت يا عبدَ الله ونزلَ بكَ المرضُ فتذكَّرْ ماضيَك فإن كنتَ على طاعةِ اللهِ عز وجل وعلى المنهجِ والاستقامةِ فأبشِرْ فإنَّ ذلكَ ابتلاءٌ منَ الله، وإن كنتَ قد وقعتَ في الذنوبِ واقترَفْتَ المعاصي فاعلَمْ أن ذلك عقوبةٌ منَ الله، فما عليكَ إلا أن تُسارعَ فتتوبَ، وتستغفرَ، وترجعَ إلى الله.

ثم يقول ﷺ -في خبر أيوب عليه السلام-: «**وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتْهُ امْرَأَتُهُ بيده حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا**» -أي: تأخر عنها- «**وَأُوْحِيَ إِلَى أَيوبَ أَنْ:** ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص]».

يقول ﷺ: «**فَاسْتَبْطَأَتْهُ**» -أي: امرأته- «**فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ وقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ البَلَاءِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ! هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا المُبْتَلَى؟ وَاللهِ عَلَى ذَلِكَ؛ مَا رَأَيْتُ أَشْبَه مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحاً! فقال: فَإِنِّي أَنا هُوَ**».

إنَّ الإيمانَ إذا اجتمعَ مع الصبرِ، فإن شمسَ الفَرجِ قريبةٌ، وإنَّ الشفاءَ يأتي في لحظةٍ، فلا بدَّ منَ الصبرِ والتوكلِ على الله.

يقولُ ﷺ: «**وَكَانَ له أَنْدَرَان**» -أي: بَيْدران- «**أَنْدرٌ للقَمْحِ، وَأَندرٌ للشّعير، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُما عَلَى أَنْدَرِ القَمْحِ؛ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الأُخرى في أَندرِ الشَّعِيرِ الوَرِقَ**» -أي: الفضة- «**حَتَّى فَاضَ**»[(٢)].




(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٤٥)، [«صحيح الجامع» (٩٩٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم (٣/ ٤٢٨، ٤٢٩)، وابن حبان (٢٨٨٧)، والحاكم (٢/ ٦٣٥، ٦٣٦)، وأبو يعلى (٣٦١٧)، [«الصحيحة» (١٧)].



يقول ﷺ: «**بَيْنَما أيوبُ يَغْتَسلُ عُرْياناً، خَرَّ عَلَيْه رجْلُ جراد منْ ذَهَب**» -وهي الجماعة العظيمة- «**فَجعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُك عَمَّا تَرَى؟**» قال -أي: أيوب عليه السلام-: «**بَلَى يَا رَبِّ وَلَكن لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِك**»(١).

يقول الله عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

ومن أهمِّ الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ منْ خبر أيوبَ عليه السلام:

أنه يجبُ على المريضِ أن يصبرَ على المرضِ مهما كان، ومهما طالَ الزمانُ.

يقول ﷺ: «**الصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»(٢).

ويقول ﷺ: «**وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنْ الصَّبْرِ**»(٣).

فبالصبرِ يوفَّى الصابرون أجرَهم يومَ القيامة بغير حسابٍ، وبالصبرِ يحصلُ الفوزُ بالجنةِ، والعبدُ إذا لم يصبرْ على المرضِ فإنه سُرْعانَ ما تراه يذهبُ إلى المشعوذين والكهنةِ، فيقعُ في معصيةِ الله، ويتعلَّقُ بمن لا يشفي ولا ينفعُ ولا يَضُر، فيخسرُ الدنيا والآخرةَ، وذلك هو الخسرانُ المبين.



وتعلموا عبادَ الله من خبرِ هذه المرأةِ السوداءِ حيثُ قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنه لعطاءِ بنِ أبي رباحٍ: ألا أُريكَ امرأةً مِنْ أهلِ الجنة؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأةُ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ لمسلم.



السوداءُ أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: إني أُصرَعُ وإني أتكشَّفُ فادعُ اللهَ لي. قال: «**إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فقالت: أَصبِرُ.

فقالت: إني أتكَّشفُ، فادعُ اللهَ لي أن لا أتكشفَ، فدعا لها[1].

فماذا أقولُ لأولئك الذين سُرعـانَ ما يذهبونَ إلى السحرةِ والعرافين والمشعوذين؟!!

• شابٌ في الخامسةِ والعشرين من عُمُره يكذبُ على الناسِ ويفتري عليهمُ الكذبَ، أولَ ما بدأ في النَّصْبِ والاحتيالِ ادَّعى أنه يتعاملُ مَعَ الجنِّ المؤمنِ في العلاجِ، وهذا حرامٌ شرعاً فلما تبينَّ له أنَّ أهلَ العلم قد أَفْتَوا بعدمِ الذهابِ إليهِ، وأنَّ التَعاملَ مع الجنِّ لا يجوز -ولو كانَ مؤمناً- غَيَّرَ طريقةَ النصبِ وقال للناسِ: أنا أتعاملُ معَ الملائكةِ، ويزعمُ أنه عندَ عينه ملكٌ يدلُّه على نوعِ مرضِ المريضِ فيقومُ بعملياتٍ بواسطةِ الجنِّ، يدّعي أنَّ المريضَ يُشفى بها وأنتم تعرفونَه ومنكم من ذهبَ إليه، دجالٌ يأخذُ بقلوبِ الناسِ.




ابنَ آدم! لو ذهبتَ إليه وشفاكَ اللهُ على يدِ هذا الدجالِ فهذا ليسَ دليلاً على أنَّ الذهابَ إلى الدجالين والسحرة جائزٌ شرعاً، وبذلكَ تبطلُ الحجةُ التي يحتجُّ بها الجهَلَة وهي حصولُ شفاءِ المريضِ على أيدي المشعوذين والسحرَةِ بل هي فتنة.

نقولُ له: يا أيها الكذابُ! وهل تنزلُ الملائكةُ على أحدٍ بشيءٍ مِنْ علمِ الغيبِ بعد وفاةِ المصطفى ﷺ؟! كيفَ تأتيكَ الملائكةُ وتعاونك وقد انقطَعَ الوحيُ بعد موتِ رسولِ اللهِ ﷺ؟ لقد أخبرَنا اللهُ عزَّ وجل عن أمثالِ هؤلاءِ في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء].

والأفَّاكُ: هو مَنْ بلغَ أعلى درجاتِ الكذبِ، والأثيمُ: هو الذي يعصي اللهَ فيما

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

بينَه وبينَ اللهِ ولا يعلمُ به إلا اللهُ.

فكيفَ تُخدعونَ يا عبادَ الله بعدَ هذا البيانِ وتذهبونَ إلى الدجالين وإلى السَّحَرةِ؟!

أما سمعتم رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ**»[1]؟!

يا عبد الله! إذا أردْتَ الدواءَ فعليكَ بالأدويةِ المشروعةِ وبالوسائلِ الشرعيةِ، وَمن ذلك:

الذهابُ إلى الطبيبِ ليحاولَ معرفةَ وتشخيصَ المرضِ، ثم يصفَ لكَ العلاجَ، فإنْ صادفَ هذا الدواءُ الداءَ شُفيتَ بإذن الله، وإلا فاذهبْ إلى طبيب غيره.




ثم عليكَ أن تصبرَ وأن تدعوَ اللهَ عز وجل، وتسلَّحْ بالاستغفارِ والذكرِ والدعاءِ بما ثبتَ في الكتابِ والسنةِ.

فلا تنْسَ أنْ تضعَ يدَك على مكانِ الألمِ وتقرأَ الفاتحةَ فهي الشافيةُ بإذنِ الله.

ولا تنسَ أن تضعَ يدَك على مكان الألم وتقولَ: «**بِسْمِ اللهِ ثلاثاً**»، وتقولَ: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**» سبعاً[2].

ثم لا تنسَ أيضاً أن تقولَ: «**أَسْـأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يشْفِيَنِي**»[3].

ولا تنسَ أن ترقيَ نفسَك بشيءٍ منَ القرآن.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٦)، وفي «الأوسط» (١٤٥٣)، والحاكم (١/ ٤٩)، [«صحيح الجامع» (٥٩٣٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٠٢).

(٣) قياساً على الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، وأحمد (١/ ٢٣٩) ولفظه: «... ربِّ العرشِ العظيم أن يشفيك» وهو دعاء للمريض.

ولا تنس العسَلَ؛ فقد أخبرَنا الله عز وجل أنَّ ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩].

ولا تنس الحبةَ السوداءَ؛ فإن فيها شفاءٌ من كُلِّ داء إلا السامَ، أي: الموت[٢].

ولا تنس ماءَ زمزم؛ واشربْه بنيةِ الشفاءِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ عن ماءِ زمزم: «**فِيهِ طَعَامُ مِنْ الطُّعْم وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْم**»[١].

قال ﷺ: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[٢].

كيف نتركُ أو ننسى كلَّ ذلك ثم نسارعُ إلى السَّحَرةَ والمشعوذين؟!

إخوة الإسلام: الدروسُ والعبرُ في هذا الموقفِ كثيرةٌ. اللبيبُ بالإشارةِ يفهمُ.

اللهم ارزقنا الصبرَ على البلاءِ

اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا أَبَداً مَا أَحْيَيْتَنَا

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٨١)، و«الأوسط» (٣٩١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٣٢٢)]

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٩)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٥٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٢٧)، [«الإرواء» (١١٢٣)].



٧

موقفُ في الصبرِ على فراقِ الولدِ (يعقوبُ عليه السلام)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاء الله تعالى- مع الموقفِ السابعِ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ في الصبرِ على فراقِ الولَدِ.

الأولادُ نعمةٌ عظيمةٌ من نعمِ اللهِ علينا، التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]



الأولادُ زينةُ الحياةِ الدنيا: قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

الأولاد فتنةٌ لوالديهم -أي: امتحانٌ واختبارٌ وابتلاءٌ- قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

وكان ﷺ يخطبُ يوماً على المنبرِ فجاءَ الحسنُ والحسينُ عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيان ويَعْثُران، فنزلَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ على المنبرِ فحملَهما فوضعهما بين يديه- أي: على المنبر- ثم قال ﷺ: «**صَدَقَ اللهُ** ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، **نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيينِ يَمْشِيانِ وَيَعْثُرانِ فَلَمْ أَصْبِرِ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهما**»[1].



(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، [«المشكاة» (٦١٦٨)].



عبادَ الله! إن للولدِ مكانةً عظيمةً في قلبِ والِدَيه، وله محبةٌ عظيمةٌ في قلوبهما.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: جاءتني مسكينةٌ تحملُ ابنتَين لها، فأطعمتُها ثلاثَ تَمَراتٍ، فأعطَتْ كُلَّ واحدةٍ منهما تَمْرةً، ورَفَعَتْ إلى فِيهَا تمرةً لتأكُلَها، فاستطعَمَتْها ابنتاها، فَشَقَّتِ التمرةَ التي كانت تريدُ أن تأكلَها بينهما، -أي: بينَ البنتين- فأعجبني شأنُها، فذكرتُ الذي صنعَتْ لرسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»[١]. أي: بهذه التمرة-.

الشاهدُ: المحبةُ والحنانُ في قلبِ هذه الأمِّ لبناتِها وإيثارُها لهنَّ على نفسِها.

ويقول عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: قدِمَ على رسولِ اللهِ ﷺ بسبْيٍ، فإذا امرأةٌ منَ السبْيِ تبتغي، إذا وجدت صبياً في السبي، فأخذتهُ فألصقَتهُ ببطنِها وأرضَعَته، فقال لنا رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**»؟ قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[٢].

الشاهد: أن رحمةَ الأمِّ بأولادِها عظيمةٌ.

ولمّا كانَ الإنسانُ في هذه الدنيا مبتلى، قد يُبتلى في نفسِه، أو في مالِه، أو في أولادِه.

فقد يُبتلى الرجلُ في ولدِه إما بفراقِه أو بموته.

فالواجبُ على المؤمنِ الصادقِ إذا ابتُلي بفراقِ ولدِه أن يصبرَ ويحتسبَ صَبْرَه عندَ الله عز وجل؛ فإن الصبرَ ضياءٌ.

وتعالَوا بنا لنتعلمَ الصبرَ على فراقِ الولَدِ مِنْ يعقوبَ عليه السلام، الذي ابتلي بفراقِ

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٣٠).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) واللفظ لمسلم.

بعضِ أولادِه فصبرَ واحتَسَبَ، فجعلَ اللهُ له بعد الهَمِّ فرجاً ومخرَجاً، وجمعَ بينه وبينَ أولادِه جميعاً.

إنَّ يعقوبَ عليه السلام أحبَّ ولدَه يوسفَ حباً عظيماً، فأشعلَ ذلكَ نارَ الحسدِ في قلوبِ إخْوَتِه فقرروا أن يتخلصوا من يوسف.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ -فما كان منهم إلا أن قرروا قَتْلَ يوسف! لكنَّ أحدَهم قال لا تقتلوه وألقوه في غَيابةِ الجُبِ- قال تعالى -ذاكراً مقولتهم-: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف].

وبعد أن قرروا أن يجعلوه في غيابةِ الجبِّ جاءوا إلى أبيهم و: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف] -قال لهم يعقوبُ عليه السلام إنني يؤلمني فراقُ يوسفَ، إنني لا احتملُ الصبرَ على فراقِه-.

ولكنهم كانوا قد أضمروا أمراً: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف]

بالفعلِ لقد قاموا بتنفيذ المؤامرةِ، وألْقَوه في غيابةِ الجبِّ، ورجعوا في المساء إلى أبيهم، قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ




﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾- صدمةٌ قويةٌ ومصيبةٌ عظيمةٌ تنزلُ على قلبِ يعقوبَ- ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [يوسف:١٦-١٨].

فماذا قال يعقوبُ؟ إنه موقفٌ إيمانيٌّ عظيمٌ في الصبرِ على البلاءِ، يا لها من مصيبة!! ولكنْ هكذا الأنبياءُ والصالحون يتحملونَ الصدمةَ ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

والصبرُ الجميلُ: هو صبرٌ بلا جزَعٍ ولا فَزَعٍ ولا اعتراضٍ على قضاءِ اللهِ.

ولقد امتلأَ قلبُه بالحزنِ؛ فهو لا يتحملُ فراقَ يوسفَ، ولكنه يحملُ نفسَه على الصبرِ الجميلِ، ويبثُّ شكواه إلى ربِّ العالمين، قال تعالى عن حالِ يعقوبَ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف]، ومرتِ الأيامُ، وأُخرجَ يوسفُ من البئرِ، وبيعَ بثمنٍ بخسٍ دراهمَ معدودةٍ، وتربى في بيتِ امرأةِ العزيزِ، وخرجَ من بيتها إلى السجنِ فلبثَ في السجنِ بضعَ سنين، ثم قدَّرَ اللهُ أن يخرجَ من السجنِ حفيظاً على خزائنِ الأرضِ في بلادِ مصرَ.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف].

كلُّ هذهِ الأيامِ ويعقوبُ عليه السلام لا يزالُ صابراً راضياً بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه، وإذا بالأسبابِ والأقدارِ تجري بمشيئةِ اللهِ الواحدِ الأحدِ مسبِّبِ الأسبابِ العالمِ بأحوالِ العبادِ وحاجاتِهم، فها هو يوسفُ بعدَ أن صارَ حفيظاً على خزائنِ الأرضِ، وبدأَ الناسُ يتوافدونَ إليه من كُلِّ مكانٍ؛ ليحصلوا على ما عندَه في خزائنِه من الخيراتِ

التي ادخرَها في سنينِ الرخاءِ لسنينِ الشدةِ.

وبينما الناسُ يدخلونَ على يوسفَ، يأخذونَ حاجاتِهم ويخرجونَ إذا بالمفاجأة! إذا بقومٍ يدخلون على يوسفَ عليه السلام فعرفهم يوسفُ ولكنهم لم يعرفوه.

أتدرونَ مَنْ هؤلاءِ القومُ يا عبادَ الله؟! إنهم إخوةُ يوسفَ، نعم إنهم الذينَ ألقَوه بالأمسِ القريبِ في البئرِ، إنهم الذينَ أرادوا أن يقتلوه!

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف].

سبحانَ اللهِ العظيمِ! سبحانَ اللهِ كيفَ دارتِ الأيامُ! وتبدلَتِ الأحوالُ، فهل سينتقمُ يوسفُ عليه السلام لنفسِه منهم؟ هل سيعاقبُهم على ما فعلوا به من قبل؟ تأملوا نُبلَ أخلاقِه عليه السلام وجميلَ صفاتِه وسموَّ نفسه! لم يكنْ من هذا النبيِّ الكريم ابنِ الكريم إلا أن أكرَمهم وأحسنَ نُزُلَهم، ثم طلبَ منهم أن يأتوا بأخٍ لهم من أبيهم وعلَّل ذَلك لهم بقوله: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف].

ثم أنذَرهم فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف].

ورجعوا إلى أبيهم وهم يُجْمعونَ على أن يرجعوا مرةً ثانيةً بأخيهم ليحصُلوا على الكيلِ الوفيرِ منْ عندِ هذا الرجلِ الطيبِ، فأتَوا إلى أبيهم وطلَبوا منه أن يأخذوا أخاهم معهم في المرةِ القادمة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف].




فلما طلبوا منه هذا الطلبَ، تذكرَ يعقوبُ ما مضى وما فعلوه بيوسفَ منْ قبلُ يومَ طلبوا منه أن يأخذوهُ معهم ثم رجعوا إليه فقالوا: أكله الذئب.

فقال لهم: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف].

وبعد إلحاحِهم وإصرارِهم على أخذِهم لأخيهم قال لهم أبوهم: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦].

فلما أخذَ عليهِمُ العهودَ والمواثيقَ أرسلَه معهم، وقبلَ الرحيلِ -وبعد أن تجهزوا للسفرِ إلى بلادِ مصرَ- قال لهم: ﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف:٦٧].

فخرجوا تاركينَ أباهم قد زادتْ آلامُه وحسراتُه بعدَ أن فارقَه أولادُه.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يوسف].

فجهَّزهمْ يوسفُ عليه السلام وأكرَمهم، وكان قد أضمرَ في نفسِه أن يأخذَ أخاه منهم، فأمرَ فتيانَه أن يضعوا الصاعَ الذي يَكيلونَ به في رحلِ أخيه، فلما تجهزوا وتأهبوا للسفرِ إلى بلادِهم ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف].



وحتى لا يكتشفوا الأمرَ بدأ بأوعيتهم قبلَ وعاءِ أخيه، ثم استخرَجها من وعاءِ أخيه فظنوا أنَّ أخاهم قد سَرَقَ فقالوا: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ -يقصدون يوسف- ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف].

ولكنْ ماذا يقولونَ لأبيهم إذا رجعوا إليه؟ إنَّ لهم سابقةَ شرٍ بإضاعتهم ليوسفَ من قبلُ، ثم إنَّ أباهم قد أخذَ عليهمُ العهودَ والمواثيقَ بالعودةِ بأخيهم!! فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف].

فحاولوا بكلِّ الطرقِ والوسائلِ فما استطاعوا، فذهبوا بعيداً وجلسوا يتشاورونَ بعد أن يَئِسوا من أن يأخذوا أخاهم.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يوسف].

وعادوا من بلادِ مصرَ إلى أبيهم مُخلِّفين لأخيهم في مصرَ، وكان يعقوبُ عليه السلام هناك ينتظرُ رجوعَهم بكلِّ صبرٍ وشوقٍ؛ إنه قلبُ الوالدِ! ولما رجعوا إليه كانتِ الصدمةُ الثانيةُ ليعقوبَ عليه السلام، فقالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف].




فماذا فعلَ يعقوبُ عليه السلام ؟ لم يجزَعْ أمامَ هذه المصيبةِ الثانية التي حَلَّتْ به! إنه لا يزالُ صابراً محتسباً على ما أصابه وألّمّ به وهذا موقفٌ إيمانيٌّ آخرُ!

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ -أي: على فقده للولدين- ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف].



لقد ملأ الألمُ والحزنُ قلبَ يعقوبَ على فراقِ أولاده لكنه كانَ راضياً بقضاءِ الله وقَدَرِه! ثم تولى يعقوبُ عن أولادِه وجلَس بعيداً ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف] أي: ذهبَ بصرُه من شدةِ الحزنِ.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف].

ذهبَ بصرُه، وضعُفَ جسمُه، يبكي بالليلِ والنهارِ على فراقِ أولادِه ولكنه لم يلجأْ إلا إلى اللهِ وحدَه، فقالَ لأبنائه يوماً: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

فخرجوا ببضاعةٍ مزجاةٍ إلى بلادِ مصرَ، فلما دخلوا عليه -أي: على يوسفَ- قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف].

ولَكُم أن تتصوروا عِظَمَ المفاجأةِ عندما قالَ لهمْ العزيزُ: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف]. عجباً! وما يُدْريه بيوسف؟ ومَنِ الذي أخبرَه خبرَه؟ وأيقظَتْ كلماتُ يوسفَ عليه السلام هذه عقولَهم التي شغلَها



الفقرُ والحزنُ وإذا هُمْ أمامَ مفاجأة لم يتوقعوها ولم تَخْطُرْ لهم على بال!! فقد حنَّ الدمُ إلى بعضهِ، وجعلَ القلبُ يتصلُ بالقلبِ، فقالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف].

فندموا على ما فعلوا، وتذكروا يومَ أَلْقَوْهُ في البئرِ وهو يستغيثُ بهم ويرجوهم، ويطلبُ منهم أَلاَّ يتركوهُ في البئرِ.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

إنها صورةٌ من أبهى صورِ العفوِ عندَ المقدرةِ، إنه فعلُ الكرام، إنها أخلاقُ الأنبياءِ والصالحين! لقد عفا عنهم بعدَ كُلِّ ما عاناهُ بسببهم، وكانَ قادراً في هذا المقام أن يقتصَّ منهم لكنها السماحةُ ونبلُ الأخلاقِ حيثُ قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف]. ثم أخبروه ما كانَ مِنْ أمر أبيه، ما كانَ مِنْ طولِ ذِكْره ليوسفَ وعظيم حزنه وذهابِ بصره، فقال لهم: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف].

فانقلبوا إلى بلادِهم بهذا القميصِ عائدينَ إلى والدِهم الذي طالَ انتظارُه وعَظُمَ شوقُه إلى أولادِه، عادوا إليه يحملونَ البشائرَ والسرورَ بعثورهم على يوسفَ، وهناك كانَ يعقوبُ عليه السلام لا يزالُ على حالِه يتألمُ ويبكي بالليلِ والنهارِ، كيفَ لا؟ إنه قلبُ الوالدِ؟! لكنَّ هذا القلبَ الذي امتلأ حزناً وهماً دبَّ فيه شعورٌ غريبٌ عند اقترابِ العيرِ، فقال لمن حولَه: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف] فتعجبوا من قولِه وظنوا أنه يهذي كما يهذي الشيخُ الهَرِمُ!




﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف] إنها قدرةُ اللهِ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ! لقد ردَّ اللهُ إليه بصرَه ورأى أولادَه أمامَه من جديدٍ!!

يعقوبُ يتجهزُ هو وأولادُه، لكي يذهبوا إلى بلادِ مصرَ حيثُ يوسف وأخوه، فها هم يقطعونَ الصحراءَ، وهناك على أبوابِ ومداخلِ بلادِ مصرَ استقبالٌ حافلٌ.

وهناكَ في أرضِ مصرَ كانَ اللقاءُ الذي يعجَزُ الكلامُ عن وصفه! وكيفَ لنا أن نصفَ لقاءَ الوالدِ بولده الذي غابَ عنه زمناً ليسَ بقليل؟! ولا أبلغَ ولا أفصحَ من كلام ربِّ السمواتِ والأرضِ في وصفِ ذلكَ المشهدِ العظيم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف].

وهكذا وبعدَ عذابِ السنينَ وصَبْرِها اجتمعَ يعقوبُ عليه السلام معَ أولاده كُلِّهم مرةً ثانية، وهذا هوَ جزاءُ الصبرِ الجميلِ، فالصبرُ مرٌّ مذاقُه لكنَّ عاقبَته أحلى منَ العسَلِ.

ومن الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ:

أولاً: على الإنسانِ إذا ابتُلِيَ ببلاءٍ أن يصبرَ، وأن يستعينَ باللهِ عز وجل على هذا الابتلاءِ.

فهذا يعقوبُ عليه السلام عندما قيل له: أنَّ الذئبَ قد أكلَ يوسفَ قالَ: ﴿فَصَبۡرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾.

وَهذه عائشةُ رضي الله عنها عندما ابتليتْ بألسنةِ المنافقينَ، وقالوا فيها ما قالوا، قالت: ﴿فَصَبۡرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾.

وَهذا موسى عليه السلام عندما علمَ أنَّ فرعونَ يريد أن يقتُلَه ومَنْ آمَنَ معه قال لقومه: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف].

فعلى الإنسانِ إذا ابتُلِيَ في هذه الدنيا أن يستعينَ باللهِ، وأن يصبرَ على البلاءِ.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**وَمَنْ يَصبِرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَمَا أُعْطِي أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِن الصَّبْرِ**»[1].

ثانياً: على الإنسانِ أن يستعينَ في هذه الدنيا دارِ البلاءِ بالصبرِ وبالتقوى.

فهذا يوسفُ عليه السلام لما قالَ له أخوتُه: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قال: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ﴾ لِمَ؟! ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾، فعليك بالتقوى، وعليك بالصبرِ لتنجحَ في كُلِّ ابتلاءٍ في دارِ الابتلاءِ، وعليكَ مَعَ الصبرِ بالصلاةِ فقد قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

فلا تنْسَ يا عبدَ الله أنكَ في هذه الدنيا تُبتلى بالسراءِ والضراءِ، بالخيرِ والشرِّ، بالغنى والفقرِ، بالصحةِ والمرضِ، بفراقِ الأولادِ، وبموتِ الأولادِ، إذا رُزقْتَ الأولادَ فأنت مُبتلى، وإن حُرِمْتَ نعمةَ الأولادِ فذاك صنفٌ آخرُ من الابتلاءِ!

فصبراً على البلاءِ في الضراءِ لتفوزَ وتنجحَ، وشكراً على البلاء في السراءِ

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ لمسلم.




لتنجحَ وتُفلحَ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ فِي السَّرَاءِ وَمِنَ الصَّابِرِينَ فِي الضَّرَاءِ






موقفُ في الصبرِ على موتِ الولَدِ
(أمُّ سُلَيْم رضي الله عنها)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر:

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ الثامنِ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في الصبرِ على موتِ الولدِ.

قلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إنَّ الإنسانَ في هذه الدنيا يُبتلى في نفسِه ومالِه وولدِه.

كما قال ﷺ: «**مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[1].



ومنْ عظيمِ الابتلاءِ والامتحانِ والاختبارِ في هذه الدنيا أن يُبتلى الإنسانُ بموتِ ولدِه؛ فإنَّ الولدَ ثمرةُ فؤادِ والِدَيه، وموتُ الولدِ يؤلِمُ الوالدَين ويُحْزِنُهما حزناً عظيماً.

يقولُ أبو سِنان: دفنتُ ابني سِناناً، وأبو طلحةَ الخَوْلانيُّ جالسٌ على شفيرِ القبرِ، فلما أردتُ الخروجَ، أخذ بيدي فقالَ: ألا أُبشرُك يا أبا سِنان؟ قلتُ: بلى. قال: حدثني الضحاكُ بنُ عبدالرحمن بنُ عَرْزَبَ عن أبي موسى الأشعريِّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ**

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، وابن حبان (٢٩١٣)، [«الصحيحة» (٢٢٨٠)].



وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الجَنَّةِ وَسَمُّوهُ: بَيْتَ الحَمْدِ»(١).

فتأملوا قولَه: «يا ملائكتي قَبَضْتُم ثمرةَ فؤادِه» فالولدُ ثمرةُ قلبِ والِدَيه.

ويقولُ ﷺ: **«كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتْ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيه السّلام، فَقَضَى بِهِ لِلكُبْرَى، فَخَرَجْتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاودَ عليهما السلام، فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسكينِ أَشُقّهُ بَيْنَهُما. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ! هُو ابنُها، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى»**(٢).

الشاهدُ: أَنَّ الغلامَ هو ابنُ الصغرى، ورغمَ ذلك عندما رأتْ أنه سيشُقُّه بالسكينِ قالت: لا تفعلْ يرحمُكَ اللهُ هو ابنُها، دلّ ذلك على أَنَّ الولَد ثمرةُ قلبِ والِدَيه يتألم لألمِه ويحزنُ لفراقِه.

ومرَّ النبيّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عندَ قبرٍ -وفي رواية «تبكي على صبيٍّ لها»- فقال ﷺ: **«اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي»**، قالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرِفْه، فقيل لها: إنه النبيُّ ﷺ، فأتَتْ بابَ النبيِّ ﷺ فلم تجدْ عندَه بوابين، فقالت: لم أعرِفْكَ.

فقال ﷺ: **«إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى»**(٣).

الشاهدُ: أَنَّ المرأةَ بكَتْ عند قبرِ ولدِها ألماً لفراقه.

ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: دخَلْنا معَ رسولِ الله ﷺ على أبي سيفٍ القَيْنِ وكان ظِئْراً لإبراهيمَ عليه السلام؛ أي: زوجَ مرضعةِ إبراهيمَ ابنِ النبيِّ ﷺ، فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ



(١) **حسن:** أخرجه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، وابن حبان (٢٩٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٠٠)، [«صحيح الترمذي» (٨١٤)].

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠).

(٣) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).



إبراهيمَ فقبَّلَه، وشمَّهُ ثم دخلْنا عليه بعدَ ذلك، وإبراهيمُ يجودُ بنفسِه، فَجَعلَتْ عينا رسولِ الله ﷺ تذرفان، فقال له عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه: وأنت يا رسولَ الله؟ فقال: «**يَا ابْنَ عَوفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثُمَّ أَتْبعَها بِأُخْرَى.

فقال: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُون**»[(١)].

تبينَ لنا من هذه الأدلةِ أن الولدَ ثمرةُ قلبِ والدَيه، لذا فهما يتألمان لموته، ويحزنانِ لفراقه، ولكنْ يجبُ على المؤمنِ الصادقِ في إيمانِه أن يصبرَ إذا ابتُلي بموتِ ولدِه وأن يحتسبَ ويسترجعَ ويرضى بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، وعليه أن يعلمَ أنَّ ما أصابَه لم يكن ليخطِئَه وما أخطأَهُ لم يكنْ ليصيبَه، وعليه أن يتذكرَ أنَّ الصبرَ عندَ هذه المصيبةِ وفي هذا الموقفِ له أجرٌ عظيم عندَ اللهِ كما قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾**﴾ [البقرة]

ويقول ﷺ: «**مَا مِنْ مُسلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إِلاَّ أَدْخَلَهُم اللهُ وَأَبَوَيْهِمُ الجَنَّة بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ قال: وَيَكُونونَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّة، فَيُقال لَهُم: ادْخُلوا الجَنَّة، فَيَقُولونَ حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا، فَيُقالُ لَهُم: ادْخُلُوا الجَنّة أَنْتُم وَأَبَواكُم بِفَضلِ رَحْمةِ الله**»[(٢)].

ويقولُ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجاباً مِنَ النَّارِ**» قالت امرأة: واثنان؟ قال ﷺ: «**واثنان**»[(٣)].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن» (٤/ ١١٣)، وفي «الشعب» (٩٧٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٢٥)، [«أحكام الجنائز» (ص٣٤)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣).




ويقول ﷺ: «**يقول الله تعالى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّة**»(١).

فتعالَوا بنا لنتعلمَ الصبرَ على موتِ الولدِ من أمّ سُلَيم ﵂، فهي قد ضربَتْ لنا مثالاً أعلى في الصبرِ على موتِ الولدِ.

قال أنسٌ ﵁: قالَ مالكٌ أبو أنس لامرأته أُمِّ سُلَيم- وهي أُمُّ أنس -إنَّ هذا الرجلَ- يعني النبيَّ ﷺ -يُحَرِّمُ الخمرَ، فانطلَقَ حتى أتى الشامَ فهلَك هناكَ، فجاءَ أبو طلحةَ، فخطبَ أمَّ سُلَيم، فكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحةَ، ما مثلُك يُردّ، ولكنك امرؤٌ كافرٌ، وأنا امرأةٌ مسلمةٌ لا يصلُحُ لي أن أتزوجَكَ!

فقال: ما ذاك دَهرَكِ! قالت: وما دهري؟ قال: الصفراءُ والبيضاءُ! -وهذا موقفٌ إيمانيٌّ فهي لا تنخدعُ بالمالِ- قالت: فإني لا أريدُ صفراءَ ولا بيضاءَ، أريدُ منكَ الإسلامَ، فإن تُسلمْ فذاك مَهري، ولا أسألُكَ غيرَه -وهو مهرٌ عزيزٌ غالٍ- قال: فَمَنْ لي بذلك؟ قالت: لكَ بذلكَ رسولُ اللهِ ﷺ، فانطلَقَ أبو طلحةَ يُريد النبيَّ ﷺ ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ في أصحابه، فلما رآه قال: جاءكُم أبو طلحَة غُرَّةُ الإسلامِ بينَ عينيه، فأخبرَ رسولَ اللهِ ﷺ بما قالت أمُّ سُلَيم، فتزوجَها على ذلك.

مواقفُ إيمانيةٌ يعجزُ عنها الكثيرون، امرأةٌ تَطلبُ الإسلامَ مهرَها وتُصرُّ على ذلكَ، وقد أسلمَ أبو طلحةَ، يقولُ ثابتٌ البُنانيُّ -وهو أحدُ رواةِ القصةِ عن أَنس-: فما بَلَغَنا أنَّ مهراً كانَ أعظَم منه أَنها رضِيَتِ الإسلامَ مهراً، فتزوجَها وكانتِ امرأةً مليحةَ العينين، فيها صِغَرٌ فكانت معه حتى وُلَد له بُني، وكان يحبُّهُ أبو طلحةَ حباً شديداً، ومرضَ الصبيُّ مرضاً شديداً، وتواضَعَ أبو طلحَة لمرضِه أو تَضَعضَعَ له. فكان أبو طلحَة يقومُ صلاةَ الغداةَ يتوضأُ، ويأتي النبيَّ ﷺ فيصلي معه، ويكونُ معه إلى قريبٍ من نصفِ النهارِ، ويجيءُ يقيلُ ويأكلُ، فإذا صلى الظهرَ تهيأ وذهبَ، فلم

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٢٤).




يجيْء إلى صلاةِ العَتَمةِ -أي: إلى صلاةِ العشاءِ-.

فانطلَق أبو طلحَة عشيةً إلى النبيِّ ﷺ (وفي رواية: إلى المسجد) وماتَ الصبيُّ فقالَت أمُ سُليم: لا يَنْعِيَنَّ إلى أبي طلحةَ أحدٌ ابنَه حتى أكونَ أنا الذي أنعاهُ له-أي: إياكُم أن تخبروه، اتركوا الأمرَ لي فأنا أُخْبِرهُ بموتِ ولدِه- فهيَّأتِ الصبيَّ، فَسَجَّتْ عليه، ووضَعته في جانبِ البيتِ، وجاءَ أبو طلحةَ مِنْ عندِ رسولِ الله ﷺ حتى دخلَ عليها ومعه ناسٌ منْ أهلِ المسجدِ من أصحابه.

فقال: كيفَ ابني؟

فقالت: يا أبا طلحةَ ما كانَ منذُ اشتكى أسكَنَ منهُ الساعةَ، وأرجو أن يكونَ قد استراحَ، -فكلامُها يحتملُ ذلكَ، ويحتملُ الآخرَ أنه قد ماتَ واستراحَ-.

فأتته بعشائِه فقرَبته إليهم فَتَعَشَّوا، وخرج القومُ، فقامَ أبو طلحَة إلى فراشِه فوضعَ رأسَه.



-كيف تحملَتْ أم سُليم؟ كيف كَتَمَتْ حزنَها؟ كيف كتمت دمعَتها؟ والمرأةُ في هذا الموقفِ لا تتحَمَّلُ؟ تبكي بلا وعيٍ ولا شعورٍ إلا مَنْ رحمَ الله، فانظروا عبادَ الله! سألَ عن ابنِه فأجابته بأنه قد تحسَّن- ثم قامَتْ -أمُ سُليم- فتطيبت وتصنَّعتْ له أحسنَ ما كانت تَصَنَّعُ قبلَ ذلك، ثم جاءَت حتى دخلَت معه الفراشَ، فما هو إلا أنْ وجدَ ريحَ الطِّيبِ فكانَ منه ما يكونُ منَ الرجلِ إلى أهله -اللهُ أكبر إنهُ الإيمانُ يفعلُ هكذا بأصحابه-.

فلما كان آخرَ الليل قالت: يا أبا طلحةَ! أرأيتَ لو أن قوماً أعاروا قوماً عاريَةً لهم، فسألوهم إيَّاها أكانَ لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا، قالت: فإنَّ اللهَ عز وجل كان أعارَكَ ابنكَ عارية، ثم قبضَه إليه، فاحْتَسِبْ واصبرْ!



فغضِبَ ثم قال: تركْتنِي حتى إذا وقَعْتُ بها وقَعْتُ به نَعَيْتِ إليَّ ابني! فاسترجَعَ وحَمِدَ اللهَ.

الله أكبر! كم مِن امرأةٍ على وجهِ الأرضِ اليومَ تستطيعُ أنْ تفعلَ ذلك؟

فلما أصبحَ اغتسلَ، ثم غدا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فصلى معه فأخبرَه، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [«**أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ**»؟ قال -أبو طلحة-: نعم، قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُما**»] فَثَقُلَتْ منْ ذلكَ الحملِ و[ولدَت غلاماً].

فقال أبو طلحَة: يا أنسُ! احمِلْه حتى تأتيَ به النبيَّ ﷺ وبعث معه بتمراتٍ، فأخذها النبيُّ ﷺ فمضغَها ثم أخذَها من فِيهِ فجعلَها في فِّي الصبيِّ ثم حَنَّكَه وسماه عبدَ الله(١).

وفي رواية للبخاري: قال ابنُ عيينةَ: فقال رجلٌ منَ الأنصارِ: فرأيتُ لهما تسعةَ أولادٍ، كُلُّهم قد قرأَ القرآنَ(٢).




وذلك ببركةِ دعوةِ النبيِّ ﷺ ثم بفضلِ هذا الموقفِ العظيم لصبرِ أُمِّ سُليم التي صبَرت وتحملَت فلولا أنها صبَرت، وعملت ما عملت ما كان هذا الغلامُ في هذهِ الليلةِ إلاّ أنْ يشاءَ الله.

الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ مِنْ هذه القصةِ:

أولاً: الصبرُ والاحتسابُ عندَ موتِ الولدِ وفراقِه.

إذا ابتُلِيَ الإنسانُ بموتِ ولدِه -وهو معرَّضٌ في أيةِ لحظةٍ لذلكَ في دارِ البلاءِ- فعليه أن يصبِرَ ويحتسبَ، ويسترجعَ وعليه أن يجددَ إيمانَه ورضاهُ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه؛ لأنه إذا لم يفعلْ ذلكَ فلربما وقعَ في المخالفاتِ الشرعيةِ التي لا تُرضي اللهَ عز وجل ومن ذلك على سبيلِ المثال:

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٤٧٠)، وما بين [ ] من مسلم (٢١٤٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٠١).

١- النياحةُ: وهي أمرٌ زائدٌ على البكاءِ، وهي محرمةٌ شرعاً.

قال ﷺ: «**اثْنَتانِ فِي النَّاسِ هُما بِهِم كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ، والنِّيَاحَةُ عَلى المَيِّتِ**»(١).

قال ﷺ: **أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسابِ، والطَّعْنُ في الأَنْسابِ، وَالاسْتِسْقاءُ بِالنُّجُومِ**(٢)**، والنِّيَاحةُ**»، وقال ﷺ: **النَائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقَامُ يَوْمَ القِيَامةِ وعَلَيْها سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرانٍ، وَدِرْعٌ منْ جَربٍ**(٣)»(٤).

٢- ضربُ الخدودِ، وشقُّ الجيوبِ، والدعوى بدعوى الجاهلية.

يقول ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَى بِدَعْوَى الجَاهِلِيّة**»(٥).



ثانياً: أنه يجبُ على المرأةِ حتى في لحظاتِ الحزنِ أن تعرفَ حَقَّ زوجها، وأن تقومَ على خدمته، وعليها أن تقتديَ بما فعلَت أم سُليم، وَلْتَحْرِص المرأةُ أن تُبْعِدَ عن بيتِ زوجِها النكَدَ، والهمَّ والغَمَّ. فاليومَ قد يموتُ ابنُها، وغداً قد يموتُ أخوها، وبعدَ غد سيمُوتْ أبوها، فلو أنها حزنت ومَلأَتْ بيتها حزناً معَ كُلِّ حادثة فإنها ستحَوِّلُ بيتَ زوجِها إلى بيتِ كآبةٍ وهَمٍّ وغَمٍّ، فعلى المرأةِ العاقلةِ أن تتفقَه وأن تتعلمَ، وأن تعلم بأنَّ ما عليها عند موتِ الولدِ إلا أن ترضى بقضاءِ الله وقَدَره، فإن فَعَلَتْ ذلكَ عوضَها الله -كما عَوَّضَ أمَّ سُليم- بولدٍ قد يكونُ خيراً منَ الذي أُخِذَ منها، فَمَنْ حمِدَ اللهَ واسترجَع عندَ المصيبةِ أخلَفه اللهُ في مصيبته خيراً منها.



---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٧).

(٢) كما كان في اعتقادهم أن نزول المطر بسقوط نجم في المغرب -مع الفجر- وطلوع آخر يقابله من المشرق.

(٣) قيل: يعني يُسلط على أعضائها الجرب والحكة، بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص. والله أعلم.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

٩

موقفُ في الصبرِ على موتِ الحبيبِ (موقفُ أبي بكرٍ الصديق)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعِبَرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ التاسعِ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقف إيمانيٌّ في الصبرِ على موتِ الحبيب.

الإنسانُ في هذه الدنيا، في دار الابتلاءِ والامتحانِ والاختبارِ. ومنَ الابتلاءاتِ في هذه الدنيا أن يُبْتلى المؤمنُ بموتِ حبيبه وصفيِّه منْ أهلِ الدنيا.



كما قالَ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جِزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ**» -أي: حبيبه- «**مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّةَ**»(١).

فالمؤمنُ إذا ابتُلي في هذه الدنيا بموتِ حبيبِه وصفيِّه فعليه أن يصبرَ، ويحتسبَ، ويرضى بقضاءِ الله وقَدَرِه.

ومن الأمورِ التي تُعينُه على الصبرِ والاحتسابِ والرضى: أن يتذكرَ مصيبَته في موتِ حبيبِه الأولِ محمدٍ ﷺ؛ فإنها من أعظمِ المصائبِ.

يقول ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ**»(٢).

وموتُ النبيِّ ﷺ مصيبةٌ عظيمةٌ على الثقلَين، كيف لا وهو أحبُّ إلينا مِنْ أنفسِنا ووالدِينا وأولادِنا ومنَ الناسِ أجمعين؟ بل إن محبتَه ﷺ علامةُ صدقِ الإيمانِ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٢٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٥٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٨٢)، [«صحيح الجامع» (٣٤٧)].



وصحتِه، قال ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين**»[١].

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يوماً: يا رسولَ اللهِ! لأنتَ أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيءٍ إلا مِنْ نفسي، فقال النبيُّ ﷺ: «**لاَ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**».

فقال له عمر: فإنه الآنَ واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي.

فقال ﷺ: «**الآنَ يا عُمَر**»[٢].

وقال ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهما، وَأَن يُحِبَّ المرءَ لاَ يُحِبُّه إِلاَّ للهِ، وَأن يَكْرَه أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْر بَعْد أَنْ أَنْقَذَه اللهُ مِنْهُ كَمَا يكرهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[٣].

ويقولُ ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

أدلةٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسنةِ توجبُ على المؤمنِ أن يُحِبَّ رسولَ اللهِ ﷺ أكثرَ من نفسِه ومالِه وأهلِه والناسِ أجمعين، فإذا ابتُلي المؤمنُ في هذه الدنيا بموتِ حبيبه وصفيِّه فعليه أن يصبرَ ويحتسبَ ويرضى ويتذكرَ مصيبتَه العُظمى في موتِ الحبيبِ محمّدٍ ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، واللفظ لمسلم.



فتعالوا يا عبادَ الله! لنتعلمَ الصبرَ على موتِ الحبيبِ من أبي بكرٍ الصديقِ ﵁، وقد ضربَ لنا مثالاً أعلى في الصبرِ على موت حَبيبهِ محمّدٍ ﷺ.

إنه أبو بكرٍ الصديقُ ﵁، هل تعرفونَ مَنْ هو أبو بكرٍ يا أمةَ الإسلام؟

١- هو الذي آمنَ برسولِ اللهِ ﷺ، ولم يترددْ ولم يتأخرْ لحظةً واحدةً يوم كفرَ كثيرٌ منَ الناسِ.

٢- هو الذي صدّق النبيَّ ﷺ بكلِّ ما جاء به يومَ كَذَّبه الناسُ، فعندما أخبرَ ﷺ الناسَ بما حدَث وبما كانَ منْ خبرِ الإسراءِ والمعراجِ سارَعَ بعضُ الكفارِ إلى أبي بكر وقالوا له: أما سمعتَ بما قالَ صاحبُك؟ فقال لهم: وما قالَ؟ قالوا له: (يزعمُ أنه أُسرِيَ به من مكةَ إلى بيتِ المقدسِ، ومن هناك عُرِجَ به إلى السمواتِ العُلى، فقال لهم أبو بكرٍ: أوَ قالَ ذاكَ؟ قالوا له: نعم. قال: إنْ قالَ فقد صَدَقَ فإني أصَدِّقُه بأكبَر من ذلك، بالخبرِ يأتيهِ منَ السماءِ)(١).




٣- أبو بكرٍ الصديقُ الذي قَدَّم نفسَه ومالَه لخدمةِ الإسلامِ الذي جاءَ به محمّدٌ ﷺ.

يقول عمرُ ﵁: (أمرنا رسولُ الله ﷺ: أن نتصدقَ، ووافَق ذلك عندي مالاً، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكر إنْ سَبَقْتُه يوماً، قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» فقلتُ: مثلَه.

وأتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عندَه، فقال ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ**»؟ فقال: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَه.

قلت -أي عمر-: لا أسبقُه إلى شيءٍ أبداً)(٢).

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٥)، وعبد الرزاق (٥/ ٣٢٨)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٣٠)، [«الصحيحة» (٣٠٦)] انظر لفظ الحديث عندهم.

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي (١٧٠١)، وعبد بن حُميد (١٤)، والبزار «البحر الزخار» (١٥٩)، [«المشكاة» (٦٠٣٠)].

إنه أبو بكرٍ الذي قال المصطفى ﷺ في حقِّه: «**مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إلاَّ وَقَدْ كَافَأْنَاهُ** -أي: جزيناهُ- **مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يداً يُكَافِئهُ اللهُ بها يومَ القِيامَة، وَمَا نَفَعَنِي مالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نفَعَني مَالُ أَبِي بَكرٍ، وَلَو كُنْتُ مُتّخِذاً خَلِيلاً، لاتّخَذْتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلاً، أَلاَّ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[١].

٤- أبو بكرٍ الصديقُ أتعرفونَه يا أمةَ الإسلام؟

إنه أبو بكرٍ الصديقُ المسارِعُ دائماً إلى كُلِّ خيرٍ، قال ﷺ يوماً لأصحابه: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ اليَوْمَ صَائِماً**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ اليومَ جَنَازَةً**» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ منكم اليَوْمَ مِسْكِينًا**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُم اليومَ مَرِيضاً**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ في امرئٍ، إلاَّ دَخَلَ الجَنَّةِ**»[٢].




٥- أبو بكرٍ الصديقُ الذي تتقربُ الشيعةُ بِسَبِّه ولعنِه -قاتلَهُمُ اللهُ أنى يُؤفكون- يتقربونَ إلى اللهِ صباحَ مساءَ بسبه ولعنه وقد سمعتم ما قالَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ، أليس أبو بكرٍ هو صاحبُ الغارِ؟! وهوَ الذي وقفَ معَ رسولِ الله بمالِه ونفسِه يحميه بكُلِّ ما يملكُ.

أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه الذي قال فيه ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ في الجَنَّة**»[٣].

وقال فيه: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ**»[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٢٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٤٧)، وأبو داود (٤٦٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٥٦)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (١/ ١٨٨)، [«صحيح الجامع» (٥٠)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٨١)، والحاكم (٣/ ٤٧٧)، [«صحيح الجامع» (٨٩٥)].

وقال فيه: «**نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ عَائِشَةُ. وَمِنَ الرِّجَالِ أَبُوهَا**»(٢).

وقال ﷺ في حق أبي بكر: «**أَبَى اللهُ والمؤمنون أن يُخْتَلَفَ عَلَيْكَ يا أَبَا بَكْرٍ**»(٣).

إنه أبو بكرٍ الصديقُ صاحبُ النبيِّ ﷺ في الغارِ، إنه صدّيقُ هذه الأمةِ وخليفةُ رسولِ اللهِ ﷺ، هذا هو خليفتُنا الراشدُ الأول -رغمَ أنفِ الشيعةِ الروافضِ- إنه مَنْ نسألُ اللهَ أن يجزيَه عنا خيرَ الجزاءِ لما قدّمَ لهذه الأمةِ -رغمَ حقدِ الحاقدين الساخطين-.

خابتِ الشيعةُ وخسرَتْ خسراناً مبيناً يومَ جَعَلَتْ سَبَّ الصديقِ ديناً، بل خَسِئوا ولُعنوا يومَ جعلوا لعنَهُ رضي الله عنه ذِكراً يزعمون التقربَ به صباحَ مساءَ!!



عاملهمُ اللهُ بما يستحقون إذ أنكروا جميلَ الصِّدِّيقِ وحسدوه منزلَتَه، وغاظهم شرفُه وعلُوُّ مرتبتِه! كيفَ لا وهذا دأبُهم وتلك شِيَمُهم: الكذبُ والحسدُ والغِلُّ والعداءُ كُلُّ العداءِ لأهلِ السنةِ المقتفين آثارَ الخلفاءِ الراشدينَ والصحابةِ الطيبينَ، فاللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، واطفئْ نارَ الشيعةِ أتباعِ المجوسِ الحاقدين.



فتعالَوا بنا لنتعلمَ الصبرَ على موتِ الحبيبِ من أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ فلقد ضربَ لنا مثالاً أعلى يُحتذى، ولنبدأْ الخبرَ من أوله:

ففي حَجَّةِ الوَداع ودّعَ النبيُّ ﷺ أصحابَه، وظهرَ ذلكَ الوداعُ في كلامِه ﷺ وأفعالِه:

ففي عرفَة أنزَل اللهُ عزَّ وجلَّ على نَبيِّه ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٦٤)، وأحمد (٢/ ٤١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٧)، وابن حبان (٦٩٥٨)، [«صحيح الجامع» (٦٧٧٠)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٤٧)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٨٠)، [«صحيح الجامع» (٢٤)].

عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة:٣].

ثم عندَ جَمْرةِ العقبةِ، قال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لاَ أَدْري لَعَلِّي لاَ أَحجُّ بَعْدَ عَامِي هَذا**»(١).

وبعد ذلكَ في أيامِ التشريق نزلتْ عليهِ ﷺ سورةُ النصرِ، فنعى النبيُّ ﷺ نفسَه إلى ابنتِه فاطمةَ.

عن ابنِ عباس ﷺ قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ دعا رسولُ اللهِ ﷺ فاطمَةَ قال: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**» فبكَت.

قال: «**لاَ تَبْكِي؛ فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لاَحِقٌ بِي**» فضحكَت(٢).

ولمّا رجَع ﷺ من حَجَّةِ الوَداع -وفي المدينة- نزلَ به المرضُ: صداعٌ شديدٌ في رأسِه تقول عائشةُ ﵂: رَجَعَ رسولُ الله ﷺ من البقيع، فَوَجَدَني وَأَنا أَجِدُ صُداعاً في رأسي، وَأَنا أقولُ: وَارأساهُ! فقال: «**بَلْ أَنَا، يَا عَائِشَةُ! وَارَأْسَاهُ!..**»(٣).

وأخذَ المرضُ يشتدُّ برسولِ اللهِ ﷺ، وكان يطوفُ على نسائِه، ثم استأذَن نساءَه أن يُمَرَّضَ في بيتِ عائشةَ فأذِنَّ له، وكان ﷺ يخرجُ للصلاةِ فلما غلبَه الوجعُ.

قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاس**»(٤).

واشتدَّ المرضُ برسولِ اللهِ ﷺ يوماً بعدَ يوم، وأرادَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يخرجَ ليخطبَ في الناسِ فطلبَ ﷺ من نسائِه أن يَصْبُبْنَ عليه من الماءِ البارِد، فلما فَعَلْنَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢٩٧).

(٢) **حسن**: أخرجه الدارمي (٨٠)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٣٠)، وفي «الأوسط» (٨٨٣)، [«المشكاة» (٥٩٦٩)].

(٣) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٤٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٢٨)، والدارمي (٨١) وابن حبان (٦٥٥٢)، وأبو يعلى (٤٥٧٩)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٩٦)، [«صحيح ابن ماجه» (١٢٠٦)].

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠).



ذلك وجدَ ﷺ من نفسِه خِفةً ونشاطاً، فخرجَ فصلى بالناسِ وخطبَهم، يقولُ أبو سعيدٍ رضي الله عنه: خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ فقال: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ.**» فبكى أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه: [وهو يقول: فَديناك بآبائنا وأمهاتِنا] فقلتُ في نفسي -أي: أبو سعيد-: ما يُبكي هذا الشيخَ؟ إنْ يكنِ اللهُ خيّر عبداً بينَ الدنيا وبينَ ما عندَه، فاختارَ ما عندَ اللهِ، فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ هو العبدُ، وكان أبو بكرٍ أعلمَنا.

قال ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لاَ تَبْكِ إِنّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ. لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ، إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ**»[١].

إنه أبو بكرٍ الصاحبُ والصديقُ، فهمَ مرادَ النبيِّ ﷺ، وعلمَ أنَّ الرسولَ يودِّعُهم، ولم يشُكَّ أنَّ العبدَ الذي خُيِّرَ هو رسولُ اللهِ ﷺ!

ثم دخلَ ﷺ بيتَه واشتدَّ به الوجعُ، حتى انقطعَ عن الصلاةِ بالناسِ، والمرضُ يشتدُّ يوماً بعدَ يوم.

دخل عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه على رسولِ اللهِ ﷺ وهو يوعَكُ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إنك لتُوعَكُ وَعْكاً شديداً؟ قال: «**أَجَل، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ..**»[٢].

ودخَلتْ فاطمةُ رضي الله عنها على رسولِ اللهِ ﷺ وهو يتغشاهُ الكربُ فقالت: واكَرْبَ أباه، فقالَ لها: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوم**»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٦)، وبين الحاصرتين [ ] من البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) متفق **عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٦٢).



وتقولُ عائشةُ ﵂: (لما نزلَ برسولِ اللهِ ﷺ -أي: اشتدَّ الوَجعُ- طفِقَ يطرحُ خميصةً له على وجهِه، فإذا اغتَمَّ بها كشفَها عن وجهِه، فقالَ وهو كذلك: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ**»[١].

واشتدَّ برسولِ اللهِ ﷺ الوجعُ، قالت عائشةُ ﵂: وبينَ يَديْهِ رَكْوَةٌ فيها ماءٌ، فجعلَ يُدخِلُ يدَيه في الماءِ فيمسحُ بهما وجهَهُ يقولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**».

ثم نصبَ يدَه فجعلَ يقول: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» حتى قُبِضَ ومالَتْ يدُه[٢].

فدخلت فاطمةُ ﵂ على أبيها رسولِ اللهِ ﷺ بعد أن ماتَ وقالت: (يا أبتاه أجابَ رباً دعاه، يا أبتاه مَنْ جنةُ الفردوسِ مأواه، يا أبتاه إلى جبريلَ ننعاهُ)[٣].

قالت عائشةُ ﵂: ماتَ ﷺ في بيتي ويومي وبين سَحْري ونَحْري فلما ماتَ ﷺ وضعَتْ عائشةُ ﵂ رأسَه ﷺ على وسادةٍ وسجّتْهُ ببردةٍ، وخرَجَتْ ﵂ وهي تبكي[٤].




وتناقلَ الناسُ الخبرَ في المدينةِ، وانتشرَ البكاءُ هنا وهناك.

الكبيرُ يبكي، والصغيرُ يبكي، الرجلُ يبكي، والمرأةُ تبكي؛ إنه الخطبُ الجَللُ، إنها المصيبةُ التي تهونُ بعدَها المصائبُ!

لقد ماتَ الذي أخرجَهُمُ اللهُ بهِ مِنَ الظلماتِ إلى النور.

لقد ماتَ الذي أخرجهُمُ اللهُ به من الشركِ إلى التوحيدِ.

لقد ماتَ الذي أخرجهمُ اللهُ به من الكفرِ إلى الإيمانِ.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٦٢).

(٤) انظر: خبر وفاة النبي ﷺ في البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٢٤٤٣)، وفي مسند أحمد (٦/ ٢٧٤).

انتشرَ البكاءُ هنا وهناك فمِنْ مُصَدِّقٍ للخبر، ومُكَذِّبٍ له، هذا يقولُ: ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ، وذاك يقولُ: لا! لم يمتْ رسولُ اللهِ ﷺ، بل أخذَ عمرُ رضي الله عنه يتوعَّدُ من قالَ ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ.

وذهبَ رجلٌ منَ الصحابةِ إلى أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه الذي كانَ وقتئذٍ في منزلِه ليخبرَه بالمُصابِ العظيم الذي حَلَّ بالأمةِ، في موقفِ الصديق عند تلقيهِ ذاكَ الخبرِ الأليمِ الجسيمِ موقفٌ إيمانيٌّ عظيمٌ في قدوةٍ وأسوةٍ لنا يَجْمُلُ بكُلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ التحلي بمثله عندَ فقدانِ الأحبةِ والمقربين، ومما قد يزيدُ المواساةَ أن نتذكرَ دائماً أن مصيبتَنا بموتِ أحبِّ الناسِ إلى قلوبنا رسولِ اللهِ ﷺ كانت أعظمَ المصائبِ، فكُلُّ ما بعدَها يهونُ، فاسمَعوا وعوا يا عبادَ اللهِ ما جرى:



عن عائشةَ رضي الله عنها: (أن أبا بكرٍ رضي الله عنه أقبلَ على فرسٍ من مَسْكنِه بالسُّنْحِ، حتى نزلَ فدخلَ المسجدَ فلم يكلِّم الناسَ حتى دخلَ على عائشةَ رضي الله عنها، فتَيَمَّمَ رسولَ ﷺ وهو مُغَشَّى بثوبِ حِبَرَةٍ، فكشفَ عن وجْهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قالَ: بأبي أنت وأمي! والله لا يجمعُ اللهُ عليكَ موتتين، أما الموتةُ التي كُتبتْ عليكَ فقد مُتّها)[1].

ثم خرج أبو بكرٍ رضي الله عنه إلى الناسِ -والذين كانوا يتمنَّونَ أن يقولَ لهم أبو بكرٍ: لا إنَّ رسولَ اللهِ لم يَمُتْ، كانت هذه أقصى أمانيهم في ذلكَ الوقتِ، فإن الفراقَ صعبٌ جداً وأليمٌ بغيضٌ، ولو كنا معهم لتمنينا أن يخرجَ علينا أبو بكرٍ ويقول: ما ماتَ رسولُ اللهِ. عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه أن: (أبا بكرٍ خرجَ وعمرُ بنُ الخطابِ يكلمُ الناسَ، فقال: إجلسْ يا عمرُ! فأبى عمرُ أن يجلِسَ، فأقبلَ الناسُ إليه وتركوا عمرَ. فقال أبو بكر: أما بعدُ فَمَنْ كان منكم يعبدُ محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كانَ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٥٣).

منكم يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌ لا يموت).

ثم ذكَّرهم بالآياتِ القرآنيةِ التي يعرفونها ولكنْ ذهبت عنهم منْ شدةِ الألمِ والحزنِ على فراقِ الحبيبِ عبدِالله ورسولِه ﷺ.

(قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. وقال: واللهِ لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أنَّ اللهَ أنزلَ هذه الآيةَ حتى تلاها أبو بكرٍ فتلقاها منه الناسُ كُلُّهم، فما أسمعُ بشراً من الناسِ إلا يتلوها...

قال عمرُ: واللهِ ما هوَ إلا أنْ سمعتُ أبا بكرٍ تلاها فَعَقِرْتُ حتى ما تُقلُّني رجلاي، حتى أهوَيْتُ إلى الأرضِ، حين سمعته تلاها علمتُ أنَّ النبيَّ ﷺ قد مات)[1].

وصدقَ رسولُ اللهِ ﷺ القائلُ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ**»[2].

الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تُؤخذُ من هذا الموقفِ الإيماني في الصبرِ على وفاةِ الحبيبِ فهي كثيرةٌ، وكثيرةٌ جداً، نذكرُ منها على سبيلِ المثال:

أولاً: على الجميع أن يعلمَ ولا يشكَّ طَرْفَةَ عَينٍ أن النبيَّ محمداً ﷺ بشرٌ، يجري عليه ويقعُ عليه ما يقعُ على البشرِ، فهو ﷺ بأبي هو وأمي ماتَ كما يموتُ البشَرُ، قالَ تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء]

وقال جبريلُ عليه السلام: «**يا مُحمّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِه، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ..**»[3].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٥٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠١٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ١٦٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٨٢)، [«صحيح الجامع» (٣٤٧)].

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، وأبو نعيم (٣/ ٢٩٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٧)].




إنها سُنّةُ اللهِ في خلقه فالبقاءُ له وحدَه سبحانه، والموتُ كأسٌ وكُلُّ الناسِ شاربُه.

فيا ابنَ آدم!

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ	يبقى الإلهُ ويفْنَى المالُ والولدُ
لم تغنِ عنْ هُرمزٍ يوماً خزائنُهُ	والخلدَ قدْ حاولَت عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذ تجرى الرياحُ له	والأنسُ والجنُّ فيما بينها تَردُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها	مِنْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك موروُدٌ بلا كذبٍ	لا بدَّ مِنْ وِرده يوماً كما ورَدوا

ثانياً: أنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وأنه دينُه الذي ارتضاه لعباده، وختمَ به الرسالاتِ؛ فهو خالدٌ باقٍ، والدعوةُ باقيةٌ، والمنهجُ والطريقُ إلى رضى اللهِ والجنة واضحٌ، وإنْ ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ الداعي الأولُ إلى اللهِ، وإن ماتَ بعدَه كُلُّ الدّعاةِ والعلماءِ فإنَّ هذا الدينَ باقٍ إلى يوم القيامةِ.

ولقد أدى النبيُّ محمدٌ ﷺ الرسالةَ بأمانةٍ بالغة، وأوفى المقامَ حقَّه فلم يَمُتْ عليه الصلاةُ والسلامُ إلا بعدَ أن تركَنا على البيضاءِ، ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ أو ضالّ.

وهذا الدرسُ هو الذي أرادَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أن ينبهَ الناسَ إليه عندما قالَ لهم: مَنْ كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كانَ يعبدُ اللهَ فإن اللهَ حيٌ لا يموت.

فالرسولُ والأنبياءُ والدعاةُ والعلماءُ كلُّهم يدعونَ الناسَ إلى عبادةِ الله، ويبينونَ لهمُ الطريقَ إلى رضى اللهِ والجنةِ، ولذلك مَنْ كانَ صادقاً في حبِّه لرسولِه ﷺ فليتأسَّ بسنتِه، وليتمسَّكْ بطريقته فهو القائلُ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ**




مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِين، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدِثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]

وقال ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً، مَا أَنَا عَلَيْهِ وأَصْحَابِي**»(٢).




ثالثاً: لَمّا كانَ موتُ الرسولِ ﷺ من أعظمِ المصائبِ؛ لما له من المنزلةِ في قلوبنا، ولما لهُ من الفضلِ علينا بتعليمِنا أمورَ ديننا الذي لا نجاةَ لنا إلا به، كذلك فإنَّ موتَ العلماءِ يُعَدُّ مصيبةً عظيمةً على الأمةِ؛ لأنَّ العلماءَ هم ورثةُ الأنبياءِ، فإنَّ الأنبياءَ لم يُورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلمَ فمن أخذَ به أخذَ بحظٍّ وافرٍ. والواجبُ علينا عبادَ الله إظهاراً لصدقِ حُبّنا لرسولنا ﷺ وللعلماءِ الربانيين مِنْ بعدِه أن نتعلمَ علمَ الكتابِ والسنةِ، وأن ندعوَ الناسَ إلى سنةِ رسولِ الله ﷺ وأن نتمسكَ بسنتهِ ومنهجِه، فإذا فعلنا ذلك فقد أثبتْنا أننا نحِبُّ رسولَ اللهِ ﷺ بصدقٍ.

فالمبحة الصادقة تدفع صاحبُها إلا الاتباع.

حشَرَنا الله وإياكم يوم القيام مع رسول الله في جنات النعيم.

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٤١) والطبراني في «الصغير» (٧٢٤)، و«الأوسط» (٤٨٨٦)، ، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].



١٠

موقفٌ في الصبرِ على موتِ الزوجِ
(أمُّ سلمةَ رضيَ الله عنها)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ:

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ العاشرِ من المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في الصبرِ على موتِ الزوجِ.

لقد تقررَ لدينا أنَّ الإنسانَ في هذه الدنيا مبتلى، فهو مبتلى بالسراءِ والضراءِ، بالخيرِ والشرِّ، لأنه في هذه الدنيا في دارِ ابتلاءٍ وامتحانٍ واختبارٍ.

ومن جملةِ الابتلاءِ: أن تُبتلى المرأةُ بموتِ زوجِها.

والواجبُ على المرأةِ المسلمةِ في هذه الحال أن تصبرَ وتحتسبَ، وترضى بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه.

ومن الأمورِ التي تُعينُها على ذلك أن تتذكَرَ مصيبتَها بموتِ رسولِ اللهِ ﷺ، فهي مِنْ أعظمِ المصائبِ.

يقول ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ**»[1].

لقد شُرِعَ زواجُ الرجلِ من المرأةِ لأنَّ الرجلَ لا يسكُنُ ولا يطمئنُّ إلا بزوجته، والزوجةُ لا تسكُنُ ولا تطمئنُّ إلا بزوجها، إنها سنّةُ اللهِ في خلقه.

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٥٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٥٢)، [«صحيح الجامع» (٣٤٧)].

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

ورفعَ اللهُ الرجلَ على المرأةِ درجةً، وجعلَ الرجلَ هو المسئولُ عن مؤونةِ البيتِ، ومسئولٌ عن رعيتِه، وربُّه عز وجل سائلهُ يومَ القيامة عن هذه الأسرةِ التي استرعاهُ إياها.

فالرجلُ له حقٌّ عظيمٌ على زوجتِه، ولكنَّ كثيراً من النساءِ -إلا مَنْ رحم ربي- لا تعرفُ حَقَّ زوجِها إلا بعدَ أن تفقدَه بالموتِ، وبعد أن ترى الواحدةُ منهنَّ موتَ زوجِها تتمنى أن لو عاشَ معها حتى ولو كانَ مريضاً لا يخرجُ من البيتِ، وقد جاءتِ الأدلةُ الكثيرةُ التي تبيِّنُ حَقَّ الزوجِ على زوجتِه.



١- يقول ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يُسْجُدَ لأَحدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها**»[١].



٢- ويقول ﷺ: «**حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ بِهِ قَرحَةٌ فلَحَسَتْهَا**[٢] **مَا أَدَّتْ حَقَّه**»[٣].

٣- ويقول ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ الله، لأَمَرْتُ المَرأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها، والّذي نَفْسُ مُحَمّد بِيَدِهِ، لاَ تُؤَدِّي المَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا، حَتّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِها كُلّه، حَتّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَها وهِيَ عَلَى قَتَبٍ**[٤] **لَمْ تَمْنَعْه**»[٥].

(١) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥٢)، وأحمد (٤/ ٣٨١)، والحاكم (٤/ ١٩٠)، والدارمي (١٤٦٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٤٠)].

(٢) أي: بلسانها غير متقذرة لذلك، «فيض القدير» (٣/ ٥٠١).

(٣) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٨٣)، وابن حبان (٤١٥٢)، والحاكم (٢/ ٢٠٥)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٤٧٦)، [«صحيح الجامع» (٣١٤٨)].

(٤) قتب: مكان تجلس عليه المرأة للولادة.

(٥) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٠١)، وابن حبان (٤١٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٠٠)، [«صحيح الجامع» (٥٢٩٥)].

٤- ويقولُ ﷺ: «ألاَ أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ؟ النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، والصِّدِّيقُ في الجَنّةِ، والشّهيدُ في الجَنّةِ، والمَوْلُودُ في الجَنّةِ، والرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ في نَاحِيةِ المَصْرِ لاَ يَزُورُهُ إلاَّ للهِ عَزّ وجلّ، ونِسَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ: الوَدُودَ الوَلُودَ العؤودُ على زَوْجِهَا؛ التي إِذَا غَضِبَ جَاءَتْ حَتّى تَضَعَ يَدَهَا فِي يَدِ زَوْجِهَا وتقولُ: لا أَذُوقُ غَمْضًا حَتّى تَرْضى»(١).

٥- ويقول ﷺ: «لاَ يَنْظُر اللهُ إِلَى امرَأَةٍ لاَ تَشْكُرُ لِزَوْجِها، وَهِيَ لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ»(٢).

٦- ويقول ﷺ: «إِذا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَها، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وحَصَّنَتْ فَرْجَها، وَأَطَاعتْ زَوْجَها، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنّةِ شِئْتِ»(٣).

٧- ويقول ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ تُجاوِزُ صَلاَتُهُم آذانَهُمْ: العَبْدُ الآبِقُ حَتّى يَرْجِع، وامرَأَةٌ باتَتْ وَزَوْجُها عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ»(٤).




٨- ويقول ﷺ: «إِذَا بَاتتْ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِها، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِح»(٥).

٩- ويقول ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَها الطّلاَقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنّةِ»(٦).

---

(١) **حسن**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٧٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٠)، وفي «الأوسط» (٥٦٤٨)، [«الصحيحة» (٢٨٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٥٤)، والحاكم (٢/ ٢٠٧)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٤٨٠)، والبزار «كشف الأستار» (١٤٦٠)، [«الصحيحة» (٢٨٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه وأحمد (١/ ١٩١)، ابن حبان (٤١٥١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٥٩٨)، [«صحيح الجامع» (٦٦٠)].

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٦٠)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ١٨٣)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٤)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٤٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٨٧)].

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦) واللفظ لمسلم.

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، والدارمي (٢٣١٦)، [«غاية المرام» (٢٦٣)].

إنها أدلةٌ كثيرةٌ جداً تُظهرُ وتبينُ عِظَم حَقِّ الزوجِ على زوجتِه، والمرأةُ المسلمة -التي أدى زوجُها حَقَّها- تعرفُ حَقَّ زوجها وتؤدي له حقَّه، وتعرفُ له قَدْرَه فتحبُّه وتقومُ على خدمتِه طاعةً لله، فإذا ماتَ هذا الزوجُ فلابدَّ أن تتألَمَ الزوجةُ المسلمةُ لموته، وتحزنَ لفراقه، فما عليها إلا أن تستعينَ باللهِ وتصبرَ لله، وعليها أن تحتسبَ أجرَها عندَ الله، وأن ترضى بقضاءِ الله وقَدَره ولا ننسى أن تقولَ -كما أمرَها الله-: (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أَجُرني في مصيبتي، وأَخلِفْ لي خيراً منها).

ومِنَ النساءِ المؤمناتِ اللاتي صَبَرْنَ على موتِ الأزواجِ واحتَسبْنَ: أمُّ سلمةَ رضي الله عنها، فتعالَوا بنا نستمعُ ونتذَّكرُ خبرَ أمِّ سلمةَ رضي الله عنها عند وفاةِ زوجِها؛ فلقد ضربَت للنساءِ مثلاً أعلى في الصبرِ على موتِ الأزواج:

وكانت أمُّ سلمةَ رضي الله عنها تحبُّ زوجَها حباً عظيماً، وتعرفُ حقَّه وقَدْره، يظهرُ ذلك من قولِها بعدَ موته: (أيُّ المسلمين خيرٌ مِنْ أبي سلمة؟)[١]، وفي هذا استعظامٌ منها لشأنِ زوجِها، وتعجُّبٌ واستبعادٌ منها أن يكونَ لها خلفٌ خيرٌ منه!

تقول أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: (لما ماتَ أبو سلمةَ قلتُ: غريبٌ وفي أرضِ غُرْبة -أي: أنه من أهلِ مكَة وماتَ بالمدينةِ- لَأَبْكِيَنَّهُ بكاءً يُتَحَدَّثُ عنه)[٢].

لقد كانَتْ هذه المرأةُ تحبُّ زوجَها حباً عظيماً فلما ماتَ حزنت عليه، وها هي تقولُ عنه: غريبٌ، والغريبُ في بلدِ الغربةِ يُتأَلَّم لموتِه.

قالت: (فكنتُ قد تهيأتُ للبكاءِ عليه، إذ أقبلَتِ امرأةٌ منَ الصعيدِ -أي: من عوالي المدينة- تريدُ أن تُسْعِدَني -أي: تساعدَني- في البكاءِ فاستقبَلَها رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**أَتُرِيدَين أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتاً أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْهُ؟**» -مرتين- فكففتُ

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١٨).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٢).




عن البكاء، فلمْ أبكِ[١].

وتقولُ رضي الله عنها: (لما ماتَ أبو سلمَة أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! إن أبا سلمةَ قد ماتَ، قال ﷺ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ولَهُ، وأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنة**»[٢].

فقالت كما أمَرها ﷺ.

وتقولُ رضي الله عنها: (دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ على أبي سلمةَ وقد شَقَّ بَصَرُهُ، -أي: شَخَصَ، والإنسانُ إذا ماتَ شَخَصَ بَصَرُهُ، ولذلك من السنةِ إغماضُ العينين -فأغمضَه. ثم قالَ ﷺ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**» -أي: إذا خرجَ الروحُ من الجسدِ يتبعُه البصرُ ناظراً أينَ يذهبُ-.

فضجَّ ناسٌ من أهله فقالَ ﷺ: «**لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم إلاَّ بَخَيْر؛ فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلى مَا تَقُولُونَ** ثم قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، واخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، واغفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ونَوِّر لَهُ فيه**»[٣].

وماتَ أبو سلمةَ وحزنَتْ أمُّ سلمةَ لفراقهِ حزناً شديداً، لكنها صبَرَت واحتسَبَتْ واسترجَعَتْ ورضيتْ بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، فَجَنَتْ ثمارَ صبرِها في الدنيا قبلَ الآخرة.

هاهي أمُّ سلمةَ تخبرُنا خبرَ ما حدثَ معها، وتذكُرُ لنا بعضاً من نتائجِ الصبرِ في الدنيا قبل الآخرة.

تقول رضي الله عنها: (سمعتُ ر سولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصيبُهُ مُصِيبةٌ**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٠).

فَيقولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إنّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُون، اللَّهُمَّ أجُرْني في مُصِيبَتِي واخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إلاّ أخْلَفَ اللهُ له خَيْرًا مِنْهَا».

قالت رضي الله عنها: فلما ماتَ أبو سلمةَ قلتُ: أيُّ المسلمينَ خيرٌ من أبي سلمةَ؟ أولُ بيتٍ هاجرَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم).

ولم يخطرْ ببالها يوماً ما أنها ستكونُ زوجةً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم!

تقول رضي الله عنها: (ثم إني قُلتُها، فأخلَفَ اللهُ لي رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم)- إنه الإيمانُ يظهرُ في هذهِ المواقفِ، الذي كانَ دافعاً لها أن تصبرَ وتسترجعَ وتدعو، فأخلفَ اللهُ عليها خيراً من أبي سلمةَ؛ نعم! لقد أخلفَها رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

وتقولُ رضي الله عنها: أرسلَ إليَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَاطِبَ بنَ أبي بَلتَعَةَ يخطِبُني له، فقلتُ: إنَّ لي بنتاً وأنا غيور.

فقال صلى الله عليه وسلم: «**أمَّا ابْنَتُها فنَدْعُو اللهَ أن يُغنيَها عَنْها، وأدعُو اللهَ أن يَذْهَبَ بالغَيْرَة**»[1].

فأغنى اللهُ ابنتَها عنها، وأذهبَ اللهُ غيرتَها، وتزوجَتْ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأصبحَتْ من أمهاتِ المؤمنينَ زوجةً لرسولنا صلى الله عليه وسلم في الدنيا وفي جناتِ النعيم.

ومن الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ العجيب؛

أولاً: يجبُ على المرأة إذا ماتَ زوجُها أن تصبرَ وتحتسبَ وترضى بقضاءِ الله وقدَره، وتقول كما قالَتْ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها وكما عَلَّمها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إنّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجُرْني في مُصِيبَتِي، واخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْها**».

فإن فعلَتْ ذلك أخلفَ اللهُ لها في الدنيا خيراً من زوجِها، وأما في الآخرةِ فإنَّ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١٨).

لها الأجرَ العظيمَ الذي أُعِدَّ للصابرين والصابرات.

يقول اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة]

ثانياً: على المرأةِ المسلمة إذا ماتَ زوجُها أن تبتعدَ عن المخالفاتِ الشرعيةِ من نياحةٍ، وضربٍ للخدودِ، وشقٍّ للجيوبِ، أو أن تدعوَ بدعوى الجاهلية، فإنَّ ذلكَ حرام.

ثالثاً: يجوزُ للمرأة إذا ماتَ زوجُها، وانتهت عدّتها أن تتزوجَ، ولا يجبُ عليها الامتناعُ عن الزواج بحجةِ أنها تريدُ تربيةَ أولادِها؛ فإنَّ المرأة -عادةً- لا تستغني عن الزوجِ، ولقد بيَّنَ لنا اللهُ عز وجل أنَّ المرأةَ لا تسكُنُ أبداً إلا في ظلِّ زوجها، وأن الزوجَ لا يسكُن أبداً إلا في ظلِّ زوجته، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

فإلى كُلِّ امرأةٍ تمتنعُ منَ الزواجِ بعدَ وفاةِ زوجِها بحجةِ أولادِها -وهي في داخلِها تتمنى أن تتزوجَ في كُلِّ لحظة- لكنها تخافُ من كلام الناسِ نقولُ لها: هذه أمُّ سلمةَ قالت لرسولِ الله ﷺ: إنَّ لي بنتاً وأنا امرأةٌ غيورٌ، ومعَ ذلك تزوجَتْ وعاشتْ مع زوجِها، فالزواجُ للمرأةِ بعدَ أن يموتَ زوجُها مما أباحَه اللهُ وهو مِنْ شرعِ اللهِ، وليس بحرامٍ أبداً كما يظُنُّ كثيرٌ من النساءِ.

فعلى المرأةِ أن تتقيَ اللهَ في نفسها، وعلى وليِّها أن يتقيَ اللهَ فيها، فإذا مات

زوجُها وانتهت عدتُها ثم عُرِضَ عليها الزواجُ بآخرَ، وجاءَها من يَخْطِبها فلا ترفضْ ذلكَ.

اللهمَّ استر على نسائنا ونساء المسلمين.





١١

موقفٌ في الصبرِ على فتنةِ الدنيا
(قارونُ والذينَ أوتوا العلم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر:

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الموقف الحادي عشر من المواقف الإيمانية.. أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقف إيمانيٌّ في الصبرِ على فتنةِ الدنيا.

والدنيا فتنةٌ افْتُتِنَ بها كثيرٌ من الناسِ فهلَكوا.

الدنيا غرارةٌ اغتر بها كثيرٌ من الناسِ فندموا.

الدنيا دنيئةٌ زائلةٌ لا تدومُ لأحدٍ، لكن كثيراً منَ الناسِ لم يفقهوا ذلك فيعتبروا!

ابنَ آدم!

لا شيءَ مما تَـرى تبقى بشاشتُهُ ... يبقَى الإلهُ ويَفْنَى المالُ والولدُ
لم تُغْن عـنْ هرمزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قدْ حاولتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذْ تجـري الـريـاحُ لهُ ... والإنـسُ والجـنُّ فيما بينَهَا تردُ
أيـنَ المـلـوكُ التي كانت لعزتِهَا ... منْ كلِّ أَوْبٍ إليها وافِـدٌ يَفِدُ
حـوضٌ هنالك مـورودٌ بلا كذبٍ ... لا بد من ورِده يوماً كما وردوا

لما كانتِ الدنيا فتنةً عظيمةً سُرعانَ ما يُفتتنُ بها الكثيرون؛ حَذَّرَ ربُّنا جل وعلا عبادَه في كتابه من فتنةِ الدنيا وَعواقِبها.

فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾ [فاطر]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾ [لقمان]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ ﴾ [يونس]

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾ [هود]

ولزجرِ النفوسِ وتهذيبِها، ولدفعِ أطماعِ القلوبِ وميولِها أو ركونها إلى الدنيا، وصفَ لنا ربُّنا عز وجل حقيقةَ هذه الدنيا فهو سبحانه الذي خلَقها: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ [الملك].

فقال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ [الحديد]

الدنيا فتنةٌ، الدنيا غرورة، افتُتنَ بها الكثيرُ، ولذلك حَذَّرَ رسولُنا ﷺ أمته من فتنةِ الدنيا وغرورِها.

قال ﷺ يوماً لأصحابه: «**فَواللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكنّي أخْشَى أنْ تُبسطَ عَلَيْكُم الدُّنْيا كَما بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فتَنَافَسُوهَا كَما تنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكمْ كَما أَهْلَكَتْهُم**»(١).

وقال ﷺ لأصحابه: «**بَادِرُوا بِالأَعْمالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم، يُصْبِحُ الرَّجُل مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنِّي مِمّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحَ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**»(٣).

وقال ﷺ: «**إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلون، فاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتّقُوا النّساء**»(٤).

ويقول ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَة، وَمَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمّهُ جعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وفَرّقَ عَلَيْه شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا قُدِّرَ لَه**»(٥).

وقال ﷺ لأصحابه: «**مَالِي وللدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وتَرَكَهَا**»(٦).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٨).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، والدارمي (٢٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢١٣)، [«صحيح الجامع» (٦٥١٠)].

(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١)، والحاكم (٤/ ٣٤٥)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦٨)].

ويقول ﷺ: «**الدُّنْيا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيها، إلاَّ ذِكرَ اللهِ ومَا وَالاهُ، وعَالِمًا وَمُتَعَلِّما**»[١].

ويقول ﷺ لابن عمر يوماً: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» وَكَان ابنُ عمرَ رضي الله عنه يقول: (إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[٢].

يا منِ انشغلتمْ بالدنيا! يا من تركتمُ الصلاةَ من أجلِ الدنيا! هل فهمتم حقيقةَ الدنيا وتفاهَتَها يا من أكلتمُ الربا من أجل الحصولِ على حطام من الدنيا! هل تُعيدُكم هذه الكلماتُ من النبيِّ ﷺ إلى رُشْدكم، يا من تركتمْ بيوتَ اللهِ عز وجل من أجل الدنيا الفانيةِ الملعونةِ باستثناءِ ما استثنى رسولُ اللهِ ﷺ من اللعنِ فيها مِنْ ذكرِ اللهِ وما والاه وعالماً ومتعلماً!

وبعدَ أن حَذَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ أمتَه من فتنةِ الدنيا مثلَّها لهم، وَبَيَّنَ حقيقتَها لهم فعن جابر بن عبدِالله رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بالسوق، داخلاً من بعضِ العاليةِ، والناسُ كَنَفَتَهُ[٣]، فمرَّ بجَدي أَسَكَّ[٤] ميتٍ، فتناوله فأخذ بأُذُنه، ثم قال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَم؟**» فقالوا: ما نحبُّ أنه لنا بشيء، وما نصنعُ به؟ قال: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قالوا: واللهِ لو كان حيّاً كان عَيبًا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت! فقال: «**فواللهِ! لَلدنيا أهونُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيكُم**»[٥].

هذه هي قيمةُ الدنيا الحقيقيةُ!



(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٤)].

(٢) **كَنَفَتَهُ**: جانبه.

(٣) **أسك**: أي صغير الأذنين.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٥٧).



فتعالَوا بنا يا إخوةَ الإسلام لنتعلمَ الصبرَ على فتنةِ الدنيا، وعلى زينتِها من أهلِ العلم والإيمانِ الذين لم تفتنْهُمُ الدنيا بل قالوا للناسِ ناصحين: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص:٨٠].

وجاء في كتابِ اللهِ تعالى خبرُ قارونَ الذي كان من قومِ موسى، الذي افْتُتنَ بالدنيا فبغى وطغى وتجبر، وسعى في الأرض فساداً، وفرِحَ في الأرض بغيرِ الحقِّ، ولم يتقربْ بماله إلى اللهِ بل تقربَ بماله إلى الشيطانِ وإلى النارِ.

فجاءَهُ أهلُ العلمِ من قومِه ونصحوهُ وقالوا له: يا قارونُ! لا تفرحْ بالمالِ فإنه لا يدومُ لك، ولن تدومَ معه، ولو دام لغيرِك ما وصلَ إليك، يا قارونُ! لا تفرحْ إنَّ اللهَ لا يحبُّ الفَرِحين!

وقالوا له: ابتغِ بهذا المالِ الدارَ الآخرةَ، ولا تنسَ نصيبَك من الدنيا، وأحسنْ كما أحسنَ اللهُ إليك، ولا تبغِ الفسادَ في الأرض، ولكنه لم يستجبْ لنصيحةِ الناصحين المشفقينَ، وأصرَّ على بَغيه وطُغيانه ومعصيته، حالُه حالُ الكثيرينَ من أغنياءِ الدنيا إلا مَن رحم ربي.




قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

-ما السببُ الذي غيَّرَه وجعلَه يبغي ويتكبرُ ويعصي؟ إنه المالُ، إنها الدنيا التي افتتن بها-

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص].

والفرحُ هنا هو الفرحُ بغيرِ حَقٍّ، والمسلمُ له أنْ يفرحَ في هذه الدنيا، ولكنَّ فرحَهُ يكونُ بإيمانه وبعقيدته الصحيحة، ويفرحُ مثلاً بما آتاهُ اللهُ من القرآنِ

الكريمِ، قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس].

أما الجاهلُ الذي يعصي اللهَ في ليلةِ عرسِ ولدِه -مثلاً- فإذا قلتَ له: اتقِ الله، فَسُرْعانَ ما يقول لك: نريدُ أن نفرحَ!

المصيبةُ والاعتراضُ ليسَ على الفرح مطلقاً، إنما المصيبةُ أنَّ القلوبَ المريضَة لا تفرحُ إلا بمعصيةِ الله! قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ۝٧٥﴾ [غافر]

ثم قال تعالى مُخبرا عما نصحَ به قارونَ قومُه وما قالوه له: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص].

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾

أي: تقربْ يا قارونُ بمالِكَ إلى رضا اللهِ والجنة.

أيها الغنيُّ! إنما أعطاكَ الله المالَ لتتقربَ به إليه، لتساهِمَ في مشاريعِ الخيرِ، لتقولَ به هكذا وهكذا في سبيلِ الله، والله غنيٌّ كريمٌ كلما أنفقَ الإنسانُ من مالِه أمدَّه اللهُ وأعطاه: قال ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَك وتَعَالَى: يا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[1].

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾

أي: تمتعْ بما أحَلَّ اللهُ، فلا أحدَ يحرّمُ عليك أن تتمتعَ بما أحلَّ الله، ولكن لا تتمتعْ بمعصيةِ الله! فهذا لا يحلُّ لك.

ولا تنسَ، أي: يا قارونُ لا تنسَ الكفنَ، ولا تنسَ أيها الغنيُّ الكفنَ فهو

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) واللفظ لمسلم.




نصيبُك من الدنيا، إنك لن تأخذَ معَك إلا قطعةً من القماشِ الأبيضِ تُلَفُّ بها ثم توضعُ في قبرِكَ.

يقول ﷺ: «**يَتْبَعُ المَيّتَ ثَلاثَةٌ: فَيَرْجِعُ اثْنَانَ، ويَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أهْلُهُ ومَالُهُ وعَملُه، فيَرجعُ أَهْلُهُ ومَالُهُ ويبْقَى عَمَلُهُ**»(١).

يرجعُ المالُ والأهلُ ويبقى معك العملُ؛ إن كان صالحاً أُكْرِمْتَ، وإن كانَ غيرَ ذلك عُذِّبتَ وأُهِنْتَ.

وقالوا له: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

فما كانَ من قارونَ بعدَ كُلِّ هذه النصائح إلا أن قال: -كما يقولُ بعضُ الناس- إنَّ هذا المالَ الذي أمتلكه إنما حصَّلْتُهُ مِن تجارتي، وعملي، وعرقي، قاتلَكَ اللهُ أيها الإنسانُ ما أكفرَكَ! سُرعانَ ما أنكرَ فضلَ اللهِ عليه ونسبَ الخيرَ لنفسه والعياذُ باللهِ- يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

وفي يوم منَ الأيامِ خرجَ قارونُ إلى الناسِ في زينته، فانخلعتْ قلوبُ أهلِ الدنيا لَـمَّا رأَوُا الدنيا، وسالَ لعابُهم؛ فهم لا همَّ لهم إلا الدنيا، ينامون على حُبِّها، ويستيقظونَ على حبِّها، يُوالون من أجلِها ويُعادون من أجلها!

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص].

انظروا إلى الدنيا ماذا تفعلُ بأصحابِها، افْتُتنوا بالدنيا، الميزانُ عندهُمْ يا

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠) واللفظ لمسلم.





عبادَ الله فاسدٌ؛ يَزِنُونَ الناسَ بما عندهم من مال! ألَمْ تر أنهم قالوا عن قارونَ: إنه ذو حظٍّ عظيم؟!

أما أهلُ الإيمانِ والعلم الذين ابتَغَوْا به وجهَ الله قال تعالى لسانهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص].

ويلكُمْ يا من تركتمُ الصلاة! منشغلين بالدنيا وزينتِها، ويلَكُم يا مَنْ أكلتُم الربا، وتَجْهدونَ حتى ولو بالحرامِ للحصولِ على توافِه الدنيا، كيف نسيتُمْ أنَّ ثوابَ اللهِ خيرٌ لكم مما تجمعون!

ويلكم يا من رَضيتم لنسائكم بالتبرج، ثوابُ اللهِ خيرٌ!

ويلكم يا من ملأتُم بيوتَكم بآلاتِ الفسادِ! ثوابُ اللهِ خيرٌ! فالله عنده جنْةٌ عَرضُها السمواتُ والأرضُ.

وها هي الدنيا سُرعان ما تزولُ كما وصفَها ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

يقول الله عز وجل واصفا هول ما وقع لقارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ فهو يتجلجلُ فيها إلى يومِ القيامةِ ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ ومن ذا الذي يستطيعُ أن ينصرَه إذا نزل به بأسُ الله؟ ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ ﴾ -الذين أرادوا الدنيا وافتُتنوا بها- ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص]، الله يبسطُ الدنيا ويَقْدِرُ، يُغني هذا ويُفقرُ ذاك.

ويُعلَمُ من هذا أن الغنى ليس دليلاً على محبةِ اللهِ للعبدِ أبداً، وأنَّ الفقرَ لا يدلُّ




على غضبِ اللهِ عز وجل على عبده أبداً. فهذا بَيِّنٌ في رسولِ اللهِ لما ماتَ لم يتركْ ديناراً ولا درهماً، ماتَ ودرعُه مرهونةٌ عندَ يهوديٍّ، أفلا يكفي هذا على أن الغنى والفقرَ ليسَ دليلاً على محبةِ الله وغضبِه على عبادِهِ!!

إنما الغنى ابتلاءٌ منَ الله، والفقرُ ابتلاءٌ منَ الله أيضاً، فمن شكرَ في الغنى فهو نِعْمَ العبدُ، ومن صبرَ على الفقر فهو نعمَ العبدُ، فكم منَ الأغنياءِ قد فُتنَ بماله وعصى اللهَ تبارك وتعالى! وكم من الفقراءِ لم يصبرْ على الفقرِ فأَكَلَ الربا ووقع في الحرامِ فخسرَ الدنيا والآخرة!

وكان مما قالَهُ الذين تمنّوا مكان قارون: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص]، وهذا كان في قارونَ عبرةٌ لمن يعتبرُ، وتذكرةٌ تنفعُ من آمنَ وعملَ صالحاً.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تُؤخَذُ منْ هذا الموقفِ:

أولاً: العاقلُ من اتعظَ بغيرِه.

فهذا قارونُ أعطاهُ الله مالاً فبغى وعصى وتكبر، وفرحَ بماله بغيرِ الحقِّ، فعاقَبه اللهُ تباركَ وتعالى وَحَرَمَهُ منْ هذا المالِ، وخسفَ به وبدارِه الأرضَ، واللهُ عز وجل للعصاةِ بالمرصادِ، إنه سبحانه وتعالى بالمرصادِ لِكُلِّ مَنْ أغناهُمُ اللهُ وينفقونَ أموالهم في معصيةِ الله تبارك وتعالى.

واللهُ تبارك وتعالى من سنتِه أنَّ منْ شكره زادَه، ومن كفرَ حرَمَهُ المالَ وعذّبه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم]

فيا أيها الغنيُّ! إذا منَّ اللهُ عليكَ بالمالِ فقل به هكذا وهكذا في سبيلِ الله،




وادَّخِرْه لنفسِك عندَ الله تجدْ أجرَه في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون.

وإياكَ أن تُفْسِدَ بمالك في الأرضِ بالمعاصي، فالله عز وجل يُملي للظالم حتى إذا أخذَه لم يُفْلِتْه، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود]

ولعل كلاً منا رأى في هذه الدنيا بأمِّ عينِه مَنْ كان غنياً يقولُ بالمالِ هكذا وهكذا لكن في معصيةِ الله، فَسُرْعانَ ما حَرَمَهُ الله تبارك وتعالى ذلكَ المالَ حتى أصبحَ الواحدُ منهم يمدُّ يدَه يسألُ الناسَ شيئاً من أموالِهم، فهل من معتبرٍ؟!

ثانياً: الجاهلُ إذا نظرَ إلى ما عندَ أهْلِ الدنيا من زخارفَ افْتُتِنَ.

فأهلُ الجهلِ مِنْ قومِ قارونَ الذين كانوا لا يتطلعونَ ولا يريدونَ إلا الحياةَ الدنيا عندما نظروا إلى قارونَ وهو في زينتِه افتُتنوا بدنياه وقالوا: يا ليتَ لنا مثلَ ما أوتي قارونُ إنه لذو حَظٍّ عظيم.



فيا أيها المسلمُ الفقيرُ! إياكَ إياكَ أن تنظرَ إلى مَنْ هو فوقَك من أهلِ الدنيا فتزدريَ نعمةَ الله عليك، وانظرْ إلى مَنْ هو دونَك من أهلِ الدنيا ترضَ بما أوتيتَ وتحمدِ اللهَ على نِعمه، قال ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**»[(١)].

ثم يا عبادَ الله! إن التنافسَ النافعَ إنما يكونُ في ابتغاءِ الآخرةِ، فلينظرْ كُلٌّ منا إلى مَن هوَ فوقَه، وإلى مَنْ سبقَه في أمورِ الآخرةِ، وليتنافسْ معه، ومنَ المحمودِ هنا والمطلوبِ ألا يرضى العبدُ بالنقصِ لنفسِه، وأن يسعى لرفع وإزالةِ فقرِه من الأعمالِ الصالحةِ التي سبقهُ إليها الكثيرونَ؛ فالتنافسُ في أمورِ الآخرةِ مشروعٌ، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٦٣).



ثالثاً: العلمُ ينفعُ أصحابَه في الدنيا والآخرة.

فانظروا عبادَ الله إلى العلم ماذا فعلَ بأصحابِه عندما افتُتنَ أهلُ الجهلِ بدنيا قارونَ، لقد قالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

فلم يَغْتَرُّوا بدنيا قارونَ لأنهم يعلمونَ أنها لا محالةَ زائلةٌ، ولم يَحْسدوه ويتمنَّوْا أن كانوا مكانه، لأنهم يعلمونَ أنَّ المالَ إن لم يستغلَّه صاحبُه في طاعةِ الله فهو وبالٌ وشؤمٌ على صاحبِه، بل وسببٌ إلى هلاكِه في الدنيا والآخرة، وهكذا فالعلمُ يا عبادَ الله -علمُ الكتاب والسنة-، ينفعُ العبدَ في الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا: تستطيعُ بالعلم أنْ تميزَ بينَ الشركِ والتوحيدِ، وبين الكفرِ والإيمانِ، وبينَ السنةِ والبدعةِ، وبينَ الحلالِ والحرامِ، فتسلكَ سبلَ النجاةِ وتتوقى وتحذرَ سُبلَ الهلاكِ.

في الآخرة: يرفعُ اللهُ تباركَ وتعالى الذين أوتوا العلمَ درجاتٍ.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

فيا عبادَ الله! سارِعوا إلى دروسِ العلمِ، فإذا جلستَ في درسٍ من دروسِ العلمِ استفدْتَ واللهِ، فإنْ قالَ اللهُ عز وجل لمن في المجلسِ: قوموا مغفوراً لكم أصابَك ذلكَ معهم، وإذا جلسْتَ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ نزلَتْ عليكَ السكينةُ، وغشيتْكَ الرحمةُ، وحفتكَ الملائكةُ، وذكَركَ اللهُ في الملأ الأعلى.

فيا عبادَ الله! الجلوسُ في بيوتِ اللهِ ودروسِ العلمِ أفضلُ وأبقى أمِ الجلوسُ أمامَ المفسديون والنظرُ إلى الكاسياتِ العارياتِ؟

تعلموا يا عبادَ الله! فالعلمُ فريضةٌ على كُلِّ مسلمٍ.

فيا أمةَ الإسلام، المساجدُ تشتكي قلةَ المصلين، يا دعاةَ الإسلامِ! عَلِّموا الناسَ. ويا أمةَ الإسلام! تعلَّموا حتى إذا أخذَتِ الدنيا زينتَها لم تَفْتَتِنوا بها، كما لم يفتتنْ بها أولو العلم، عندما خرجَ قارونُ في زينتِه.

اللهمَّ ارزقنا علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً مُتقَبَّلاً.




١٢

موقفٌ في الصبرِ على فتنة المال
(ثلاثةٌ مِنْ بنَي إسرائيل)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ الثاني عشر من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟ **هو موقِفٌ إيمانيٌّ في الصبرِ على فتنةِ المالِ.**

فالمالُ فتنةٌ عظيمةٌ افتتنَ بها كثيرٌ منَ الناسِ.

فكمْ منَ الناسِ افتتُنَ بالمالِ فأكَلَ الربا؟!

وكم من الناسِ افتتُنَ بالمالِ فترَكَ الصلاةَ؟!

وكم من الناس افتتُن بالمال فجارَ في وصيتِه فأعطى الأولادَ وحَرَمَ البناتِ؟!

وكم من الناس افتُتن بالمال فتكبرَ في الأرضِ بغير الحق؟!

وكم من الناسِ افتُتن بالمالِ فبغى في الأرضِ على عبادِ الله؟!

واللهُ تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

ويقول النبيُّ ﷺ: **«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وفِتْنَةُ أُمَّتِي المَال»**(١).

ألا تعلمونَ يا عبادَ الله أنَّ هذا المالَ الذي هو في أيدينا إنما هو مالُ الله، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣].

وجعلَ اللهُ سبحانه وتعالى المالَ الذي في أيدينا زينةً لهذه الحياةِ الدنيا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٥)، وابن حبان (٣٢١٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٣)].

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران]

وركَّبَ سبحانه وتعالى في الإنسانِ حُبَّ المالِ، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر].

وقال تعالى في وصفِ الإنسانِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات].

أي: إنه لحبِّ المال لشديدٌ.

والله عز وجل ابتلى الناسَ في هذه الدنيا بالمال.

فمنهم من ابتلاهُ اللهُ تبارَك وتعالى بالغنى -أي: بكثرةِ المال- فهَلْ يشكرُ ويستثمرُ مالَه فيما يقربُه إلى اللهِ؟!

ومنهم من ابتلاهُ اللهُ تبارك وتعالى بالفقرِ -أي: بقلةِ المال- فهل يصبرُ ويرضى بقضاءِ الله وقدرِه؟ فإنَّ هذه الدنيا إنما هي دارُ ابتلاءٍ وامتحانٍ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٨٦]

ومع ذلك حَذَّر ربُّنا جلَّ وعلا عبادَه من فتنةِ المالِ عامةً.




وحذَّرهم أن يفتتنوا بالمالِ عنِ الصلاةِ، وعن عبادةِ اللهِ، وذكرِ الله خاصةً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

ومعَ ذلك فإنَّ كثيراً منَ الناسِ افتُتن بالمال افتتاناً عظيماً، ولقد أَخبرَنا ربُّنا جلَّ وعلا عن بعضٍ من أولئكَ المفتونين:

فمنهم من قالَ لصاحبه الفقير وهو يحاوره: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾ [الكهف]

وآخَرُ قالَ لقومه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨]

ومنهم مَن قالوا: ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ]

وهذا النبي ﷺ الرحيمُ الرؤوفُ بأمتِه يُحَذِّرُ منْ فتنةِ المالِ تحذيراً شديداً:




١- عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنه كان يعطي الناسَ عطاءَهم فجاءهُ رجل فأعطاه ألفَ درهم، ثم قال: خُذْها، فإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّما أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُم الدينَارُ وَالدّرهمُ، وهُمَا مُهْلِكاكم**»[1].

وكمْ من الناسِ -إلا مَنْ رحمَ ربي- هلكَ بسببِ حرصِه على جمعِ المالِ فتركَ الصلاةَ! وجعلَ دينَ الله وراءَ ظهره، وباع آخرتَه بِعَرَضٍ من الدنيا قليلٍ زائلٍ، ولعلنا رأينا وسمعنا عن كثير -ممن ينتسبُ إلى الإسلامِ- ممن سافرَ من أجلِ المالِ إلى بلادِ الكفر، وعاشَ عندهم وتجنَّسَ بجنسيتهم، وسكنَ عندهم، وباعَ نفسَه ودينَه وعِرْضَهُ وشرَفَه مقابلَ جمعِ المالِ! فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوةَ إلا بالله.

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه البزار «البحر الزخار» (١٦١٢)، وابن أبي شيبة (٨/ ٢٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٩٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٨)].

٢- ويقول ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ، بِأَفْسدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ»(١).

يخبرُ النبيُّ ﷺ أنَّ الإنسانَ إذا كانَ في الدنيا حريصاً على جمعِ المالِ، وعلى الشرفِ أي: المنصبِ والعلوِّ في هذه الدنيا، فإنَّ ذلك قد يكونُ على حسابِ دينِه فيضرُّ دينَه، ويفسدُه كما يفسِدُ الذئبان الجائعان إذا أُرسلا في الغنم.

٣- ويقول ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، وعَبْدُ الدِّرْهَم، وعَبْدُ الخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخط، تَعِسَ وانْتَكس وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشْ»(٢).

٤- ويقولُ ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ»(٣).

٥- وقرأ ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ ثم قال ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»(٤).

٦- وقال ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ!» قلتُ: لبيك يا رسول الله! قال: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُد هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينارٌ، إِلاَّ شَيْئاً أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وهَكَذَا وهَكَذا، عن يَمِينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ ومِنْ خَلْفِهِ».



(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦)، والدارمي (٢٧٧٢)، وابن حبان (٣٢١٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧١٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٤٠)، وأبو يعلى (٧٤٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٥٨).



ثم مشى قال: «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ مَن قَالَ هَكَذَا وهكذا وهكذا عَنْ يَمينِهِ، وعَنْ شِمَالِهِ ومِنْ خَلْفِهِ وقَلِيلٌ مَا هُمْ**»(١).

وفي رواية أخرى:

قال أبو ذر رضي الله عنه: انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وهو جالسٌ في ظِلِّ الكعبة، فلما رآني قال: «**هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ**». قال -أبو ذر رضي الله عنه-: فجئتُ حتى جلسْتُ فلم أتقارَّ -أي لم ألبثْ- أن قمتُ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ فِداكَ أبي وأمي، مَنْ هم؟ قال: «**هُمُ الأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً، إِلاَّ مَنْ قالَ هَكَذَا وهَكَذَا وهكذا -مِنْ بيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وعَنْ يَمينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ- وقَلِيلٌ مَا هُم**»(٢).

والمالُ فتنةٌ عظيمةٌ افتُتن به الكثيرُ منَ الناسِ.

ضاعتِ الأعراضُ منْ أجلِ المالِ، ظُلْمٌ وبَغْيٌ من أجلِ المالِ، قتلٌ وفوضى من أجلِ المالِ، يبيعُ الإنسانُ دينَه بعَرَضٍ من الدنيا قليلٍ.

فتعالَوا بنا عبادَ الله لنتعلمَ الصبرَ على فتنةِ المالِ منْ هذا الرجلِ الأعمى الذي أخبرَنا عنه النبيُّ ﷺ فقد امتُحِنَ وابتُلِيَ بالمالِ ولكنه صبرَ وعلِمَ أن ما به من نعمةٍ فَمِنَ الله وحدَه، فزادتِ النعمةُ وبقيتْ ونجحَ في الامتحانِ.

يقول ﷺ: «إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائيلَ: أَبْرصَ، وأَقْرَعَ، وأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قال: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حسَنًا.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٤٤٤)، ومسلم (٩٤) مختصراً.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٦٣٨)، ومسلم (٩٩٠) واللفظ لمسلم.

قالَ: فأيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبلُ أو قَالَ: البَقَرُ -شَكَّ الرَّاوِي- إلاّ أن الأبرصَ أو الأقرعَ قال أحدُهما: الإبلُ، وقال الآخرُ: البقرُ فأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ[١] فقالَ: بَاركَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ فقالَ: أيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ.

قَال: فَمَسحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، قال: وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا.

قالَ: فأيُّ المالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: البَقَرُ: فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، قَالَ: بَارَكَ اللهُ تَعالَى لَكَ فِيهَا.

قالَ: فَأَتَى الأعْمَى فَقالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إليكَ؟

قالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إليَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قالَ: فأيُّ المالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟

قالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا.

فأَنْتَجَ هذانِ وَوَلَّدَ هَذَا[٢].

قالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمْ. -امتلكوا الأموالَ وأصبحوا منَ الأغنياءِ وعادتْ إليهم صحتُهم وعافيتُهم، فماذا جرى بعد ذلك؟-

قالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ[٣] فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ -ليتذكرَ الماضيَ والفقرَ-

(١) هي الحامل القريبة الولادة.

(٢) وولّد هذا: بتشديد اللام بمعنى أنتج، والناتج للإبل، والمولد للغنم وغيرها كالقابلة للنساء.

(٣) أطلق عليه الأبرص باعتبار ما كان وكذا الأقرع والأعمى.



فقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ[١] فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ اليَوْمَ إلاَّ باللهِ ثُمَّ بِكَ.

أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَن، وَالجِلْدَ الحَسَنَ والمَالَ، بَعيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي».

-إنَّها القصةُ نفسُها تتكررُ في أيامنا معَ كثيرٍ منَ الأغنياءِ إلا مَنْ رحم ربي، فماذا قالَ الأبرصُ؟- «قالَ: الحُقُوقُ كَثيرةٌ» -كما يقولُ كثيرٌ منَ الأغنياءِ، عذرٌ أقبحُ من ذنبٍ-

«**فقَالَ له** -أيِ الملَكُ-: **كَأَنِّي أعرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟**

فقالَ: إِنَّما وُرِّثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِر».

لقد نسيَ أصلَه، وملأَ البخلُ قلبَه! وهذا عينُ ما تلمسُه من بعضِ أصحابِ الأموالِ إذا ما قلتَ له: هذا مشروعُ خيرٍ فما رأيُك لو ساهمتَ فيه؟ فإنك تراه ينظرُ إليك نظرةَ احتقار. ومنهم من يتركُ الصلاةَ في المسجدِ، ومنهم من كأنك تأخذُ قلبَه، ومنهم كأنك تأخذُ عينَه من رأسِه، أوْ كأنك تأخذُ روحَه من جسَدِه، يا مسكينُ! إنما تبخَلُ على نفسِك.

وهنا دفعَ البخلُ هذا الأبرصَ، إلى الكذبِ فقال: إنما وَرِثْتُ هذا المالَ كابراً عن كابر أي: عن أجدادي وآبائي.

«**فقال** -أي: المَلَكُ-: **إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ**».

ودعاءُ المَلَكِ مستجابٌ، ثم إنَّ من أسبابِ زوالِ النعمِ البخلَ والشُّحَّ.

---

(١) هي الأسباب، وقيل: الطرق.

فيا أيها الغنيُّ! إذا منَّ اللهُ عليَك بالمالِ فلا تنسَ أصلَك واحمَدِ الله، واحذرْ أن يعاقبَكَ اللهُ بالبخل والشح فيحرِمَك هذا المالَ، فتصبحَ يدُك هي السفلى بعد أن كانت هي العُليا، وتغدو تسألُ الناسَ بعد أن كانَ الناسُ يسألونك.

قال: «**وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لهُ مِثْلَ مَا قَالَ لهَذَا.**

وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هذَا.

فقال: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ».

قالَ: «**وأَتَى الأعْمَى: فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابنُ سَبيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ اليومَ إلاَّ باللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بالّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ! شَاةً أَتبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي**».

وهنا وقفَ الأعمى مع نفسِه وتذكَّرَ ماضِيَه.

«**فَقالَ** -أي: الأعمى-: **قَدْ كُنْتُ أعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيِّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَواللهِ! لاَ أَجْهَدُكَ اليومَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ للهِ**».

اللهُ أكبر!! إنه الإيمانُ يفعلُ هكذا بأصحابه.

وهنا كشفَ الملَكُ عن حقيقتِه، وقال له: «**أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّما ابْتُلِيْتُم، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**»[1].

فانظروا عبادَ الله! بقيَ المالُ وزادَ، ووصَلَ هذا العبدُ الصالحُ بماله إلى رضا الله.

الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هذا الموقفِ الإيماني:

أولاً: أن التصدقَ والإنفاقَ في سبيلِ الله بما لديك من مالِ اللهِ طريقٌ موصلٌ إلى رضا اللهِ والجنةِ، وسببٌ لنموِّ المالِ وزيادته، وأن البخلَ والشُّحَّ طريقٌ لا محالةَ



(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ لمسلم.



موصلٌ إلى سَخَطِ الله وإلى النارِ، وهو سببٌ لزوالِ المالِ ومَحْقِهِ.

ففي هذا الخبرِ قالَ المَلَك للأعمى: أمسِكْ عليك مالَك؛ فإنما ابتليتم فقد رَضيَ الله عنك، وسَخِطَ على صاحِبَيْكَ.

ثانياً: أنَّ المالَ نعمةٌ عظيمةٌ قد يصلُ بصاحبِه -إذا أحسنَ استعمالَه- إلى رضا اللهِ والجنةِ، فالغنيِّ الذي يتقي اللهَ بهذا المالِ يصلُ إلى رضا الله وهذا يحتاجُ إلى علمٍ.

فيجبُ على الغنيِّ صاحبِ المالِ أن يكونَ على علمٍ حتى يتذكَّرَ وحتى لا ينسى أصلَه، ولذلكَ عندما تذكَّرَ الأعمى ماضيَه، وتذكَّرَ نعمةَ اللهِ عليه لم يبخلْ، وقال: خذ ما شئتَ ودَعْ ما شئتَ. فالعلمُ ينفعُ معَ المالِ، ولذلكَ قالَ ﷺ: «**إِنَّما الدُّنْيا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رزَقَهُ اللهُ مَالاً وعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فيهِ رَبَّهُ ويَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ويَعرِفُ للهِ فيهِ حَقّاً، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ.**

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ تعالى عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِيّةِ يقول: لَوْ أَنّ لِي مالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيّتِهِ فأَجْرُهُمَا سَواءٌ».

نفعَه العلمُ في الغنيِّ ونفعَهُ العلمُ في الفقرِ.

فَمَنْ كان فقيراً وعندَه علمٌ يتمنى لو كانَ عنده مالٌ ليفعَلَ كما يفعلُ الأغنياءُ الذين عندهم علمٌ، فينالَ الأجر بنيته الصادقةِ ببركةِ عملهِ الذي نفعَه ودفَعه إلى تمني ذلك.

«**وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً ولَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، يَخْبُطُ في مَالهِ بغَيْرِ عِلْمٍ، لاَ يَتّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعرفُ للهِ فِيهِ حَقّاً فَهَذا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ**».

وهذا صنفٌ آخرُ جاهلٌ في دينِه، ينفقُ الألوفَ المؤلفةَ على الراقصاتِ والمغنياتِ في الفنادقِ، وإذا قيلَ له: اتقِ اللهَ، وتصدَّقْ على الفقراءِ، وساهِمْ في بناءِ

مسجدٍ، أو غيرِ ذلك فكأنك تأخذُ روحَه من جسدِه.

«وعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مالاً ولاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقولُ: لَوْ أَنّ لِي مالاً لَعَمِلْتُ فِيه بِعَمَلِ فُلانٍ فَهُوَ بِنِيّتِهِ فَوِزْرُهما سَواءٌ»[1].

وهذا الصنفُ الرابعُ: الفقيرُ الجاهلُ الذي يقول: لو كُنتُ أمتلكُ مالاً لاشتريتُ لهوَ الحديثِ لأضِلَّ عنْ سبيلِ الله، لو كنتُ أمتلكُ مالاً لأقرضْتُ الناسَ بالربا، كما يفعلُ الغنيُّ الجاهلُ، فهو بنيته، لذا فهما في الوزرِ سواءٌ.

ثالثاً: أنَّ البخلَ والشُّحَّ يجرُّ صاحبَه إلى الكذبِ -والعياذ بالله- وهكذا فإنَّ المعصيةَ تأتي بأخرى!

فانظروا إلى الأبرصِ والأقرعِ.

قال الأبرصُ: الحقوقٌ كثيرةٌ.



وذكَّرهُ المَلَكُ: كأني أعرفُك ألم تكنْ أبرصَ يَقْذَرُكَ الناسُ، فقيراً فأغناكَ اللهُ؟، فما كانَ منه إلا أنْ كذَبَ وقالَ: إنما ورثت هذا المالَ كابراً عن كابر!! فالبخلُ يجرُّ صاحبَه إلى الكذبِ.

كم من إنسانٍ صاحبِ مالٍ نطلبُ منه أن يساهِمَ في مشاريعِ الخيرِ فيعتذرُ ونعلمُ أنه يكذبُ.

نقول: هذا البخلُ وهذا الشُّحُّ والكذبُ، نتيجتُه رسوبٌ في الامتحانِ، وزوالٌ للمالِ، وسُخْطٌ منَ اللهِ عليكَ أيها الغنيُّ البخيلُ.

رابعاً: أَنَّ الإنسانَ يجوزُ له أن يقولَ: أنا باللهِ ثمَّ بكَ، ولا يجوزُ له أن يقولَ: أنا بالله وبك. كما كانَ يقولُ المَلَكُ للأقرَعِ والأبرصِ والأعمى، قال لكلٍ منهم: فلا

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«صحيح الجامع» (٣٠٢٤)].

بلاغَ لي اليومَ إلا باللهِ ثم بك.

فإن قولَ بعضِ الناسِ: أنا باللهِ وبكَ شركٌ؛ فلا يجوزُ. ولكنْ على الإنسانِ أن يتَفقَّهَ، ويتعلَّمَ ويأخذَ درساً من هذا الموقفِ وأن يقولَ: أنا باللهِ ثمَّ بكَ فهذا مشروعٌ ولا شِرْكَ فيها.

اللهمَّ أخرجنا من هذه الدنيا غير خزايا ولا مفتونين!






موقفٌ في الإنفاقِ في سبيلِ الله (الصحابةُ رضيَ الله عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر:

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاء الله تعالى- مع الموقفِ الثالثَ عشرَ من المواقفِ الإيمانية.. أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟ **هو موقفٌ إيمانيٌّ في الإنفاقِ في سبيلِ الله.**

المال فتنةٌ وامتحانٌ وابتلاءٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن].

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَة وفِتْنَةُ أُمَّتِي المالُ**»[1].

• فمنَ الناسِ من افتُتن بالمال افتتاناً عظيماً، وأصبحَ عبداً للدرهَم والدينارِ، فلا همّ له إلا أن يجمعَ المالَ مِنْ حِلّه ومن غير حلّه حتى إنه استغنى وبَخِلَ وتكبر، وتركَ الصلاةَ وَذِكْرَ الله عز وجل، والسببُ في ذلكَ انشغالُه بالمال؛ فسقطَ في الامتحانِ لأنه استعملَ المالَ في سَخَطِ الله، كما فعلَ الأبرصُ والأقرعُ في حديثِ الجمعةِ الماضيةِ.

• ومن الناس مَنْ علمَ أنَّ المالَ الذي في يديه ابتلاءٌ منَ اللهِ وامتحانٌ فهو يتقي اللهَ في ماله، ولم يَنشغلْ بماله عن الصلاةِ وعن ذكرِ الله، وأنفقَ من ماله في سبيلِ اللهِ، واستعملَ مالَه فيما يُرضي اللهَ كما فعلَ الأعمى في حديثِ الجمعةِ الماضيةِ.

المالُ الذي في أيدينا منَ الله، وهو مالُ اللهِ ابتلانا اللهُ تباركَ وتعالى وامتحَننا به فأعطانا إياه وأمرَنا بالإنفاقِ منه في سبيلِ الله وحذرَنا من البُخلِ والشحِّ.

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٥)، وابن حبان (٣٢١٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٣)].

فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة:٢٦٧]، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة]

وحذّر ربُّنا جلَّ وعلا عبادَه من الشُّحِّ والبُخلِ:

فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران]

أمرٌ من الله بالإنفاقِ، وتحذيرٌ منَ اللهِ منَ البخلِ.

وجاء ﷺ يأمرُ أمته بالإنفاق من هذا المال، ويحذرُهم منَ البخلِ والشُّحِّ:

فيقول ﷺ: «**لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُوم بِهِ آنَاءَ**

اللّيْلِ وآنَاءَ النّهارِ، ورَجَلٌ آتاهُ اللهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ»[١].

وقال ﷺ: «**أَيّكُم مالُ وارِثه أحَبُّ إليهِ مِنْ مَالِه؟**» قالوا: يا رسولَ الله ما منا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه، قال ﷺ: «**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، ومَالَ وَارِثِهِ مَا أَخّرَ**»[٢].

أي: مالُك يا عبدَ الله هو الذي تقدمُه بين يديك خالصاً لله عز وجل وأنتَ حيٌّ، ومالُ الورثةِ هو ما تتركُه لهم خلفَكَ عندَ الموت، فالذي يقدِّمُ لنفسه في حياته هذا هو العاقلُ، الذي يَدَّخِرُ مالَه عندَ الله هو العاقلُ، لأنه قد علِمَ أنَّ ما عنده ينفَدُ وما عندَ الله باقٍ.

ويقول ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلّمُهُ رَبُّهُ**» -أي يوم القيامة- «**لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تُرْجُمانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّم، ويَنَظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، ويَنْظُر بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إلاَّ النّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيّبَةٍ**»[٣].




أي: أنفقوا من أموالكم ولو شِقَّ تمرة لِتُخلِّصوا أنفسَكم من عذاب الله.

ويقول ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العبَادُ فيهِ إلاّ مَلَكان يَنْزِلانِ، فَيَقولُ أحدُهما: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقُولُ الآخرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[٤].

مَلَكٌ في كُلِّ صباحٍ يدعو للمنفقينَ أموالَهم في سبيلِ الله بالزيادةِ والنماءِ والبركة، ومَلَكٌ آخرُ يدعو في كُلِّ صباحٍ على البخلاءِ الذين أمسكوا أموالَهم وبَخِلوا بها بالنقصِ والفناءِ.

ويقول ﷺ: «**قالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[٥].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٤٢).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) واللفظ لمسلم.

أي: كلما أنفقْتَ يا ابنَ آدم في سبيلِ الله أنفقَ اللهُ عليكَ وزادَك مالاً وباركَ لكَ فيما أعطاك.

ويقول ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طِيبٍ ولا يقبلُ اللهُ إلا الطيبَ فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرْبِّيهَا لِصَاحِبه، كَمَا يُرْبِي أَحَدُكم فَلْوَهُ[١] حَتَّى تَصِيرَ مِثْلَ الجَبَلِ**»[٢].

فالإنسان إذا تصدقَ بعِدْل تمرةٍ من مالٍ طيبٍ قَبِلَ اللهُ تعالى هذه الصدقةَ بيمينه، ونَمَّاها لصاحبها كما يربي أحدُنا مُهرَه، فتكونُ هذه الصدقةُ الصغيرةُ عندَ الله عز وجل كمثلِ الجبلِ.

وقال ﷺ: «**وَاتَّقُوا الشُّحَّ**» -وهو أعلى درجات البخل- «**فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُم عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُم، واسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُم**»[٣].

لقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ نِعمَ القدوةُ وخيرُ الأسوةِ في كلِّ خير، فكان مِثالاً أعلى في الإنفاقِ في سبيلِ الله.

قال أنس رضي الله عنه: (ما سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاهُ، قال: فجاءَهُ رجلٌ فأعطاهُ غنماً بين جبلين[٤] فرجعَ إلى قومه، فقال: يا قوم! أسلِموا، فإنَّ محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقةَ). فقال أنسٌ: (وإنْ كانَ الرجلُ ليُسلِمُ ما يريدُ إلا الدنيا، فما يُسلِمُ حتى يكونَ الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها)[٥].

وجاء في «صحيحِ مسلمٍ» عن ابنِ شهابٍ رضي الله عنه قال: (غزا رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) فلوه: أي: مُهرَهُ.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٤) فأعطاه غنماً بين جبلين: أي كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين.

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣١٢).

غزوةَ الفتحِ، فتح مكةَ، ثم خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ بمن معه من المسلمينَ، فاقتتلوا بحُنين، فنصرَ اللهُ دينَه والمسلمينَ، وأعطى رسولُ اللهِ ﷺ يومئذ صفوانَ بنَ أمية مائةً منَ النَّعَم، ثم مائةً، ثم مائةً. قال ابنُ شهابٍ: فحدثني سعيدُ بن المسيِّب، أنَّ صفوانَ قالَ: واللهِ! لقد أعطاني رسولُ اللهِ ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغضُ الناسِ إليَّ، فما بَرِحَ يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناسِ إليَّ)[١].

وفي «مغازي» الواقدي: أن النبيَّ ﷺ أعطى صفوانَ يومئذٍ وادياً مملوءاً إبلاً ونَعَماً.

فقال صفوانُ: أشهدُ ما طابَتْ بهذا إلا نفسُ نبي[٢].




وعن ابنِ عباس أنَّ النبيَّ ﷺ التفت إلى أُحُدٍ فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَسُرّنِي أَنّ أُحُدًا تَحَوَّلَ لآلِ مُحمّد ذهَبًا، أُنْفِقُهُ في سبيلِ الله أَمُوتُ يومَ أموتَ أَدعُ منه دِينارين، إلاّ دينارينَ أعدُّهما للدَّيْن إنْ كَانَ**»[٣].

أمةَ الإسلام! تعالَوا بنا لنتعلمَ الإنفاقَ في سبيلِ اللهِ من صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ الذين تَرَبَّوا على مائدةِ الكتابِ والسنةِ، الذين تربوا على السمعِ والطاعةِ، الذين علموا وأيقنوا أنَّ ما عندهم ينفَدُ وما عندَ اللهِ باقٍ.

قال جريرُ بنُ عبدِ اللهِ رضي الله عنه: كنا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ في صدرِ النهارِ قال: فجاءَهُ قومٌ حفاةٌ عراةٌ مُجتابي[٤] النِّمار أو العَباءِ، متقلِّدي السيوفَ، عامتُهم من مضرَ

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣١٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ٢٦٤) من طريق الواقدي، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ١٠٥) من طريق آخر.

(٣) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٠٠)، وعبد بن حُميد (٥٩٨)، وفي مسند الحارث «بغية الباحث» (٢٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٣٣)].

(٤) يقال: اجتبت القميص أي: دخلت فيها، والنِّمار جمع نمر: وهي ثياب صوف فيها تنمير كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض. أراد أنه جاءه قوم لابسين أزر مخططة من صوف ومجتابي النمار أي: خارقي أوساطها.

بل كُلُّهم من مُضرَ.

فتمعَّر وَجهُ رسولِ اللهِ ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقةِ، فدخلَ ثم خرجَ، فأمرَ بلالاً فأذَّنَ وأقامَ، فصلى ثم خطَبَ فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ....﴾ [النساء:١] إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾، والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨].

تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينارِهُ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّه، مِن صَاعِ تَمره، حتّى قال: **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة**».

قال: فجاءَ رجُلٌ منَ الأنصارِ بصُرَّة كادت كفُّهُ تعجَزُ عنها، بل قد عجزَتْ، قال: ثم تتابعَ الناسُ حتى رأيتُ كَوْمَين من طعامٍ وثيابٍ، حتى رأيتُ وجهَ رسولِ الله ﷺ يتهلَّلُ، كأنهُ مُذْهَبَةٌ فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسْلام سُنّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُها، وأَجْرُ مِنْ عَملَ بهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ ومَنْ سَنَّ في الإسْلاَم سُنّةً سَيّئةً، كَانَ عَلَيْه وِزْرُها وَوِزرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيءٌ**»(١).

تأملوا يا عبادَ الله ما أنْ أمرَهُم رسولُ اللهِ ﷺ بالصدقةِ حتى سارعوا وامتثلوا الأمرَ دونَ توانٍ أو تأخيرٍ!! كيف لا وهم قدْ تربَّوا في مدرسةِ محمّدِ بنِ عبدِ الله ﷺ على السمعِ والطاعةِ لأوامرِ اللهِ عز وجل وأوامرِ رسولِه ﷺ.

تربَّوا على الإنفاقِ فقد ضربَ لهم ﷺ مثلاً أعلى في الإنفاقِ، فكانوا ينفقونَ ابتغاءَ وجه الله.

وهذا عمرُ رضي الله عنه الذي تصدقَ بنصفِ ماله.

وهذا أبو بكرٍ رضي الله عنه الذي تصدَّقَ بكُلِّ ماله.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٧).

فعن عمرَ رضي الله عنه قال: (أَمرنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أن نتصدقَ، ووافقَ ذلك عندي مالاً، فقلت: اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُه يوماً، قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ**»؟ فقلت: مثلَه.

وأتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عندَه، فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ**»؟ فقال: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَه.

قلت: -القائلُ هو عمر- لا أسبقهُ إلى شيءٍ أبداً)[1].

وهذا أبو طلحةَ الأنصاريُّ الذي تصدَّق بأحبّ مالِه إليه.

فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: (كان أبو طلحةَ أكثرَ الأنصارِ بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكانَ أحبَّ أموالِه إليه بيرحاءُ، وكانَتْ مستقبِلةَ المسجدِ، وكانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يدخلُها ويشربُ من ماءٍ فيها طيبٍ.

قال أنسٌ رضي الله عنه: فلما أُنزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحةَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله! إن اللهَ تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحبَّ أموالي إلي بَيْرُحَاءُ وإنها صدقةٌ لله أرجو بِرَّها وذُخرَها عند الله، فَضَعْها يا رسولَ اللهِ حيث أراكَ الله، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**بَخ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِين**» فقال أبو طلحةَ: أفعلُ يا رسولَ الله! فقَسَّمَها أبو طلحةَ في أقاربِه وبني عمِّه)[2].

هذه هي التجارةُ الرابحةُ، التجارةُ معَ اللهِ.



(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والحاكم (١/ ٥٧٤)، [«مشكاة المصابيح» (٦٠٣٠)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).



وهذا أبو الدحداحِ الأنصاريُّ يشتري بكاملِ حائطِه -أي: ببستانه- نخلةً في الجنةِ!!

فعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: (أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! إن لفلانٍ نخلةً، وأنا أقيمُ نخلي بها فَمُرْهُ أن يعطيَني إياها حتى أقيمَ حائطي بها. فقال له النبيُّ: «**أَعْطِها إِيَّاُه بِنَخْلَةٍ فِي الجَنَّةِ**» فأبى، وأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نَخْلَتَكَ بحائطي -أي: ببستاني- قال: ففعَل -أي: الرجلُ-. قال: فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله إني قد ابتعتُ النخلةَ -أي: اشتريتها- بحائطي -أي: ببستاني- فاجعلْها له. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**كَمْ مِنْ عَذْقٍ دَوَّاحٍ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّةِ**». مراراً.

فأتى -أي: أبو الدحداحِ- امرأتَه فقالَ: يا أمَّ الدحداحِ اخرُجي من الحائطِ -أي: البستانِ- فإني بعتهُ بنخلةٍ في الجنةِ.

فقالت: قد رَبحتَ البيعَ أو كلمةً نحوَها)[1].




جيلٌ قرآنيٌّ قُدوةٌ تربى على مائدةِ الكتابِ والسنةِ.

وهذه أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها تُقسِّمُ ثمانينَ ومائةَ ألفِ درهمٍ في مجلسٍ واحدٍ وتنسى أن تدخرَ لنفسها درهماً واحداً تُفْطِرُ به بعد صيامِها!

عن أمِّ ذُرَةَ -وكانت تغشى عائشةَ- قالت: بعثَ إليها -ابنُ الزبيرِ- بمالٍ في غَرارتين.

قالت: أراه ثمانينَ أو مائةَ ألفٍ، فدعَتْ بطَبقٍ وهي يومئذ صائمةٌ فجلَسَتْ تقسِّمُ بينَ الناسِ، فأمسَتْ وما عندَها من ذلكَ درهمٌ، فلما أمسَتْ قالت: يا جاريةُ هلُمِّي فِطري.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٤٦)، وابن حبان (٧١١٥)، والحاكم (٢/ ٢٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣٤٥١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٦٤)].



فجاءتْها بخبزٍ وزيتٍ.

فقالت لها أمُّ ذرة: أما استَطَعْتِ مما قَسَّمْتِ اليَومَ أن نشتريَ لنا لحماً بدرهمٍ نفطرُ عليه؟

قالت لها: لا تُعَنِّفيني، لو كنتِ ذَكَّرتيني لفعلتُ(١).

مَنْ منا يا عبادَ الله يضعُ بين يديه مائَةً وثمانينَ ألفاً منَ الدنانير يوزعها على الفقراءِ في مجلسٍ واحدٍ؟! أظنُّ أنَّ هذا جيلٌ فريدٌ ولكن نتشبهُ بهم لعلَّ اللهَ عز وجل أن يحشرَنا معهم، وإنها لَذكرى والذكرى تنفعُ المؤمنينَ، ومواقفُ إيمانيةٌ تدلُّ على الإيمانِ الصادق.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ:

أولاً: الإنفاقُ في سبيلِ الله دليلٌ على الإيمانِ والتقوى في القلوبِ.

ولذلك ينادي ربُّنا جَلَّ وعلا علينا باسم الإيمانِ في الآياتِ التي أمَر فيها بالإنفاقِ في سبيلِه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾[البقرة:٢٥٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

والانفاقُ دليلٌ على التقوى.

يقول الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [البقرة]

ورأينا -فيما سبقَ ذكرُه من المواقِفِ- كيفَ أنَّ الإيمانَ دفعَ الصحابةَ رضي الله عنهم أن ينفقوا حتى أَحبَّ أموالِهم إليهم في سبيلِ اللهِ، لأنهم آمنوا حقاً أن ما عندَهم ينفَدُ وما عندَ اللهِ باقٍ.

(١) أخرجه هنّاد في «الزهد» (٦١٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٤٧).




ثانياً: السمعُ والطاعةُ للهِ عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ.

فالصحابةُ ﵃ ما أَنْ سمعوا منْ رسولِ اللهِ ﷺ الأمرَ بالصدقةِ، والأمرَ بالإنفاقِ، حتى سارعوا وَقاموا إلى بيوتِهم، وجاء كُلٌّ منهم بما عندَه من طعامٍ وثيابٍ!!

وهذه صفةُ المؤمنِ ومِيزَتُه، إذا دُعي إلى أمرٍ منْ أوامرِ اللهِ ورسولِه قال على الفورِ: سمعنا وأطعنا.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١].

ثالثاً: تَدَبُّرُ كلامِ اللهِ يقودُ إلى كُلِّ خيرٍ.

إنَّ الإنسانَ إذا تدبر كلامَ الله انتفعَ به، وقد علمتم خبرَ أبي طلحةَ الأنصاريِّ ﵁ عندما سَمِعَ قولَه سبحانه وتعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران].

فَفَكَّرَ في قوله تعالى وتدبَّرَ الآيةَ تماماً فعلم أنه لن ينالَ البرَّ إلا إذا أنفَق أحبَّ أمواله، ففكَّرَ في أحبِّ أمواله إليه فوجده بيرحاءَ فتصدقَ بها في سبيلِ اللهِ.

وكذلكَ الإنسانُ إذا تدبَّرَ القرآنَ انتفعَ به، لأن الله أمر بتدبر القرآن، قالَ الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص].

ولكن كمْ من الناسِ يقرأُ الآياتِ التي أعلنَ اللهُ فيها الحربَ على آكلِ الربا وهو آكلُ ربا ولا ينتفعُ بالآيات!

وكم من امرأةٍ ورجلٍ قرأَ قولَه تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

ولا تزالُ المرأةُ المتبرجةُ، والرجلُ يُقرُّ زوجتَه وابنَته وأختَه وأمَّه على التبرجِ، فهو لا ينتفعُ بالقرآنِ لأنه لم يفهمِ القرآنَ ولم يَتَدَبَّرْهُ.

فتعلموا عبادَ الله، وافهموا كلامَ الله لتعملوا بما فيه، ليكونَ هذا القرآنُ حجةً لكم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ.

رابعاً: إنَّ الدنيا لا تدومُ لأحدٍ ولا ينفعُ منها إلا العملُ الصالحُ

ها همُ الصحابةُ رضي الله عنهم لمّا علموا أنَّ الدنيا فانيةٌ، وأنَّ أموالهم لا تقربُهم إلى اللهِ إلا بالإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ]

ولذلك لما تيقنَ الصحابةُ أنهم خارجونَ من هذه الدنيا، وراحلونَ عنها، وواقفونَ بين يَدَيِ الله للحسابِ على هذا المالِ، قَدَّموه بين أيديهم عند الله ذخراً وثواباً، طيبةً بهِ نفوسُهم عسى أنْ ينفعَهم يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

اللهمَّ وسِّعْ علينا في الدنيا وزَهِّدْنا فيها ولا تَحْجِبْها عنا فترغِّبَنا فيها.




١٤

موقفٌ في الجودِ والكرمِ والإيثارِ عندَ الصحابةِ رضي الله عنهم

عبادَ الله! لا زلنا نتذاكرُ مواقفَ إيمانيةً فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ الرابعَ عشرَ من المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟ إنه **موقفٌ إيمانيٌّ في الجودِ والكرمِ والإيثارِ.**

والجودُ والكرمُ والإيثارُ صفاتٌ يحبُّها اللهُ، ويحبُّها رسولُ الله ﷺ، بل ويحبُّها الناسُ عامَّةً.

ولذلكَ جاءَ الإسلامُ يأمرُ بالجودِ والكرمِ والإيثارِ.

فَمِنْ كتابِ ربِّنا:

يقول الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر]

ويقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان].

ويقولُ اللهُ عز وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة]

ووصفَ ربَّنا جل وعلا في كتابهِ خليلَه إبراهيمَ عليه السلام وهو يضربُ لنا مثلاً

أعلى في الجودِ والكرمِ والإيثارِ.

قال سبحانه وتعالى عن خليله إبراهيمَ عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات].

ونِعمَ المَثَلُ: كرمٌ وجودٌ وأدبٌ مع الضيفِ، فلما دخلَ عليه الضيوفُ وهو لا يعرفُهم فاستقبلَهم أحسنَ استقبالٍ: سلامٌ، وهو لا يعرفُهم فراغَ إلى أهلِه -أي: ذهبَ في خِفْيةٍ وبسرعةٍ إلى أهله- فما رجعَ إلى ضيوفِه إلا بعجلٍ سمينٍ، وفي موضعٍ آخرَ بيَّن لنا ربُّنا أنه شَواهُ لهم فقال: ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾.

فقرَّبَ الطعامَ إليهم، ولم يَكلِّفْهم حتى بأَنْ يقوموا إلى الطعام، ثم دعاهم إلى الطعام بأدبٍ جَمٍّ، ولم يأمرْهم بالأكلِ منَ الطعام، بل قالَ لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، فجمعَ عليه السلام بين الأدبِ والكرم والجودِ، فاللهُ عز وجل يحبُّ الكريمَ، ولذلك أكرمَ الخليلُ ضيوفَه لأنه قد علمَ أنَّ اللهَ تبارك وتعالى يحبُّ الكرمَ والكريم.



قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ**..»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكُرَمَاءَ**..»[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ**..»[3].

ولما كانَ اللهُ عز وجل يحبُّ الجودَ والكرمَ، ويحبُّ الإيثارَ فإنه سبحانه يعطي الكُرمَاء، ويعطي من ينفقُ على ضيوفِه، ومن ينفقُ على الناسِ، ومن يطعِمُ الطعامَ يعطيه الله عز وجل ويزيدُه وينفقُ عليه.

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ١١١)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٨١)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠١١)، [«صحيح الجامع» (١٨٠١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي الدنيا في مكام الأخلاق (٨)، وابن عساكر (١٤/ ٢٨٩)، [«صحيح الجامع» (١٨٠٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٨٤٠)، وأبو نعيم (٥/ ٣٢)، [«صحيح الجامع» (١٧٤٤)].



قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تَبارك وتعالى: يَا ابْنَ آدم! أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»(١).

ويقولُ ﷺ -مبيناً أَنَّ اللهَ تبارك وتعالى يسخِّر هذا الكونَ لخدمةِ الذين يُكرمونَ عبادَ الله- فيقول ﷺ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفلاةٍ مِنَ الأرضِ**» -وهي الأرضُ التي لا ماءَ فيها- «**فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تلكَ الشِّرَاجِ قَد اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّه، فَتَتَبَّعَ الماءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فقال له: يَا عَبْدَ الله! مَا اسمُك؟**

قال: فُلانٌ، للاسم الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ.

فقال له: يَا عَبْدَ الله! لِمَ سَأَلتَني عَن اسْمِي؟

فقال: إِنِّي سَمِعتُ صَوتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُه يَقُول: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، لاسْمِكَ، فَما تَصْنَعُ فِيها؟!

قَالَ: أَمّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيها ثُلُثَهُ»(٢).

هذا هو السرُّ الذي كانَ سبباً في البركةِ والخصوصيةِ في العطاءِ من الأرضِ والسماءِ، لقد كانَ يعطي الفقراءَ، ويُطعِمُ الطعامَ فَرُزِقَ الحفظَ والبركةَ من ربِّ العالمين، وأمرَ اللهُ السحابَ أن يتحركَ لِيُنْزِلَ ماءَ ه على هذا البستانِ بشكلٍ خاصٍّ؛ لأَنَّ صاحبه كان كريماً، واللهُ تبارك وتعالى يحبُّ الكريمَ ويحبُّ الكُرماءَ.

ولقد جاءَتِ الأحاديثُ النبويةُ تحثُّ على الكرمِ والجودِ والإيثارِ.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

يقول ﷺ: «**لاَ خَيْرَ فِي مَنْ لا يُضَيِّفُ**»(١).

أي: لا خيرَ في البخيل، لا خيرَ في الشحيح، لا خيرَ فيمن يُمسكُ مالَه.

وقال ﷺ: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَنْ تُدْخِلَ عَلَى أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ سُرُورًا أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا**»(٢).

ويقول ﷺ: «**اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَفْشُوا السَّلاَمَ، وأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، تَدْخُلُوا الجِنَانَ**»(٣).

عبادَ الله! وها هوَ رسولُ اللهِ ﷺ يضربُ لنا مثالاً أعلى في الجودِ والكرمِ والإيثارِ.

قال أنسٌ رضي الله عنه: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النّاسِ، وأَشْجَعَ النّاسِ، وأَجْوَدَ النّاسِ**»(٤).



ويقولُ أنسٌ أيضاً: (**كانَ النبيُّ ﷺ لا يدّخِرُ شيئاً لغدٍ**)(٥).

بل كان ينفقُ ما عندَه على الفقراءِ والمساكينِ، قال ابنُ عباس رضي الله عنه: (كانَ رسولُ اللهِ ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاه جبريلُ، وكان يلقاه في كُلِّ ليلةٍ مِنْ رمضانَ، فيدارسُه القرآنَ، فَلَرَسولُ الله ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المرسَلةِ)(٦).

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٨٨)، والروياني في مسنده (١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٧٤٩٢)].

(٢) **حسن**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٦٧٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٥٠٤)، [«صحيح الجامع» (١٠٩٦)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الدارمي (٢١٢٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨١)، وابن حبان (٤٨٩)، والبزار في «البحر الزخار» (٢٤٠٢)، وأبو نعيم (١/ ٣٥٨)، [«صحيح الجامع» (١٠٤١)].

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٨٢٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٦٢)، وابن حبان (٦٣٤٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٦٤)، [«مختصر الشمائل» (٣٠٤)].

(٦) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).



ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (**ما سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن شيءٍ قط فقالَ: لا**)(١).

ويقولُ عبدُ الله بنُ بُسر رضي الله عنه: (**كانَ له** -أي: للنبيِّ ﷺ- **قصعةٌ يقالُ لها: الغرَّاء** -أي: يوضَعُ فيها الطعامُ لضيوفِه- **يحملُها أربعةُ رجالٍ**)(٢).

كما وضربَ لنا رسولُ اللهِ ﷺ مثالاً أعلى في إيثارِه لغيرِه على نفسِه.

عن سهلِ بنِ سعد رضي الله عنه قال: (جاءتِ امرأةٌ ببردَةِ -قال: أتدرونَ ما البُردَةُ؟ فقيل له: نعمْ هي الشملةُ منسوجةٌ في حاشيتِها- قالَت: يا رسولَ اللهِ إني نسجتُ هذه بيديَّ أكسوكَها، فأخذها النبيُّ ﷺ محتاجًا إليها، فخرجَ إلينا وإنها إزارُهُ(٣)- فقال رجلٌ من القوم: يا رسولَ الله اكسُنيها فقال: «**نَعَمْ**» فجلسَ النبيُّ في المجلسِ، ثم رجعَ فطواها، ثم أرسَل بها إليه.

فقال له القوم: ما أحسنْتَ؛ سألتَهُ إياها، ولقدْ علمتَ أنه لا يردُّ سائلاً.

فقال الرجل: واللهِ ما سألتُها إلا لتكونَ كفني يومَ أموتُ، قال سهلٌ: فكانَتْ كَفَنَهُ)(٤).

وهاهمُ الصحابةُ رضي الله عنهم الذين تَرَبَّوْا بين يَدي النبيِّ ﷺ ونهلوا من عينِ العلم الصافي يَتَأَسَّوْنَ ويَقْتَدُون بالنبيِّ الذي جاءَ ليتممَ مكارمَ الأخلاقِ فكانوا بحقٍّ نعمَ الأصحابُ، ونعمَ العلماءُ لهذه الأمة، فتعالَوا معي نراجعْ شيئاً من أخبارِهم في الجودِ والكرمِ والإيثارِ لعلنا نلحقُ بالركبِ، ونقتفي أثرَ مَنْ سَلَفَنا لنصلَ إلى جنةِ ربِّنا ورضوانِه، فنذكرَ بعضاً من مواقِفهم:

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٧٧٣)، [«صحيح الجامع» (٤٨٣٣)].

(٣) الإزار هو: ما يلبس على النصف الأسفل من الجسد.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٩٣).

الموقفُ الأول: موقفُ الأنصارِ مع المهاجرينَ.

لما تركَ المهاجرونَ ديارَهم وأموالَهم، وهاجروا في سبيلِ اللهِ لينصروا دينَ اللهِ، نزلوا على إخوانِهم الأنصارِ في المدينةِ، ففتَح الأنصارُ قلوبَهم وديارَهم لإخوانِهمُ المهاجرينَ، كانوا بحقٍّ قدوةً وأسوةً لمن بعدَهم في الإيثارِ، لقد بلَغَ بهِمُ الإيثارُ والجودُ والكرمُ أن يقولَ الواحدُ منَ الأنصارِ لأخيه المهاجرِ: هذا مالي أقسِمُهُ بيني وبينك، وهذه داري بيني وبينَك، وإذا كان متزوجاً بامرأتين قال لأخيه المهاجرِ: انظرْ أعجَبهما إليكَ لأطَلِّقَها، فإذا انتهَتْ عدتُها فتزوَّجْها!

عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ عن أبيهِ عن جَدِّه قال: (لما قدموا المدينةَ آخى رسولُ اللهِ ﷺ بين عبدِ الرحمن -يعني: ابنَ عوفٍ، وهو من المهاجرين- وسعدِ بن الرَّبيع -وهو منَ الأنصار-.



فقال لعبدِ الرحمن: إني أكثرُ الأنصارِ مالاً، فأَقسِمُ مالي نصفين. ولي امرأتان، فانظرْ أعجبَهما إليك، فسَمِّها لي أُطَلِّقْها، فإذا انقضَتْ عدَّتُها فتزوجْها.

قال -أي: عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ-: باركَ اللهُ لكَ في أهلِك ومالِك، أين سُوقُكم؟ فدَلُّوه على سوقِ بني قَينُقاعٍ، فما انقلبَ إلا ومعه فضلٌ من أَقِطٍ وسَمْنٍ.

ثم تابعَ الغدوَّ، ثم جَاء يوماً وبه أثرُ صُفرةٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «**مَهْيَم**»؟ قال: تزوجتُ. قال: «**كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا**»؟ قال: نواةً من ذهبٍ -أو وزنَ نواةٍ من ذهبٍ- شكَّ إبراهيمُ)[1].

إخوةَ الإسلام! هل يحدثُ بيننا: أنْ قالَ أحدُنا لأخيه: هذا مالي بيني وبينَك؟ هل قال أحدُنا: هذا بيتي بيني وبينَك؟ أحدنا قد يرى أَخاه قد ماتَ جوعاً هو وأولادُه ولا يتألمُ، ولا يفكرُ أَنْ يذهبَ يوماً إلى أَخيه الفقيرِ لِيُدْخِلَ على قلبه السرورَ


(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٨٠).

بما عنده من مال.

والرسولُ ﷺ قال: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُه جائعٌ إِلَى جَنْبِهِ**»[١].

إخوةَ الإسلام! إنها الأخوّةُ، إنها المواقفُ الإيمانيةُ.

هكذا يفعلُ الإيمانُ بأهلِه، فلا يجتمعُ البخلُ والإيمانُ في قلبِ واحدٍ، ومَنْ وجدَ في نفسه الشُّحَّ والبخلَ وأمسَكَ مالَه عن إخوانِه فليعلَمْ أنه ضعيفُ الإيمانِ، فالإيمانُ في القلبِ يدفَعُ إلى الجودِ والكرمِ والإيثارِ.

الموقف الثاني: رجلٌ من الأنصارِ آثر ضيفَه بطعامِه وطعامِ أولاده.

يقولُ أبو هريرَة رضي الله عنه: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: إني مجهودٌ[٢] فأرسلَ إلى بعضِ نسائِه، فقالت: والذي بعثَكَ بالحقِّ! ما عندي إلا ماءٌ، -هذه حالُ رسولِ اللهِ ﷺ الذي لو أرادَ أن يمتلكَ الدنيا ذهباً وفضةً لكانت، وعندما صارَ غنياً ﷺ وكان لا يدخرُ شيئاً للغد، وكان ينفقُ ما يأتيهِ في سبيلِ اللهِ- ثم أرسلَ ﷺ إلى أُخرى، فقالت: مثلَ ذلك، حتى قلن كلهُّن مثلَ ذلك: لا والذي بعثَك بالحقِّ! ما عندي إلا ماءٌ.

فقال ﷺ: «**مَنْ يُضَيِّفُ هَذا اللَّيْلَةَ؟ رَحِمَهُ اللهُ**».

فقامَ رجلٌ منَ الأنصارِ: فقال أنا يا رسولَ اللهِ!

فانطلقَ به إلى رَحْلِهِ، فقال لامرأته: هل عندكَ شيءٌ؟ قالت: لا، إلا قوتُ صبياني.

-فانظروا عبادَ الله إلى الخطةِ التي رسمَها الأنصاريُّ مع زوجته ليكرموا

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٥٤)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥٦٦٠)، وفي «السنن» (١٠/ ٥)، [«صحيح الجامع» (٥٣٨٢)].

(٢) **إني مجهود**: أصابني الجهد، وهو سوء العيش والجوع والمشقة والحاجة.

الضيفَ طاعةً للهِ ولرسولِه وحُباً للهِ ولرسولِه-.

قال: فعلِّليهم بشيءٍ، فإذا دخلَ ضيفُنا فأطفئي السِّراجَ، وأَريه أنا نأكلُ، فإذا أهوى ليأكلَ فقومي إلى السراجِ حتى تُطفئيه، قال: فقعدوا وأكلَ الضيفُ، -مَنِ الذي يطلعُ عليهم! منِ الذي ينظرُ إليهم؟- فلما أصبح غدا على النبيِّ ﷺ، فقال: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُما بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(1).

قال الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

من الذي أخبرَ الرسولَ ﷺ بصنيعِ هذا الأنصاريِّ وزوجتِه بضيفِهما؟ إنه اللهُ الذي لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرضِ ولا في السماءِ.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ مما تقدَّم ذكرُه فكثيرةٌ، منها:

أولاً: الأُخوّةُ في اللهِ دليلٌ على صدقِ الإيمانِ.





الأُخــوةُ رابــطٌ قــويٌّ بينَ المؤمنينَ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

يتجلى ذلكَ من هجرةِ المهاجرينَ من مكةَ إلى المدينةِ، ومنَ استقبالِ الأنصارِ لإخوانهم في المدينةِ، ومن فِعْلِ الذينَ جاءوا مِنْ بعدِهم على منهجِهم وسلَكوا سبيلَهم.

قال اللهُ عز وجل في كتابه واصفاً للمهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ لمسلم.

وقال تعالى في وصفِ الأنصارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].



وذكر لنا ربُّنا جلَّ وعلا حالَ الذين جاؤوا مِنْ بعدِ المهاجرين والأنصارِ وكانوا على منهجِهم وسلكوا سبيلَهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]

فالأُخوّة ليستْ كلاماً يقالُ فحَسْبُ، إنما هي أفعالٌ تعبِّرُ عما تُكِنُّه النفوسُ، فالأخُ هو الذي يعينُ أخاه عند الشدةِ، الأخُ هو الذي يتألَمُ إذا تألم أخوه، ويفرحُ إذا فرحَ أخوه.



انظروا عبادَ الله إلى موقفِ الأنصارِ مع المهاجرينَ، يقولُ أحدهم عن طيب نفس: هذا مالي بيني وبينَك، وهذا بيتي بيني وبينَك، وهذه زوجتي إنْ كانت الثانيةُ، أُطلِّقْها فإذا انتهت عدتُها تزوجْها. وهذا إيثارٌ ومحبةٌ.

ما الذي دفعهم إلى ذلك؟ إنه الإيمانُ الصادقُ.

ثانياً: إكرامُ الضيفِ دليلٌ على الإيمانِ.

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[1].

فلتراجِعْ نفسَك يا مَنْ ضَعُفَ إيمانُك فحمَلك شُحُّك وبُخْلُك على التضجُّرِ منَ الضيوفِ، والاستثقالِ من ضيافتِهم، بل لقد تفشّى مرضُ البُخلِ وعدمُ الإنفاقِ حتى إنك تجدُ أحدَهم وقد استشرى به الداءُ يبخلُ على أسرتِه وزوجتِه وأولادِه، بل واللهِ منهم من يبخلُ بالنفقةِ حتى على نفسِه فضلاً عَنْ أن ينفقَ على ضيفٍ أو

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

فقير، وفي أمثالِ هؤلاءِ قالَ اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء].

يا عبدَ الله! ماذا ستأخذُ معَك بعد الموتِ؟! هل يدخلُ هذا المالُ معكَ في قَبْرك يا مسكينُ؟

ها هو رسولُ اللهِ ﷺ كان ينفقُ مالَه كلَّه على ضيوفِه، وعلى المسلمينَ حتى إِنه أرسلَ إلى كُلِّ نسائه فجاءَ الجوابُ: والذي بعثَك بالحقِّ ما عندنا إلا الماءُ.

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيم أَنْ يُفقِهَنا وإِيَّاكُم في دِينِنَا



١٥

موقفٌ في طلبِ الشهادةِ في سبيلِ الله عند الصحابة رضي الله عنهم

عبادَ الله! هذه مواقفٌ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ الخامسَ عشرَ.. أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟

هو: [**موقفٌ إيمانيٌّ في الحرصِ على طلبِ الشهادة في سبيلِ اللهِ**]

في الجُمَعِ الماضيةِ تبينَ لنا أن المؤمنينَ الصادقينَ أنفقوا أموالَهم في سبيلِ اللهِ لينصروا دينَ اللهِ وليفوزوا برضى اللهِ والجنةِ، وقد ضربوا لنا مثلاً أعلى في الإنفاقِ والجودِ والكرمِ والإيثارِ.

وها هم أيضاً يقدمون أرواحَهم في سبيلِ اللهِ لينصروا دينَ الله، وليصلوا إلى رضى الله والجنةِ، وذلك لأنهم باعوا أنفسَهم وأموالَهم لله عز وجل بأنَّ لهمُ الجنةَ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

والله عز وجل في كتابه يُرَغِّب عباده المؤمنين في الجهادِ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا طلباً للشهادةِ في سبيلِ الله.

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].



وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد].

وفي كُلِّ هذا ترغيبٌ وحَثٌّ على الجهادِ في سبيلِ الله لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، وليفوزَ المؤمنونَ الصادقونَ المجاهدونَ في سبيلِ اللهِ بالشرفِ وأيِّ شرفٍ.

وهذا رسولُنا الكريمُ ﷺ محبُّ الخيرِ لأمته، الحريصُ عليهم يُرغِّبُ أمته في الجهادِ في سبيلِ الله طلباً للشهادةِ في سبيلِ الله، لينالوا الدرجاتِ العلى في جنات النعيم:

١- فيقول ﷺ: «**رِباطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيْهَا**»(١).

٢- ويقول ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجةٍ أَعَدَّها اللهُ للمُجاهِدينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ**

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٩٢).



الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءَ وَالأَرْض»[١].

٣- وقال ﷺ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبّ أَنْ يَرْجعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأرض مِن شَيْءٍ، إلاَّ الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشرَ مرّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ».

وعندَ مسلم: «لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشّهَادَةِ»[٢].

٤- ويقول ﷺ: «يُغْفَرُ للشّهيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ»[٣].

٥- وسُئلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ فقال ﷺ: «إيمَانٌ بالله ورَسُولِه». قيل: ثمّ ماذا؟ قال: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»[٤].

٦- وقيلَ: يا رسولَ الله! أيُّ الناسِ أفضلُ؟

فقال رسول الله ﷺ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبيلِ الله بنَفْسِه وَمَالِه».

قالوا: ثم مَن؟ قال: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»[٥].

وقال ﷺ: «ثَلاَثَةٌ فِي ضَمَانِ اللهِ عزّ وجل» -أي: في حمايتِه وحفظِه ورعايتِه: رَجُلٌ خَرَجَ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ عَزَّ وجلّ.

ورَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله تعالى.

ورَجُلٌ خَرَجَ حاجّاً»[٦].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) **متفق عليه** أخرجه البخاري (٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٨٦).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

(٦) **صحيح**: أخرجه الحميدي في «مسنده» (١٠٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥١)، [«صحيح الجامع» (٣٠٥١)].



٧- ويقول ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الهَمَّ والغَمَّ**»(١).

٨- وقال ﷺ: «**مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ** -واللهُ أعلمُ بمَنْ يجاهدُ في سبيلِه- **كَمَثَلِ الصَّائِمِ، القَائِمِ، الخَاشِعِ، الرَّاكِعِ، السَّاجِدِ**»(٢).

٩- وقال ﷺ: «**إِنَّ للشّهيدِ عِنْدَ اللهِ سَبعَ خِصالٍ:**

أَنْ يُغْفَرَ لَه فِي أوّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ -أي: أَوّل قَطْرَةٍ تَنْزِلُ من دمه- **وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُحلَّى حُلَّةَ الإيمَانِ، وَيُجارَ مِنْ عَذَابِ القَبرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوْضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَاناً مِنْ أَقَارِبِهِ**»(٣).

لقد رغَّب الكتابُ والسنةُ في الجهادِ في سبيلِ الله.





إخوة الإسلام! درجاتٌ وكراماتٌ ومِنَحٌ عظيمةٌ للشهيدِ، إنه فضلُ اللهِ ونعمُهُ العظيمةُ لمن ضَحَّى بنفسه وبذلَها في سبيلِ إعلاءِ كلمةِ الله عز وجل، وهؤلاءِ صحابةُ رسولِ الله السابقونَ إلى كُلِّ خيرٍ هم خيرُ مَنْ ضَحَّى في سبيلِ الله بعدَ الأنبياءِ والرسُلِ، وهناك ذكرٌ لبعضٍ من مواقفِهم وحرصِهم على الشهادةِ:

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (انطلَقَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حتى سبقوا المشركينَ إلى بدرٍ -أي: فأخذَ المسلمونَ أماكنَهم للمعركةِ- يقولُ أنس: وجاءَ المشركون.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣١٩)، وابن حبان (٤٨٣٥)، والحاكم (٢/ ٨٤) والطبراني في «الأوسط» (٨٣٣٤)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٧٦) والضياء في «المختارة» (٨/ ٢٩٢/ ٣٥٨)، [«صحيح الجامع» (٤٠٦٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (٣١٢٧)، والبزار «البحر الزخار» (٧٧٤٠)، وأبو يعلى (٥٨٤٥)، [«صحيح الجامع» (٥٨٥٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٣١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٦٦) وفي «مسند الشاميين» (١١٢٠)، وعبدالرزاق (٥/ ٢٦٥) والبيهقي في «الشعب» (٤٢٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٤)].



فقال رسول الله ﷺ: «**لاَ يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُم إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فدنا المشركون، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**».

فقال عُميرُ بنُ الحُمامِ الأنصاريُّ رضي الله عنه: يا رسولَ الله، جنةٌ عرضُها السمواتُ والأرضُ؟ قال ﷺ: «**نَعَمْ**».

قال -عُمير-: بَخٍ بخٍ[1]؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ**»؟

قال -عُميرُ-: لا واللهِ يا رسولَ الله إلا رجاءَ أن أكونَ من أهلها.

فقال ﷺ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**».

قال: فأخرَج تُميراتٍ من قَرَنِهِ[2] فجعلَ يأكلُ منهن، ثم قال: لئن أنا حَييتُ حتى آكلَ تمراتي هذه، إنها لحياةٌ طويلةٌ، قال: فرمى بما كانَ معه من التمرِ ثم قاتلَهم حتى قُتل)[3].

فانظروا عبادَ الله! حرصٌ شديدٌ على طلبِ الشهادةِ ورغبةٌ أكيدةٌ في الموتِ في سبيلِ اللهِ.

وعن شدادِ بنِ الهادِ رضي الله عنه:

أن رجلاً منَ الأعرابِ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ، فآمنَ به واتبعَه، ثم قال: أهاجرُ معك.؟ فأوصى به النبيُّ ﷺ بعضَ أصحابه، فلما كانت غزاةٌ، غنِمَ النبيُّ ﷺ شيئاً فَقَسَمَ، وقَسَمَ له، فأعطى أصحابَه ما قُسِمَ له، وكان يرعى ظهرَهم فلما جاءَ -أي: الأعرابي- دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟

---

(١) **بخ بخ**: فيه لغتان: إسكان الخاء وكسرها منوناً. وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٢) **قرنه**: أي: جعبة النشاب.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٠١).

قالوا: قَسْمٌ قسَمه لك النبيُّ ﷺ.

فأخذه فجاءَ به إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ: ما هذا؟

قال: «**قَسمتهُ لَكَ**».

قال: ما على هذا اتبعتُك -أنا لا أريدُ ديناراً ولا أريدُ مالاً- ولكن اتَّبَعْتُكَ على أن أُرمى ههنا، وأشارَ إلى حلقِه، بسهمٍ فأموتَ، فأدخلَ الجنةَ -حرصٌ على طلبِ الشهادة-.

فقال ﷺ: «**إِنَّ تَصدُقِ الله يَصدُقْكَ**».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا لقتالِ العدو، فأُتِيَ به إلى النبيِّ ﷺ يُحمَلُ قد أصابَه سهمٌ حيثُ أشارَ.

فقال النبيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟** » قالوا: نعم.



قال ﷺ: «**صَدَقَ الله فَصَدَقَه**».

ثم كفنه النبيُّ ﷺ في جبته التي عليه، ثم قدَّمه فصلى عليه، وكان مما ظهرَ من صلاتِه: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِك**»[1].



وَهذا حنظلةُ ﷺ يخرجُ في ليلةِ عُرسِه إلى ساحاتِ القتالِ طلباً للشهادةِ في سبيلِ اللهِ، وكان صادقاً في ذلك فقاتلَ ﷺ حتى قُتل، فرأى النبيُّ ﷺ الملائكةَ تُغَسِّلُهُ، فقال ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ** -أي: حنظَلة- **تَغْسِلُهُ المَلَائِكَة**» فسألوا صاحبتَه -أي: زوجتَه- قالت: إنه خرجَ لَمَّا سَمِعَ الهائعةَ وهو جُنُبٌ.

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (١٩٥٣)، والحاكم (٣/ ٦٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٧١)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٢٣، ٢٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦)].



فقال ﷺ: «**لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ المَلائِكَةُ**»[١].

وهناك موقفٌ بطوليٌّ إيمانيٌّ آخرُ يرويه أنسٌ رضي الله عنه فيقول: (غابَ عمي أنسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عن قتالِ بدرٍ.

فقال: يا رسولَ الله! غبتُ عنْ أولِ قتال قاتلْتَ المشركين، لئنِ اللهُ أشهدَني قتالَ المشركين ليرَيَنَّ اللهُ ما أصنَع، فلما كان يومُ أُحُدٍ وانكشَف المسلمونَ قال: اللهمَّ إني اعتذرُ إليكَ مما صنَع هؤلاء يعني أصحابَه، وأبرأُ إليكَ مما صنعَ هؤلاءِ يعني المشركينَ، ثم تقدَّم فاستقبلَه سعدُ بنُ معاذٍ، فقال: يا سعدَ بنَ معاذٍ! الجنةُ وربِّ النضرِ، إني أجدُ ريحَها من دونِ أُحُدٍ.

قال سعدُ: فما استطعْتُ يا رسولَ اللهِ ما صنع.

قال أنسٌ: فوجدْنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيفِ، أو طعنةً برمحٍ، أو رميةً بسهمٍ.

ووجدناه قد قُتِل، ومَثَّلَ به المشركون، فما عرفَهُ أحدٌ إلا أختُه بِبَنانِهِ -أي أُصبُعِه-.

قال أنس: كنا نرى -أو نظنُّ- أنَّ هذه الآيةَ نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية)[٢] [الأحزاب:٢٣].

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخَذُ مما سبق ذكرهُ فهي كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً.

منها على سبيلِ المثالِ:

أولاً: أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم أحبوا الموتَ في سبيلِ اللهِ كما نحبُّ نحنُ الحياةَ، وكانوا

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٢٥)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٢٢) وأبو نعيم (١/ ٣٥٧)، [«الإرواء» (٣/ ١٦٧)].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

يرغبونَ ويَسْعَونَ للفوزِ بالجنةِ أكثرَ مما نحبُّ ونحرِصُ نحنُ على جمعِ الدنيا، وكانَ الصحابةُ ﭫ يحرصونَ على الشهادةِ في سبيلِ اللهِ حرصاً شديداً ويتسابقونَ في سبيلِ الله كما نتسابقُ نحنُ على جمعِ الدرهمِ والدينارِ!! -فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله- ولذلك قال الله -عز وجل- عن الصحابةِ ومَن اقتفى أثرَهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]

وقال في حقِّ أمثالنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة]

أي أرضيتُمْ بحطامِ الدنيا الزائلةِ عن ثوابِ الآخرةِ الباقيةِ؟




ثانياً: الصادقُ في طلبِ الشهادةِ في سبيلِ الله يؤتى ثوابَها وأجرَها حتى وإن ماتَ على فراشه.

قال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشهَداء، وإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(١).

ثالثاً: الصحابةُ ﭫ جيلٌ قرآنيٌّ قُدوةٌ لمن بعدهم، فعلى المسلم أن يتشبهَ بهم، وأن يسلكَ سبيلهم، وأن ينهجَ منهجَهم، لأنَّ اللهَ عز وجل رضي عنهم وزكَّاهم.

فقال سبحانَه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**وتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهم في النَّارِ إلاَّ مِلَّةً وَاحِدةً**» قالوا: ومَنْ هيَ يا رسولَ الله؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وأَصْحَابِي**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٠٩).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

وقال ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» -أي: بطريقتي- «**وسُنّةِ الخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ المَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذَ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**»[1].

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى دِينهِمْ رَدّاً جَمِيلاً

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

١٦

[موقفٌ في الشجاعةِ والتضحيةِ]
(الصحابةُ رضي الله عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنَ شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ السادسَ عشرَ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌ في الشجاعةِ والتضحيةِ.

في الجمعة الماضية تبين لنا أن الجهادَ في سبيلِ اللهِ بالمالِ والنفسِ تجارةٌ رابحةٌ.

وتبينَ لنا أيضاً أنَّ الجهادَ في سبيلِ الله من أعظمِ الأعمالِ بعدَ الإيمانِ باللهِ ورسولِه.




وَأن الجهادَ في سبيلِ الله طريقٌ إلى الجنة.

وَأنَّ اللهَ لم يُسوِّ بينَ المجاهدين في سبيلِ الله بأموالهم وأنفسهم وبينَ القاعدين.

عبادَ الله! الجهادُ في سبيلِ اللهِ بالمالِ والنفسِ فيه خيرٌ كثيرٌ للمسلمينَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

[البقرة]



فالأهدافُ والغاياتُ التي شرعَ اللهُ من أجلِها الجهادَ في سبيلِ اللهِ كثيرةٌ جداً منها:

الهدفُ الأول: أن تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا وكلمةُ الذين كفروا السفلى، فيُعْبَدَ اللهُ وحدَه في الأرضِ، وحتى لا تكونَ فتنةٌ عن الدين وصدٌّ عن سبيل الله.

قال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال]

وقال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(١)].

فالجهادُ في سبيلِ اللهِ هو الطريقُ لإعلاءِ كلمةِ الله، وجعلِ كلمةِ الذين كفروا السفلى، ليكونَ الإسلامُ هو الأعلى والكفرُ هو الأسفلُ والأدنى.

أما مَنْ قاتل لغيرِ ذلك سواءٌ من قاتلَ حميةً أو وطنيةً أو شجاعةً أو غضباً أو رياءً أو سمعةً أو غيرَ ذلك فله ما نوى ولا أجرَ له عند الله، فإن النبيَّ ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى**»[(٢)].



وقال ﷺ: «**مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ ولَمْ يَنْوِ إلاَّ عِقالاً؛ فَلَهُ مَا نَوَى**»[(٣)].

أي من خرجَ غازياً في سبيلِ الله ينوي عِقالاً -وهو الحبلُ الذي يُرْبَطُ به البعيرُ- فله ما نوى.

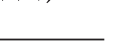
وجاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: أرأيتَ رجلاً غزا يلتمسُ الأجرَ والذكرَ، ما له؟ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لاَ شَيْءَ لَهُ**». فأعادها ثلاثَ مرات، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ شَيءَ لَهُ**» ثم قال: «**إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلاَّ مَا كَانَ خالِصًا، وابتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»[(٤)].

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه النسائي (٣١٣٨)، وأحمد (٥/ ٣١٥)، والدارمي (٢٤٦٠) وابن حبان (٤٦١٩)، وابن المنذر في «الأوسط» (٦١٦١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٤)].

(٤) **حسن**: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٣٤١٠)، والطبراني (٧٦٢٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣١)].



ويقول ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقضى يومَ القِيَامةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فعَرَفَهَا، قال: فَمَا عَمِلتَ فيها؟**

قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ.

قال: «**كَذَبْتَ، وَلَكنكَ قَاتَلتَ لأَنْ يُقَال: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»[1].

الهدفُ الثاني: ردُّ اعتداءِ المعتدين.

الذين يعتدون على أموال المسلمينَ، وبلادِ المسلمين، وأعراضِ المسلمينَ ودينِ الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة]

الهدف الثالث: إرهابُ الكافرين وإذلالهُم حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون.

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة]

الهدفُ الرابعُ: تعذيبُ الكافرينَ وشفاءٌ لصدورِ المؤمنين.

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة]

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٠٥).




الهدفُ الخامسُ: الحصولُ على الشهادةِ في سبيلِ الله بعد ابتلاءِ المؤمنينَ بالكافرينَ، واللهُ عز وجل قادرٌ أن ينتصرَ وينتقمَ من الكافرين فإنهم لا يُعجزونه، ولكنها سنةُ اللهِ تبارك وتعالى في عبادِه أن يبتلي المؤمنَ بالكافر تمحيصاً وابتلاءً وامتحاناً:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [محمد]

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران]




فالهدفُ الأسمى منَ الجهادِ في سبيلِ الله أن تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، والحالُ بين اثنتين إما أن يحصلَ أهلُ الإسلامِ على الشهادةِ في سبيلِ اللهِ أو ينتصرَ الإسلامُ والمسلمون.

ولقد تبينَ لنا في الجمعةِ الماضيةِ أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم ضربوا لنا مثلاً أعلى في الحرصِ على الشهادةِ في سبيلِ اللهِ، فمنهم من قالَ في أرضِ المعركةِ وهو يأكلُ التمراتِ: لئن أنا حييتُ حتى آكلَ هذه التمرات إنها لحياةٌ طويلةٌ، ثم رمى بما معه من التمراتِ، وانقضَّ على أعداءِ الإسلامِ يحصدُهم بسيفِه فقاتلَ حتى قُتل(١).

(١) **صحيح**: إشارة إلى قصة عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه وهي عند مسلم (١٩٠١).

وآخرُ قال: يا رسولَ الله! ما على هذا اتبعتُك، إنما اتبعتُك كي أُرْمَى بسهمٍ هاهنا -وأشارَ إلى حلقه- فأموتَ، فأدخلَ الجنةَ، صدقَ اللهَ فصدَقَه[1].

وقال ثالثٌ: يا سعدَ بنَ معاذ! الجنةُ وربِّ النَّضرِ، إني لأجدُ ريحَها من دونِ أُحد[2].

إخوةَ الإسلام! والذين يحققونَ هذه الأهدافَ، وهذه الغاياتِ في الجهادِ الذي شُرِعَ من أجلِ إعلاءِ كلمة لا إله إلا الله، وَالذين يقومون بذلك هم الصادقون، هم الذين صدقوا في إيمانهم، هم الأبطالُ الشجعانُ، هم الذين تَرَبَّوا على الكتاب والسنة.

هُمُ الذين وصفهُمُ اللهُ في كتابه فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].




وها هو رسولُنا ﷺ مثالُنا الأعلى في الأعمال الصالحَةِ والأخلاقِ الفاضلةِ أعظمُ من ضحى لنشرِ هذا الدينِ وأشجعُ مَنْ دافع عن حِياضه.

١ - يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ أحسنَ الناسِ، وكان أجودَ الناس، وكانَ أشجعَ الناسِ، ولقد فزع أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلة، فانطلقَ ناسٌ قِبَلَ الصوتِ، فتلقاهم رسولُ اللهِ ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوتِ، وهو على فرسٍ لأبي طلحةَ عُرْيٍ، وفي عنقه السيفُ وهو يقولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**»[3].

شجاعةٌ وإقدامٌ، قبل أن يصلَ الناسُ إلى الصوتِ كانَ رسولُ اللهِ قد وصلَ

(١) **إشارة إلى حديث صحيح**: أخرجه النسائي (١٩٥٣)، والحاكم (٣/ ٦٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٧١)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ١٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦)].

(٢) **صحيح**: يشير إلى قصة أنس بن النضر رضي الله عنه وهي عند البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٩٠٨) ومسلم (٢٣٠٧) واللفظ لمسلم.

ورجعَ مقبلاً على أصحابه يقولُ لهم: لم تراعوا، لم تراعوا.

٢- ويقول ابنُ عمر رضي الله عنه: (ما رأيتُ أحداً أنجَدَ، ولا أجودَ ولا أشجعَ، ولا أَوضَأَ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم)(١).

٣- ويقول البراء رضي الله عنه: (كنا والله إذا احمرَّ البأس(٢) نتقي به، وإنَّ الشجاعَ منا لَلذي يُحاذي به، يعني النبيَّ صلى الله عليه وسلم)(٣).

٤- ويقول علي رضي الله عنه: (لقد رأيتُني يومَ بدرٍ، ونحن نلوذ بالنبيِّ عليه السلام، وهو أقربُنا إلى العدوِّ، وكان من أشدِّ الناسِ يومئذ بأساً)(٤).

إخوةَ الإسلام! تعالَوا بنا لنتعلمَ الشجاعةَ والتضحيةَ من صحابةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الذين ضربوا لنا مثلاً أعلى في الشجاعة.

١- هذا المقدادُ بنُ الأسودِ رضي الله عنه فارسُ بدرٍ، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه عنه: (شهدتُ مِنَ المِقداد بنِ الأسودِ مشهداً لَأن أكونَ صاحبَه أحبُّ إليَّ مما عُدِلَ به؛ أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقولُ كما قالَ قومُ موسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة:٢٤] ولكنْ نقاتلُ عن يمينِك، وعن شمالِك، وبين يدَيك ومِن خلفك.

-يقولُ ابنُ مسعود: -فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أشرقَ وجهُهُ وسَرَّهُ، يعني قولَهُ)(٥).

وجاء في «البداية والنهاية» أنَّ المقدادَ رضي الله عنه قال: يا رسولَ اللهِ! امضِ لما أراكَ



(١) رجاله ثقات: أخرجه الدارمي (٦٠)، وأبو نعيم (٧/ ٢٤٤)، [ومسند «الدارمي»، تحقيق: حسين سليم الداراني (١/ ٢٠٤)].

(٢) أحمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٧٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٨٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٧٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٦٩٩) واللفظ له، [«محققو المسند»].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٩٥٢).



اللهُ، فنحنُ معكَ لا نقولُ لكَ كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فوالذي بعثكَ بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى «بَرْك الغماد» لجالَدْنا معك من دونه حتى تبلغَه، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ خيراً ودعا له)[١].

بطولةٌ وإقدامٌ يبتغي بذلك وجهَ الله.

٢- وهذا سعدُ بن معاذٍ رضي الله عنه سيدُ الأنصار كان سيداً من ساداتِ المواقفِ يومَ بدر، وذلك حينَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّها النّاس**».... فقال سعدٌ رضي الله عنه: والله لكأنك تُريدُنا يا رسولَ الله؟ قال: «**أجَل**» قال: قد آمنا بك وصدّقناك، وشَهدْنا أن ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمعِ والطاعةِ لك؛ فامضِ يا رسولَ اللهِ لما أردتَ، فنحنُ معك فوالذي بعثَكَ بالحقِّ لو استعرضْتَ بنا البحرَ فَخُضْتَهُ لخضناه معك، ما تخلفَ منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاءِ، لعلَّ اللهَ أن يُريَك منا ما تقرُّ به عينُك، فَسِرْ على بركةِ الله.

فسُرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بقولِ سعدٍ ونَشَّطه.

ثم قال ﷺ: «**سِيرُوا وأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ وَعَدَني إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعَ القَوْمِ**»[٢].

٣- وهذان شابان من الأنصار -معاذُ بنِ عمرو بن الجموح، ومعاذُ بنُ عفراءِ رضي الله عنهما- اللذان ضربا مثالاً أعلى للشبابِ خاصةً في الشجاعةِ والقوةِ -ففي يومِ بدرٍ، يوم الفرقانِ يومَ التقى الجمعانِ- يقولُ عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ رضي الله عنه: (بينا أنا واقفٌ في الصفِّ يومَ بدرٍ، نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين



(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٥٨).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٥٨).



من الأنصارِ حديثَةٌ أسنانُهما -أي: صغارُ السنِّ- تمنيتُ لو كنتُ بين أضلَعَ منهما، فغمزني أحدُهما، فقال: يا عمِّ هل تعرفُ أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتُك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرتُ أنه يَسُبُّ رسولَ اللهِ ﷺ، والذي نفسي بيده! لئن رأيتُه لا يفارقُ سوادي سوادَه -أي: جسدي جسدَه- حتى يموتَ الأعجلُ منا. قال: فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخرُ فقال مثلَها.

قال: فلم أَنْشَبْ أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ يزولُ في الناسِ، فقلتُ: ألا تريان؟ هذا صاحبُكم الذي تسألاني عنه؟

قال: فابتدراهُ فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأخبراه، فقال: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» فقال كلُّ واحدٍ منهما: أنا قتلته، فقال ﷺ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا**»؟. قالا: لا.

فنظر -أي: النبيُّ ﷺ- في السيفين فقال: «**كِلاكُمَا قَتَلَهُ**»، وقضى بِسَلْبِه لِمعاذِ بنِ عمرِو بن الجموح. والرجلان: معاذُ بنُ عمرِو بن الجموح ومعاذُ بن عفراء)[1].

أين تربى هؤلاء الشبابُ؟!

تربَّوا على الكتابِ والسنةِ، على حبِّ الله وحبِّ رسولِه ﷺ، وطاعةِ الله وطاعةِ رسولِه.

فانظروا عبادَ الله! بالله عليكم إلى هؤلاء الشبابِ وإلى شبابِنا وأولادِنا، كلٌّ منكم بعدَ أن يرجعَ إلى بيته ينظرُ إلى ولدِه ماذا يضعُ في عنقِه؟ ينظر إلى أولادِه هل هؤلاء تربَّوا كما ربى النبيُّ ﷺ أصحابه على الشجاعةِ والتضحيةِ والإقدامِ. فاللهَ، اللهَ في أولادنا، اللهَ اللهَ في شبابِنا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢) واللفظ لمسلم.

٤- وهذا أبو طلحةَ الأنصاريُّ رضي الله عنه.

الذي قالَ عنه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ**»(١).

يقول أنسٌ رضي الله عنه: (لما كانَ يومُ أُحد، انهزمَ الناسُ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأبو طلحةَ بين يدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم مُجَوِّبٌ عليه بـحجفةٍ لَهُ -أي: مُترِّساً عليه بالترس- وكان أبو طلحَة رجلاً رامياً شديدَ النزع، كَسَّر يَومئذٍ قوسين أو ثلاثاً. وكانَ الرجلُ يمرُّ معه بجَعْبَةٍ من النَّبل فيقول صلى الله عليه وسلم: «**انْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ**» قال: ويشرفُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ينظرُ إلى القوم، فيقولُ أبو طلحةَ: بأبي أنت وأمي، لا تُشرِفْ يصيبُك سهمٌ من سهامِ القوم، نحري دون نحرِك)(٢).




(وكان إذا بقي مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم جثا بَيْن يديه وقال: وجهي لوجهك الوقاءُ، ونفسي لنفسك الفداءُ)(٣).

وهذه هي الدروسُ والعظات والعبر التي تؤخذُ مما سبق ذكره:

أولاً: الشجاعةُ دليلٌ على صدقِ الإيمانِ.

والشجاعةُ تتمثلُ في القولِ والعملِ.

فانظروا إلى شجاعة المقدادِ التي ظهرَت من قولِه للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: فامضِ يا رسولَ الله! فلا نقولُ لك كما قال بنو إسرائيل لموسى، إنما نقاتلُ عن يمينِك وعن شمالِك وبين يدَيك وخَلْفَك!

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٩٧)، وفي «مسند الحارث» (بغية الباحث) (١٠٢٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٠٥)، [«صحيح الجامع» (٥٠٨١)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٠٦٤)، ومسلم (١٨١١).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٦١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٠٢)، والحميدي (١٢٠٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٩٨)، وابن السني (٤٤١)، وأبو يعلى (٣٩٨٣)، [«محققو المسند»].

وتأملوا قولَ سعدِ بنِ معاذٍ ﵁ حين قال للنبيِّ ﷺ: فامضِ يا رسولَ اللهِ! فوالله لو استعرضْتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجلٌ واحد!

قفوا مع الغلامين! شاهِدوا الشجاعةَ في العملِ، وكيف ابتدرا أبا جهل فقتلاه لما سمعا أنه يسبُّ رسولُ اللهِ ﷺ.

فالشجاعةُ دليلٌ على صدقِ الإيمانِ، ودليلٌ على محبةِ اللهِ ورسولِه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات]




ثانياً: أن الشجاعَة إذا كانتْ في سبيلِ اللهِ وللهِ فهي شجاعةٌ محمودةٌ، أما إظهارُ الشجاعةِ لتحصيلِ دنيا فانيةٍ، أو حميةٍ، أو عصبيةٍ فإنها شجاعةٌ لا اعتبار لها.

فشجاعةُ الصحابةِ مثلاً وقتالُهم يكونُ في موازينهم يومَ القيامة.

أما مَن تشجّعَ فقاتل حميةً فإن قتالَه ليس في سبيلِ الله، فعن أبي موسى ﵁ قال (سُئل رسولُ اللهِ ﷺ عن الرجلِ يقاتلُ شجاعةً، ويقاتل حميةً[١]، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلكَ في سبيلِ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبيلِ الله**»[٢].

فالشجاعةُ ليست بإلقاءِ الخطبِ الرنانة، والقيلِ والقالِ، وإنما هي إخلاصُ النيةِ لله تعالى في طلبِ النصرِ أو الشهادةِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلى دِينِكَ رَدّاً جَمِيلاً

(١) حمية: هي الأنفة والغيرة والمحاماة عن عشيرته.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤) واللفظ لمسلم.



موقفٌ في الولاءِ والبراءِ (١)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ السابعَ عشرَ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في الولاءِ والبراءِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة]

والولاءُ هوَ: المحبةُ والنُّصْرةُ والاتباعُ والقُرْبُ.

نقول: فلانٌ يوالي فلاناً: أي: يحبهُ وينصرهُ ويتبعهُ ويقتربُ منه.

• والمؤمنُ لا يكونُ ولاؤه إلا لله ولرسوله، وللمؤمنينَ الصادقينَ، الذينَ آمنوا بالله رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً.

وأما البراءُ فهوَ: الابتعادُ والبغضُ والنفورُ والكراهيةُ.

نقولُ فلانٌ يتبرأُ من فلانٍ؛ أي: يُبغضه ويكرهُه ويبتعدُ عنه، وقد أوجبَ اللهُ تباركَ وتعالى على المؤمنينَ الذين آمنوا باللهِ ورسولِه، وسلكوا سبيلَ المؤمنينَ أن يتبرّأوا من كُلِّ كافرٍ كفرَ باللهِ ورسولِه، وسلكَ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ.

فالواجبُ على المؤمنِ أن يمتثلَ أمرَ اللهِ عز وجل فيتبرأَ من كُلِّ كافرٍ، ويواليَ المؤمنين. لأنَّ:

أولاً: الولاءُ والبراءُ من لوازمِ لا إله إلا اللهُ.

قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة]

وقال بعضُ السلفِ: (إنَّ الإنسانَ لا يستقيمُ له إسلامٌ ولو وَحَّدَ اللهَ وترك الشركَ إلا بعداوةِ الكفارِ والمشركينَ).

ثانياً: يجبُ على المؤمنِ أن يتبرأَ من الكافرِ لأنه كفرَ بـ (لا إلهَ إلا اللهُ)، لأنه أشركَ مع اللهِ غيرَه من خلقِه في الدعاءِ أو أيِّ نوعٍ آخرَ من العبادةِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات].

ثالثاً: المؤمنُ يتبرأُ من الكفارِ، لأنهم ينفقونَ أموالَهم بالليلِ والنهارِ ليصدوا عن سبيلِ اللهِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٣٦].

رابعاً: المؤمنُ يتبرأُ منَ الكفارِ لأنهم لا يحبون المؤمنين.

قال تعالى: ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران:١١٩]

وقال تعالى: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨]، وقال تعالى: ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة]




خامساً: المؤمنُ يتبرأُ من الكفارِ لأنهم يحسدون المؤمنين على إيمانهم ويتمنَّوْن لهم أن يكفرُوا كما كفروا.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة:١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة:٢١٧]

وقد جاءتِ أدلةٌ في الكتابِ والسنةِ تُحَذِّرُ من موالاةِ الكفارِ، نذكرُ منها قولَ اللهِ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة:١]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة]

ثم هذا رسولُنا ﷺ يخبرُنا أنَّ الولاءَ والبراءَ من أوثقِ عُرَى الإيمانِ.

قال ﷺ: «**أَوْثَقُ عُرَى الإيمان: المُوَالاةُ في اللهِ، والمُعَاداةُ في اللهِ، والحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ عزّ وجلّ**»(١).

وأخبر ﷺ أيضاً أنَّ الولاءَ والبراءَ دليلٌ على كمالِ الإيمانِ.

فقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإيمان**»(٢).

وقد بايعَ النبيُّ ﷺ أصحابَه على موالاةِ المؤمنينَ، والبراءةِ منَ الكافرين، فعن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: (بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على إقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والنُّصحِ لكلِّ مسلم)(٣).

فالواجبُ على كُلِّ مسلمٍ أن يواليَ المؤمنينَ: فيُحبُّهم، وينصرُهم، ويدافعُ عنهم، ويتقربُ إليهم.

وبالمقابلِ يجبُ على المسلمِ أيضاً أن يتبرأَ من الكفارِ، ويُبغضُهم، ويُعاديهم، ولا ينافي ذلك أنْ يدعوَ اللهَ لهم بالهدايةِ أو أن يدعوهم إلى اللهِ؛ فلعلَّهم أن يؤمنوا



(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧١، ١٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥١٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٣٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والترمذي (٢٥٢١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٣١)، وفي «الأوسط» (٩٠٨٣)، وابن أبي شيبة (٨/ ١٩١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٩)، [«الصحيحة» (٣٨٠)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).



بالله وحدَه فيصبحوا إخواناً له يواليهم كما يوالي سائرَ المؤمنين.

فتعالَوا بنا لنتعلمَ الولاءَ والبراءَ من إبراهيمَ عليه السلام.

الذي قالَ اللهُ عنه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء]

قال اللهُ عزَّ وجلَّ في حقِّه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠]

ووصفه ربُّه سبحانَه بقولِه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم]

وشرّفَه ورفعَ منزلتَه فقالَ سبحانه له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤]

إنه إبراهيمُ عليه السلام أبو الأنبياءِ، خليلُ الرحمنِ الذي أمرَ اللهُ تباركَ وتعالى رسولَه محمّداً صلى الله عليه وسلم أن يَتّبعَ ملتَه.

فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل]، وأمرَ أمةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم والعبادَ باتباعِ ملةِ إبراهيمَ قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران].

عاشَ نبيُّ اللهِ إبراهيمُ عليه السلام في بيئةٍ تعبدُ الأصنامَ من دونِ الله، فأخذَ يدعوهم إلى عبادةِ الله وحدَه، ويُحذِّرهم من عبادةِ الأصنامِ، بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ.

وكانَ من رُشْدِه عليه السلام أن بدأَ بأقربِ الناسِ إليه، فبدأ بدعوةِ أبيه؛فلقد كانَ أبوه رأساً من رؤوسِ الكفرِ وعبّادِ الأصنامِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام]

وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء]

وفي موضع ثالثٍ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم]

فماذا كانَ ردُّ هذا الوالدِ الكافرِ حينَ دعاه ابنُه المؤمنُ، قال تعالى حكايةً عنه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم]

وهكذا انتقلَ إبراهيمُ عليه السلام إلى دعوةِ قومِه، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء]، هذه حجتُهم وحجةُ أهلِ الضلالِ جميعاً.

قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء]




فلما نظروا إلى آلهتهم وقد حُطِّمَتْ، ولم تَدفعْ عن نفسِها الضُّرَّ علموا وأيقنوا أنهم على ضلالٍ، ولكنهم رفضوا أن يَتَّبعوا إبراهيمَ عليه السلام، واستكبروا استكباراً، وماذا كانَ ردُّهم؟

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء]

ونبيُّ الله إبراهيمُ دخلَ البيوتَ من أبوابِها، دعا والدَه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة.

ودعا قومَه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ.

ودعا الحاكمَ في ذلك الوقتِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وأفحَمَهُ -بالحجةِ والبرهانِ- فَبُهِتَ الذي كفر، ولم يفكرْ إبراهيمُ عليه السلام في مُلكِ البلادِ يوماً من الأيام، ولم يفكرْ أن يُدَبِّرَ انقلاباً على الحاكم في ذلك الوقت، ولكنه قام بتكسيرِ الأصنام والآلهةِ ليبينَ لهم أنها آلهةٌ لا تنفعُ ولاَ تضرُّ، ولا تملكُ لنفسِها نفعاً ولا ضَراً، فكانَ يدعو إلى التوحيدِ، فهو طالبُ آخرةٍ ولم يطلبِ الدنيا، ولذلك بعد أن دعاهم إلى التوحيدِ وأبَوْا إلا الكفرَ، ما كان منه إلا أن تبرأَ من أبيه ومن قومِه، وأعلنَ العداوةَ والبغضاءَ لهم أبداً حتى يؤمنوا بالله وحدَه.

والله عز وجل يأمرُنا أن نتأسى بإبراهيمَ في ذلك.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة].




في هذه الآيات يأمرنا ربنا جل وعلا أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام في ثلاثةِ أمورٍ:

أولاً: التبرُّؤُ من الكفارِ ومما يعبدونَ من دونِ الله.

أي: أن نتبرأَ منهم ومن دينهم لأنهم ليسوا على الحقِّ.

ثانياً: أن نكفرَ بهم وبما هم عليه من الديانةِ الباطلةِ.

ثالثاً: أن نعلنَ العداوةَ والبغضاءَ لهم أبداً حتى يؤمنوا باللهِ وحدَه.

وقال سبحانه وتعالى في موضع آخرَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة]




فهذا إبراهيمُ عليه السلام مثالٌ أعلى في الولاءِ والبراءِ.

فليتقِ اللهَ الذين يوالون الكفارَ، واللهُ عز وجل يقول: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

وليتقِ اللهَ الذين يتشبهونَ بالكفارِ.

والرسولُ ﷺ يقولُ: «**مَن تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم**»(١).

وليتقِ اللهَ أولئكَ الذين يهاجرونَ من بلادِ الإسلامِ ليعيشوا بين الكفارِ في بلادِ الكفرِ.

والرسولُ ﷺ يقولُ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٢/ ٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٣٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (١١٩٩)، والبزار في «كشف الأستار» (١٤٤)، [«إرواء الغليل» (١٢٦٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٠٣)، [صحيح الجامع» (١٤٦١)].

فالكثيرُ من الناسِ يسارعونَ إلى سفاراتِ الكَفَرةِ ليحصلوا على تأشيرةِ الدخولِ لبلادِ الكفرِ، ليهاجروا من بلادِ الإسلامِ إلى بلادِ الكفرِ، أولئك سوفَ يدفعونَ الثمنَ غالياً، إن الثمنَ هو الدينُ والعِرضُ والكرامةُ.

فلْيتقِ اللهَ كُلُّ من يبيعُ دينَه بِعَرَضٍ من الدنيا زائل!

وليتق اللهَ الذين جعلوا بطانتهم من الكفارِ.

وَليتقِ الله أولئكَ الجهلةُ الذينَ يترحمونَ على الكفارِ، ويستغفرونَ لهم بعدَ موتهم!




أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخَذُ من هذا الموقفِ:

أولاً: الولاءُ والبراءُ من لوازمِ لا إلهَ إلا اللهُ.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة]

فنحنُ نوالي المؤمنينَ لأَنَّ اللهَ وليُّهم، ونتبرأُ من الكافرين لأَنَّ الطاغوتَ وليُّهم.

يقولُ ابنُ عباس رضي الله عنه: (رجلٌ أحبَّ في اللهِ، وأبغضَ في اللهِ، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنالُ وَلايةُ اللهِ بذلكَ، ولا يجدُ رجلٌ طعمَ الإيمانِ وإنْ كَثُرتْ صلاتُه وصومُه حتى يكونَ كذلك)(١) فالمؤمنُ الصادقُ يشعرُ بطعمِ الإيمانِ وبلذتهِ عندما يوالي المؤمنين، ويعادي الكافرينَ أبداً حتى يؤمنوا باللهِ وحدَه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٦٩١)، والطبراني (٧٣٥٣١)، واللالكائي في «شرح أصول أهل السُنّة» (١٩٦١).

ثانياً: الداعي المخلصُ إلى اللهِ، الذي يدعو إلى (لا إله إلا الله)، يدعو إلى عقيدةِ التوحيدِ، وإلى التزامِ السّنّةِ، ويسلكُ سبيلَ المؤمنينَ، لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ.

فهذا إبراهيمُ عليه السلام وكان فتىً في سِنِّ الشبابِ يقولُ لقومه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]

ولذلك قالَ إبراهيمُ بِكُلِّ قوّةٍ ولم يَخَفْ في اللهِ لومةَ لائم.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء].

وكادَ لأصنامهم وحَطَّمها.

وقال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾[الشعراء]

ثالثاً: أنه من تَركَ شيئاً لله عَوَّضَهُ اللهُ خيراً منه.

فهذا إبراهيمُ عليه السلام اعتزَل قومَه وهجرَهُم لأنهم كفروا بالله وحدَه.

وتركَ بلدَه لأنها بيئةُ كفرٍ، وعبادةِ أصنامٍ، فأبدله الله قوماً صالحينَ وأرضاً مباركةً.

يقول الله -عز وجل- عن إبراهيمَ عليه السلام عندما قال له أبوه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم]

بَيَّن لنا ربُّنا في موضعٍ آخرَ أنه نقله من هذه البيئةِ الفاسدةِ إلى الأرضِ المباركةِ.

فقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

[الأنبياء]

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيم رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَرُدَّ الْمُسْلِمينَ إِلَى دِينِهِ رَدّاً جَميلاً




١٨

موقفٌ في الولاءِ والبراءِ (٢)
(الصحابةُ رضي الله عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ الثامنَ عشرَ من المواقفِ الإيمانِية.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

هو [**موقفٌ إيمانيٌّ آخرُ في صدقِ الولاءِ والبراءِ**]

لقد تبينَ لنا في الجمعةِ الماضيةِ أنه يجبُ على المؤمنِ أن يواليَ المؤمنينَ الصادقينَ الذين آمنوا بـ(لا إله إلا الله) واتبعوا الرسولَ ﷺ، وسلكوا سبيلَ المؤمنين.

ويجبُ عليه أن يعاديَ الكافرين المجرمين الذين كفروا بـ(لا إله إلا الله) واتبعوا الشيطانَ، وسلكوا سبيلَ المجرمينَ.

أي: يجبُ على كُلِّ مؤمنٍ أن يواليَ المؤمنين حيثُما كانوا، ويتبرأَ منَ الكافرين أينما وُجدوا.

وذلك:

أولاً: لأنَّ الولاءَ والبراءَ من لوازمِ (لا إله إلا الله).

ثانياً: لأنَّ الولاءَ والبراءَ دليلٌ على كمالِ الإيمانِ.

ثالثاً: لأنَّ الولاءَ والبراءَ من أوثقِ عُرى الإيمانِ.

وقد جاءتْ أدلةٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسنةِ تُحذِّرُ منْ موالاةِ الكافرينَ.

قال تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا

﴿قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة]

وها أنا أذكرُ لكم صوراً من موالاةِ الكفارِ التي وقعَ فيها كثيرٌ مَنَ الناسِ، منها ما هو كفرٌ أكبرُ يُخرجُ من الملةِ، ومنها ما هو من قبيلِ المعاصي لا يُخْرِجُ صاحبَه من الملةِ.

لِيَهْلِكَ من هلكَ عن بينةٍ ويحيا من حَيَّ عن بينة.

هذه صورٌ من موالاةِ الكفارِ لتكونوا منها على حذرٍ:

أولاً: الرضا عن كفرِ الكافرينَ، وعدمُ الإفصاح بتكفيرهم، أو عدمُ الشَّكِّ في كفرِهم، فالأصلُ أنَّ الرضا بالكفرِ كفرٌ أكبرُ مُخْرِجٌ من الملة.

ثانياً: اتخاذُ الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤمنينَ أو الدخولِ في دينهم.

قال تعالى: ﴿**لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ**﴾ [آل عمران:٢٨]

أي: فمن يوالي الكفارَ فاللهُ تباركَ وتعالى يتبرأُ منه.

ثالثاً: الإيمانُ ببعضِ ما همْ عليهِ من الكفرِ، أو التحاكمُ إليهم بدلاً من التحاكمِ إلى كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء]

رابعاً: مودةُ الكافرينَ ومحبتُهم، واللهُ عز وجل نهى المؤمنينَ عن ذلك:




قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]

خامساً: الركونُ إلى الكفَرة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

والكفارُ هم أظلمُ الناسِ على الإطلاقِ.

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة].

سادساً: مداهنةُ الكفارِ ومجاملتُهم حتى ولو كانَ ذلك على حسابِ الدين.

قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم]

سابعاً: اتخاذُ بطانةٍ من الكفارِ بدلَ المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

[آل عمران]

ثامناً: مجالستُهم وهم يستهزئونَ بآياتِ الله.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء]

تاسعاً: طاعتُهم فيما يأمرونَ به من أمورٍ حتى وإنْ خالَفَتْ أوامرُهمُ الدينَ.

قال تعالى ناهياً عن ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران]

عاشراً: التشبهُ بهم فيما هو من خصائصِهم وعاداتِهم، ولباسِهم، وأكلِهم، ومعَ أنَّ الرسولَ ﷺ يقول: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

والنهيُ عن التشبهِ بهم في الظاهرِ لأنه إنما يدلُّ على محبتهم في الباطن.

واللهُ عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

حادي عشر: الاستغفارُ والترحمُ على موتاهم، وتشييعُ جنائزِهم. فالمسلمُ الذي يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ لا يجوزُ له أبداً أن يترحمَ على كافرٍ ماتَ على كفره ولو كانَ منْ أقربِ الناسِ إليه، ولا يجوزُ له أيضاً أن يستغفرَ لهذا الكافرِ، أو أن يصليَ عليهِ أو أن يمشيَ في جنازتِه لأنه ماتَ وهو كافرٌ باللهِ ورسولِه.

واللهُ تباركَ وتعالى يقول: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة]



وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]



وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة]

إخوةَ الإسلام! معاصٍ وقعَ فيها الكثيرُ، منها ما هو كفرٌ أكبرُ يُخرجُ من الملةِ، ومنها ما هو من قبيلِ المعاصي ولكنه لا يُخْرِجُ منَ المَلةِ فكونوا منها على حذرٍ.

وبعدَ ذلك ترى كثيراً ممن لا عقلَ لهم يسارعونَ إلى بلادِ الكفرِ، ويحرصون كلَّ الحرصِ على أن يعيشوا فيها، وأن يتحصلوا على جنسيةِ الكفارِ، وعلى جوازِ سفرِ الكفارِ، ويعيشوا هم وأولادهم بينَ الكفارِ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٢/ ٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٣٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (١١٩٩)، [«إرواء الغليل» (١٢٦٩)].

والإسلامُ يأمرُ المسلمَ أن يهاجرَ بعد إسلامه من بلادِ الكفرِ إلى بلادِ الإسلامِ.

فالرسولُ ﷺ يقولُ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**» قالوا: يا رسولَ الله، لِمَ؟ قال: «**لا تَرَاءَى نَاراهُمَا**»(١). فلا يجوزُ أبداً أن نعيشَ بينهم ولا أن نجالسَهم إلا في مجالِ الدعوة بأنْ ندعوَهم إلى (لا إله إلا الله)، أو لضرورةٍ يحتاجُ إليها المسلمون.

أما منْ أجلِ الدنيا الفانية والدنانيرِ نذهبُ إلى بلادهم ونرضى بالذلِّ والهوانِ لنحصلَ على المالِ ونحصلَ على الجوازِ والجنسيةِ، ثم بعدَ الحصول على الجوازِ والجنسيةِ نَدفعُ الثمن بعد ذلك.




أما رأيتم مَنْ عاشَ هناك؟! انظروا إلى بناتِه لا يعرفنَ الحياءَ، انظروا إلى ولدِه الذي يقولُ (لا إله إلا الله) يتجندُ في جيشِ الكفارِ رغمَ أنفه ورغم أنفِ أبيه، ثم بعد ذلكَ يكونُ ضمنَ الكفارِ الذين يقاتلونَ المسلمينَ الذين يقولونَ (لا إله إلا الله)، فانتبهوا يا أولي الألباب! واستيقظوا يا أمةَ محمّدٍ ﷺ.

وتعالوا بنا لنتعلمَ الصدقَ في الولاءِ والبراءِ من صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ الذين ضربوا لنا مثلاً أعلى في الولاءِ لله ولرسولِه وللمؤمنين، وفي البراءِ من المشركينَ ولو كانوا أولي قربى.

فهذا سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ الذي كان ولاؤُهُ لله عز وجل ولرسولِه ﷺ تبرَّأَ من أمه التي حاولت أن تصدَّه عن دينه.

• سعدُ بنُ أبي وقاصٍ من السابقينَ إلى الإسلامِ، وهو أولُ من رمى بسهمٍ في سبيلِ اللهِ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٣٧٤) وفي «السنن» (٨/ ٢٢٥)، [«صحيح أبو داود» (٢٣٠٤)].



إنه مَن افتداه الرسولُ ﷺ بأبويه، فعن علي رضي الله عنه قال: ما سمعتُ النبيَّ ﷺ جمعَ أبَوَيْهِ لأحدٍ إلا لسعدِ بنِ مالكٍ، فإني سمعته يقولُ يومَ أحدٍ: «**يَا سعدُ! ارْمِ فِداكَ أَبِي وأُمِّي**»[١].

سعدُ بنُ أبي وقاصٍ الذي كانَ له سلاحان: دعاؤُه ورمحُهُ: فإنه كانَ إذا دعا اللهَ أجابَه، وإذا رمى بسهمٍ في الحربِ أصابَه.

كان سعدٌ رضي الله عنه باراً بأمِّه التي قالت له عندما أسلم: ما هذا الدينُ الذي أحدثْتَ؟ واللهِ لا آكلُ ولا أشربُ حتى ترجعَ إلى ما كنتَ عليه أو أموتَ فتُعَيَّرَ بذلك أبدَ الدهر: يُقال: يا قاتلَ أمِّهِ!

ومضت أمُّه في تصميمٍ مستميتٍ تواصلُ إضرابَها عن الطعامِ والشرابِ حتى أشرفَتْ على الهلاكِ.




كلُّ ذلكَ وسعدٌ رضي الله عنه لا يتزعزعُ ولا يتنازلُ عن دينِه، ولا يبيعُ إيمانَه ودينَه بشيء، حتى ولو أدى ذلك إلى موتِ أمِّه الكافرة التي كان أبَرَّ الناس بها.

وكادت أمُّه تُشرِفُ على الموتِ فجاءه بعضُ أهلِه وأخَذَهُ إليها لِيلْقيَ عَليها نظرةَ الودَاع، مؤمِّلين أن يَرِقَّ قلبُهُ حين يراها في سَكَراتِ الموتِ.

وذهبَ سعدٌ رضي الله عنه.. ورأى مَشهداً يذيبُ الصخرَ، ولكنَّ إيمانَه باللهِ وبرسولِه جعلَه أقوى وأشدَّ صلابةً من الصخرِ، فاقتربَ بوجهه من وجهِ أمِّه وقال: يا أمَّه! تعلمينَ واللهِ لو كانَتْ لكِ مائةُ نفسٍ، فخرَجَت نفساً نفساً ما تَرَكْتُ ديني هذا الشيء، فإنْ شئتِ فكلي وإن شئتِ لا تأكلي، فأكَلَتْ)[٢].

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١).

(٢) ذكره بسنده إلى الطبراني في كتاب «العشرة» ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٥٨٧، ٥٨٨) عن الطبراني في كتاب «العشرة»، وأصله في «صحيح مسلم» (١٧٤٨).

الله أكبر! إنه الولاءُ، إنه الإيمانُ، ولاءٌ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين وبراءٌ من الكفارِ ولو كانوا أولي قربى.

فلما أيسَتْ منه أكلَت وشربَت وَعَدَلتْ عن إضرابها، ونزل الوحيُ يقرُّ موقفَ سعدٍ ويؤيدُه.

قال عزَّ وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

إنه الولاءُ للهِ عز وجل ولرسولِه ﷺ، والبراءُ من الكفارِ وإن كانوا من أقربِ الناسِ، إنها واللهِ صورةٌ من صورِ الولاءِ والبراءِ من أعجبِ وأصعبِ وأروعِ وأبهى الصورِ، فلله دَرُّكَ يا سَعْدُ!!

وهذا مثالٌ آخرُ من صحابيٍّ جليلٍ آخرَ إنه عبدُ الله بنُ عبدِ اللهِ بنِ أُبيّ بن سَلولٍ الذي تولى اللهَ ورسولَه، وتبرأَ من أبيه ابنِ أُبيٍّ بنِ سَلول، رأسِ النفاقِ.

وأما تفصيلُ ذلك ففي غزوةٍ من الغزواتِ قالَ عبدُ الله ابنُ أُبيّ بن سلولٍ -زعيم المنافقين- ما أخبرَ اللهُ عزَّ وجل عنه في كتابه: ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ**﴾ -يقصدُ نفسَه- ﴿**مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ**﴾ -يقصدُ رسولَ اللهِ ﷺ-.

فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقام عمرُ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ الله! دعني أضربْ عنقَ هذا المنافقِ، فقال النبيُّ ﷺ: «**دَعْهُ، لاَ يَتَحَدّثُ النّاسُ أَنَّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»(١).

ولما بلغَ الخبرُ ابنَه عبدَ الله رضي الله عنه أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إنه بلغني أنك تريدُ قتلَ عبدِ الله ابنِ أُبيٍّ مِمَّا بلغَك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فَمُرْني به فأنا

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).





أحملُ إليكَ رأسَه.

فوالله لقد علمَتِ الخزرجُ ما كانَ لها من رجلٍ أبرَّ بوالدِه مني، إني أخشى أن تأمرَ به غيري فيقتلَه، فلا تدعُني نفسي أنظرُ إلى قاتلِ عبدِ اللهِ بنِ أُبي يمشي في الناسِ فأقتلَه، فأقتلَ مؤمناً بكافرٍ، فأدخلَ النارَ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ نَرفقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا**»(١).

ولما رجعَ الناسُ من الغزوةِ واقتربوا من المدينةِ، وقفَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ أُبيٍّ بن سَلولٍ رضي الله عنه على بابِ المدينةِ واستلَّ سيفَه فجعلَ الناسُ يمرون عليه.

فلما جاءَ أبوه زعيمُ المنافقين عبدُ اللهِ ابنُ أُبي.

قال له ابنُه: وراءَ ك!

فقال أبوه: مالَك ويلَك؟

قال ابنه: واللهِ لا تجوزُ من هاهنا حتى يأذنَ لكَ رسولُ اللهِ ﷺ، فشكا عبدُ الله ابنُ أُبي زعيمُ المنافقين ابنَه إلى رسولِ اللهِ ﷺ.

فقال الابنُ: واللهِ يا رسولَ اللهِ لا يدخلُها حتى تأذنَ له، فأذنَ له رسولُ اللهِ ﷺ.

-إنما أرادَ أن يثبتَ لأبيه المنافقِ أنَّ العزةَ للهِ ولرسوله وللمؤمنينَ وليستْ للمنافقين-.

فقال الابنُ: (أمَا إذْ أذنَ لكَ رسولُ اللهِ ﷺ فجُز -أي: مُرَّ الآنَ)(٢).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

إنه الولاءُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين والبراءُ من المنافقينَ والكافرينَ ولو كانوا أولي قربى.

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٩، ٦٧٠ - طبعة هجر).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/ ٤٧٨).

وهذا موقفٌ ثالثٌ.

إنه موقفُ الصحابيِّ الجليلِ كعبِ بنِ مالكٍ ﷺ الذي تولَّى اللهَ ورسولَه وتبرأَ من مَلِكِ غسَّان.

فإنَّ كعبَ بنَ مالكٍ ﷺ كانَ أحدَ الثلاثةِ الذين تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكٍ الذين أنزَلَ اللهُ في توبتهم قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

وهو الذي صدقَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ عندما أخبره عن سببِ تخلُّفِه عن الغزوةِ، فأرادَ الرسولُ ﷺ أن يُرَبِّي أصحابَه، وأن يُعَلِّمهم، فأمرَ الناسَ أن لا يكلِّموا كعباً وصاحبَيْه، يقولُ كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ: (ونهى رسولُ اللهِ ﷺ المسلمينَ عن كلامِنا أيها الثلاثةُ من بينِ مَنْ تخلَّفَ عنه، فاجتنَبَنا الناسُ وتَغَيَّروا لنا، حتى تنكَّرتْ في نفسيَ الأرضُ فما هي التي أعرفُ، فلبثنا على ذلك خمسينَ ليلةً، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القومِ وأجلَدَهم، فكنت أخرجُ فأشهدُ الصلاةَ معَ المسلمين، وأطوفُ في الأسواقِ ولا يكلِّمُني أحدٌ، وآتي رسولَ اللهِ ﷺ فأُسلِّمُ عليه وهو في مجلسه بعدَ الصلاة فأقولُ في نفسي: هل حرَّك شفتَيه بردِّ السلامِ عليَّ أم لا؟ ثمّ أصلي قريباً منه، فأسارقُه النظرَ، فإذا أقبَلْتُ على صلاتي أقبلَ إلي، وإذا التفتُّ نحوَه أعرضَ عني. حتى إذا طالَ عليَّ ذلكَ مِنْ جَفوةِ الناسِ مشيتُ حتى تسوَّرتُ جدارَ حائطِ أبي قتادةَ، وهو ابنُ عمي وأحبُّ الناسِ إلي، فسلّمتُ عليه فواللهِ ما رَدَّ عليَّ السلامَ، فقلت: يا أبا قتادةَ! أُنشدُك باللهِ، هل تعلمُني أُحِبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ؟ فسكتَ. فعُدْتُ له فنَشَدْتُه، فسكتَ. فعدتُ له فنشدتُه، فقال: اللهُ ورسولُه أعلمُ. ففاضَتْ عيناي وتوليت حتى تَسوَّرتُ الجدارَ. قال: فبينا أنا أمشي بسوقِ المدينةِ إذا نبطيٌّ من أنباطِ أهلِ الشام ممَّن قدمَ بالطعامِ يبيعُه بالمدينة يقول: مَنْ يدلُّ على كعبِ بنِ مالك؟ فطفِقَ الناسُ يشيرون له، حتى





إذا جاءَني دفعَ إليَّ كتاباً من ملكِ غسانَ.

فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغَني أن صاحبَك قد جفاك، ولم يجعلْك اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مَضْيَعة، فالحقْ بنا نُواسِك فقلتُ لمّا قرأتها: وهذا أيضاً من البلاءِ. فَيَمَّمْتُ بها التنورَ فَسَجَرْتُه بها)[1] أي أحرقتُها.

إنه دأبُ الكفارِ ومنهجُهم الإصطيادُ في الماءِ العكرِ!

انظروا يا عبادَ الله! قرأ الرسالةَ فإذا فيها أنّه إذا ذهبَ إليهم واسَوْه، ولكنْ هل يبيعُ دينَه بِعَرَضٍ من الدنيا؟ لا، بلْ يبقى على ما هوَ عليه حتى يجعلَ اللهُ له مخرجاً وإنْ ضاقتْ بهِ الأرضُ، إنه الولاءُ والبراءُ، نظرَ في الرسالةِ فقالَ: واللهِ إنَّ هذا لمنَ البلاءِ، فلم يحتفِظْ بها للأيام، ولم يُبْقِها عندَه ليرى ماذا سيكونُ من رسولِ اللهِ ﷺ له، فهو لا يدري أيتوبُ اللهُ عليهِ أم لا، ولكنه قطعَ الحبلَ مِنْ أوله؛ إنه الإيمانُ يهدي أصحابَه وَيُثَبِّتهم في أحلك الأوقات.



يقول: (فتيممتُ بها التنورَ فسَجرْتها)، أي: فأَحرَق الرسالة.

باللهِ عليكم لو أنَّ أحدَنا في هذا الحالِ وجاءته دعوةٌ موجهةٌ من رئيسٍ من رؤساءِ دولِ الكفرِ يطلبُه إلى بلدِه ليكونَ كبيراً من كُبرائهم، ويتحصلَ على المالِ الكثيرِ فماذا يصنعُ؟

وها نحنُ نسارعُ إلى سفاراتِهم بدونِ دعوةٍ، لنقيمَ في بلادهم، نبيعُ دينَنا بعَرَضٍ منَ الدنيا أينَ الولاءُ والبراءُ؟

هذا كعبٌ! أيذهبُ إلى ملكِ غسانَ أم يبقى على حالِه في المدينةِ حتى يجعلَ اللهُ له مخرجاً؟ فلما صبرَ جعلَ اللهُ له مخرجاً، وأنزلَ توبتَه من فوقِ سبعِ سمواتٍ: قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامة، نعم! مَنْ والى للهِ وعادى لله، وأحبَّ لله، وأبغَضَ لله فقد استكملَ الإيمانَ.

(١) **صحيح**: انظر القصة كاملة عند البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).



أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هذهِ المواقفِ الإيمانيةِ:

أولاً: لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

إذا أُمِرْتَ بمعصيةٍ فلا تُطعْ مَن أمرَكَ بها أيًّا كان.

أما سمعتَ قولَ اللهِ عز وجل الذي أنزلَه سبحانَه بعدَ أن امتنَع سعدٌ رضي الله عنه من طاعةِ أمِّه في العودةِ إلى الكفرِ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾.

وكان سعدٌ رضي الله عنه قد قالَ لأمِّه: (يا أماه! تعلمينَ واللهِ لو كانتْ لكِ مائةُ نفسٍ فخرجَت نفساً نفساً ما تركْتُ ديني هذا لشيءٍ فكلي، وإنْ شئتِ فلا تأكلي).

فلا طاعةَ لأحدٍ أبداً -وإنْ كان أباً أو أماً- في معصيةِ اللهِ، إنما الطاعةُ المطلقةُ للهِ عز وجل ولرسولِه ﷺ، ولذلكَ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

فأطيعوا اللهَ؛ لأنه سبحانَه هو الخالقُ المالكُ، فلا يُسألُ سبحانَه عما يفعلُ وهم يُسألون. وأطيعوا الرسولَ؛ لأنه ﷺ لا ينطقُ عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يُوحى.

ثم جاءَ العطفُ -على طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِه- بطاعتنا لأولي الأمر، أي: إذا أمرَ أولوا الأمرِ بطاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِه فعلينا السمعُ والطاعةُ، وأما إذا أَمروا بمعصيةِ الله فلا سمعَ لهم ولا طاعةَ؛ لأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

فإذا أمرَ الزوجُ زوجتَه مثلاً أن تخلَع حجابَها بحضرةِ أجنبيٍّ عنها فلا يجوزُ لها الامتثالُ لأمره، لأنه طاعةٌ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وإذا أمرَ الزوجُ زوجتَه أن تَنْمِصَ وجْهَها، وحواجبَها للتزين له فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وإذا أمرَ الزوجُ زوجَته أن تلبسَ الثيابَ الشفافَة القصيرةَ أو الضيقةَ التي تُظهرُ مفاتِنَها، وتخرجَ بها إلى الشارعِ فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

إذا طلبَ الزوجُ من زوجتِه أن يجامِعَها في حيضها ونَفاسِها او في دُبُرِها، فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وإذا أمر الوالدُ ابنَه أن يحلِقَ لحيتَه، فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وإن أمرَ الوالُد ابنَه أن لا يصليَ مع جماعةِ المسلمينَ في المسجدِ، فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وقس على ذلكَ: يطيعُ إذا أُمِرَ بطاعةٍ ويعصي إذا أُمِرَ بمعصيةٍ.

ثانياً: إنه من يتقِ ويصبرْ فإنَّ اللهَ لا يضيعُ أجرَ المحسنين.



فهذا كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه اتقى اللهَ، وصبرَ وثبتَ على ولائِه وبرائِه، وصبرَ على فراقِ الناسِ له وابتعادِهم عنه، وَعَدَّ كتابَ ملكِ غسانَ الذي أتى إليه من جملة البلاءِ فَسَجَره وحَرَقه، وصبرَ على ما هو فيه فجعلَ اللهُ إليه مخرَجاً، وكانت نتيجةُ صبره على البلاءِ أن تابَ اللهُ عليه من فوقِ سبعِ سمواتٍ، وأنزلَ فيه وفي صاحِبيْهِ قرآناً يُتلى إلى يوم القيامةِ.

فقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]

أي اتقوا اللهَ وكونوا معَ هؤلاء الصادقينَ الذين صدَقوا في ولائِهم وبرائِهم، وصدقوا في توبتهم وصدَقوا في أعذارِهم وصبَروا على الامتحانِ والبلاءِ فجعلَ اللهُ



لهم مخرجاً.

فإذا ابتُليتَ بالمرضِ فاصبرْ فالعاقبةُ للمتقين،

وإذا ابتُليتَ بالفقرِ فاصبرْ فالعاقبةُ للمتقين،

فإن صبرتَ فهو خيرٌ للصابرين.

وإياكَ أن تجزعَ عند المرضِ فتذهبَ إلى السحرةِ والمشعوذين.

وإياكَ أن تجزَع عند الفقرِ فتذهبَ إلى البنوكِ وإلى دورِ الربا، وعليك بالصَّبْرِ فإنّ الصبرَ ضياءٌ.

فاثبُتوا واصبروا يا عبادَ الله في هذه الدنيا على ولائِكم للمؤمنين، وعلى برائِكم من الكافرينَ -ولو كانوا أولي قربى- تُفْلحوا.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ





١٩

موقفٌ في السمعِ والطاعةِ
(الصحابةُ رضيَ الله عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءِ الله تعالى- مع الموقفِ التاسعَ عشرَ من المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

هو [**موقف إيمانيٌّ في السمعِ والطاعةِ**]

أولاً: السمعُ والطاعةُ للهِ عز وجل ولرسولِه ﷺ سببٌ منْ أسبابِ الفلاحِ في الدنيا والآخرةِ، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾**﴾ [النور]، فالفلاحُ في الدنيا والآخرة طريقُه السمعُ والطاعةُ للهِ ولرسوله.

ثانياً: السمعُ والطاعةُ للهِ عز وجل ولرسولِه ﷺ سببٌ للفوزِ في الدنيا والآخرةِ.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾**﴾

[النور]

ثالثاً: السمعُ والطاعةُ لله عز وجل ولرسولِه ﷺ سببٌ للرحمةِ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾**﴾ [آل عمران]

رابعاً: السمعُ والطاعةُ لله عز وجل ولرسولِه ﷺ سببٌ لمرافقةِ الصالحينَ في الدنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ**

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء]

وجاءت أدلةٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسنةِ تُبينُ وتؤكدُ هذا الأصلَ العظيمَ، وهو أنَّ مَنْ أطاعَ اللهَ ورسولَه دخلَ الجنةَ، ومن عصى اللهَ ورسولَه دخلَ النارَ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء]

وقال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلونَ الجَنَّة إلاَّ مَنْ أَبَى**»، قالوا: يا رسولَ الله! ومَن يأبى؟ قال: «**مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[1].

كما وبينتِ الأدلةُ أيضاً أنَّ مَنْ عصى اللهَ ورسولَه سيندَمُ يومَ القيامةِ يومَ لا ينفعُ الندمُ.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب]

وقال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء]

ندموا في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

إذن فالسمعُ والطاعةُ للهِ عز وجل ولرسولِه ﷺ سببٌ لكلِّ خيرٍ، وبالمقابلِ فإنَّ معصيةَ اللهِ ورسولِه سببٌ لكُلِّ شرٍّ.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

ولذلكَ فقد أمرَ اللهُ تباركَ وتعالى عبادَه في كتابه أن يطيعوه ويطيعوا رسولَه ﷺ، وحذَّرهم من عصيانِه ومن عصيانِ رسولِه ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١﴾ [الأنفال]

وفي موضعٍ آخرَ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]

وحذَّر ربُّنا جل وعلا من العصيانِ، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ [الجن]




أمةَ الإسلام! وقد ربَّى النبيُّ ﷺ أصحابَه على السمعِ والطاعةِ لله عز وجل ولرسولِه ﷺ.

يقول أبو هريرةَ رضي الله عنه: لما أُنزلَتْ على رسولِ اللهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة] قال: فاشتدَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، قال: فأتَوا رسولَ اللهِ ﷺ ثم بركوا على الرُّكَبِ فقالوا: أيْ رسولَ الله! كُلِّفنا من الأعمالِ ما نُطيق: الصلاةُ والصيامُ والجهادُ والصدقةُ، وقد أُنزلَتْ عليكَ هذه الآيةُ ولا نطيقُها. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكتابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قولُوا: سَمِعْنا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**»، قالوا: سمعْنا وأطعنا غفرانَك ربّنا وإليكَ المصير. فلما اقترأَها



القومُ فذلَّتْ بها ألسنتُهم. فأنزلَ اللهُ عز وجل في إِثْرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة] فلما فعلوا ذلكَ نسخَها اللهُ تعالى، فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ قال: نَعَم»[(١)].

لقد جاءَ الخيرُ والفرجُ بعد السمعِ والطاعةِ لله ولرسولِه ﷺ، وفي المقابل: من لا يسمعُ ولا يطيعُ فهو خاسرٌ في الدنيا والآخرةِ.

وهذا رجلٌ أَكَلَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ بشمالِه -والإسلامُ يأمرُنا أن نأكلَ باليمين- فقال ﷺ: «**كُلْ بيَمِينِكَ**» قال الرجلُ: لا أستطيعُ، فقال ﷺ: «**لاَ استَطَعْتَ**» ما منَعهُ إلا الكِبْرُ، قال: فما رفَعها إلى فيه[(٢)]. أي: شُلَّت يدُه.

واعلموا أن الخيرَ كلَّ الخيرِ في السمعِ والطاعةِ للهِ ولرسولِه، والشرُّ كُلُّ الشرِّ في معصيةِ اللهِ ورسولِه ﷺ.

فتعالَوا بنا لنتعلمَ السمعَ والطاعةَ للهِ عز وجل ولرسولِه ﷺ من صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ الذين ضربوا لنا مثلاً أعلى في ذلكَ، وإليكم بعضاً من مواقفِهم الدالةِ على هذا المعنى:

هاجرَ النبيُّ ﷺ ومَنْ معه من المسلمين إلى المدينة، وكان منهم من يشربُ

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢٥).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٢١).

الخمرَ فهي لم تكنْ قد حُرِّمَت بعدُ، وبعد أن استقرتِ الأقدامُ في المدينةِ.

حرَّمَ اللهُ عليهِمُ الخمرَ على مراحلَ.

المرحلةُ الأولى:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]

فقالوا: اللهمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بياناً شافياً.

المرحلةُ الثانية:

قال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]

فقال الفاروقُ عمرُ: اللهمَّ بيِّن لنا في الخمرِ بياناً شافياً.

فجاءتِ المرحلةُ الثالثةُ والأخيرةُ:

فحرَّم اللهُ فيها الخمرَ تحريماً قاطعاً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة]

فقالَ عمرُ: انتهَينا انتهَينا[1].

وسُرعانَ ما أخرجوا الخمرَ التي كانَتْ في بيوتِهم وأراقوها في شوارعِ المدينة، سمعاً وطاعة للهِ عز وجل ولرسولِه ﷺ.



عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: (كنتُ ساقيَ القومِ في منزلِ أبي طلحةَ، فنزلَ تحريمُ الخمرِ، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحةَ: اخرُجْ فانظرْ ما هذا

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠)، وأحمد (١/ ٥٣) والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ٤٩٥)، [«صحيح النسائي» (٥١١٣)].



الصوتُ؟ قال: فخرجْتُ. فقلتُ: هذا منادٍ يُنادي: ألا إنَّ الخمرَ قد حُرِّمَت. فقال لي: اذهبْ فَأَهْرِقْها. قال: فَجَرَتْ في سكك المدينة)[1]. يقصدُ أنَّ الخمرَ سالَت في شوارعِ المدينةِ.

فانظروا إلى هذا الإيمانِ يا عبادَ الله! لم يتأخروا لحظةً واحدةً في الاستجابةِ لأمرِ الله، فلما سمعوا تحريمَ الخمرِ قالوا: انتهينا ربَّنا!

قال أنسٌ: واللهِ ما قالوا: حتى ننظرَ ونسمعَ.

ما قالوا: حتى نفرغَ.

ما قالوا: حتى نفكرَ. لا، إنما هو السمعُ والطاعةُ.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور]




وهذا هو الشاهدُ الذي نريدُ أن نستشهدَ به على مدى سرعةِ الصحابةِ في السمعِ والطاعةِ للهِ ولرسولِه ﷺ فعندما سمعوا النهيَ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قالوا: انتهَينا. انتهينا.

اللهُ أكبرُ! اللهُ أكبرُ! إنهم رجالٌ تَرَبَّوا على يدِ محمّدٍ ﷺ.

إنهمْ رجالٌ تربَّوا على السمعِ والطاعةِ للهِ ولرسولِه ﷺ.

إنهم رجالٌ تربَّوا على التوحيدِ والسّنّةِ.

ومن جملةِ المصائبِ التي نعيشُها كثرةُ الخمرِ وانتشارُها في كُلِّ مكان، وتسميتُها بغيرِ اسمها، والخمرُ حرامٌ حَرَّمَها اللهُ في كتابه وعلى لسانِ رسولِه ﷺ، فليتقِ اللهَ الذين يشربونَ الخمرَ، وليتقِ اللهَ الذين يُقِرُّون أبناءَهم على شربِ الخمر، وليتقِ اللهَ الذين يجلسونَ على مائدةٍ يُدارُ عليها بالخمر، وليتقِ اللهَ الذين يسمحونَ أن يوزِّع

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٦٢٠)، ومسلم (١٩٨٠).

الخمرُ في أعراسِهم، وليتقِ اللهَ الذين يُؤَجِّرونَ بيوتهم ومحلاتِهم للخماراتِ وبيعِ الخمر، وليتقِ اللهَ الذين يُصْدِرونَ التراخيصَ للخماراتِ، وليتقِ اللهَ الذين يصنعونَ الخمرَ ويسمونها بغير اسمِها ويبيعونَها أو يَسْقونَها غيرَهم.

اتقوا الله يا عبادَ الله! فإنَّ الرسولَ ﷺ قال: «**الخَمْرُ أُمُّ الخَبَائِثِ، فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ صلاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فإنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّةً**»(١).

ويقولُ ﷺ: «**الخَمْرُ أُمُّ الفَواحِش، وَأَكْبَرُ الكَبَائِرِ، مَنْ شَرِبَهَا وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ وخَالَتِهِ وعَمَّتِه**»(٢).

ويقول ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ أَبَدًا: الدَّيوثُ والرَّجِلَةُ مِنَ النِّسَاءِ ومُدْمِنُ الخَمْرِ**»(٣).

ويقول ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إنَّ عَلَى اللهِ عز وجل عَهْدًا لمن يَشْرِبُ المُسْكِرَ، أَنْ يَسقيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبالِ**»، قالوا: يا رسولَ الله! وما طينةُ الخَبال؟ قال: «**عَرَقُ أَهْلِ النّارِ، أَوْ عُصَارةُ أَهْلِ النّارِ**»(٤).

ويقول ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزّاني حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشربُ وهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٥).

اتقوا الله عبادَ الله، ولا تقربوا الخمرَ فإن الخمرَ ملعونةٌ، ملعونٌ مَنِ اقتربَ منها.




---

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٦٧)، والدارقطني (٤٦١٠)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٤)].

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٣٢)، وفي «الأوسط» (٣١٣٤)، [«صحيح الجامع» (٣٣٤٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٥٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٠٠)، [«صحيح الجامع» (٣٠٦٢)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

فمن صنَعها ملعونٌ، ومن باعَها ملعونٌ، ومن شربَها ملعونٌ، ومن حملَها ملعونٌ، ومن حُمِلَتْ إليه ملعونٌ، ومن وافقَ على تأجيرِ مكانٍ لبيعِها وصُنْعِها ملعونٌ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله في عقولِكم وفي دينِكم، فأنتم عنِ الدنيا راحلون، وأمامَ الله موقوفون، وعن عقولِكم أمامَ الله يومَ القيامةِ ستُسألونَ.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ مما سبق:

أولاً: أنَّ الخمرَ حرامٌ حرَّمَها اللهُ في كتابِه وعلى لسانِ رسولِه ﷺ، فهي حرامٌ إلى يوم القيامةِ، وإنْ سَمَّوْها بغيرِ اسمِها وغَيَّروا وَبدَّلوا فالحقيقةُ التي لا تتغيرُ أنَّ الخمرَ حرامٌ في الكتابِ والسنةِ.

فمنِ استَحلَّ الخمرَ وشربَها مستحِلّاً لها فهو كافرٌ خارجٌ عنْ ملةِ الإسلامِ، إذا ماتَ لا يُغَسَّلُ ولا يُكَفَّنُ ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدْفَنُ في مقابرِ المسلمين.

ولو أنَّ قائلاً قالَ: ما هي الخمرُ؟

لقلنا له: الذي يجيبُ على سؤالِك هذا هوَ رسولُ اللهِ ﷺ، قال ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ**»[1].

فإذا سألَ سائلٌ فقالَ: أرأيتَ إنْ شربتُ الخمر ولا أسكرُ، فما الحكمُ في ذلك؟ نقولُ له: الذي يجيبكَ هو رسولُ الله ﷺ فيقولُ: «**مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقَلِيلُهُ حَرَامٌ**»[2].

فإذا قالَ آخرُ: إنما أشربُ الخمرَ للتداوي بها من الأمراضِ؟

فإننا نقولُ لهُ: (إنَّ طارقَ بنَ سويدٍ الجُعفِيَّ سألَ النبيَّ ﷺ عن الخمرِ؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٠٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، والنسائي (٥٦٠٧)، وابن ماجه (٣٣٩٣)، [«صحيح الجامع» (٥٥٣٠)].

فنهاه، أو كرهَ أن يصنعَها، فقال: إنما أصنعُها للدواءِ. فقال: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، ولَكِنَّهُ دَاء**»(١).

فالخمرُ حرامٌ لا يجوزُ لكَ أن تشربَها حتى للتداوي من الأمراض، ولا لأي سببٍ من الأسبابِ كانَ، فإنَّ اللهَ تعالى لم يجعلْ شفاءَنا فيما حَرَّمَه علينا.

ثانياً: على المؤمنِ الصادقِ الذي رضي بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً أن يأتمرَ بأمرِ اللهِ ورسولِه، وأن ينتهيَ عما نهاه اللهُ عنه ورسولُه ﷺ.

وها همُ الصحابةُ الكرامُ لما علموا أنَّ اللهَ عز وجل حرَّمَ الله عليهمُ الخمرَ: قالوا: انتهينا ربَّنا، انتهينا ربَّنا.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور].

تأملوا معي أحوالَ المسلمينَ اليومَ في السمعِ والطاعةِ للهِ ولرسولِه ﷺ، إنَّ لسانَ حالهم يقول: سمعنا وعصينا -إلا من رحم ربي-، حتى صدقَ فيهم قولُ القائل:

لِيَوْمِ الحَشرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ ... فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أو نُهِيْنَا ... كَأَهْلِ الكَهْفِ: أَيْقَاظٌ نِيَامُ!

نهانا اللهُ عز وجل عن أكلِ الربا، فأكَلنا الربا!

أمرَنا اللهُ عز وجل بالمحافظةِ على الصلاةِ في المسجدِ، فتركنا الصلاةَ في المسجِد!

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٨٤).

أمرنا اللهُ عز وجل بإخراجِ الزكاةِ، فمنَعْنا الزكاةَ!

نهى سبحانه وتعالى عن التبرجِ فتبرجَتْ نساؤُنا!

نهانا عن الغِيبة، فأحَيَيْنا مجالسَنا بالغيبة!

حرَّم علينا الدخانَ، فشربناه!

حرَّم علينا حلقَ اللحى فحلقناها!

عجباً يا ابنَ آدم!

ترجو النَّجاةَ ولَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى اليَبِسِ

إخوةَ الإسلام[١]! قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا ضَرَرَ وَلاَ ضِرَار**»[٢].

والإسلامُ يُحَرِّمُ على المسلمِ أن يتسببَ في قتلِ أخيه المسلم، وإنما جاءَ الإسلامُ بالأمرِ والحثِّ على كُلِّ ما يحافَظُ به على أرواحِ وأعراضِ وأموالِ المسلمين، ومعَ هذا فقد انتشرتْ ظاهرةٌ سيئةٌ فيما بيننا وهي: (**إطلاقُ العياراتِ الناريةِ في أعراسِنا وفي مناسباتنا**)، وهي ظاهرةٌ تتنافى مع الدينِ والخُلُقِ والعقلِ، فهي تتسببُ في قتلِ الأبرياءِ، وتتسببُ في تحويلِ أفراحِنا إلى أتراح!

ظاهرةٌ سيئةٌ تُزعجُ الآمنينَ وتقضُّ مضاجعَ المرضى والمسِنِّينَ.




فيا أخا الإسلام! يا من تطلقُ هذهِ العياراتِ الناريةِ في عرسِ ولدِك أو ابنتِك، أو بسبب نجاحِ ولدِك أو ابنتِك، أو لأنَّ الفريقَ الذي تشجعُه قد فازَ على خصمِه، قفْ مع نفسِك وحاسِبْها، قف مع نفسك واسألْها: ما بالُها تفرَحُ بمعصيةِ اللهِ وسَخَطه!! كيف يغيبُ عنك أيها المسلمُ العاقلُ خطرُ ما تفعلُه، ألم تفكرْ بأنَّ هذه الرصاصَةَ قد

(١) هذا التعليق كان بسبب إطلاق العيارات النارية في بعض الأعراس.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وأحمد (١/ ٣١٣)، والحاكم (٢/ ٦٦)، والدارقطني (٤٥٤١)، [«غاية المرام» (٦٨)].

تسقطُ على رأسِ طفلٍ صغيرٍ بريءٍ فتقتلهُ، فماذا عساكَ أن تقولَ لربِّك يومَ القيامة إذا جاءَ هذا الطفلُ الصغيرُ آخذاً بتلابيبكَ يقول: يا ربِّ! سَلْ هذا لِـمَ قتلني؟ هل تَتَجرَّأ أن تقولَ لله تعالى: كنتُ فرِحاً بعرسِ ولدي أو نجاحِه؟! تفرحُ يا عبدَ الله على حسابِ حزنِ الآخرين؟! هل أذنَ لكَ الإسلامُ بهذا!؟

إن الله عز وجل قال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير].

والموءودةُ هي البنتُ الصغيرةُ التي دفنوها في الترابِ دون ذنبٍ منها، هذه تُسْأَلُ يومَ القيامة لمِ قُتِلَت؟ فما ظَنُّكم بالذي قتلَها؟!

وَرُبَّ رجلٍ يجلسُ في بيته آمناً بين أولاده، وإذا بالرصاصة تُطلَقُ من يدِ أحمقَ طائشٍ لتستقرَّ في جسدِ زوجةِ الرجلِ أو أمِّه أو ابنِه أو جَسده، وإذا بالحزنِ والغَمِّ والهمِّ يعمُّ البيتَ وأهلَه بسببِ مجرمٍ تصرفَ دون أدنى مسئولية.



يا أمةَ التوحيد! هل أدى عجزُنا عن محاربةِ أعدائِنا إلى أن نُطْلِق وابلاً من الرصاصِ في أعراسِنا، وفي مناسباتنا!! آللهُ أمرَنا بهذا أم الرسولُ أمرَنا بهذا؟ أَمَا مِن تقوىً في القلوب تردع؟ ألا دينٌ ووازعٌ يزجُرُ؟ ألا ذكرى تُذَكِّرُ أن قتلَ المسلمِ لأخيهِ المسلمِ محرم؟

أما تخشى أن يَشُلَّ اللهُ يدَك؟ أترضى أن يُحَوَّلَ عرسُك وفرحُك إلى مأتم؟!

وأنا أقول: إنَّ من رأى منا أحداً يُطْلِقُ عياراً نارياً في مناسبةٍ ما ولم يَنْهَهُ ولم يقل له: اتقِ الله، ولم يقمْ من هذا المكان، ولم يبلِّغْ عنه الجهاتِ المسئولةَ، فإنَّ اللهَ عز وجل سائلُه يومَ القيامة، وهو متعاونٌ معَ هذا المطلِقِ للرصاصِ على الإثمِ والعدوانِ.

فاتقوا الله عبادَ الله! وَمُروا بالمعروفِ وانْهوا عن المنكرِ، ولا تتركوا ذلكَ فإنَّ الصحابةَ قدوتُكم لم يتركوا الأمرَ بالمعروفِ ولا النهيَ عن المنكر، وإليكم مثالاً على



ذلك، فعنْ عبدِ اللهِ بن مُغفَّلٍ (أنه رأى رجلاً يخذفُ[1]، فقالَ له: لا تخذفْ؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ نهى عن الخذفِ -أو كانَ يكرهُ الخذفَ- وقال: «**إِنَّهُ لاَ يُصادُ بِهِ صَيدٌ وَلاَ يُنكَى بِهِ عَدُوٌّ، ولَكِنّها قد تكْسرُ السِنَّ، وتَفْقَأُ العَيْنَ**» ثم رآه بعد ذلك يخذفُ فقالَ له: أحدُثكَ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه نهى عن الخذفِ -أو كرهَ الخذفَ- وأنتَ تخذفُ؟! لا أكلُمكَ كذا وكذا)[2]. فلو أنّ كلَّ مَن رأى إنساناً يقعُ في مخالفةٍ شرعيةٍ قال له: اتقِ الله وفارَقَه ولم يكلمْهُ، لأصبحَ منبوذاً كالأجربِ في المجتمعِ، وعندها لا يعودُ إلى فعلِه أبداً، فاتقوا اللهَ عبادَ الله! وتعاونوا على البرِّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان.

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى دِينِكَ رَدّاً جَمِيلاً

(١) **الخذف**: رميك بحصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك أو تجعل مخذفة من خشب ترمي بها بين الإبهام والسبابة.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).





الاستجابةُ للهِ وللرسولِ ﷺ
(الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ العشرينَ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

هو موقفٌ إيماني في سرعةِ الاستجابةِ للهِ وللرسولِ ﷺ.

والاستجابةُ للهِ تعالى وللرسولِ ﷺ طريقٌ إلى الجنة، طريقٌ إلى الحسنى، طريقٌ إلى دارِ النعيم، طريقٌ إلى جنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ.

في حينِ أنَّ عدمَ الاستجابَة للهِ وللرسولِ ﷺ طريقٌ إلى النارِ، طريقٌ إلى دارِ البوارِ، طريقٌ إلى الهاويةِ، طريقٌ إلى جهنمَ.

قالَ تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد]

فالاستجابةُ للهِ وللرسولِ ﷺ هي سبيلُ السعادةِ في الدنيا والآخرة، وهي الضامنُ الأكيدُ للحياةِ الطيبةِ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]

فمنِ استجابَ للهِ وللرسولِ ﷺ أحيا اللهُ قلبَه، وجعلَ له نوراً يمشي به في

الناسِ، ومن لم يستجبْ للهِ وللرسولِ ﷺ ماتَ قلبه، فهو يتخبطُ في ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]

إذن يا عبادَ الله! صاحبُ القلبِ الحيِّ هو مَنْ يستجيبُ لله وللرسولِ ﷺ، وصاحبُ القلبِ الميتِ هو الذي لا يستجيبُ للهِ وللرسولِ ﷺ.

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام]، فالذين يستجيبون هم: أَحياءُ القلوبِ الذين يسمعونَ بآذانهم، ويعقلون بقلوبهم.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام]

أي: الذينَ يسمعونَ بآذانِهم ولا يعقلونَ بقلوبهم فأولئكَ قد ماتت قلوبُهم، بسبب إعراضِهم عن أوامرِ اللهِ تعالى وأوامرِ رسولِه ﷺ.

والاستجابةُ للهِ وللرسولِ ﷺ سببٌ للحصولِ على خيرِ الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى]

فالذين يستجيبونَ للهِ تبارك وتعالى في هذه الدنيا وُعدوا بالحياةِ الطيبة، وثم إنَّ لهم عندَ الله عز وجل في الآخرةِ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ.

• أمّا الذين لم يستجيبوا للهِ وللرسولِ ﷺ فأولئك لهم الشقاءُ والعذابُ والهمُّ




والغمُّ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ، قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعد]

فهم في الدنيا في نكدٍ ونصبٍ وهمٍّ وغمٍّ وخوفٍ لا يهدأُ لهم بالٌ، ولا يَقَرُّ لهم قرارٌ، ولا يطمئنُّ لهم قلبٌ، لا يتمتعون بمتعةٍ، ولا يفرحونَ بشهوةٍ، لأنَّ قلوبَهم ميتةٌ، يأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ والنارُ مثوى لهم يومَ القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد]



ولقد أمرَ اللهُ تبارك وتعالى عبادَه المؤمنينَ بالاستجابةِ للهِ سبحانه وتعالى وللرسولِ ﷺ إذا دعاهم لما يُحييهم، وحَذَّرَ اللهُ تبارك وتعالى عبادَه المؤمنينَ أن يتخلفوا عن أمرِ اللهِ تعالى وعن أمرِ رسولِه ﷺ.

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال]

ففي هذه الآية ينادي ربُّنا جلَّ وعلا على عباده المؤمنين باسم الإيمانِ، -أحبِّ الأسماءِ إليهم- وذلك لأنَّ المؤمنين فقط همُ الذين يستجيبونَ للهِ وللرسولِ ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الشورى]



فاللهُ تباركَ وتعالى ينادي على المؤمنين بأحبِّ الأسماءِ إليهم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا



لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ [الشورى]

واعلموا يا عبادَ الله! أن الفرصَ قد لا تتكررُ، وأنه إذا فتحَ اللهُ أمامَك باباً للخيرِ فعليك أن تسارِعَ إليه؛ لأنَّ اليومَ حياةٌ وغداً موتٌ، لأنك في هذا اليومِ تقدِرُ، وغداً لا تقدِرُ، ثم إنَّ بابَ الخيرِ إذا فُتِحَ أمامَ العبد ثم لم يسارِع العبدُ إليه؛ عاقبَهُ اللهُ تبارك وتعالى بحرمانِه، بأنْ يَحولَ اللهُ تبارك وتعالى بين قلبِه وبينَ إرادتِه.

وبالمثال يتضحُ البيانُ:

فهذا كعبُ بنُ مالكٍ ﵁ يومَ أمرَ النبيُّ ﷺ المسلمينَ أن يتجهزوا، وأن يستعِدّوا للخروجِ لغزوةِ تبوكَ، يقول كعبُ بنُ مالكٍ ﵁: (كانَ من خبري أني لم أكنْ قَطُّ أقوى ولا أيسرَ حين تخلفتُ عنه في تلكَ الغزاة. واللهِ ما اجتمعَتْ عندي قبلَهُ راحلتان قط حتى جمعتهما في تلكَ الغزوة، ولم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يريد غزوةً إلا ورَّى بغيرِها، حتى كانَتْ تلكَ الغزوةُ، غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبلَ سفراً بعيداً، ومفازاً، وعَدُواً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرَهم ليتأهبوا أُهْبَةَ غزوِهم، فأخبرهم بوجهِه الذي يريدُ، والمسلمونَ معَ رسولِ الله ﷺ كثيرٌ، ولا يجمعُهم كتابٌ حافظٌ -يريدُ: الديوانَ- قال كعبٌ: فما رجلٌ يريدُ أن يتغيبَ إلا ظَنَّ أن سَيخَفى له، ما لم ينزِلْ فيه وحيُ الله. وغزا رسولُ اللهِ ﷺ تلكَ الغزوةَ حين طابَتِ الثمارُ والظلالُ، وتجهزَ رسولُ الله ﷺ والمسلمونَ معه، فطفقتُ أغدو لكي أتجهزَ معهم فأرجعُ ولم أقضِ شيئاً، فأقولُ في نفسي: أنا قادرٌ عليه. فلم يزل يتمادى بي حتى اشتدَّ بالناسِ الجِدُّ، فأصبحَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ معه ولم أقضِ من جَهازي شيئاً، فقلتُ: أتجهزُ بعدَه بيوم أو يومَين، ثم ألحقُهم فَغَدَوتُ بعد أن فَصَلُوا لأتجهزَ، فرجعت ولم أقضِ شيئاً. ثم غَدوتُ ثم رجَعْتُ ولم أقضِ شيئاً فلم يزلْ بي حتى أسرَعوا وتفارَطَ الغزوُ، وهممت أن أرتحلَ فأُدرِكَهم وليتني فعلت -وكان




بعدَها العقابُ منْ رسولِ اللهِ ﷺ له بأن منعَ الناسَ أن يتكلموا معه حتى يتوبَ اللهُ عليه، يقولُ كعبُ بنُ مالكٍ- ونهى رسولُ اللهِ ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثةُ من بينِ مَنْ تخلف عنه فاجتنَبنا الناسُ، وتغيروا لنا، حتى تنكّرَتْ في نفسي الأرضُ فما هي التي أعرفُ)[١].

السبب: أنه لم ينفذِ الأمرَ مباشرةً وَسَوَّفَ وَأَجَّلَ.

ولذلك فالعاقلُ مَن المؤمنين هو الذي إذا سمعَ أمراً منَ الله تعالى، أو أمراً منْ رسولِ اللهِ ﷺ أو سمع نهياً في كتابِ اللهِ، أو نهياً في سنةِ رسولِ الله بادرَ وسارعَ في الاستجابةِ والامتثالِ لأمرِ الله عز وجل، ولأمرِ رسولِه ﷺ لأنَّ اليومَ حياةٌ وغداً موتٌ، والإنسانُ لا يدري، فالعزائمُ والهمم قد تنتقض اليوم أو تنتقض غداً، وإلا فارتقبْ يا مَنْ تأخرْتَ ولم تنفذْ ما أُمرْتَ به عقابَ الله بأن يحولَ سبحانه بينكَ وبين إرادتِك، فتكونَ قد تسببتَ بعذابِ نفسِك وحرمانِها.



ابنَ آدم!

تزود منَ التقوى فإنكَ لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هَلْ تعيشُ إلى الفجرِ

فكمْ من صحيح ماتَ منْ غيرِ علةٍ ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهرِ

وكم من صغارٍ يُرتجى طولُ عمرِهم ... وقد أُدخلَتْ أجسادُهم ظلمةَ القبرِ

وكم من فتى يمسي ويصبحُ ضاحكاً ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يدري

وكم من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قُبضت أرواحُهم ليلةَ القدرِ

تعالوا بنا لنتعلَم سرعةَ الاستجابةِ للهِ ولرسولِه ﷺ من صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ الذين ضربوا لنا مثلاً أعلى في ذلك.

أولاً: السرعةُ في الاستجابةِ للهِ وللرسولِ ﷺ في أمرِ الحجابِ.

(١) **صحيح**: انظر القصة كاملة عند البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).



كانَ التبرجُ موجوداً ومُتفشّياً في الجاهلية، ثم إنَّ اللهَ تعالى وبعدَ الهجرةِ النبويةِ نهى عن التبرجِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]

وأمرَ سبحانه وتعالى بالحجابِ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور].

أمة الإسلام! فماذا كانَ موقفُ النساءِ لَـمَّا علمن بأمرِ اللهِ لهن بالحجابِ؟ كم امرأةٍ منهن تخَلفتْ عن تنفيذِ أمر اللهِ؟

كم امرأةٍ من المؤمنات الأُوَل قالت: إني شابةٌ ولا زلتُ في مستهلِّ عمري؛ فكيف أغطي جسمي ولا أُبدي زينتي؟!!

كم امرأةٍ منهن قالَت: دعوني أفكرْ قبل أن أتحجَب لأقتنعَ؟!!

واللهِ ما تخلفت امرأةٌ واحدةٌ بل سُرعان ما نفذنَ أمرَ الله جميعاً.

قالت أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها: (يرحمُ اللهُ نساءَ المهاجراتِ الأُوَل، لما أنزَل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] شَقَقْنَ مُرُطَهُنَّ فاختَمرْنَ بها)(١).

أي: غَطَّيْنَ رؤوسَهُنَّ ووجوهَهنَّ.

الله أكبرُ! نزلَ الأمرُ فما كان بينهم وبين تنفيذِ الأمرِ إلا أن سَمِعْنَهُ.

تنفيذٌ فوري لأمرِ اللهِ، وسمعٌ وطاعةٌ واستجابةٌ.

أمةَ الإسلام! إنَّ هذا الأمرَ بالحجابَ لا زال موجوداً في كتابِ ربِّنا، فالمرأةُ المسلمةُ مأمورةٌ بالحجابِ وهو واجبٌ عليها، منهيةٌ عن التبرجِ وهو محرَّمٌ عليها، فما الذي أصابنا وما الذي أصابَ نساءَنا؟! ماذا أصابَكَ يا أخا الإسلامِ! يا من أذنْتَ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٥٨).

لابنتك أو زوجَتك أو أمِّكَ أو أختِك بالتبرجِ والسفورِ، وأنت تراها بأُمِّ عينِك تخرجُ إلى الشارعِ متبرجةً، ما هذا الصدودُ والإعراضُ عن كتابِ اللهِ والرفضِ لأوامرِه جل في عُلاه!! ولكنها قلةُ الحياءِ عندَ النساءِ، وقلّةُ غَيْرَةٍ عندَ الرجالِ، فنحنُ نرى رجالاً بلا رجولةٍ، ونساءً بلا حياء، يتبارَيْنَ ويتسابَقْنَ في التبرجِ وإظهارِ المحاسنِ والمفاتنِ، فالداءُ عَمَّ وطَمَّ -ولم ينجُ منه إلا مَنْ رحم ربي- التبرجُ قد انتشرَ في بلادِ المسلمين بسبب قلة الغَيْرَةِ ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

إن اللهَ عزَّ وجلَّ لـمّا نهى عن التبرج إنما نهى عنه لمفاسدِه العظيمةِ الجسيمةِ على الفردِ والمجتمعِ بل على الأمةِ بأسرها، ومن أضرار التبرج:

١- أنَّ التبرجَ هو الشرارةُ الأولى لنشرِ فاحشةِ الزنى.

فمَن ترك الحبلَ على الغاربِ، وسمحَ لبناتِه وزوجتِه وأمِه وأختِه بالتبرجِ ثم وقعت فاحشةُ الزنى في عِرْضِه فلا يلومَنَّ إلا نفسَه.

٢- أن التبرجَ طريقٌ مؤديةٌ موصلةٌ إلى نارِ جهنمَ.

قال رسول الله ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاس، ونِسَاءٌ كاسِياتٌ عَارِياتٌ**[1]**، مُمِيلاتٌ**[2] **مائلاتٌ**[3]**، رُؤُوسُهنّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنّ الجَنَّةَ، وَلاَ يَجِدْنَ رَيحهَا...**»[4].

٣- التبرجُ من أهمِّ أسبابِ افتتانِ الرجالِ بالنساءِ، وانشغالهم بهن عما خُلقوا له منْ إقامةِ عبادةِ الله، فلا أحدَ يُنكرُ أنَّ المرأةَ فتنةٌ عظيمةٌ للرجالِ، والتبرجُ والعُرْيُ

(١) **كاسيات عاريات**: قيل معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها.

(٢) **مُميلات**: قيل: يعلمن غيرهن الميل، وقيل: مميلات لأكنافهن.

(٣) **مائلات**: يمشين متبخترات، وقيل: يمشين المشية المائلة، وهي مشية البغايا.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٢٨).




والسفورُ يزيدُ من فتنتِها، فإذا اجتمعَتْ فتنةُ الأنوثةِ مع فتنةِ التبرجِ والعُرْيِ والسفورِ كانت الفتنةُ للرجالِ أشدَّ وأعظَمَ، واللهُ المستعان.

صدقَ رسولُ الله ﷺ القائلُ : «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[١].

ويقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّساء**[٢]؛ **فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَة بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاء**»[٣].

فليتقِ اللهَ كُلٌّ منا في عِرضه، وليتقِ اللهَ كلٌّ منا في شَرَفه؛ فإنَّ اللهَ عز وجل سائلُنا يومَ القيامةِ، واعلموا عبادَ الله أنَّ الزنى يقعُ بعدَ خُطواتٍ يخطوها الإنسانُ وراءَ الشيطانِ، فاقطعوا هذه الخطوات.

فانظروا إلى الصحابةِ كيفَ قاموا بتنفيذِ أمرِ اللهِ في الحجابِ، فَمَنْ منا يا عبادَ الله يقفُ هذا الموقفَ الإيمانيَّ في بيتِه هذا اليومَ ويأمرُ بالحجابِ وينهى عن التبرجِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، طاعةً لله تعالى وطاعةً للرسولِ ﷺ واستجابةً لأمرِ اللهِ ولأمرِ رسولِه ﷺ.

وبعد، فهذا مثالٌ آخرُ على سرعةِ الاستجابةِ للهِ ولرسولِه ﷺ وذلك عندما جاءَ الأمرُ بتحويلِ القبلةِ، قال البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنهما: (كانَ رسولُ اللهِ ﷺ صلَّى نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ أو سبعةَ عشرَ شهراً، وكان رسولُ الله ﷺ يُحبُّ أن يُوجَّهَ إلى الكعبة، فأنزلَ اللهُ: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾ [البقرة:١٤٤]، فتوجَّهَ نحوَ الكعبةِ.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) **أي**: اجتنبوا الافتتان بالدنيا وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

وقال السفهاءُ منَ الناسِ –وهم اليهودُ–: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة]، فصلى مع النبيِّ ﷺ رجلٌ، ثم خرجَ بعدما صلّى، فمَّر على قومٍ منَ الأنصارِ في صلاةِ العصر نحو بيتِ المقدسِ، فقالَ: هو يشهدُ أنه صلى معَ رسولِ الله ﷺ وأنه توجَه نحوَ الكعبةِ، فتحرَّفَ[1] القوم حتى توجهوا نحوَ الكعبة)[2]. وبدون أدنى تأخيرٍ، تنفيذٌ فوريٌّ لأمرِ النبيِّ ﷺ وتوجَّهوا وتحولوا –وهم في الصلاة– من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ، لم يفكروا ولم يقولوا: صبراً حتى نسألَ ونتأكدَ، لم يتأخروا إطلاقاً، لم يكنْ بينهم وبين تنفيذِ أمرِ ربِّهم وأمرِ نبيِّه ﷺ إلا أن سمعوا الأمرَ فقط!!

وبعدُ يا عبادَ الله! فهذا مثالٌ آخرُ في سرعةِ الاستجابة، قدوتُنا فيه زينبُ بنتُ جحشٍ رضي الله عنها الحرةُ، الشريفةُ، القرشيةُ، عندما جاءَ النبيُّ ﷺ يخطِبُها لزيدِ بنِ حارثة رضي الله عنه –وكانَ مولى– فرفضت زينبُ في بدايةِ الأمرِ.

الرسول ﷺ يطلب منها أن تتزوجَ مولاه زيدَ بنَ حارثة وهي ترفضُ، وفي هذا الوقتِ وهي تحاورُه ويحاورُها نزلَ الوحيُ على رسولِ الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب]

فلما نزلتِ الآيةُ على رسولِ اللهِ ﷺ قرأها على زينبَ فسكَتت، وقالتْ: يا رسولَ اللهِ! أترضاهُ لي زوجاً؟ قال: نعم!

قالت: إذاً لا أعصي اللهَ ولا رسولَ الله[3].

---

(١) فتحرّف: أي: تحول.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٩٩)، ومسلم (٥٢٥).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٤٥، ٤٤٦).

تنفيذٌ فوريٌّ لأوامرِ اللهِ تعالى ولأوامرِ رسولِه ﷺ.

فما هي الموانعُ التي تمنعُ كثيراً من المسلمين أن يستجيبوا للهِ ولرسولِه؟

أمة الإسلام! إذا نظرنا إلى كثيرٍ منَ المسلمينَ في هذهِ الأيام نراهم يسمعونَ كلامَ اللهِ وأوامرَ الله، وأوامرَ رسولِ الله ﷺ ولا يستجيبونَ، فما هي الأسبابُ التي تمنعُهم من الاستجابةِ للهِ ولرسولِه ﷺ؟

الجواب:

أولاً: قلةُ الدين وضعفُ الإيمان.

فالإيمانُ كما نعلم: قولٌ وعملٌ واعتقادٌ يزيدُ بالطاعة، وينقصُ بالمعصِية، فكلما زادَ الإيمانُ في القلب وتمكن، كانَ صاحبُه في الاستجابةِ لأوامرِ اللهِ ورسولِه أسرعَ، والعكسُ صحيحٌ.

ولقد أخبرَنا ربُّنا جل وعلا أنَّ المؤمنين حقاً هم الذينَ يستجيبونَ لأمرِ اللهِ تعالى ولأمرِ رسولِه ﷺ.

فقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ [النور:٥١]

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب:٣٦]

وقال تعالى: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ**﴾ [الشورى:٢٦]

فلما ضعُفَ الإيمانُ، وقلَّ الدينُ في الناسِ رفضوا أن يستجيبوا للهِ وللرسولِ؛ ولذلك أقولُ: كُلُّ منْ سمعَ أمرَ اللهِ وأمرَ رسولِه ﷺ ولم يستجبْ فليعلَمْ أنَّ في

إيمانِه ضعفاً، وأنَّ درجة إيمانه تنزلُ يوماً بعدَ يوم، فليتبْ إلى اللهِ، وليستغفرْ ربَّه قبل فواتِ الأوان، وقبلَ أن يندَم في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ، وليجدِّد إيمانَه بالطاعاتِ والقرباتِ وبالابتعادِ عما يُسْخِطُ رَبَّ الأرضِ والسمواتِ.

ثانياً: حبُّ الدنيا والركونُ إليها ونسيانُ الآخرةِ.

فكلُّ مَنْ أحبَّ الدنيا وركنَ إليها وانشغلَ بها نسيَ الآخرةَ، ومن نسيَ الآخرةَ لن يعملَ لها، وهذا عينُ الصدودِ والبعدِ عن الاستجابةِ للهِ عز وجل ولرسوله ﷺ.

• ولذلكَ ترى الذينَ يستجيبونَ للهِ ولرسولِه ﷺ هُمُ الذينَ يستعدونَ للقاءِ اللهِ ويعملونَ لما بعدَ الموت.

• أما الذين لم يستجيبوا لأمرِ اللهِ ولأمرِ رسولِه ﷺ فهمْ أهلُ الدنيا الذين يعيشونَ لها، وينامونَ على حُبِّها، ويحبون ويبغضون ويمنعونَ من أجلها.




ثالثاً: اتباعُ الهوى:

والهوى إلهٌ يعبدهُ الكثيرونَ، قال ربُّنا جلَّ وعلا لرسولِه ﷺ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾[القصص:٥٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

فالمانعُ للكثيراتِ منَ ارتداءِ الحجابِ هو اتباعُهُنَّ لأهوائِهن، والمانعُ لآكلي الربا من التوبةِ إنما هو اتباعُ الهوى وما تشتهيه الأنفسُ.

والمانعُ للكثيرين من الحِفاظِ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ إيثارُهم لأهواء أنفسهم.

رابعاً: من أهمِّ الموانعِ التي تمنعُ البعضَ من الاستجابةِ للهِ ولرسولِه ﷺ: الكِبْرُ.

والكبْرُ كما عرَّفه النبيُّ ﷺ هو: «**بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[1].

بطرُ الحقِّ -أي: ردُّه- فهم يعلمونَ أنَّ الحقَّ يأتيهم من الكتابِ والسنةِ، ويسمعونَ أوامرَ الله تعالى، وما بعثَ به رسولَه ﷺ من البينات فيستكبرونَ عن الاستجابةِ و يُعْرِضونَ، وأولئك سيندَمون يومَ لا ينفعُ الندمُ، قال تعالى: ﴿**ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾**﴾ [الشورى].

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى دِينِهِمْ رِدّاً جَمِيلاً

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١).



موقفُ في الصدقِ والحرصِ على قضاءِ الدَّين (الرجلُ المقترِضُ ألفَ دينارٍ من صاحِبه)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الموقفِ الحادي والعشرين من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في الصدقِ والحرصِ على قضاءِ الدَّين، وأداءِ الحقوقِ لأصحابِها.

الدَّين: هو المالُ الذي يقترضُه الإنسانُ من غيره قرضاً حسناً، وهذا الدَّينُ في الحقيقةِ هو همٌّ بالليلِ وذلٌّ بالنهار؛ ذلك أنَّ الإنسانَ إذا اقترضَ المالَ باتَ وأصبحَ يفكرُ في كيفيةِ السدادِ، وكيفيةِ التخلصِ من هذا الدَّين، وفي النهارِ تجدُه لا يتجرَّأ أن يقابلَ صاحبَ المالِ خشيةَ أن يطالبَه، فهو همٌّ بالليلِ وذلٌّ بالنهار، ودفعاً لهذا وذاك:



أولاً: جاءَ الإسلامُ ينهى عن الإسرافِ والتبذيرِ حتى لا يُفقرَ الإنسانُ نفسَه ويُضْطَّرَّ في النهايةِ إلى الاقتراضِ وإذلالِ نفسِه، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف]

فجاءَ الأمرُ بالاعتدالِ في النفقةِ والاقتصادِ في المعيشةِ، فلا إسرافَ ولا تقتيرَ حتى لا يستدينَ الرجلُ منَ الناسِ فيقعَ في الهمِّ بالليلِ والذلِّ بالنهارِ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].



وأثنى اللهُ تبارك وتعالى على المعتدلينَ، ومدحَ المقتصدينَ في الإنفاقِ فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

ثانياً: جاءَ الإسلامُ يُحذِّرُ مِنَ الدَّين، وَيُغَلِّظُ في شأنِ الدَّين، ويشدِّدُ على الذين يستدينونَ؛ لأنه -كما عرفنا- همٌّ بالليلِ، وذلٌّ بالنهارِ، وخطَرٌ على صاحبهِ في الدنيا والآخرة.

يقول ﷺ: «**لاَ تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بالدَّيْنِ**»(١).

أي: لا تستدينوا فتخيفوا أنفسَكم بالعجزِ عن الأداءِ، أو الموتِ قبل القضاءِ، أو سبِّ صاحبِ المالِ وشتمِه، أو شكايتِه التي تُعَرِّضكم للحبسِ والعقوبةِ.



وكانَ النبيُّ ﷺ في أولِ أمرِه لا يُصلي على مَنْ ماتَ وعليه دَينٌ، زجراً للأحياءِ وتخويفاً لهم مِنَ الدَّين.

فعنْ جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنه قال: ماتَ رجلٌ، فَغَسَّلناه وكفَنّاه وحنَّطناه، ووضعناه لرسولِ اللهِ ﷺ حيثُ توضعُ الجنائزُ عندَ مقام جبريلَ، ثم آذنا رسولَ اللهِ ﷺ بالصلاةِ عليه، فجاء معنا فتخطى خُطىً ثم قال: «**لَعَلَّ عَلَى صَاحِبِكُم دَيْناً**»؟

قالوا: نعم، ديناران، فتخلَّفَ،

قال ﷺ: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**».

فقال له رجلٌ منا يقالُ له أبو قتادةَ: يا رسولَ الله! هُما عليَّ، فجعلَ رسولُ اللهِ ﷺ يقول: «**هُما عَلَيْكَ وفي مالِك، والمَيّتُ مِنْهُمَا بَرِيءٌ**»؟ فقال: نعم. فصلى عليه،

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٢٨)، وأبو يعلى (١٧٣٩)، والروياني في مسنده (٢٥٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٢٨١)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٥٨٢)، [«صحيح الجامع» (٧٢٥٩)].



فجعلَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا لقي أبا قتادةَ يقولُ: «**مَا صَنَعَتِ الديناران**»؟ قال: يا رسول الله! إنما ماتَ أمسِ، حتى كانَ آخرَ ذلك قال: قد قضيتُهما يا رسولَ اللهِ،

قال ﷺ: «**الآنَ حين بَرَدَتْ عَلَيْهِ جلدُه**[١]»[٢].

وقال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الكِبْرِ والغُلُول، والدَّيْن، دَخَلَ الجَنّةَ**»[٣].

والمقصودُ بالغُلول: السرقةُ من الغنيمةِ.

وقال ﷺ: «**نَفْسُ المُؤْمِنِ مَعَلَّقَةٌ بِدَيْنِه حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**»[٤].

وقال ﷺ: «**يُغْفَرُ للشَّهيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ**»[٥].

وقال رجلٌ: يا رسولَ الله! أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيل الله تُكَفَّرْ عَنِّي خَطَايَاي؟ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ الله وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ**[٦]، **مُقْبلٌ غَيْرَ مُدْبر**» ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلتَ؟**» قال: أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيل الله أتُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**نعم، وَأَنْتَ صَابِرٌ، مُحْتَسِبٌ، مُقْبلٌ غيرَ مُدْبِرٍ إلا الدَّين**[٧]، **فإنَّ جبريلَ عليه السلام قالَ لي ذَلِكَ**»[٨].



وكان ﷺ جالساً ذاتَ يوم بفناءِ المسجدِ فرفَع بصرَه إلى السماءِ ثم طأطأَ

(١) **أي**: بسبب رفع العذاب عنه بعد وفاء دينه. «أحكام الجنائز» للألباني (ص٢٧).

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠)، والطيالسي (١٧٧٨)، والدارقطني (٣٠٨٤)، والحاكم (٢/ ٦٦، ٦٧)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٢٢)، [«أحكام الجنائز» (ص٢٧)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٥٧٢)، وابن ماجه (٢٤١٢)، والحاكم (٢/ ٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٥١)، وفي «السنن» (٩/ ١٧٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٩٢)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٠٧٨)، وابن ماجه (٢٤١٣)، وأحمد (٢/ ٥٠٨) والحاكم (٢/ ٣٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٤٤)، [«صحيح الجامع» (٦٧٧٩)].

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٨٦).

(٦) **مُحتسب**: المحتسب هو المخلص لله تعالى والقاصد أجره وثوابه.

(٧) **إلا الدّين**: فيه تنبيه على حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر، لا يُكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى.

(٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٨٥).



بصرَه، ووضعَ يدَه على جبهته وقال: «**سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي الدَّيْنِ؟ وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ، ثُمَّ أُحْيِيَ، ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ**»(١).

سبحانَ الله!! يالِعظَمِ شأنِ الدِّين.

ثالثاً: جاءَ الإسلامُ يحثُّ على العملِ طلباً للرزق، وكسباً للعيش واستغناءً عن الناسِ حتى لا يستدينَ المسلمُ من غيره.

قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾**﴾ [الملك]

ويقول ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»(٢).



وكلُّ ما سمعتموه من التشديدِ في أمرِ الدَّين، إنما ذُكِرَ في شأنِ القرضِ الحسنِ الذي لا ربا فيه، فما بالنا بالقرضِ الرِّبويِّ الذي تورَّطَ فيه الكثيرون؟!

فأما القرضُ الرِّبويُّ فحدّث عن خطورته على الشخصِ وعلى الجماعةِ ولا حرجَ.

فالقرضُ الربويُّ من الموبقاتِ، والمقترضُ من دورِ الربا أو من شخصٍ أعطاهُ بالفائدةِ -كما يسمى الربا اليوم- ملعونٌ. فقد لعنَ النبيُّ ﷺ آكلَ الربا ومُوكَلَه وكاتبَه وشاهِدَيه.

• والمقترضُ بالربا آثمٌ كالذي يزني بأمِّه، والمقترضُ بالربا أشدُّ جُرْماً من الزاني.

(١) **حسن**: أخرجه النسائي (٤٦٨٤)، وأحمد (٥/ ٢٨٩)، والحاكم (٢/ ٢٩، ٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٣٦)، وعبد بن حُميد (٣٦٧)، [«صحيح الجامع» (٣٦٠٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٧٢).



قال ﷺ: «**دِرْهَمُ رِبَا يَأْكُلهُ الرّجلُ وهُوَ يَعْلَم، أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ سِتّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً**»(١).

وقال ﷺ: «**الرِّبَا ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرّجُلَ أُمَّه، وإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجل المُسْلم**»(٢).

وقد بيَّن لنا ربُّنا جلَّ وعلا أن المقترضَ بالربا يعيشُ في حياتِه كالذي به مسٌّ وصَرَعٌ منَ الشيطانِ.

وقال تعالى -مبيِّناً حالَ آكلي الربا-: ﴿**ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ**﴾ [البقرة:٢٧٥].



وأعلنَ ربُّنا جلَّ وعلا الحربَ على المقرضِ بالربا، فقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾.



والحربُ من اللهِ تبارك وتعالى على المرابي حربٌ شاملةٌ؛ حربٌ على السكينةِ، حربٌ على الطمأنينةِ، حربٌ على الصحةِ، حربٌ على الأولادِ، حربٌ على النساءِ، حربٌ على البركةِ في الرزقِ، وكُلُّ مَن أكلَ الربا ورضي به يشعرُ بذلك ويعرفُ حقيقةَ ما نقول.

الإسلامُ يشدِّدُ وَيُغَلِّظُ في أمرِ الدَّين وهو القرضُ الحسنُ.

عبادَ الله ولكنْ كُلٌّ منا قد تلجئُه الحاجةُ إلى أن يستدينَ منَ الناس، ولكنْ مَن استدانَ واقترضَ للحاجةِ وبقَدْرِ الضرورةِ، ونوى وعزمَ في قلبه أن يسدَّ هذا الدَّينَ لصاحبه إذا جاءَ الأجلُ، أعانه اللهُ وكان معه وقضى عنه في الدنيا والآخرة.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والدارقطني (٢٨١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٨٢)، [«الصحيحة» (١٠٣٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥١٩)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٩)].

قال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى مَعَ الدَّائنِ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ، مَا لَمْ يَكُنْ دَيْنُهُ فِيما يَكْرَهُ اللهُ»**(١).

أي: إذا استدان لحاجةٍ، أما من اقترضَ منَ الربا فاللهُ تباركَ وتعالى لا يُعينُه، ومن استدانَ ليشتريَ آلةَ لهو أو ما يَشْغَلُه وأهلَ بيته عن ذكرِ اللهِ وعنِ الصلاةِ، فهذا لا يكونُ اللهُ في عونِه أبداً لأنه استدانَ ليعصيَ الله.

ويقول ﷺ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ في أَدَاءِ دَينِهِ، إلاَّ كَانَ لَهُ مِنَ اللهِ عَوْنٌ»**(٢).

وقال ﷺ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يُدّانُ دَينًا يَعْلَمُ اللهُ منهُ أنّهُ يُريدُ قضاءَهُ؛ إلاّ أَدّاهُ اللهُ عَنْهُ في الدُّنْيَا»**(٣).

وقال ﷺ: **«مَنْ أَدَانَ دَيْنًا يَنْوِي قَضَاءَهُ أدّاهُ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**(٤).




ثم اعلموا يا عبادَ الله أَن منِ استدانَ منَ الناسِ بلا حاجةٍ ولا ضرورةٍ ناوياً خداعَ الناسِ، وأخْذَ أموالهم دونَ ردّها فإن هذا يلقى اللهَ يومَ القيامة سارقاً.

قال ﷺ: **«أَيُّما رَجُلٍ تَدَايَنَ دَيْنًا وَهُوَ مُجمِعٌ أَنْ لاَ يُوْفِيَه إِيّاهُ، لَقِيَ اللهَ سَارِقًا»**(٥).

وقال ﷺ: **«مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ ثَمَّ دِينارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ»**(٦).

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٤٠٩)، والدارمي (٢٦٣٧)، والحاكم (٢/ ٢٧) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٥٨٠)، والبزار «البحر الزخار» (٢٢٤٣)، [«صحيح الجامع» (١٨٢٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٧٢)، والحاكم (٢/ ٢٦)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٥٨٠)، وفي «مسند الحارث» (بغية الباحث) (٤٤٥)، [«صحيح الجامع» (٥٧٣٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه النسائي (٤٦٨٦)، وابن ماجه (٢٤٠٨)، وأحمد (٦/ ٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٤، ٢٥)، [«صحيح الجامع» (٥٦٧٧)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤٣٢)، [«صحيح الجامع» (٥٩٨٦)].

(٥) **حسن لغيره**: أخرجه ابن ماجه (٢٤١٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٠٢)].

(٦) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٤١٤)، [«صحيح الجامع» (٦٥٤٦)].

تعالَوا بنا يا عبادَ الله! لنتعلمَ الصدقَ والحرصَ على قضاءِ الدَّين من هذا الرجلِ الطيبِ المباركِ الذي ضربَ لنا مثلاً أعلى في ذلك، والذي أخبرنا النبيُّ ﷺ بقصتهِ لما فيها من العبر.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ: «**أنه ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعَض بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَار**.

فقال: -أي: المعطي- **ائتني بالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُم، فَقَالَ**: -أي: الآخذ- **كَفَى باللهِ شَهِيداً**، قال: -أي: المعطي- **فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ. قال**: -الآخذ- **كَفَى باللهِ كَفِيلاً، قال: صَدَقت. فَدَفَعَها إِلَيه إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَباً يَرْكبُها يَقدُمُ عَلَيهِ لِلأَجَلِ الذِي كَانَ أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَباً**».

والأَجَلُ الذي كان بينهما يقتربُ، والرجلُ يتجهزُ لكي يرجِعَ إلى صاحبِ المالِ ليردَّ المالَ في وقتِه الذي تحدَّدَ بينهما، فأخذَ المقترضُ في الناحيةِ الأخرى من البحرِ يبحثُ عن مركبٍ يركبُ فيه ليأتيَ إلى صاحبِ المالِ في الأجلِ الذي تَسَمَّى بينهما فلم يجدْ، فماذا يفعلُ وهو حريصٌ أن يوصلَ المالَ في وقته؟

«**فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَها، فَأَدخل فيها أَلفَ دِينار وَصَحِيفةً مِنْهُ إِلى صَاحبه، ثُمّ زجَّج مَوْضَعَها، ثُمّ أَتى بِها إلى البَحْر، فقال: اللَّهُمَّ! إِنَك تعلمُ أَنّي كُنتُ تَسَلّفتُ فُلاناً أَلفَ دِينار فَسَأَلني كَفِيلاً، فقُلتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً، فَرَضِي بِكَ، وَسَأَلَني شَهِيداً، فقُلت: كَفَى بِاللهِ شَهِيداً، فَرَضِي بك، وَأَنّى جَهِدتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَباً أَبْعثُ إِليهِ الذي لهُ فَلم أَقْدِرْ، وَإِني أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمى بها في البَحْر حَتَّى وَلَجَتْ فِيهَ، ثُمّ انْصَرَفَ وَهُو فِي ذَلكَ يَلْتمسُ مَرْكَباً يَخرجُ إِلى بَلَدِه، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الذي كَان أَسْلفهُ يَنظر لَعَلَّ مَرْكَباً قَدْ جَاءَ بِمَالِه، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ التّي فِيها المالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِه حَطَباً، فَلَمّا نَشَرَهَا وَجَدَ المالَ وَالصّحِيفَةَ**».





اللهُ أكبر! مَنِ الذي ألهمَ هذا الرجلَ الذي كانَ على الشاطىءِ الآخرِ أن يأخذَ هذه الخشبةَ بحدِّ ذاتها دونَ غيرِها؟ إنه الله عز وجل.

منَ الذي حملَ هذه الخشبةَ على موجِ البحرِ، وحماها وحفظَها حتى ذهبت إلى الشاطىءِ الآخرِ؟ إنهُ اللهُ عز وجل.

مَن الذي وقَّتَ الأمورَ ورتَّبَ خروجَ صاحبِ المالِ من بيتِه في هذا الوقت بالذاتِ إلى الشاطىء ليأخذَ المالَ؟ إنه اللهُ عزَّ وجل.

مَن الذي ألهمَ هذا الرجلَ أن ينشرَ الخشبةَ قبلَ أن يَحْرِقَها كاملةً ليجدَ فيها المال؟ إنه اللهُ عز وجل.

فاعتبروا يا عبادَ الله وَلْنَعُدْ بكم مرةً ثانيةً إلى الشاطىءِ الآخرِ؛ فالرجلُ لا زالَ يبحثُ عن مركب ليأتيَ إلى صاحبِه ويؤديَ المالَ في الموعدِ المحدَّد، قال ﷺ: «**ثُمَّ قدِمَ الذي كَان أسْلَفَهُ فَأتى بالألفِ دينارٍ فَقالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِداً في طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتيَكَ بِمَالِكَ، فَما وَجَدْتُ مَركباً قَبلَ الذِي أَتَيتُ فِيه.**

قال: هَل كُنتَ بعثتَ إليَّ بِشَيءٍ؟ قال: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أجِد مَرْكباً قبلَ الذي جئتُ فيه. قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثتَ في الخشبة، فانصَرِفْ بالألفِ الدينارِ راشداً»[1].

أمةَ الإسلام! هذا موقفٌ إيمانيٌّ مِنَ الذي استدانَ وبهِ صدقٌ وحرصٌ على سدادِ الدَّين.

ما الذي أصابَنا يا أمةَ الإسلام؟! كانَ الأغنياءُ قديماً عندهم رحمةٌ على الفقراءِ، والفقراءُ إذا استقرضوا قرضاً حسناً من الأغنياءِ أدَّوا واجتهَدوا في ذلك، ويومَ أن ذهبَ القَرضُ الحسنُ وحَلَّ مكانَه القرضُ الرِّبويُّ فهذا حالنا: دمارٌ، همٌّ، غمٌّ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٢٩١).



بالليلِ والنهارِ، وحربٌ منَ اللهِ تبارك وتعالى. فيا معشرَ الأغنياءِ! اتقوا اللهَ في الفقراءِ وأقرضوهم قرضاً حسناً. ويا معشرَ الفقراءِ! اتقوا الله في الأغنياءِ وأدّوا ما عليكم.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ في أداءِ الحقوقِ لأهلها فهي كثيرةٌ جداً، نذكرُ منها على سبيلِ المثال:

أولاً: على الأغنياءِ وأصحابِ الأموالِ أن يُساعدوا المحتاجينَ الطيبينَ على قضاءِ حوائِجهم بالقرضِ الحَسنِ.

وقد جاءَ الإسلام يحثُّ الأغنياءَ على مساعدةِ المحتاجين.





قال ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ**[1] **عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْد مَا كانَ العَبْدُ فِي عَونِ أخِيهِ**»[2].

وقال ﷺ: «**من أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقة، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّينُ، فإذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلاَهُ صَدَقة**»[3].

فمن أقرضَ محتاجاً قرضاً حسناً فله بكلِّ يوم مثلُه صدقةً هذا قبلَ أن يحِلَّ الأجلُ، فإن حلَّ الأجلُ فأَنظَرَه إلى أجلٍ آخرَ فله بكلِّ يوم مثلاه صدقةً.

عبادَ الله، وحَثَّ الإسلامُ الأغنياءَ على الإنظارِ عندَ الإعسار.

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

---

(١) **نفّس عن مؤمن كربة**: أزالها بإزالة أسبابها. وفيه ترغيب في إعانة المسلمين ومساعدتهم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٤١٨)، وأحمد (٥/ ٣٦٠)، والحاكم (٢/ ٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (١١٢٦١)، وفي «السنن» (٥/ ٥٨٥)، [«صحيح الجامع» (٦١٠٨)].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ**»(١).

أي: أنظرَه إلى أجلٍ مسمى، أو سامَحه في الدَّينِ أو وضعَ عنه من دَيْنِه.

ويقول ﷺ: «**كَانَ الرّجل يُدَاينُ النّاسَ، فكانَ يقولُ لفتاهُ: إذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلّ اللهَ أنْ يَتَجَاوَزَ عَنّا**، قال: **فَلَقِيَ اللهَ، فتَجَاوَزَ عَنْه**»(٢).

هذا الرجلُ الغنيُّ يقولُ لغلامِه: إذا أتيتَ معسراً -أي عاجزاً عن السداد- فتجاوزْ عنه لعلَّ اللهَ أن يتجاوزَ عنا يومَ القيامة.

ثانياً: في الوقتِ الذي أمرَ اللهُ الأغنياءَ أن يُقرضوا الفقراءَ وأن يتجاوزوا عنهم وأن يُنْظِروهم، أمرَ الإسلامُ الفقراءَ الذين استقرضوا المالَ أن يتقوا اللهَ في المالِ الذي أخذوه وأن يردوه حالَ الاستطاعةِ.

يقول ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُم أَحْسَنُكم قَضاءً**»(٣).

وكان ﷺ من أحسنِ الناسِ قضاءً، فكان إذا استدانَ من أحدٍ قضاه وزادَه وهذه من أخلاقِ النبوةِ.

واستدانَ ﷺ يوماً من أحدِ أصحابه ثم قضاهُ وقال له: «**بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّما جَزَاءُ السَّلَف، الحَمْدُ والأَدَاءُ**»(٤).

فهذا جزاء الدَّين وجزاءُ مَنْ أحسنَ إليكَ.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾؟ [الرحمن] فمن أقرضَك فقد أحسنَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠٠٦).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٨٠)، ومسلم (١٥٦٢).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٣٠٥)، ومسلم (١٦٠١).

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي (٤٦٨٣)، وابن ماجه (٢٤٢٤)، وأحمد (٤/ ٣٦) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٧٢٣)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٢٧٧)، وأبو نعيم (٨/ ٣٧٥)، [«صحيح النسائي» (٤٣٦٦)].



إليكَ وقضى حاجتَك، فالواجبُ عليك أن تُحسِنَ إليه فتردَّ إليه دَينَه وتزيدَه إن استطعت إلى ذلك سبيلاً، وأن تدعوَ له.

ثالثاً: كراماتُ اللهِ عز وجل ثابتةٌ لأوليائِه المتقين.

فهذا الذي صنعهُ الرجلُ وهو صادقٌ وحريصٌ على أن يسدَّ الدَّينَ في وقته، فوضعَ المالَ في خشبةٍ ووضعَها في البحرِ حتى أخذها صاحبُه، هذه كرامةٌ، واللهُ تباركَ وتعالى يكرِمُ أولياءَه المؤمنين المتقين، بكراماتٍ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]

اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ




٢٢

موقفٌ في الصدق
في أداءِ الأمانةِ إلى أهلِها (الرجلُ الذي اشترى عَقاراً..)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الثاني والعشرينَ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في الصدقِ في أداءِ الأمانةِ إلى أهلِها.

والأمانة حِمْلٌ ثقيلٌ جداً، عَجَزَتِ السمواتُ والأرضُ والجبالُ عن حَملها، وحَملَها الإنسانُ إنه كان ظلوماً جهولاً.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾** ﴾ [الأحزاب].

أداءُ الأمانةِ دليلٌ على الإيمانِ، فلا يُؤديها إلا مؤمنٌ.

يقول أنسٌ رضي الله عنه: ما خطبَنا نبيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلا قال: «**لاَ إِيمانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ**»(١).

أداءُ الأمانة طريقٌ إلى جناتِ النعيم.

يقول ربُّنا جل وعلا في وصفِ أهلِ الجنة: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ**

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، وابن حبان (١٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٣٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٠٦)، والبزار «البحر الزخار» (٧١٩٦)، وأبو يعلى (٢٨٦٣)، [«صحيح الجامع» (٧١٧٩)].

﴿يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون].

ويقولُ ﷺ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّة: اصدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُم، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُم، وأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُم**»(١) الحديث.

أداءُ الأمانةِ سببٌ لمحبةِ اللهِ ورسولِه ﷺ يقول: «**إنْ أَحْبَبْتُم أَنْ يُحِبَّكُمُ اللهُ تَعَالَى ورَسُولُهُ فَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُم، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وأَحْسِنُوا جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكُمْ**»(٢).

الأمانةُ هي أولُ ما يُرفَعُ منَ الناسِ، يقول ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ من النَّاسِ الأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى مِنْ دِينهمُ الصَّلاةُ**»(٣).

ويقولُ حذيفَة رضي الله عنه: حدثنا رسولُ اللهِ ﷺ حديثين قد رأيتُ أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخَر.



حدثنا: «**إِنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**» -أي: في أصل قلوبِ الرجال- «**ثُمَّ نَزَلَ القُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ وعَلِمُوا مِنَ السُّنَّة**» -أي: أنَّ الناسَ بفطرتهم فُطِروا على الأمانةِ، وجاءَ القرآنُ والسنةُ كلٌّ يحثُّ على الأمانةِ، فعلمَ الناسُ الأمانةَ بفطرتهم، ومن الكتابِ والسنةِ-.

ثم حدثنا عن رَفعِ الأمانةِ قال: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مَثْلَ الوَكْتِ**(٤)**، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَة مِنْ قَلبِهِ، فَيَظَلّ أَثرُها**

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٤/ ٣٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٠٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٩٣)].

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥١٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٩٧)، [«صحيح الجامع» (١٤٠٩)].

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٣٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥٢٧٤)، [«صحيح الجامع» (٢٥٧٥)].

(٤) **الوكت**: هو الأثر اليسير، وقيل: هو لون يحدث مخالف للون الذي كان قبله.



مثْلَ المَجْلِ(١) **كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجلك فَنَفِطَ**(٢) **فتراه مُنتَبراً**(٣) **وَلَيْسَ فيه شَيءٌ (ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ)»** أي: تنقصُ الأمانةُ من قلوبِ الناسِ شيئًا فشيئاً، وإذا خرجَتِ الأمانةُ من قلوبِ الناسِ حلَّ مكانَها ظُلْمَةٌ في القلوبِ.

ثم قال: «**فيُصْبِحُ النّاسُ يتبَايَعُونَ، لا يَكادُ أحَدٌ يُؤدي الأَمَانَة حَتَّى يُقالَ: إنَّ في بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِينًا**» -انظروا أسواقَنا معاملاتِنا، تجاوزَ اللهُ عنا-.

«**حَتَّى يُقالَ للرَّجل: مَا أجلَدهُ ما أظرفَه!، ما أعقلَه! وما في قلبهِ مثقالُ حَبةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ**» -قُلِبَتِ الموازينُ! ثمّ يقول حُذيفة-: (ولقد أتى عليّ زمانٌ وما أُبالي أيكم بايعتُ: لئن كانَ مسلماً ليرُدَّنّه عليّ دِينُهُ، ولئن كانَ نصرانيًا أو يهودياً ليُردَّنهُ عليَّ ساعيهِ، وأما اليَوْمَ فَما كُنتُ لأُبايِعَ مِنْكُمْ إلاّ فُلانًا وفلانًا)(٤).

وهذا في عصرِ حذيفَة، فباللهِ عليكُم لو خرَج علينا الآنَ هذا الصحابيُّ الجليلُ ودخلَ أسواقَنا وعاشَ بينَنَا، ماذا تراه سيقولُ إذا ما سمعَ الأَيْمانَ الكاذبةَ، ورأى الغِشَّ والكذبَ والاحتيالَ الذي نراه في أسواقِنا؟!

وإذا ارتفعَتِ الأمانةُ، وقلَّتْ بينَ الناسِ -كما نرى- فقد أزفَتِ الآزفةُ.

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: بينما النبيُّ صلى الله عليه وسلم في مجلسٍ يُحدِّثُ القومَ، جاءه أعرابيٌّ فقالَ: متى الساعةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُحدِّث، فقال بعضُ القومِ: سمعَ ما قالَ فكرِه ما قال، وقال بعضُهم: بل لم يسمعْ، حتى إذا قضَى حديثَه قالَ: «**أينَ أَرَاهُ السّائِلَ عَن السّاعَةِ**» قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ!

قال صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا ضُيّعَتِ الأَمَانةُ فانْتَظِرِ السّاعةَ**».




---

(١) **المجل**: هو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

(٢) **فنفط**: يقال: نفطت يده نفطاً من باب تعب ونفيطاً إذا صار بين الجلد واللحم ماء.

(٣) **منتبراً**: مرتفعاً وأصل هذه اللفظة الارتفاع ومنه المنبر لارتفاع الخطيب عليه.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣) واللفظ لمسلم.

قال الرجلُ: كيفَ إضاعتُها؟

فقالَ ﷺ: «**إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلَى غَيْرِ أهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السّاعةَ**»(١).

ولا يختلفُ اثنانِ في أنَّ الأمرَ قد وُسِّدَ إلى غيرِ أهله، إذن فارتقبوا الساعةَ فقد ضاعتِ الأمانةُ، ورُفِعَتْ حتى أصبحنا نقول: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويخبرُنا رسولُ اللهِ ﷺ يومَ القيامةِ حينَ يخرجُ الناسُ من قبورهم لربِّ العالمينَ، وتُنْصَبُ الموازينُ للحساب والجزاءِ فيقولُ ﷺ: «**وتُرسَلُ الأَمانَةُ والرّحِمُ. فتَقُومان جَنبَتَي الصِراطِ يَمِينًا وشِمَالاً، فيَمُرُّ أَوّلُكُمْ كَالبَرْقِ**» قال: قلت -أي الراوي-: بأبي أنت وأمي أيُّ شيءٌ كَمَرِّ البرق؟ قال: «**أَلَمْ تَرَوا إلى البَرقِ كَيْفَ يَمُرُّ ويَرْجِعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وشَدِّ الرِّجالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهم ونَبِيُّكم قَائِمٌ عَلَى الصِراطِ يقولُ: رَبِّ سَلِّم، حَتَّى تَعجَزُ أعمالُ العِباد، حَتّى يَجِيءَ الرّجل فَلا يَسْتَطِيعُ السّيْرَ إلاّ زَاحِفًا. قال: وفي حافَتَيِ الصِّراطِ كَلاليبُ مُعَلّقةٌ مأمورَةٌ بأخذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ. فمَخْدُوشٌ نَاجٍ ومُكَرْدَسٌ في النَّار**»(٢).

أي: تقفُ الأمانةُ والرَّحِمُ على الصراطِ، وعلى الصراطِ كلاليبُ معلقةٌ لأخذِ مَنْ أُمرَت بأخذه، فانظروا عبادَ الله، الأمانةُ واقفةٌ على الصراطِ، فإذا مَرَّ الخائنُ على الصراطِ أشارَتِ الأمانةُ إليه، فإذا بالكلاليبِ تأخذُ به إلى جهنَّم.

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (القتلُ في سبيلِ الله يكفِّرُ الذنوبَ كلَّها إلا الأمانةَ، وقال رضي الله عنه: يُؤتى بالعبد يومَ القيامةِ- وإن قُتِلَ في سبيل الله- فيقال: أَدِّ أمانتَك.

فيقول: أي ربِّ! كيفَ وقد ذهبتِ الدنيا؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٥).

قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاويةِ، فَيُنْطَلَقُ به إلى الهاوِية، وتُمَثَّلُ له أمانتُه كهيئتِها يومَ دُفِعَتْ إليه فيراها فيعرفُها، فيهوي في أثرِها حتى يدركَها، فيحملُها على مِنْكَبيه، حتى إذا نظرَ ظنَّ أنه خارجٌ زلَّتْ عن مِنْكَبيه، فهو يهوي في أثرِها أبدَ الآبدين.

ثم قالَ: -الصلاةُ أمانةٌ، والوضوءُ أمانةٌ، والوزنُ أمانةٌ، والكيلُ أمانةٌ-، وأشياءُ عدَّدَها، وأشدُّ ذلك الودائعُ.

-فذهبَ رجلٌ ممن سمعَ ابنَ مسعودٍ إلى- البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه فقال له: ألا ترى إلى ما قالَ ابنُ مسعودٍ؟ قال كذا. قال: كذا. فقالَ البراءُ رضي الله عنه: صدَقَ.

أما سمعتَ اللهَ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[النساء:٥٨][1].

والأمانةُ أمرُها خطيرٌ، وشأنُها عظيمٌ.

وجاءَ الإسلامُ يأمرُ بأداءِ الأماناتِ وردِّها إلى أهلها، وحذّر تحذيراً شديداً من الخيانةِ قال اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[النساء:٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[البقرة ٢٨٣]

ويقول صلى الله عليه وسلم: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَك، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَك**»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَب، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَف، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَان**»[3] وزاد مسلمٌ في رواية له: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**»[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ إِني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وأَعُوذُ بِكِ**

(١) **حسن**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٦٣)].
(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وأحمد (٣/ ٤١٤)، والدارمي (٢٦٣٩)، والحاكم (٢/ ٥٣)، [«صحيح الجامع» (٢٤٠)].
(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).
(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٩).

مِنْ الخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ»(١).

وَعن عمرانَ بن حصينٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الّذين يَلُونَهُم**» -قَال عمرانُ: فما أدري قالَ النبيُّ ﷺ بعد قوله مرتين أو ثلاثة- «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُم قَومٌ يَشهَدُون ولا يُسْتَشْهدون، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتمَنونَ ويَنْذرُونَ ولاَ يُوْفُونَ، ويَظْهرُ فيهم السِّمَنُ**»(٢).

فاعتبروا(٣) يا مَنْ لا تؤدونَ الأمانةَ، بهذا الداخلِ إلى المسجدِ محمولاً على الأعناق.

هذا إنسانٌ انتقلَ من دارِ الدنيا إلى دارِ الآخرةِ، ها هو محمولٌ على الأعناقِ، لا حولَ له ولا قوةَ، أصبحَ مرهوناً بعمله، إنْ كان عملَ صالحاً أكرمَه الله عز وجل، وإنْ كانَ غيرَ ذلك أهانهُ، فاعتبروا يا أولي الألباب! فعن قريبٍ سيأتي اليومُ الذي تُحمَلونَ فيه على الأعناقِ إلى المقابرِ، فمَن خرجَ من هذه الدنيا وقد أدى الأمانةَ فهنيئاً له، ومن خرجَ من هذه الدنيا وقد ضيّعَ الأمانةَ فقد خابَ وخسرَ الدنيا والآخرةَ وذلك هو الخسرانُ المبينُ.

عباد الله! تعالَوا بنا لنتعلمَ الحرصَ على أداءِ الأمانةِ من هذين التاجرين الأمينين.

يقول ﷺ: «**اشْتَرَى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقارًا لَهُ فَوَجَدَ الرّجلُ الذي اشْتَرَى العَقَارَ في عَقَارِهِ جَرَّةً فِيها ذَهَبٌ، فقالَ لهُ الذي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي؛ إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرضَ، ولَمْ أَبْتَعْ مِنكَ الذّهب**». -أي: لم أشترِ-

اللهُ أكبرُ! أَيفعلُه أحدُنا يا أمةَ الإسلامِ! يجدُ في أرضِه التي اشتراها جرةً فيها ذهبٌ، فيحملُها ويرجعُ بها إلى البائعِ، ويقولُ له: خذ ذهبَك مني، إنما اشتريتُ منك

(١) **حسن:** أخرجه أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي (٥٤٦٨)، وابن ماجه (٣٣٥٤)، وابن حبان (١٠٢٥)، وإسحاق بن راهويه (٢٩٩)، وأبو يعلى (٦٤١٢)، والبغوي (١٣٧٠)، [«صحيح الجامع» (١٢٨٣)].
(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥).
(٣) في هذه اللحظة وأثناء الخطبة دخلت المسجد جنازةٌ محمولة على الأعناق فكان هذا التعليق.




الأرضَ ولم أَبتعْ منكَ الذهبَ؟!

«**فقالَ الذي شَرَى** -أي: باعَ- **الأرضَ: إنما بعتُكَ الأرضَ وما فيها، فتحاكما إلى رجلٍ، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال أحدُهما: لي غلامٌ، وقال: الآخرُ لي جاريةٌ، قال: أَنْكِحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفقوه على أنفسِكما منه، وتصدَّقا**»(١).

ما هذا الورعُ؟! ما هذا الصدقُ؟! ما هذه الأمانةُ؟!! المشتري لم يَطِرْ فرحاً بالذهبِ كما نفعلُ، وإنما أخذَه على الفورِ، وقال للبائع: إنما اشتريتُ أرضاً ولم أشترِ ذهباً فهو لكَ، ليس لي، والبائعُ قال عند ذلك: قد بعتَكَ الأرضَ وما فيها فالذهبُ لك وليسَ لي. ثم ذهبا إلى بعضِ أهلِ الخيرِ فحكَمَ بينهما بالعدلِ وأمرهما بالإنفاقِ منْ هذا المالِ في بابٍ من أبوابِ الخيرِ.




فيا أمةَ الإسلام! هذا موقفٌ إيمانيٌّ نضعُه بين أيدي التجارِ: البائعِ والمشتري؛ فليتقِ اللهَ البائعُ في سلعته فيصْدُقَ، وليتقِ اللهَ المشتري فلا يبخسْ للبائع ثمنَ سلعتِه.

أما الدروسُ والعظاتُ والعِبرُ التي تؤخذُ من هذا الموقف العجيب:

أولاً: التَّخَلُّقُ بالصدقِ والأمانةِ والورعِ، وخصوصاً البائع والمشتري.

فهذا المشتري خافَ أن يكونَ هذا الذهبُ ليسَ من حقِّه فتورّعَ عن أخذِه.

والبائعُ خشيَ ألا يكونَ من حقِّه فتورّعَ، فانظرْ إلى فعلِ البائعِ والمشتري، صدقٌ في البيعِ والشراءِ، أمانةٌ في البيعِ والشراءِ، وورعٌ من البائعِ ومنَ المشتري، فعلى المسلمِ أنَ يتقيَ اللهَ، وأن يكونَ صادقاً أميناً في بيعِه وشرائِه.

ثانياً: التحري في أكلِ الحلالِ.

فالمشتري تحرى الحلالَ، والشاهدُ: أنه لم يأخذِ الذهبَ، والبائعُ كذلك تحرَّى الحلالَ، ولذلكَ لم يأخذِ الذهبَ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) واللفظ لمسلم.

فعلى المسلم أن يتحرى ما يضعُه في بطنِه، وفي بطنِ أولادِه، فلا يُدْخلُ في بيتهِ إلا ما كانَ حلالاً، ويرحمُ اللهُ الأوائلَ: الذين كانتِ المرأةُ الصالحةُ فيهم إذا خرجَ زوجُها لعملِه أخذَتْ بِمِنْكَبيه، وقالت له: يا أبا فلان! اتقِ الله فينا ولا تطعمْنا حراماً؛ فإنا نصبرُ على الجوعِ في الدنيا، ولا نصبرُ على نارِ جهنمَ يومَ القيامة.

فاتقِ الله في نفسِك يا ابنَ آدم! وانظرْ ماذا تضعُ في بطنِك وفي بطنِ أولادِك، وتجنَّبِ الحرامَ، وإلا ستُحْرَمُ خيراً كثيراً في الدنيا والآخر، فإنَّ إجابةَ الدعاءِ، والإقبالَ على الأعمالِ الصالحةِ، وإنجابَ الأولاد له علاقةٌ بأكلِ الحلالِ وتجنُّبِ الحرامِ.

ثالثاً: الإصلاحُ بينَ الناسِ من أفضلِ الأعمال عندَ الله عز وجل.

فالرجلُ الذي تحاكما إليه أصلَح بينهما بما ينفعُ وَلَدَيهما.

والإسلامُ حَثَّ على الإصلاحِ بينَ الناسِ ورغبَ في ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ [النساء:١٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات:١٠].



ومن أَعظمِ الخطواتِ وأفضلِها خطواتٌ يخطوها الرجلُ ليصلِحَ بين الناسِ، فإنَّ مِنْ أحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ الإصلاحَ بين الناسِ، وأحبِّ الأعمالِ إلى الشيطانِ التفريقَ بينَ الأحبة.

فهنيئاً لمن أعانَ ولو بكلمةٍ على الصلحِ بين الناس، والخيبةُ والخسرانُ لكلِّ من أعانَ ولو بكلمةٍ على الإفسادِ بين الناسِ، فإنَّ من شرِّ الناسِ، وممن يُعَذَّبون في قبورهم أولئكَ الذين يمشونَ بين الناسِ بالنميمةِ، فالحذرَ الحذرَ!

رابعاً: الزهدُ في الدنيا.

فإعادةُ هذا المشتري الذهبَ إلى البائعِ دليلٌ على زهدِه في هذه الدنيا، ثم هذا



البائعُ أبى أخذَ الذهبِ فدلَّ ذلكَ على زهده هو أيضاً في هذه الدنيا، وأمثالُ هؤلاءِ هم من يعبدونَ اللهِ وحدَه بصدقٍ وإخلاص، في حين أنَّ كثيراً منَ الناسِ عبدوا الدينارَ والدرهمَ في زماننا، فإلى الله المشتكى!

إن الزهدَ في المالِ، والزهدَ في هذه الدنيا الفانيةِ يعينُ على التغلب على فتنةِ المالِ وفتنةِ الدنيا فإن نبيَّ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالِ**»[1].

فالمالُ فتنةٌ؛ إذ حلالُه حسابٌ، وحرامُه عقابٌ، وفراقُه عذابٌ.

إنْ جَمعتَهُ من الحلالِ فإنك ستحاسَبُ عليهِ يومَ القيامةِ: من أين اكتسبْتَه؟ وفيمَ أنفقْتَه؟

وإن جمعْتَه منَ الحرامِ كانَ زادَك إلى النارِ وسبباً لعذابك فيها.

وإذا مُتَّ تتركُه خلفَك فستُسألُ عنه أمامَ الله يوم القيامة.




فليتقِ اللهَ كلٌّ منا في نفسِه، وليتقِ اللهَ التّجّارُ في أنفسِهم وفي أولادهِم وفي الناس، وليصْدُقوا في بيعهم وفي شرائهم، وَلْيؤَدِّ كلٌّ منا أمانتَه، فاللهُ عز وجل سائلُنا عنها يومَ القيامة.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢١٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٣)].



٢٣

موقفٌ في الدفاعِ عنِ المظلومِ (مؤمنُ آلِ فرعونَ)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الثالثِ والعشرينَ من المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الدفاعِ عنِ المظلوم.

لما كان الظلمُ سبباً لخرابِ الديارِ، وسبباً لهلاكِ الأممِ والشعوبِ.

لما كانَ الظلمُ سبباً لحياةِ الضَّنْكِ.

وسبباً للعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

ولأنَّ الظلمَ ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعض: في القبرِ ويومَ القيامةِ، لأجلِ ذلكَ كُلِّه وغيرِه أمرَ الإسلامُ بالعدلِ وحرّمَ الظلمَ، وحذَّر منه، وهددَ الظالمينَ وتوعَّدَهم، وأنصفَ المظلومَ وحثَّ مَنْ حوله على إعانَته لكشفِ الظلمِ عنه، ولوضعِ حدٍّ للظالمِ المعتدي.

فالإسلامُ دينُ العدلِ والسماحةِ يُحَرِّمُ الظلمَ:

قال اللهُ عز وجل في الحديثِ القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرّمًا، فلاَ تَظَالَمُوا**»[1].

وجاءت كثيرٌ من النصوصِ تحذّرُ من الظلم:

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان]،

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء]

وقال ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامةِ»(١).

وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ والظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ هُوَ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ»(٢).

وهذه بعضُ النصوصِ التي هُدِّدَ فيها الظالمونَ، وتوعدَّهم ربُّنا عز وجل بالعذابِ الأليم إن لم يتوبوا واستمروا في تعديهم الأثيم، فالعقابُ حالٌّ بهم لا محالةَ وإنْ طالَ الزمنُ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم]

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف]

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلي للظّالم، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود](٣).

وجاءَ الإسلامُ يقفُ معَ المظلومين وينصرُهم، ويحثُّ المسلمينَ على الدفاعِ عنهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه الدارمي (٢٥٥٨)، وابن حبان (٥١٥٤)، والحاكم (١/ ٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٤٥٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢١٧)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).



يقول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: «**واتّقِ دعْوةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُهُمْ: الوَالِدُ**» -أي: إذا دعا لولده أو دعا عليه- «**والمُسافِرُ وَالمَظْلُومُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**دَعْوةُ المَظْلُومِ مُسْتَجَابةٌ، وإِنْ كَانَ فَاجِرًا ففُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**دَعْوةُ المَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»(٤).

ابنَ آدم!

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كُنْتَ مقتدِراً ... فالظلمُ يرجعُ عقباهُ إلى الندمِ

تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ

ويقول ﷺ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ**»(٥).

ويقول ﷺ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّها تُحْمَلُ عَلَى الغَمَامِ يقُولُ اللهُ: وَعِزَّتِي وجَلَالِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»(٦).

وقال ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! أنصرُه إذا كانَ مظلوماً، أفرأيتَ إذا كانَ ظالماً كيف أنصرُهُ؟

قال ﷺ: «**تَحْجزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِن الظُّلْم، فإنّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»(٧).



(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).
(٢) **حسن**: أخرجه ابن خزيمة (٢٤٧٨)، وعبدالرزاق (١٠/ ٤٠٩)، [«صحيح الجامع» (٣٠٤٩)].
(٣) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧)، والطيالسي (٢٤٥٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٩)].
(٤) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣١)].
(٥) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٨٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٨)].
(٦) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٨٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٣٣)، [«صحيح الجامع» (١١٧)].
(٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٥٢).



وقال ﷺ: **«أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ أن يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مَائَةَ جَلْدَة، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جِلْدَةً وَاحِدَةً، فجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدةً، فامْتَلأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قال: عَلَى مَا جَلَدتُموني؟**

قالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلاةً واحِدَّة بغيرِ طَهُورٍ، ومَررتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ»(١).

هذا صلى مرةً بغيرِ وضوءٍ فاشتعلَ القبرُ عليهِ ناراً، فكيف بمن تركَ الصلاةَ بالكليةِ؟!

أمةَ الإسلام! أطفالٌ يُقتلون، ونساءٌ يُقْتلْنَ، أبرياءُ منَ المسلمينَ في كُلِّ مكانٍ يُقْتلون، ولم نرَ أحداً يهبُّ لنصرتهم، ولم نرَ أحداً يدافعُ عن المظلومين!




فتعالَوا بنا لنتعلمَ الصدقَ في الدفاعِ عن المظلومينَ من هذا الرجلِ المؤمنِ الذي دافعَ عن المظلومِ، فشكرَ اللهُ لهُ موقفَه، وأنزلَ فيه آيةً تُتلى إلى يومِ القيامةِ.

فاسمعوا وعوا.

الظالمُ في هذا الخبرِ هو فرعونُ عليهِ لعنةُ اللهِ.

والمظلومُ هو نبيُّ اللهِ موسى عليه السلام ومَنْ آمنَ معه.

والذي يدافعُ عنِ المظلومِ رجلٌ مؤمنٌ يكتمُ إيمانَه هو: مؤمنُ آلِ فرعونَ.

أرسلَ اللهُ عز وجل رسولَه موسى عليه السلام إلى فرعونَ الطاغيةِ، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه].

فلما جاءَ موسى عليه السلام فرعونَ بالبيناتِ الواضحاتِ الدالةِ على أنه رسولٌ منْ عندِ اللهِ، ما كانَ من فرعونَ إلا أن كَذَّبَ وأبى، ولم يكتفِ فرعونُ بذلكَ بل أمرَ بقتلِ كُلِّ مَنْ آمنَ معَ موسى.

(١) **إسناده جيد**: أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٣١٨٥)، [«الصحيحة» (٢٧٧٤)].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)﴾ [غافر].

ولم يقفِ الطغيانُ بفرعونَ عندَ هذا الحدِّ بل تمادى في غَيِّه وضلالِه، وأخبرَ الملأَ مِنْ حولِه أنه سَيقتلُ موسى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)﴾ [غافر]

اتخذَ فرعونُ هذا القرارَ الجائرَ، ووصلَ الخبرُ إلى موسى عليه السلام: فإلى من يلتجيءُ موسى؟ موسى المظلومُ الذي أصدرَ فرعونُ قرارَه بقتله ظلماً وعدواناً! إلى من يلتجئُ؟ وبمن يحتمي؟ قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)﴾ [غافر].

التجأ موسى عليه السلام إلى اللهِ عزَّ وجل، واحتمى باللهِ، وطلبَ النصرَ منَ اللهِ، ودعا على فرعونَ، وموسى نبيٌّ ودعاءُ الأنبياءِ مستجابٌ، وكانَ مظلوماً ودعوةُ المظلوم مستجابةٌ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٨-٨٩]

فاستجابَ اللهُ لموسى وهارونَ دعوتَهما على فرعونَ.

وكانَ في مجلسِ -فرعونَ عند استشارةِ الملأِ في قتلِ موسى- رجلٌ مؤمنٌ لكنه كان يكتمُ إيمانَه ، فلما سمعَ هذا القرارَ الجائرَ تحركَ الإيمانُ في قلبه ، والإيمانُ إذا ملأَ القلوبَ حرّكَ أصحابَها ودفعهم إلى كُلِّ خيرٍ، فدفعَ الإيمانُ هذا الرجلَ أن يتكلمَ




ولا يسكتَ، ودافعَ عن المظلومِ وأمرَ بالمعروفِ ونهى عن المنكرِ، وقال كلمةَ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ ظالمٍ، ومَنْ أعظمُ ظلماً وأشدُّ جَوراً مِن فرعونَ؟

فتعالَوا بنا لنستمعَ إلى هذا الرجلِ المؤمنِ وهو يدافعُ عنِ المظلومِ:

أولاً: في بدايةِ كلامه معَ فرعون ومن معه نصحَهم نصيحةً عامةً برفقٍ ولينٍ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ -يا قومِ تقتلونَ موسى لا لشيءٍ، إلا أنه يقولُ: ربيَ اللهُ؟ ما هي المصلحةُ في قتلهِ؟- ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر].

ثم ذكَّرَهم ببأسِ اللهِ الذي ينزلُ بالظَّلَمَةَ إذا ظلموا وخوَّفهم.

فقال: ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩].

خوَّفهم- أي: إذا فعلتم هذه الجريمةَ وقتلتم موسى وليَّ الله- فمن ينصرُنا من بأسِ اللهِ، وعذابِ اللهِ إذا نزلَ بنا؟

فعقَّبَ فرعونُ على كلامِ هذا الرجلِ الذي لم يكشفِ النقابَ بعدُ عن إيمانه، فماذا قالَ فرعونُ؟

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ أي: إن الذي أدعوكُم إليه مِنْ قتل موسى هو سبيلُ الرشاد.

ثانياً: بدأَ الرجلُ المؤمنُ يتكلَّمُ، ولكنه في هذه المرةِ أخذَ يحذِّرُ ويُخوِّفُ ويُذكِّرُ بالأممِ الظالمةِ مِنْ قبلهم، وكيفَ أنها لما ظلمَتْ أهلكَهُمُ اللهُ عز وجل ودَمَّرهم. وكأنه

أرادَ أن يقولَ لقومِه: العاقلُ مَنِ اتعظَ بغيرِه، والشقيُّ من اتعَظَ بنفسِه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾ [غافر]

ذكّرهم بقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ، أممٌ ظلمَت فهلكت، وسادَت فبادت.

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨﴾ [الفجر]

أبادهُمُ اللهُ لأنهم ظلموا أنفسَهم فأشركوا بالله وظلموا غيرَهم.

ثم ذكَّرهم وخوَّفَهم بعذابِ اللهِ يومَ القيامة فقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غافر].

يومَ القيامةِ، يومَ النداءاتِ؛ هناك ينادي المظلومُ يقولُ: يا ربِّ! خذْ لي حقي من هذا الظالمِ.

ويقول: ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾ [غافر].

وبعدَ كُلِّ هذا التخويفِ والتذكيرِ منْ هذا الرجلِ المؤمنِ لفرعونَ ومن معه، تكلمَ فرعونُ لكنه كانَ في هذه المرةِ مستهزئاً ساخراً!!

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ -أي: مكاناً عالياً- ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر].

فلما قالَ فرعونُ هذا الكلامَ، لم يتحملِ المؤمنُ استهزاءَ فرعونَ، وتكلمَ بما

يُظهِرُ إيمانَه، وذكّرهُمْ بالله، ودعاهم إلى سبيلِ الرشادِ.

فهذا الرجلُ المؤمنُ الذي ظلَّ مدةً كاتماً لإيمانِه، يتحولُ اليومَ إلى ناصحٍ مشفقٍ على قومِه، ويسجِّلُ موقفاً شُجاعاً، موقفاً أنزلَ الله تعالى فيه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر].

ثم قال لهم: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر].

فلما عرفوا أنه مؤمنٌ، وأنه من المؤمنينَ بما جاءَ به موسى، مكَروا به وكادوا له: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

فاعتبِروا يا عبادَ الله! هذه هي عاقبةُ الظالمين، وهذا ماأصابَ فرعونَ ومَنْ وافقه وساندَه في ظلمِه، غَرَقٌ في الدنيا وعذابٌ في القبر: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ -ومن عذابِ القبرِ إلى نارِ جهنَّم- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر].

ثم أخبرَنا ربُّنا جلَّ وعلا بحالِ المستكبرينَ والضعفاءِ في نارِ جهنمَ، وأن المستكبرينَ لا يُغْنونَ عن الضعفاءِ شيئاً في النارِ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر].

ثم بعدَ ذلكَ ذكرَ اللهُ عز وجل الآياتِ، وبَيَّنَ أن من سننِه في هذا الكونِ: أنَّ النصرَ للمؤمنينَ، وأن العاقبةَ للمتقينَ.

فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر].

إنه حقاً موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الدفاعِ عن دينِ اللهِ عز وجل وعن المظلومينَ الذين وقعَ عليهِمُ الظلمُ لا لشيءٍ إلَّا لتمسكِهم بدينِ اللهِ عز وجل!!

اللهمَّ انْصُرْ عبادك الموحدين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وارفعِ الظلمَ عنهم، وأَعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ.



أما الدروسُ والعظاتُ والعِبَرُ التي تؤخَذُ من هذا الموقفِ العجيبِ فهي كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً، نذكرُ منها على سبيلِ المثالِ:

أولاً: أنَّ من توكَّلَ على اللهِ، والتجأَ إلى اللهِ، وفوضَ أمرَه إلى اللهِ، حماهُ الله ووقاه، ودافعَ عنه ونصرَه؛ فهذا موسى عليه السلام التجأَ إلى اللهِ واستعاذَ بالله وحده.

قال تعالى -مخبراً عن قولِ موسى عليه السلام-: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر].

وهذا الرجلُ المؤمنُ الذي دافعَ عن المظلومِ فَوَّضَ أمرَه إلى الله.

قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر:٤٤].

فحمى اللهُ عز وجل موسى عليه السلام، وحمى اللهُ عز وجل هذا الرجلَ المؤمنَ.

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر].



ثانياً: أنَّ النصرَ مِنْ عندِ الله، ولا يكونُ إلا بالرجوع إلى دينِ الله. فلا تظنُّوا يا عبادَ الله أن ننتصرَ يوماً على اليهودِ بالمظاهراتِ في الأسواقِ، أو بالحجارةِ كما يزعمونَ، لا واللهِ! لا نصرَ إلا بالإيمانِ وبالرجوعِ إلى اللهِ عز وجل، وبإقامةِ دينِ الإسلام، فهذا موسى ومن معه كانوا قلةً لا قوةَ لهم، ولا مقدرَة على مواجهةِ فرعونَ، ولكنهم لمّا التجئوا إلى اللهِ، واحْتَمَوا بحمى الله أمرَ اللهُ موسى أن يضربَ البحرَ بعصاه، فأنجى اللهُ موسى ومَن آمنَ معه، وأغرقَ فرعونَ وجندَه.

فواللهِ يومَ أن نعودَ إلى اللهِ، ويومَ أن نتركَ المعاصي، ونرجعَ إلى ديننا لتَكُونَنَّ هذه الأسلحةُ التي في أيدي اليهودِ وعندَ أمريكا وأعداءِ الإسلامِ بأيدينا، نقضي بها وبغيرِها عليهم، بإذن الله تعالى.

إياكم يا أمةَ الإسلام أن تظنوا أنَّ النصرَ يأتي من غيرِ هذا الطريقِ؟




وعليكم بالرجوعِ إلى اللهِ بالتوحيدِ، بـ(لا إله إلا الله)، وعليكُم باتباعِ محمّدٍ ﷺ، وبتركِ المعاصي، علينا جميعا الرجوعُ إلى دينِنا، وتركُ الشركِ وتركَ الابتداعِ في الدين.

وهذا رسولُنا ﷺ يبيّنُ لنا الداءَ والدواءَ فاسمعوا وعوا يا أمةَ الإسلام.

يقول ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِيْنَةِ**[1] **وأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، ورَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ**» -كنايةً عن حُبِّ الدنيا- «**وَتَرَكْتُمْ الجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينكُمْ**»[2].

---

(١) **العِيْنَة**: أن يبيع شيئاً لغيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر يدفعه نقداً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذا مع التواطؤ يبطل البيعين، لأنها حيلة)... نقلا من «السلسلة الصحيحة» - المجلد الأول/ القسم الأول (ص٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، والبزار في «البحر الزخار» (٥٨٨٧)، وأبو نعيم (٥/ ٢٣٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، [«الصحيحة» (١١)].

إذا تعاملتم بالربا، وقد تعاملنا بالربا! وركنتم إلى الدنيا، وقد ركَنَّا إلى الدنيا! وتركتمُ الجهادَ في سبيلِ الله، وقد تركنا الجهادَ في سبيل الله! فماذا كانتِ النتيجة؟ سَلَّطَ اللهُ علينا ذلاً، وأيُّ ذلٍّ بعدَ هذا الذلِّ؟!

متى يُرفعُ هذا الذلُّ عنا؟ لم يقلِ النبيُّ ﷺ: حتى تجاهِدوا في سبيلِ الله، ولم يقل: حتى تَخرجوا في مظاهراتٍ، وإنما قال: «**حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»، فإنْ رجعنا إلى دينِنا فستُرفعُ رايةُ الجهادِ في سبيلِ الله، وسننتصرُ على أعدائِنا بإذنِ الله.

ثالثاً: أنَّ رابطةَ الإيمانِ هي أقوى الروابط.

فانظروا إلى هذا الرجلِ المؤمنِ في هذا المجلسِ، وأمامَ فرعونَ الطاغيةِ ضحَّى بمنصبه وبمالِه عندَ فرعونَ ودافعَ عن موسى عليه السلام، لأنَّ الرابطةَ التي تربطُه بموسى رابطةٌ قويَّةٌ وهيَ رابطةُ الإيمانِ.

قال ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنَ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وشَبَّكَ أصابعَه**»[(١)].

فيا إخوةَ الإسلام! لا نملكُ إلا أن ندعوَ لإخواننا المظلومينَ في أرضِ فلسطينَ، وفي كُلِّ مكانٍ في جوفِ الليلِ، مع تجديدِ التوبةِ والرجوعِ إلى اللهِ عز وجل.

فهل نحنُ أهلٌ للنصرِ؟ هل كُلُّ واحدٍ منا أمرَ ابنتَه وزوجتَه بالحجابِ امتثالاً لأمرِ اللهِ؟ هل سحبَ كُلُّ واحدٍ منا أموالَه من بنوكِ الربا، تائباً إلى الله منتهياً عنْ أكلِ الربا؟ هل كُلُّ واحدٍ منا رجعَ إلى المحافظةِ على الصلاةِ في المسجدِ؟ هلْ من توبةٍ إلى الله عز وجل حتى إذا قلنا: يا ربِّ، استجابَ اللهُ لنا!!

اللَّهُمَّ رُدَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دِينِكَ رَدّاً جَمِيلاً

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

٢٤

موقفٌ في الاعتزازِ والافتخارِ بالانتسابِ إلى الإسلامِ

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الرابعِ والعشرين.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الاعتزازِ بالإسلامِ وَالانتسابِ إليه

لا زالَ الناسُ قديماً وحديثاً يحرِصونَ على طلبِ العزةِ، ويسعَوْنَ لتحصيلِ أسبابِ الشرفِ والرفعةِ والغَلَبةِ والمَنعةِ، ولكنهم اختلفوا وتفرقوا في طريقِ الوصولِ إلى مطلوبهم، لكنَّ المؤمنينَ هم وحدَهم مَنْ طلبوا العزةَ والشرفَ من مظانِّه الأصليةِ، ونالوه بانتسابهم للإسلام:

قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة].

وقد انقسم الناسُ في اعتزازهم وافتخارِهم إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأول: الكفارُ فإنهم رأَوا أنَّ عزتَهم تحصلُ في عبادتِهم غيرِ اللهِ منْ أوثانٍ وأشخاصٍ وأموالٍ ومناصبَ.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم].

والسَّحرةُ قبلَ أن يؤمنوا ظنوا أنَّ العزةَ بيدِ فرعونَ، فقالوا قبلَ أن ينزلوا إلى المباراةِ: ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء].

القسم الثاني: المنافقونَ ومَنْ في قلوبهم مرضٌ؛ فهؤلاء يرَوْنَ أن عزتَهم في موالاةِ الكفارِ والتقربِ منهم، فسلَكوا ذاكَ السبيلَ مع أنَّ اللهَ عز وجل قد نهى عن موالاةِ الكفار، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة].

فماذا قالَ المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ؟ هل استجابوا لأمرِ اللهِ؟

قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ [المائدة].

إن المنافقينَ ومرضى القلوب حَسِبوا أنَّ عزتَهم في موالاةِ الكفارِ فسارعوا إليهم وجعلَوا ولاءَهم خالصاً للكفارِ من دونِ المؤمنينَ، لأنهم ظنوا أنَّ الغلبةَ للكفارِ لما بحوزَتهم وبأيديهم من المالِ والسلاحِ، فظنَّ المنافقُ أنَّ النصرَ وأنَّ العاقبةَ للكفار فوالاهم واحتمى بهم.

واللهُ عز وجل أخبرَنا أن المنافقين بطلبهم العزَة في موالاةِ الكفارِ خسروا الدنيا والآخرة، وذلكَ هو الخسرانُ المبينُ.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء].

ومِنْ أعظمِ صورِ الموالاةِ للكفارِ اتباعُهم فيما ابتدَعوه من الدّينِ، ولقد جاءَ في آخر وصايا النبيِّ ﷺ التحذيرُ مِنْ هذا العملِ، قال ﷺ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ والنَّصَارى اتّخَذُوا قُبورَ أنبيائِهِمْ مَساجِد**»، قالت عائشة رضي الله عنها: يحذّرُ ممَّا صنعوا[1].

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) واللفظ لمسلم.




وقال ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قَبلَكُم شِبْرًا بِشِبْرٍ وذِرَاعًا بِذِراع، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»، قلنا: يا رسولَ الله! اليهودُ والنصارى؟ قال: «**فَمَنْ**»[(١)]؟

وأما القسمُ الثالث: ونسألُ اللهَ أن يجعلَنا وإياكُم منهم.

فهُم المؤمنون الصادقونَ الذين رَضُوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً ودَعَوْا إلى اللهِ على بصيرةٍ، وأيقنوا أنَّ العزةَ كُلَّها بيدِ الله عز وجل، كما قال تعالى في كتابه: ﴿**أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾**﴾ [النساء]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿**وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾ [يونس:٦٥].

وقال تعالى في موضعٍ ثالثٍ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ [فاطر:١٠].

فالمؤمنون طلبوا العزةَ من اللهِ عز وجل، وأيقنوا أنَّ اللهَ هو العزيزُ سبحانه، وأنَّ اللهَ عزَّ وجل هو من بيدِه العزةُ، فهو يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء.

قال تعالى: ﴿**قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾**﴾ [آل عمران].

فالمؤمنونَ الصادقونَ لما عرفوا أنَّ العزةَ كلَّها لله وبيدِ اللهِ، طلبوها من الله وحده سبحانه، وانتسبوا لهذا الدينِ العظيمِ وهو الإسلامُ.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾**﴾ [النساء].

فاعتَزوا بإسلامهِم، وطلبوا العزةَ من اللهِ بهذا الدينِ العظيمِ وهوَ الإسلامُ فأعَزَّهُمُ اللهُ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون].

إي والله! إنَّ العزةَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ومهما استكبرَ الكفارُ ومهما امتلَكوا من الأسلِحَة، ومهما امتلكوا من الأموالِ، فإنَّ العاقبةَ والعزَّةَ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين، ولو كره الكافرون.

ومن اعتزَّ بالإسلامِ وبالانتسابِ إلى الإسلامِ، أعزَّه اللهُ، ومن اعتزَّ بغيرِ الإسلامِ أذلَّه اللهُ.

كما قال عمرُ الفاروق رضي الله عنه، قال: كنا أذلةً -أي: بغيرِ الإسلامِ- فأعزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فإذا ابتغينا العزةَ في غيرِ الإسلامِ أذلَّنا الله.

هؤلاء صحابةُ رسولِ اللهِ رضي الله عنهم اعتزوا بالإسلام، وبالانتسابِ إلى الإسلام فأعزَّهُمُ اللهُ، ونصرَهُمْ على أعدائِهم، وفتحوا الدنيا من مشرقِها إلى مغربِها، وكان حالُهم كما وصفَهُمُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩].

وهذا هو معنى العزةِ الحقيقيِّ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

ويتضحُ بما لا يدَعُ مجالاً للشك أن المسلمَ في هذا الوقتِ وفي كلّ وقت يجبُ أن يعتزَّ بالإسلام، وأن ينتسبَ إلى الإسلام وأن يفتخرَ بإسلامِه، وأن يعلَم أنَّ طريقَ العزةِ والنصرِ لا يكونُ إلا من خلالِ الإسلام.

وليكُنْ حالُ المسلمِ كما قالَ ربُّنا: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ




صَٰلِحًا وَقَالَ﴾ -أي: بكل عزٍّ وافتخارٍ- ﴿إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

أمةَ الإسلام! مَنِ اعتزَّ بالإسلامِ أعزهُ اللهُ، ومنِ اعتز بغيرِ الإسلامِ أذلَّه اللهُ، والإسلام الذي يجبُ على المسلمِ أن يعتزَّ به، هو الإسلامُ الذي جاءَ به محمّدٌ ﷺ من عندِ ربِّه؛ فالإسلامُ اتباعٌ وليسَ ابتداعاً.

فلْنَرْجِعْ إلى الإسلامِ عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً.

أمةَ الإسلامِ! إذا عدتم إلى الإسلامِ صافياً واتبعتم أوامرَ ربِّكم واجتنبتم نواهِيَه، فإنَّ الله ناصرُكم، وأما الكفارُ فلا ناصرَ لهم.

إنكم إذا صَدَقْتُمُ اللهَ عز وجل وعُدْتم وانتسبتم إلى الإسلامِ حقّاً، ورضيتم بالإسلامِ ديناً، فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى مولاكُمْ والكافرونَ لا مولى لهم.

إنكم إذا عدتم إلى الإسلامِ، ورفعتم رايةَ الإسلامِ فإنَّ قتالَكم يكونُ في سبيلِ اللهِ عز وجل، وأما الذين كفروا فإنهم يقاتلونَ في سبيلِ الطاغوتِ.



إن الواجبَ علينا أن ننتسبَ إلى الإسلامِ، وأن نعودَ جميعاً إلى الإسلامِ، وأن نتمسَّكَ بالإسلامِ، فلا طريقَ ولا مجالَ أمامنا لنيلِ العزةِ الآنَ إلا أن نعودَ إلى الإسلامِ، وأن نعتزَّ بالإسلامِ وبالانتسابِ إلى الإسلامِ، أتدرون لِمَ يا عبادَ الله؟.

أولاً: لأنَّ الإسلامَ هو الدينُ الحقُّ الذي ارتضاه اللهُ ديناً للبشريةِ إلى أن يرثَ الأرضَ ومن عليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

أفي شكٍّ أنتم يا أمةَ الإسلامِ من دينكم لتبحَثوا عن أسبابِ العزةِ في غيرِه؟!

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].



وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

أي: خاسرٌ الدنيا والآخرة، وذلكَ هو الخسرانُ المبينُ.

ثانياً: يجبُ علينا أن نعودَ إلى الإسلامِ؛ لأنَّ الإسلامَ هو دينُ الأنبياءِ جميعاً من لَدُنْ آدمَ إلى محمّدٍ ﷺ.

فهذا نوحٌ عليه السلام جاءَ قومَه بالإسلام وَأعلن أنه من المسلمين.

قال تعالى –على لسان نوح– ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[يونس].

وهذا إبراهيمُ عليه السلام –أبو الأنبياء– جاءَ قومَه بالإسلامِ، وكانَ من المسلمين، كان حنيفاً مسلماً وما كانَ من المشركينَ.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

وهذا يوسفُ عليه السلام دعا ذلكَ الدعاءَ المعروفَ الذي طلبَ فيه منَ الله عز وجل أن يتوفاه على الإسلام فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

وهذا موسى عليه السلام جاءَ بالإسلام، وكانَ من المسلمينَ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس].

وهذا عيسى عليه السلام جاءَ بالإسلام، وكانَ من المسلمينَ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وهذا محمّدٌ ﷺ خاتَمُ الأنبياءِ وسيدُ المرسلينَ جاءَ بالإسلامِ وكانَ خيرَ المسلمينَ وخيرَ الناسِ أجمعين.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر].

فالأنبياءُ جميعاً جاءوا بالإسلام، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال النبيُّ ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعِلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُم شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١).

ثالثاً: يجبُ علينا أن نعودَ إلى الإسلامِ وأن نتمسكَ بالإسلامِ، وأن ننتسبَ إلى الإسلامِ لأنَّ المستقبلَ للإسلامِ. والذي وعدَ بذلكَ هو اللهُ عز وجل في كتابه، ورسولُنا ﷺ في سنتِه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

ورسولُنا الكريمُ ﷺ بَشَّرنا في سنتِه أنَّ المستقبلَ للإسلامِ.

يقولُ خبَّابُ بنُ الأَرَتِّ رضي الله عنه: شَكَوْنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبةِ فقلنا: ألا تستنصرُ لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).




يُؤْخَذُ الرّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ في الأَرض فيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِه فما يَصُدُّهُ ذَلِك عَنْ دِينِهِ، وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأمرُ» -أي: هذا الدين- «حَتّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَموتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنّكُمْ تَسْتَعْجِلُون»[(١)].

وقال ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ والدِّينِ وَالرِّفْعَةِ وَالنّصرِ والتّمكينِ في الأَرض»[(٢)].




وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ» -أي: ضمَّ لي الأرضَ- «فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها، وَإِنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[(٣)].

وقال ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأمرُ»-أي: هذا الدين- «مَا بَلَغَ اللّيلُ وَالنَّهارُ، وَلا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ بِهِ الإِسلامَ وَذُلاًّ يُذِلُّ بِهِ الكُفْرَ»[(٤)].

وقال ﷺ: «لاَ تَقُومُ السّاعةُ حَتَّى يُقاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلهم المُسلمونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليهُودِيُّ وَرَاءَ الحَجَرِ أو الشّجَرِ» -وفي هذا دليل على جبنهم- «فَيَقولُ الحَجرُ أَوْ الشّجرُ: يَا مُسْلمُ! يَا عبدَالله! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتعالَ فاقْتُلْه إلا الغَرْقَدَ[(٥)]، فَإِنّهُ مْن شَجَرِ اليَهُودِ»[(٦)].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٣٣)، [«صحيح الجامع» (٢٨٢٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٥٨)، وفي «مسند الشاميين» (٩٥١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٦١٥٥)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٨١)، [«الصحيحة» (٣)].

(٥) **الغرقد**: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وقال أبو حنيفة الدينوري إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة.

(٦) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ لمسلم.

وقِفُوا معي هنا يا عبادَ الله! وتأملوا كيفَ أن الحجرَ والشجرَ ينادي ويقولُ: يا مسلمُ! يا عبدَالله! فهو لن ينادِيَ أتباعَ الوطنيةِ، ولا أنصارَ الحزبيَّةِ، إنما ينادي العبادَ الموحِّدين، يقول: يا مسلمُ! فَلْتعلموا أنَّ النصرَ والظهورَ والغلَبَةَ للإسلام، فاعتزوا بإسلامكم.

رابعاً: يجبُ علينا أن نعودَ إلى الإسلامِ، وأن ننتسبَ ونفتخرَ بالإسلامِ، لأنَّ الإسلامَ وحدَه هو الذي يجمعُنا وهو الذي يوحِّدنا، وهو الذي يجعلُ الكلمةَ واحدةً والجماعةَ واحدةً والصفَّ واحداً، والهدفَ واحداً، الإسلامُ يتعدّدُ ولا يتفرّقُ، يجمعُ المسلمين الوحيُ ويفرّقُهم الفكرُ، يجمعهم الكتابُ والسنةُ ويفرّقُهم مناهجُ البشرِ غيرُ المعصومةِ.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات:١٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلم**»(١).



وقال ﷺ: «**المُؤْمِنُ لِلمْؤمِنُ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وشَبَّكَ بين أصابعه**»(٢).

فالقوةُ والمَنَعَةُ والوَحَدةُ لا تحصلُ إلا بالرجوعِ إلى الإسلامِ.

قال ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحِمهم وتَعَاطُفهم مثلُ الجَسَدِ، إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسّهَرِ والحُمّى**»(٣).

فالمودةُ والرحمةُ والتماسكُ والقوةُ، لا تكونُ إلا إذا رجعنا للإسلامِ، فالواجبُ على المسلمين في هذا الوقتِ وفي كُلِّ وقتٍ أن يتركوا المعاصيَ، وأن يتركوا البِدَعَ،

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ لمسلم.

وأن يبتعدوا عنِ الشركِ بالله عز وجل، وأن يعودوا إلى الإسلامِ عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً فقد بيّنَ لنا رسولُ اللهِ ﷺ الداءَ والدواءَ.

فقال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِيْنَةِ، وأَخذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيْتُم بِالزّرْعِ، وَتَرَكْتُم الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلى دِينكُم**»[1].

أي: حتى تعودوا إلى الإسلام الذي جاءَ به محمّدٌ ﷺ، فيكونُ مرجعُكم الوحيدُ هو: القرآنُ والسنةُ، ويكونُ المنهجُ الذي تسلكونه هو منهجُ الصحابةِ رضي الله عنهم.

وبعد هذا كلِّه فتعالوا بنا لِنَتَعلَّمَ الصدقَ والإخلاصَ في الانتسابِ إلى الإسلامِ، وفي الاعتزازِ بالانتسابِ إلى الإسلام.

يقولُ أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه:



انتسبَ رجلان على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فقال أحدُهما: أنا فلانُ بنُ فلانٍ، فمن أنتَ لا أمَّ لك؟

فقال رسول الله ﷺ: «**انْتَسَبَ رَجُلاَن عَلى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السلام، فقالَ أحدُهما: أَنا فُلانُ بنُ فُلانٍ حتى عدَّ تسعةً فَمْن أَنْتَ لا أَمَّ لَك؟!**

قال: **أَنَا فُلانُ بن فُلان ابنُ الإِسْلام**».

الله أكبر!! قال: أنا فلانُ ابنُ فلانٍ ذكرَ اسمَه واسمَ أبيه ثم انتسبَ إلى الإسلام!

أبي الإِسلامُ لا أبَ لي سِواهُ إذا اعتزوا بقيسٍ أو تميمِ!

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار في «البحر الزخار» (٥٨٨٧)، وأبو نعيم (٥/ ٢٣٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، [«الصحيحة» (١١)].



قال ﷺ: «**فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السّلام أَنْ: قلْ لهذين المنتسبين:**

أمّا أنتَ أيها المنتمي أو المنتسبُ إلى تسعةٍ في النارِ فأنتَ عاشرُهم.

وأما أنتَ يا هذا المنتسبُ إلى اثنين في الجنةِ، فأنتَ ثالثُهما في الجنةِ»[(١)].

أمةَ الإسلام! إنَّ الاعتزازَ بالإسلامِ والانتسابَ إليه، واتباعَ ما جاءَ في الكتابِ والسّنّةِ هو الطريقُ الموصلُ إلى الجنةِ، وهو طريقُ النصرِ والعزةِ الوحيد، وأما الانتماءُ إلى الجاهليةِ فإنه عينُ الذلِّ والهوانِ، والطريقُ المؤدي ولا بدَّ إلى النارِ.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخَذُ منْ هذا الموقفِ، فكثيرةٌ جداً نذكرُ منها على سبيل المثال:

أولاً: الانتسابُ إلى الإسلامِ هو أعظمُ انتسابٍ وهو الانتسابُ الوحيدُ المشروعُ، لِمَ؟

لأنَّ اللهَ سمانا في كتابه مسلمين، فلا حميةَ، ولا حزبيةَ.

قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ**﴾ -أي: في الكتب التي أنزلها الله قبل القرآن- ﴿**وَفِي هَٰذَا**﴾ -أي: القرآن- ﴿**لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾**﴾ [الحج].

فاللهُ سمانا مسلمين، والرسولُ ﷺ أمرنا أن نتسمى بذلكَ.

يقول ﷺ: «**... وَأَنا آمُرُكم بخمس، اللهُ أَمَرَني بهنّ: السّمعُ والطّاعةُ والجهادُ والهِجرةُ والجَماعَة، فَإِنّهُ مَن فَارقَ الجَماعةَ قَيْدَ شِبرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِه**

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٢٨)، وعبد بن حُميد في «المنتخب من مسنده» (١٧٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٤)، [«الصحيحة» (١٢٧٠)].

إلاّ أَنْ يَراجِع[١]**، وَمَن ادَّعَى بِدَعْوَى الجَاهِلِيّة، فَإِنّه مِن جُثَا جهنّم»** فقال رجلٌ يا رسولَ الله! وإنْ صلى وصام؟ فقال: «**وإِنْ صَلّى وصَامَ! فَادْعُوا بِدَعْوَى الله التي سَمّاكُمْ المُسْلِمينَ المُؤْمِنينَ، عِبَاد الله**»[٢].

فإياكُم ودعوى الجاهليةِ، إياكم والحميةَ، إياكم والفتنَ، كلكم يعبدُ إلهاً واحداً، كلكم يتجهُ إلى قبلةٍ واحدةٍ، كلكم يَتَّبِعُ رسولاً واحداً، كلكم يأخذُ شرعَهُ من كتابِ اللهِ ومن سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فعودوا إلى الإسلام عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً.

ثانياً: الولاءُ والبراءُ يكونُ على أساسِ الإسلامِ؛ ويَحْرُمُ أَنْ يكونَ الولاءُ والبراءُ على أصولٍ وأسسِ جاهليةٍ منتنة يدعو إليها دعاةُ الضلالةِ، فإنَّ الولاءَ لله ولرسوله، وللمؤمنينَ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، لنصبحْ حزباً واحداً، وحينئذٍ ستكونُ الغَلَبَةُ لنا بإذنِ الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].



وعن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما قال: كنا في غَزاةٍ فكَسَعَ[٣] رجلٌ منَ المهاجرينَ رجلاً من الأنصار، فقالَ الأنصاريُّ: يا لَلأنصارِ، وقال المهاجريُّ: يا لَلْمهاجرين. فسمعَ ذاكَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلية**»؟ قالوا: يا رسولَ اللهِ كسعَ رجلٌ من المهاجرينَ رجلاً من الأنصارِ فقال: «**دَعُوها فَإِنَّها مُنْتِنَةٌ**»[٤].

فالطريقُ إلى النصرِ والعزةِ هو واللهِ! وحدَه طريقُ الإسلامِ.

فعلينا أن نتجنبَ الشركَ والبدعَ والمعاصيَ، وأن نعودَ إلى اللهِ تبارك وتعالى؛

---

(١) **أي**: يتوب إلى الله عز وجل.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٠٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٥٢).

(٣) **كسع**: الكسع أن تضرب بيدك أو برجلك بصدر قدمك على دبر إنسان.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).



فهو وحدَه سبحانه القادرُ على أن يمكِّنَ لكم يا أمةَ الإسلام ويستخلفكم في الأرضِ، ويُبدِلَكُم من بعدِ خوفكم أمناً.

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَنْصُرَ الإِسْلامَ وَيَرُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى دِينِهِ رَدّاً جَمِيلاً





٢٥

موقفُ في التوكلِ على الله
(أمِّ إسماعيل)

عبادَ الله! هذهِ مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ الخامسِ والعشرين من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ اللهِ؟

إنه **موقفٌ إيمانيٌ صادقٌ في التوكلِ على اللهِ**.



والتوكُّلُ على اللهِ عز وجل عملٌ قلبيٌّ، أي: ليسَ التوكُّلُ بقولِ اللسانِ، ولا بعملِ الجوارحِ.



وقالوا: التوكلُ على اللهِ هو: «الثقةُ باللهِ والطمأنينةُ إليهِ والسكونُ إليه».

وقالوا: التوكُّلُ على اللهِ هو: «التعلُّقُ باللهِ في كُلِّ حالٍ».

إن التوكُّلَ على اللهِ عز وجل يُشَكِّلُ نصفَ الدينِ، والنصفُ الثاني هو الإنابةُ، فإنَّ الدينَ استعانَةٌ وعبادَةٌ، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فالتوكلُ هو: الاستعانةُ باللهِ، والإنابةُ إليه هي العبادةُ.

ثم إنَّ التوكلَ على الله عز وجل طريقٌ إلى الجنة.

يقول اللهُ عز وجل: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ [العنكبوت].

وَعن ابنِ عباس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ**[١]**، والنَّبِيَّ ومَعَهُ الرّجلُ والرّجلان، والنّبيَّ ليسَ معهُ أحدٌ. إذ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فظَنَنْتُ أنّهُمْ أُمّتي، فقيل لي: هَذَا مُوسَى ﷺ وقَوْمُهُ. ولكِنِ انظُرْ إلى الأُفُقِ، فنَظَرْتُ، فإذا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فقيلَ لي: انظرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فإذَا سَوادٌ عظيمٌ. فقيلَ لي: هَذِهِ أُمّتُكَ، ومَعَهُم سَبْعُونَ ألفًا يَدْخُلونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عذَابٍ**» ثم نهضَ فدخلَ منزله، فخاضَ[٢] الناسُ في أُولئكِ الذينَ يدخلونَ الجنَة بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، فقالَ بعضهم: فلعلهمُ الذين صَحِبوا رسولَ اللهِ ﷺ، وقال بعضُهم: فلعلهمُ الذين وُلدوا في الإسلام فلم يُشركوا بالله، وذكروا أشياءَ، فخرجَ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**مَا الذِي تَخُوضُونَ فيه؟**» فأخبروه، فقال: «**هُمُ الّذين لا يَرْقُونَ ولا يسْترقون**» -أي: لا يطلبونَ الرُّقْيَةَ من غيرِهم- «**وَلاَ يتَطَيّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكلُونَ**»[٣].

والتوكُّلُ على اللهِ عز وجل دليلُ الإيمانِ وعلامتُه.

فالمؤمنُ الصادقُ في إيمانِه هو الذي يتوكَّلُ على اللهِ وحدَه.

والكافرُ والمنافقُ والزِّنديقُ والمجرمُ لا يتوكلُون على الله أبداً، بل إنما يكونُ اتكالُهم على أنفسِهم أو على غيرِهم من المخلوقاتِ.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ [الملك:٢٩].

(١) الرُّهيط: تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشرة.

(٢) **فخاض**: أي: تكلموا وتناظروا.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ لمسلم.



وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

والتوكلُ على اللهِ عز وجل يمنحُ المؤمنَ قوةً وشجاعةً وعزّةً.

فالمتوكلُ على اللهِ عز وجل لا يخافُ أحداً إلا اللهَ.

فإذا عادَ المؤمنون إلى دينِهم وإسلامِهم، وغَدَوا لا يخافونَ أحداً إلا اللهِ، ولا يتوكلونَ إلا على اللهِ عز وجل، فإنهم ولابدَّ سينتصرونَ على أعدائِهم، وسيستعيدونَ أمجادَهم.

فهذا هودٌ عليه السلام يقفُ وحدَه في وجهِ قومِه الكفارِ قوم عادٍ، التي قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ عنها: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ تحدَّى هودٌ عليه السلام قومَه متوكلاً على الله، ولما خوَّفوه بآلهتِهمُ المزعومةِ، لم يهتزَّ لذلك قيدَ شعرة، بل اعتصمَ باللهِ عز وجل وتوكَّلَ عليه، قال تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].

وهؤلاءِ أصحابُ محمّدٍ صلى الله عليه وسلم الذين وقفوا في وجهِ الكفارِ وتَحَدَّوْهم وهزموهم، وعندما هددهُم الناسُ فحاولوا إخافتَهم بما جمعَ الكفارُ لهم من عدةٍ وعتاد، لم يزدهم ذلك إلا إيماناً وتوكلاً ولجوءاً إلى الله، فنالوا رضى اللهِ عز وجل، ونالوا الفضلَ العظيمَ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ

سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

مَنْ جاءه أمرٌ يُخيفهُ وكان عندَه إيمانٌ فَلْيَقُلْ: حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ، عنِ ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: (﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ قالَها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلقِيَ في النار، وقالَها محمّدٌ ﷺ حينَ قالوا لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾)[1].

عبادَ الله! ومن هنا نعلُم أن التوكلَ على اللهِ عز وجل سببٌ لكلِّ خيرٍ، وأنَّ التوكلَ على اللهِ عز وجل سببٌ لسعادةِ العبادِ في الدنيا والآخرة، ومن ثمراتِ التوكلِ على الله عز وجل:

أولاً: أنَّ مَنْ توكَّلَ على اللهِ عز وجل أحبَّه اللهُ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].




وإذا أحبَّ اللهُ عبدَه فإنه لا يعذِّبُه أبداً في النار.

وإذا أحبَّ اللهُ عبداً ألقى محبته في قلوب خلقه.

وإذا أحبَّ اللهُ عبداً استجابَ دعوتَه وأعطاه سُؤْلَهُ.

ثانياً: أنَّ مَنْ توكَّلَ على اللهِ حقَّ التوكلِ رزقهُ اللهُ عز وجل بغيرِ حساب.

يقول ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكّلِه، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تغدُو[2] خِماصاً[3]، وَتَرُوحُ[4] بِطَانًا[5]**»[6].

وهذا حالنا يُرثى له لأننا توكلنا على أرصدتنا في (البنوك)، توكلنا على

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) من الغدوّ وهو الخروج غداة، أي صباحاً طلباً للرّزق.

(٣) خماصاً: أي فارغةً بطونها من الطعام

(٤) تروح: أي ترجع إلى أولادها وأوكارها

(٥) بطاناً: أي ممتلئة بطونها طعاماً

(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«الصحيحة» (٣١٠)].

الوظيفةِ، توكلنا على الراتبِ، توكَّلْنا على التجارةِ، توكَّلْنا على شركاتِ التأمينِ، فَضَعُفَ التوكُّلُ في قلوبِنا على اللهِ عز وجل فحلَّ ما حلَّ بنا من الضياعِ والشتاتِ.

ثالثاً: مَنْ توكَّلَ على اللهِ عز وجل حفظَه اللهُ من كيدِ الشياطين.

فالإنسانُ يعيشُ في الحقيقةِ معركةً مستمرةً معَ الشيطانِ، فالشيطانُ يوسوسُ له بالليلِ والنهارِ ليتراجعَ عن هذا الدينِ وليسلكَ سبيلَ المجرمينَ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فقالَ: (بسم الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ) يُقالُ لَهُ: حَسْبُكَ، هُدِيْتَ وَكُفِيْتَ وَوُقِيْتَ، وتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطانُ**»[1].

وزاد أبو داود: «**فتتنحى لَهُ الشَّيَاطِين، فَيَقُولُ شَيْطَانٌ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِي ووُقي**»[2].




رابعاً: مَنْ توكَّلَ على اللهِ كفاه الله وحماهُ من أعدائِه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، أي: كافيه. [الطلاق:٣].

فعن جابرٍ رضي الله عنه قالَ: (كنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ بذاتِ الرقاعِ[3]، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها لرسولِ اللهِ ﷺ، فجاء رجلٌ منَ المشركين وسيفُ رسولِ اللهِ ﷺ معلقٌ بالشجرةِ فاخترَطَه فقال: تخافُني؟

قال ﷺ: «**لا**»، فقال -المشركُ-: فمن يمنعُكَ مني؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وابن حبان (٨١٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٠٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، وابن ماجه (٣٨٨٦)، [«صحيح أبو داود» (٤٢٤٩)].

(٣) **أي**: بغزوة ذات الرقاع، وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم، وقيل: لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق، وقيل غير ذلك. (هامش «رياض الصالحين»).

قال ﷺ: «**اللهُ**».

وفي رواية أبي بكرِ الإسماعيليِّ في «صحيحِه» قال: مَنْ يمنعُك مني؟ قال: «اللهُ» قال: فسَقَطَ السيفُ مِنْ يده)، فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ السيفَ.

فقال -للمشركِ-: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**».

فقال -المشركُ-: كُن خَيرَ آخذ.

فقال ﷺ: «**تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**».

قال: لا، ولكني أعاهدُك أن لا أُقاتِلَك، ولا أكونَ مع قومٍ يقاتلونك، فخلّى سبيلَه.

فأتى أصحابَه فقال: (جئتكُمْ من عندِ خيرِ الناسِ)(١).



الشاهدُ: أنَّ النبيَّ ﷺ توكَّلَ على اللهِ ولم يَخَفْ هذا المشركَ عندما قال لهُ والسيفُ بيدِه: من يمنعُكَ مني الآنَ؟ إنما ردَّ عليهِ ردَّ الواثقِ المطمئنِّ فقالَ: اللهُ!

فاللهُ هوَ الذي يمنعُ الكافرَ والمعتدي منَ الاعتداءِ على المؤمنينَ، وعلى بلادِ المؤمنين، وعلى أعراضِ المؤمنينَ.

خامساً: التوكلُ على اللهِ عزَّ وجَلَّ سعادةٌ في الدنيا والآخرة، ولذلك أمرَ الله تبارك وتعالى رسولَه ﷺ أن يتوكل عليه في كلِّ أمرٍ.

فقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾[النمل].



وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾[الفرقان:٥٨].

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠)، وسعيد بن منصور (٢٥٠٤)، وعبد بن حُميد (١٠٩٦)، وأبو يعلى (١٧٧٨)، وابن حبان (٢٨٧٢)، والحاكم (٣/ ٣١)، [«رياض الصالحين» (٧٩)].



• وأمرَ اللهُ عزَّ وجَلَّ كذلكَ عبادَه المؤمنينَ أن يتوكلوا عليهِ في كُلِّ أمرٍ، فقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم].

أمةَ الإسلام! تعالوا بنا لنتعلَم الصدقَ في التوكلِ على اللهِ عز وجل من أمِّ إسماعيلَ عليه السلام التي ضربَتْ لنا مثلاً أعلى في التوكلِ على اللهِ عز وجل.

يقولُ ابنُ عباس رضي الله عنهما: (أولُ ما اتخذَ النساءُ المِنْطَقَ من قَبلُ: أمُّ إسماعيلَ، اتخذت مِنْطقاً لتُعفِّيَ أثَرَها على سارة، ثم جاءَ بها إبراهيمُ وبابنِها إسماعيلَ -وهي تُرضِعُه- حتى وضعَها عند البيتِ عند دوحةٍ فوقَ زمزَم في أعلى المسجدِ، وليس بمكةَ يومئذ أحدٌ، وليسَ بها ماءٌ.

فوضعها هُنالك، ووضَع عندَهما جِراباً فيه تمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ، ثم قفّى إبراهيمُ مُنطلقاً.



فتبعته أمُّ إسماعيلَ فقالت: يا إبراهيمُ! أينَ تذهبُ وتتركُنا بهذا الوادي الذي ليسَ فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟! فقالت له ذلكَ مراراً، وجعلَ لا يلتفتُ إليها.

فقالت له: آللهُ الذي أمرَك بهذا؟ قال: نَعم!

قالت: إذن لا يُضَيِّعُنا. ثم رجَعَتْ).

-هذا هو الشاهدُ، قولُها: يا إبراهيمُ آللهُ أمرَك بهذا؟ قال لها: نعم! قالت: إذن لا يُضَيِّعُنا. توكلَتْ على اللهِ، سَلَّمَتْ أمرَها لله، احتَمتْ باللهِ عز وجل، وأحسنَتْ ظَنَّها به سبحانَه، إذن لا يضيِّعُنا، إذن لا يترُكُنا.

فيا عبادَ الله! إذا تخلَّى عنكُمُ الكبيرُ والصغيرُ والبعيدُ والقريبُ، فعلقوا قلوبَكُم باللهِ وقولوا: إذن لا يُضَيِّعُنا أبداً، وتَعَلَّموا صدقَ التوكلِ من هذهِ المرأةِ المؤمنةِ.



ثم يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (فانطلَقَ إبراهيمُ حتى إذا كان عند الثنيةِ حيث لا يرونه، استقبلَ بوجههِ البيتَ ثم دعا بهؤلاءِ الكلماتِ ورفَع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حتى بلغ ﴿يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم].

وجعلَت أمُّ إسماعيلَ تُرضِعُ إسماعيلَ، وتشربُ منْ ذلكَ الماءِ، حتى إذا نَفِدَ ما في السقاءِ، عطشَتْ وعطِشَ ابنُها، وجعلَتْ تنظرُ إليه يتلوى -أو قال: يتلبَّط-.

فانطَلَقَتْ كراهيَةَ أن تنظرَ إليه، فوجدَتِ الصَّفا أقربَ جبلٍ في الأرضِ يليها، فقامَتْ عليه، ثم استقبلت الواديَ تنظرُ هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً.

فهبَطت منَ الصفا، حتى إذا بلغَتِ الواديَ، رفَعت طَرَفَ دِرْعها، ثم سَعَتْ سعيَ الإنسانِ المجهودِ حتى جاوزتِ الوادي.

ثم أتت المروةَ فقامت عليها فنظرَت هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً ففعلَت ذلكَ سبعَ مراتٍ.



قال ابن عباسٍ: قال النبيُّ ﷺ: «**فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاس بَيْنَهُما**».

فلما أشرفَتْ على المروةِ، سمعت صوتاً، فقالت: صَه -تريدُ نفسها- ثم تسمَّعَت فسمعَتْ أيضاً، فقالت: قد أسمعتَ، إن كانَ عندَك غِواثٌ، فإذا هي بالمَلَكِ عندَ موضعِ زمزم، فبحثَ بعَقِبه -أو قال: بجناحِه- حتى ظهرَ الماءُ -أي: نبعَ الماءُ بأمرِ الذي يقولُ للشيء كُنْ فيكونُ-.

فجعلت تُحوِّضُه، وتقولُ بيدها هكذا، وجعلَت تَغرُفُ من الماءِ في سِقائها، وهو يفورُ بعدما تغرِفُ.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: قال النبيُّ ﷺ: «**يَرحَمُ اللهُ أُمَّ إسْماعِيلَ! لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَم** -أو قال: **لَوْ لَمْ تَغْرُفْ مِنَ المَاءِ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعيناً**».



قال: فشربَتْ، وأرضَعَتْ ولدَها فقال لها الـمَلَك -وهو جبريلُ عليه السلام-: «لا تخافوا الضَّيْعَة، فإنَّ ها هنا بيتُ اللهِ يَبْنيهِ هذا الغلامُ وأبوهُ، وإنَّ اللهَ لا يُضَيِّعُ أهلَه»[١].

الشاهدُ: مَنِ الذي حفظَ هذهِ المرأةَ في هذا المكانِ؟ إنه اللهُ عزَّ وجل!.

مَن الذي أنبعَ الماءَ في مكانٍ لا ماءَ فيه؟ إنه اللهُ عز وجل!.

مَن الذي أرسلَ جبريلَ عليه السلام، يضربُ الأرضَ بجناحه لِيَخْرُجَ منها الماءُ؟

إنه الله عز وجل!.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخَذُ من هذا الموقفِ فهي كثيرةٌ، وكثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: أنَّ مَنْ توكَّلَ على الله حفظه الله.

فهذه أمُّ إسماعيلَ كما سمعتم عندما قالَتْ: يا إبراهيمُ! آللهُ أمرَك بهذا؟

قال: نعم! قالت: إذن لا يُضَيِّعُنا!

توكَّلَتْ على اللهِ فحفظَها اللهُ تباركَ وتعالى في هذا المكانِ البعيدِ، وأَنبعَ لها الماءَ في مكانٍ لا ماءَ فيه، وأرسلَ اللهُ إليها قبيلةً عاشت بجوارِها لتأنسَ بهم فتربى إسماعيلُ بينَهم، وتعلم العربيةَ منهم، وتزوجَ منهم، وعاشَ بينهم حتى جاءَه أبوهُ بعد ذلكَ وقاما ببناءِ الكعبةِ معاً.

فمَنْ تَوكَّلَ على الله حفظَه الله، ولكنْ ليسَ لجاهلٍ أن يَظُنَّ أنه يجوزُ لإنسانٍ أنْ يأخذَ أولادَه وزوجتَه ويلقي بهم في الوادي البعيدِ الذي لا ماءَ فيه ولا طعامَ، ويقولُ: أفعلُ كما فعلَ إبراهيمُ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

نقول له: لا، أنتَ بذلك تُلقي بأهلِك إلى التهلكَةِ، فأنت أولاً لستَ كإبراهيمَ، فإبراهيمُ قمةٌ في التوكل.

فهوَ الذي قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء].

وإبراهيمُ هو الذي أمرَه الله في المنامِ أن يذبَح ولدَه إسماعيل فَنَفَّذَ ذلك حتى فدى اللهُ إسماعيلَ.

وإبراهيمُ هو الذي قالَ عندما وضعوهُ في النارِ: «حسبيَ اللهُ ونعمَ الوكيلُ»، فقالَ ربُّ العالمينَ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء].

ثم اعلَمْ أنَّ الذي فعلَه إبراهيمُ مِن تركِ زوجتِه وولِده في هذا المكانِ كانَ بأمرٍ منَ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

والشاهدُ: قالَت أمُّ إسماعيلَ: يا إبراهيمُ آلله أمرَك بهذا؟ قال: نعم، ومعَ ذلك أخَذَ إبراهيمُ عليه السلام بالأسبابِ، فتركَ عندهم جراباً فيه تمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ، وهذا أخذٌ بالأسبابِ، كما تفعلُ الطيرُ تغدو خِماصاً وتروحُ بِطاناً، تسيرُ بحثاً عن الطعامِ والرزقِ فلا تعودُ إلا وقد رزقَها اللهُ.

ثانياً: أنه يجبُ على أمةِ المسلمينَ الآنَ أنْ تتوكَّلَ على ربِّها، وأن تسلِّمَ أمرَها لله، وأن تعودَ إلى ربِّها، فقد جرَّبَتْ وسلَكَتْ جميعَ السبلِ، وأيقنَتْ أنه لا سبيلَ للنصرِ إلا بالرجوعِ إلى اللهِ، وبالرجوعِ إلى دينِ اللهِ، وبالتوكُّلِ على اللهِ.

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصير

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى دِينِكَ رَدّاً جَمِيلاً




٢٦

موقفُ إيمانيٌّ في تصديقِ النبيِّ ﷺ
[موقفُ أبي بكرٍ رضي الله عنه في خبرِ الإسراءِ والمعراجِ]

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ السادس والعشرين من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في تصديقِ النبيِّ ﷺ.

وصاحبُ هذا الموقفِ العجيبِ الفريدِ هو أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه، أمَّا وقتُ هذا الموقفِ فهو عندما بلغَ أبا بكرٍ رضي الله عنه خبرُ الإسراءِ والمعراجِ!

والإسراءُ والمعراجُ معجزةٌ عظيمة، ونعمةٌ كبيرةٌ أكرمَ اللهُ بها نبيَّه محمداً ﷺ.

وهي معجزةٌ ثابتةٌ بالكتابِ والسنةِ، فاللهُ عز وجل أسرى بالنبيِّ ﷺ بجسدِه وروحِه معاً في اليَقْظَةِ لا في المنام.

ورُبَّ سائلٍ يسألُ كيفَ كانَ الإسراءُ وإلى أينَ؟ الجوابُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أسرى بنبيِّه محمّدٍ ﷺ راكباً على البراقِ من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى في القدسِ ليلاً، ولقد أخبرَنا اللهُ تباركَ وتعالى عن هذا في كتابِه.

فقالَ سبحانَه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء].

وأما المعراجُ فهو: صعودُ النبيِّ ﷺ منَ المسجدِ الأقصى -في نفسِ تلكَ الليلةِ

بعدَ إسرائه- إلى السمواتِ العُلى، ثمَّ إلى سدرةِ المنتهى، ثم بعد ذلِكَ عادَ إلى بيتِ المقدسِ، ثم رجَع إلى مكة وكلُّ هذا كانَ في نفسِ الليلة.

وقد أخبرَنا اللهُ تبارك وتعالى عن هذا المعراج في كتابه.

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

عبادَ الله! تعالَوا بنا لنستمعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو يخبرُنا عن معجزةِ الإسراءِ والمعراج، قال ﷺ: «**فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَةَ، فَنَزلَ جِبْرِيلُ ففَرَجَ صَدْرِي، -أي: شَقَّهُ-، ثُمَّ غسَلَهُ بماءِ زَمْزَم، ثُمَّ جَاءَ بطَسْتٍ مِن ذهبٍ مُمتلئٍ حِكْمَةً وإيمانًا، فأفْرَغَهُ في صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ**»[1].

وعن أنس بنِ مالكٍ ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أُتِيتُ بالبُرَاقِ**» -وهو دابةٌ أبيضُ طويلٌ فوقَ الحمارِ ودونَ البغلِ، يضعُ حافرهُ عند منتهى طَرَفِه-

قال: «**فَرَكِبْتُهُ حَتّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَرَبطتُهُ بالحَلَقَةِ التّي يَرْبِطُ بِهَا الأَنْبِياءُ**».

ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَني جِبريلُ عليهِ السلامُ بإنَاءٍ من خَمرٍ، وإناءٍ من لَبَنٍ، فاخْتَرْتُ اللّبنَ، فقال جبريلُ عليهِ السلامُ: «اخترْتَ الفِطْرَة»[2].

يقول ﷺ: «**ثُمّ عُرِجَ بنَا إلى السّماء** -أي: إلى السماءِ الدنيا- **فَاسْتَفْتَحَ جبريلُ: فقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: جِبريلُ، قيلَ: ومَن مَعَك؟ قالَ: مُحمّدٌ** ﷺ، **قيل: وقَد بُعِثَ**

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٢).



إِلَيْهِ؟ قال: قَدْ بُعِثَ إليهِ».

قال ﷺ: «**فُفُتِحَ لَنَا، فإِذَا أَنَا بآدمَ ﷺ، فَرَحّب بي ودَعَا لي بخير، ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماء الثانيةِ**» إلى أن قالَ عليه الصلاة والسلام: «**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السّماءِ السابعةِ فاسْتَفْتَحَ جبريلُ، فقيل: من هَذا؟ قال: جبريل. قال: ومن معكَ؟ قال: مُحمّد ﷺ. قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه. ففتُح لنا فإِذَا أنا بإبراهيمَ ﷺ مُسنِدًا ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المَعْمورِ، وإِذَا هُو يدخُلُهُ كُلّ يوم سَبعونَ أَلفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إليهِ**

ثُمّ ذُهِبَ بي إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُها كآذانِ الفِيَلةِ، وإذا ثَمَرُها كالقِلالِ.

فَلَمّا غَشِيَها مِنْ أمرِ اللهِ ما غَشِيَ تَغَيّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مَنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَها -أي: يصفَها- مِنْ حُسْنِها.

فأَوْحَى اللهُ إليَّ مَا أَوْحَى. ففَرَضَ عليَّ خَمْسينَ صَلاةً في كُلِّ يَوْم وليلَةٍ»[١].



يقول ﷺ: «فَنزَلْتُ إِلَى مُوسى عليه السلام فقال: مَا فَرَضَ ربُّكَ عَلَى أُمّتِكَ؟ قلت: خَمْسِينَ صَلاةً. قال: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التّخْفِيفَ، فإِنَّ أُمّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بلَوْتُ بَني إسرائِيلَ وخَبَرْتُهُم قال: فرَجَعتُ إلى ربِّي فقلت: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَلَى أُمّتِي.... قال ﷺ: فَلَم أَزَلْ أرجِعُ بينَ ربّي تبارَك وتعالى وبين مُوسى عليهِ السلامُ حَتَّى قالَ -اللهُ عز وجل-: «**يا مُحَمّدُ! إنّهُنَّ خَمسُ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوْم ولَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ، فَذَلكَ خَمْسُونَ صَلاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حسَنَةً، فإِنْ عَمِلَها كُتبت لهُ عشراً، ومن هَمَّ بسيئةٍ فلم يَعْمَلْها لمْ تُكْتَب شَيئًا، فإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيئةً وَاحِدةً**»[٢]. ومع ذلك فقد ضيّعَ كثيرٌ من المسلمينَ الصلواتِ الخمسَ ولا حول ولا قوة إلا بالله!

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) واللفظ لمسلم.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) واللفظ لمسلم.



ورجع ﷺ من رحلةِ الإسراءِ والمعراجِ وقد فرضَ اللهُ عليه وعلى أمته الصلاةَ، وما من أمرٍ من أمورِ الدينِ إلا وقد نزلَ به جبريلُ الأمينُ على رسولِنا ﷺ على الأرضِ إلا الصلاةَ، فقد فرضَها اللهُ تباركَ وتعالى على نبيه وأمتِه بدون واسطة، وهذا يدلُّ على أهميتِها وفضلِها.

ورأى النبيُّ ﷺ في رحلته هذه من آياتِ ربِّه الكبرى ما رأى، فمنها على سبيلِ المثالِ:

١- رأى جبريلَ عليه السلام في صورتِه، له ستُّمائةِ جناحٍ، قد ملأَ ما بينَ السماءِ والأرضِ، وكان ﷺ قد رأى جبريلَ على صورتِه قبلَ البعثةِ في مكةَ، ثم رآه مرةً أخرى في ليلةِ المعراجِ عند سدْرَة المنتهى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم].

٢- رأى النبيُّ ﷺ سدرةَ المنتهى، قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم].

وفي الحديث: «**فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيها تغيّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنها**».

٣- رأى النبيُّ ﷺ البيتَ المعمورَ في السماءِ.

يقول ﷺ: «**فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُور، فسَأَلْتُ جبريلَ فقالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ**»[١].

٤- رأى في رحلته هذه بعضاً من العصاةِ:

أ- فرأى **الذين يغتابونَ الناسَ ويقعونَ في أعراضِهم**، الذين يسهرونَ على لحوم الأبرياءِ، الذين يحملونَ ألسنةً حداداً أشِحَّةً على الخيرِ، لا تحلو مجالسُهم إلا بأكلِ لحومِ الأبرياءِ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

يقولُ ﷺ: «**لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزّ وجَل، مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهم وصُدورَهم** »-أي: يقطعونَ لحمَ وجوهِهم وصدورِهم، كما كانوا يقطعونَ بألسنتهم لحومَ الأبرياءِ؛ فالجزاءُ من جنسِ العمل-.

«**فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيل؟**

قال: هَؤُلاَءِ الذينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(١).

ب- كما رأى ﷺ **خطباءَ الفتنة** -خطباءَ السوءِ، الذين يأمرونَ بالخيرِ ولا يأتمرونَ به، ويدعونَ الناسَ إلى الابتداعِ في الدين، الذين يدعونَ الناسَ في الحقيقة إلى جهنمَ.

يقول ﷺ: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهم بِمَقارِيضَ مِنْ نَارٍ، فقلتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فقال: الخُطَبَاءُ مِنْ أُمّتِكَ، يَأْمُرُونَ النّاسَ بِالبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهم وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ، أَفَلاَ يعْقِلُون**»(٢).

ج- ورأى ﷺ **أكَلَة الربا** لهم بطونٌ كبيرةٌ، لا يستطيعونَ التحولَ عن أماكِنهم من ثِقَلِها وكَبَرِها.

د- ورأى **الزناةَ** وبين أيديهم لحمٌ سمينٌ طيبٌ، وإلى جوارِه لحمٌ خبيثٌ منتنٌ، ثم هم يتركونَ اللحمَ السمينَ الطيبَ، ويأكلونَ مِنَ الخبيثِ المنتنِ؛ يَذَرون ما خلقَ اللهُ لهم من أزواجهم، ويأتونَ ما حَرَّم اللهُ عليهم**!!** فالجزاءُ من جنسِ العملِ.

هـ- ورأى الذين **يتثاقلونَ عن الصلاةِ المكتوبةِ**، تُرضَخُ رؤوسُهم بالصخرةِ،

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦٧١٦)، [«صحيح الجامع» (٥٢١٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٩)، والطيالسي (١١٧٢)، وأبو يعلى (٣٩٩٢)، وعبد بن حميد (١٢٢٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٧٣)، [«الصحيحة» (٢٩١)].




وكلما رُضِخَتْ عادت كما كانت[١].

ثم عاد ﷺ من معراجهِ إلى بيتِ المقدس، وعادَ من بيتِ المقدسِ إلى مكةَ في نفسِ الليلةِ، وفي الصباحِ ذهبَ ﷺ إلى المسجدِ الحرام فجلسَ ﷺ كما كانَ يجلسُ في الحِجْرِ، فمرَّ عليهِ أبو جهلٍ، فقال: ما عندكَ يا محمدُ؟

فقال ﷺ: لقد أُسرِيَ بيَ الليلةَ إلى المسجدِ الأقصى.

قال أبو جهلٍ: وأصبحْتَ بيننا؟

قال ﷺ: نعم!

قال أبو جهلٍ: لو دعوتُ لكَ قريشاً تخبرُهم بما أخبرتَني به؟ -قال ذلك مستهزءاً ساخراً-.



قال ﷺ: نعم!



فنادى أبو جهلٍ في الناسِ فاجتَمعوا.

فقال ﷺ لهم، لقد أُسْرِيَ بيَ الليلةَ إلى المسجدِ الأقصى.

قالوا: وأصبَحْتَ بيننا؟ قال ﷺ: نعم!

فارتدَّ أُناسٌ، وأخذوا يضربونَ على رؤوسِهم تعجباً.

ثم قالوا: يا محمّد! لقد جئنا بيتَ المقدسِ وخَبَرْناه.

فهل تستطيعُ إذا سألناك عنه أن تُجيبَنا؟ قال ﷺ: نعم.

فجعلوا يسألونَه وهو ﷺ يجيبُهم.

فسألوه عن أشياءَ لم يُثَبِّتْها -أي: لم يتمكنْ منها- فأصابه كربٌ شديدٌ، وإذ بربِّ العزةِ سبحانه -الذي يقولُ للشيءِ كنْ فيكون-، يرفعُ له المسجدَ الأقصى

---

(١) إشارة إلى حديث عند البخاري (٧٠٤٧).

أمامَه، والنبيُّ ﷺ ينظرُ إليه بعينِه، فكانوا يسألونه وهو ﷺ يجيبُ، فقالوا: أمَّا الوصفُ فقد صدَق، وأما الخبرُ فقد كَذَبَ -طبعَ اللهُ على قلوبهم- ثم صاروا إلى صاحبه أبي بكرٍ يريدون أن يُزَعزعوا إيمانَه به.

فتعالَوا بنا لنستمعَ إلى أبي بكرٍ ﷺ وهو يتلقى الخبرَ، فعندما أخبرَ النبيُّ ﷺ الناسَ بخبرِ الإسراءِ إلى بيتِ المقدسِ، سارَعَ كفارُ قريشٍ إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك في صاحبِك؟ يزعمُ أنه أتى بيتَ المقدسِ، ثم رجعَ إلى مكةَ في ليلةٍ واحدةٍ؟ قال أبو بكر ﷺ: أوَ قالَ ذلك؟

قالوا: نعم! قال: لقدْ صدَقَ.

وفي رواية: قال أبو بكر: (إني أُصدّقُه بأبعدَ منْ ذلكَ، أصدّقُه بخبرِ السماءِ) قال: فَسُمّيَ بذلك الصديقَ[1].

فهذا هو أبو بكرٍ ﷺ الصاحبُ الوفيُّ:

١- أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ الذي قامَ وحدَه في وجهِ الكفارِ في مكةَ يدافعُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، ويقولُ لهم: أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ: ربيَ اللهُ![2].

٢- أبو بكرٍ ﷺ الذي صحِبَ النبيَّ ﷺ في هجرته من مكةَ إلى المدينةِ، الذي قالَ له النبيُّ ﷺ: «**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»؟[3].

٣- أبو بكرٍ ﷺ أحبُّ الرجالِ إلى قلبِ النبيِّ ﷺ.

٤- أبو بكرٍ ﷺ الوحيدُ الذي فهِمَ من خُطبةِ النبيِّ ﷺ في المدينة، أنه ﷺ يودّعُ المسلمينَ وأصحابَه، وأنه سيموتُ، وذلك عندما قال ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا خَيّرَهُ**

(١) انظر كتاب «الإسراء والمعراج» للألباني (ص٦٠-٦١).

(٢) إشارة إلى حديث عند البخاري (٤٨١٥).

(٣) انظر قصة الهجرة كاملة عند البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٠٠٩).

اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَه مِنْ زَهْرةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فاخْتَارَ مَا عندَهُ».

فبكى أبو بكرٍ ﷺ، وقال فَدَيْناك بآبائِنا وأمهاتنا[1]!

٥- أبو بكرٍ ﷺ الذي قدّمَ نفسَه مالَهُ فداءً للإسلام والمسلمينَ!

٦- أبو بكرٍ ﷺ الذي قالَ النبيُّ ﷺ فيه: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَني فقُلْتُم كَذَبْتَ، وقالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ**»[2]

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخَذُ من هذا الموقفِ، فهي كثيرةٌ ومنها:

كثيرٌ منَ المسلمين في هذا الأسبوع يحتفلونَ بذكرى الإسراءِ والمعراجِ، كما هي عادتُهم كُلَّ عام، فهل احتفلَ أبو بكرٍ بالإسراءِ والمعراجِ؟ أو هل احتفلَ به أحدٌ من الصحابةِ؟

أمةَ الإسلام: ما الذي أصابَنا؟

لم يطلب منّا الإسلام الاحتفالَ بذكرى الإسراءِ والمعراج وإنما طلبَ منّا ما يلي:

أولاً: أنْ يكونَ موقفُنا مع سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ كموقفِ أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ معَ خبرِ رسولِ اللهِ ﷺ وهو حيٌّ.

فإنَّ أبا بكرٍ ﷺ عندما بلغه الخبرُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ وقالوا له: إن صاحبَك يزعمُ أنه أتى بيتَ المقدسِ وعادَ في نفسِ الليلةِ، قال لهم: أوَ قالَ ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فقد صدقَ.

تصديقٌ فوريٌّ للخبرِ يدلُّ على الإيمانِ والمحبةِ والإتباعِ، فالواجبُ علينا إذا

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦١).



صَحَّ عندَنا الخبرُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ أن نعملَ به، وأن نعملَ به في حياتِنا، وأن ندعوَ الناسَ إليه.

فإذَا بَلَغَتْكَ السنةُ، وثبتَت عندَك فيجبُ عليكَ أيها المسلمُ -بدلَ أن تحتفلَ بالإسراءِ والمعراجِ- أن تكونَ كأبي بكرٍ الصديقِ عندما صدَّقَ الخبرَ فدلَّ على حبِّه وإيمانِه وإتباعِه.

• فكم منا مَنْ تأتيه السنةُ وتثبتُ لديه عنْ رسولِ اللهِ ﷺ؟ وكم منا يقرأُ أو يسمعُ حديثاً ثبتَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فيضربُ بذلكَ عُرضَ الحائطِ ويزعمُ معَ ذلكَ أنه منْ أحبابِ رسولِ اللهِ ﷺ؟!!

فهلا عُدْنا إلى سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وتمسَّكْنا بها، وعَمِلْنا بها، ودَعَوْنا الناسَ إليها!!




ثانياً: كما أنه لا يجوزُ الإلحادُ ولا التفريطُ أبداً في المسجدِ الحرامِ بمكةَ، كذلك لا ينبغي ولا يجوزُ للمسلمينَ الإلحادُ ولا التفريطُ في المسجدِ الأقصى.

عيبٌ علينا -معشرَ المسلمين- أنْ يكونَ الأقصى تحتَ سيطرةِ اليهودِ! كيف لنا معشرَ الحكامِ والمحكومين أن نأكلَ ونشربَ وننامَ أو نتلذذَ بالنساءِ على الفُرُشِ في حينِ أنَّ الأقصى تُدَنِّسه أقدامُ اليهودِ؟!!

الأقصى مكانٌ وَطِئه النبيُّ ﷺ، وهو أطهرُ مخلوق وأفضلُهم، وصلى فيه ركعتين، فكيفَ يُقَصِّرُ المسلمونَ في استرجاعِ المسجدِ الأقصى الذي تُدَنِّسُه أقدامُ اليهودِ؟!

الاحتفالُ بالإسراءِ والمعراجِ إنما يكون بأنْ نُعِدَّ العُدةَ عقيدةً، منهاجاً، أخلاقاً، ويكونُ بأن نَرْجعَ إلى ديننا، ثم نتجهزَ بكلِّ قوةٍ حتى لا تكونَ فتنةٌ، ويكونَ الدينُ

كُلُّه لله. ونحنُ كثيرٌ، ولكننا غثاءٌ كغثاءِ السيلِ، نُطَبِّلُ، ونرقُصُ، ونحتفلُ في كلِّ عامٍ بالإسراءِ والمعراج، والمسجدُ الأقصى يُعْصى اللهُ حولَه وفيه بالبِدَعِ والمعاصي منَ المسلمينَ، ومن المحتلين اليهودِ ونحنُ نتأخَّرُ يوماً بعد يوم.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[الإسراء].

إنها بقعةٌ مبارَكَةٌ، فالأقصى وما حولَه أرضٌ بارَكَ اللهُ فيها.

وقد ذكرَ اللهُ عزَّ وجَلَّ في ثلاثةِ مواضعَ من كتابِه أنه باركَ في بلادِ الشام، وفلسطين من بلاد الشام، ولقد حُرِمْنا هذه البركةَ -حسبَ ظني- بسببِ هذا التفريطِ والتقصير في حقّ الأقصى، فنحنُ لم نُراعِ شَرعَ الله فيه، حتى احتلَّهُ اليهودُ واجتمعوا من كُلِّ مكانٍ حتى أصبحوا هم أصحابُ الكلمةِ، لَمَ؟ لأننا ضَيَّعْنا الصلاةَ، وابتدَعْنا في الدين، وقاتَلْنا للقوميةِ وحميةِ الجاهليةِ، وكَرِهْنا الموتَ في سبيلِ الله، إنه الوَهْنُ دَبَّ فينا، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

ثالثاً: أنَّ هذه الاحتفالاتِ بالإسراءِ والمعراجِ التي تُقامُ كُلَّ عامٍ في كثيرٍ منْ بلادِ الإسلام ليست منْ دينِ اللهِ عز وجل، ولا مِنْ شرعِه في شيءٍ. فاللهُ عَزَّ وجَلَّ لم يطلبْ منا إقامةَ الاحتفالاتِ في مثلِ هذه المناسباتِ، ثَمَّ هذا النبيُّ ﷺ -صاحبُ هذه المعجزةِ- لم يُؤْثَرْ عنه ﷺ أنه كان بعدَ هذهِ الحادثةِ يُحيي ذكراها، ويجمعُ الصحابةَ لذلكَ محتفلين بما أكرَمه اللهُ مِنْ هذا الأمرِ الخارقِ، لا! لم يُؤْثرْ عنه ﷺ ذلك على الإطلاقِ، وهذا الصِّدِّيقُ الذي صَدَّقَ الخبرَ حين كَذَّبَه الناسُ، بل وجميعُ الصحابةِ الكرام، هل بَلَغنا عنهم أنهم كانوا يحتفلون ولو بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ بالإسراءِ والمعراجِ؟؟ لم يؤثَرْ ذلكَ ولا عَنْ أحدٍ من سلفِنا الصالحِ، وبهذا نعلَمُ أنَّ هذا الاحتفالَ من البدعِ والمحدثاتِ التي أحدثَها




المتأخرونَ الذين شغلتهم هذه الشكلياتُ عن حقائقِ الأمور، الذين أحيَوُا البِدَعَ وأماتوا السُّننَ، وقد علمتم أنَّ كلَّ خيرٍ في اتباعِ مَنْ سلفَ، وكلَّ شرٍّ في ابتداعِ مَنْ خَلَف.

فعجباً لمن يحتفلون وَيطربون بالمدائحِ والألحانِ، بل وبالمعازفِ المحرمةِ بعد أن فَرَّطوا بالأقصى وأضاعوهُ فباللهِ عليكم بماذا يحتفلون؟ وهذا الاحتفالُ مبتدَعٌ أصلاً، وليسَ لهم فيه أسوةٌ منَ السابقين!!

أيحتفلونَ بالاحتلالِ أم بسفكِ الدماءِ وانتهاكِ الحرماتِ في تلكَ الأرضِ التي باركَها الله؟!

أفيقوا يا أمةَ الإسلام وتوبوا واتبعوا شرعَ ربكم تفلحوا.

اللَّهُمَّ رُدَّ الأَقَصَى للمُسْلِمَينَ، وَطَهِّرْهُ مِنْ أَيْدِي اليَهودِ الغَاصِبِين





٢٧

موقفٌ في الحبِّ في الله
(الرجلُ الذي زارَ أخاً له..)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ السابعِ والعشرينَ من المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الحبِّ في الله.

لقد عَزَّ الحبُّ في اللهِ بينَ العبادِ في زمنٍ طغَتْ فيه المادةُ على حياةِ الكثيرِ منَ الناسِ، وملأ حبُّ الدنيا قلوبَهم.

الحبُّ في اللهِ عزَّ في زمنٍ اجتمعَ كثيرٌ منَ الناسِ فيه على مصالحِ الدنيا فقط.

الحبُّ في اللهِ عزَّ في زمنٍ كَثُرَتْ فيه الفِرقُ والأحزابُ والجماعاتُ.

أَصبح الحبُّ للحزبِ، ومنْ أجلِ الحزبِ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

واعلموا أنَّ الحبَّ في اللهِ: هو أن تحبَّ إنساناً للهِ، وفي اللهِ؛ لا لشيءٍ منْ أمورِ الدنيا؛ لا لنسبٍ ولا لحسبٍ، ولا لمالٍ، ولا لمنصبٍ، ولا لمنفعةٍ دنيويةٍ، وَلا لوطنيةٍ، ولا لحزبيةٍ.

فأنتَ تُحبُّه لأنه يحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ.

وتحبُّه لأنه تَخَلَّقَ بأخلاقِ الإسلامِ، وتأدبَ بآدابه.

تُحِبُّه لأنه يُعلِّمُ الناسَ الخيرَ.

تحبهُ لأنه يأمرُ بالمعروفِ، وينهى عن المنكرِ.

ومن ثمراتِ الحبِّ في الله:

أولاً: أنَّ الحبَّ في اللهِ له طعمٌ وحلاوةٌ يشعرُ بها المؤمنُ في قلبِه.

قال ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ ورَسولُهُ أَحبَّ إليهِ مِمَّا سوَاهما، ومَنْ أَحبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إلاّ للهِ، ومَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفرِ بَعْدَ إذْ أَنْقَذهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»(١).

وفي روايةٍ يقولُ ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوة الإيمانِ وطَعْمَه: أَنْ يَكُونَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَواهما، وأَنْ يُحِبّ فِي اللهِ ويُبْغِضَ فِي اللهِ، وأَنْ تَوقَدَ نَارٌ عَظِيمةٌ فيَقعَ فِيها، أَحبُّ إليهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ باللهِ شَيْئًا**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلاَوةَ الإيمانِ؛ فَلْيُحَبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ للهِ**»(٣).

ثانياً: أن الحبَّ في الله أوثقُ عُرى الإسلامِ.




• يقولُ البراءُ بن عازبٍ ﵁:

كنا جلوساً عند النبيِّ ﷺ فقال:: «**أَيُّ عُرَى الإِسْلامِ أَوْثَق؟**».

قالوا: الصلاةُ، قال: «**حسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا**».

قالوا: صيامُ رمضانَ، قال: «**حَسَنٌ، ومَا هُوَ بِه**».

قالوا: الجهادُ، قالَ: «**حسنٌ، ومَا هُوَ بِه**».

قال ﷺ: «**إنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإيمانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وتُبْغِضَ فِي اللهِ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢١)، مسلم (٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٩٨٧)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٦٩٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٠)].

(٣) **حسن**: أخرجه الحاكم (١/ ٤٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠١٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٢)].

(٤) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٠)].

ثالثاً: أنَّ الحبَّ في اللهِ من كمالِ الإيمانِ.

يقول ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، ومَنَعَ للهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإيمانَ**»[١].

أمةَ الإسلام! ما أشدَّ حاجتَنا في زماننا هذا إلى أن يُحِبَّ أحدُنا أخاه في الله، وإذا قَدَّمَ لأخيه شيئاً قَدَّمه لله لا يقدِّمُه لحزبيةٍ، ولا لوطنيةٍ، إنما الأصلُ ابتغاءَ وجهِ الله في كُلِّ عملٍ، ثمَّ إنَّ المسلمَ الصادقَ إذا نزلَ البلاءُ بإخوانِه في المشرقِ أو المغربِ تألم لآلامهم؛ لأنه يحبُّهم في اللهِ، وإذا فَرِحَ أحدُ إخوانِه -سواءً كان في المشرقِ أو في المغربِ- فرحَ لفرحِه لأنه يحبُّه في اللهِ، فَمِنْ أهمِّ ما ينقصُنا في هذا الزمانِ أن نعطِيَ للهِ، وأن نتبرأَ للهِ، وأن نمنعَ للهِ، ونعطِيَ المؤمنَ لإيمانِه، ونحرِمَ الكافرَ لكفرِه، فاللهمَّ ارزقْنا حُبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ، وحبَّ كلِّ عملٍ يقربُنا إلى حبِّك!



رابعاً: الحبُّ في اللهِ طريقٌ إلى الجنةِ.

يقولُ ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**»[٢].

وقال ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ في الجَنَّةِ؟**» قلنا: بلى يا رسولَ الله! قال: «**النَبيُّ في الجَنَّةِ، والصدِّيقُ في الجَنّةِ، والرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ في نَاحِيَةِ المِصْرِ لا يَزُورُهُ إلاّ للهِ في الجَنّةِ**»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٣٤، ١٣٥)، وفي «الأوسط» (٩٠٨٣)، وفي «مسند الشاميين» (١٢٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٩)، [«الصحيحة» (٣٨٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٤).

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٧٤٣)، وفي «الصغير» (١١٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨٠)].



خامساً: المتحابونَ في اللهِ يحبُّهمُ اللهُ.

يقولُ معاذٌ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:

«قالَ الله تبارك وتعالى: وَجَبَتْ مَحَبّتِي للمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وللمُتَجالِسينَ فِيَّ، وللمتَزَاورين فيَّ، وللمُتَبَاذلينَ فِيَّ»(١).

وقال ﷺ: **«قالَ اللهُ عز وجل:**

قَدْ حَقَّتْ مَحَبّتِي للذِينَ يَتحابُّونَ مِنْ أَجْلي،

وَقَدْ حقَّتْ مَحَبّتِي للذِينَ يَتزَاوَرُون مِنْ أَجْلي،

وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبّتِي للذينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلي،

وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبّتِي للذينَ يَتَصَادَقُون مِنْ أَجْلي»(٢).

سادساً: المتحابُّونَ في اللهِ في ظِلّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه.

المتحابُّونَ في الله إذا خرجَ الناسُ من قبورهِم يومَ القيامةِ، ووقفوا في الزحام الشديدِ، يغشاهمُ العرَقُ والهمُّ والغَمُّ، في هذا الموقفِ الرهيبِ العصيبِ، فإنَّ المتحابينَ في الله يُظِلُّهُمُ الله في ظِلّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه.

قال رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ اللهَ يَقُول يَوْمَ القِيَامةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي؟! اليَوم أُظِلّهُمْ في ظلي يَوْمَ لاَ ظِلّ إلاّ ظلي»**(٣).

ويقول ﷺ: **«سَبْعَةٌ يُظِلّهُم الله تَعَالَى فِي ظِلّهِ يَومَ لاَ ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ،**




(١) **صحيح**: أخرجه مالك في «الموطأ» (رواية الليثي) (٢٧٤٤)، وأحمد (٥/ ٢٣٣)، وابن حبان (٥٧٥)، والحاكم (٤/ ١٨٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٨٩٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨١)].

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٦)، وعبد بن حُميد (٣٠٤)، وابن المبارك في «مسنده» (٩)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٨٠)، وفي «الصغير» (١٠٩٥)، وفي «مسند الشاميين» (٦٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢١)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

سابعاً: المُتَحابُّونَ في اللهِ يومَ القيامةِ على منابرَ من نورٍ.

قال ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: المُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ»(٢).

وقال ﷺ: «إِنَّ للهِ جُلَسَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ، وَكِلْتَا يدَيِّ اللهِ يَمِينٌ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وُجُوهُهم مِنْ نُورٍ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ولا شُهَدَاءَ ولاَ صِدِّيقِينَ».

قيل: يا رسولَ الله! مَنْ هم؟

قال: «هُمْ المُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى»(٣).




ثامناً: المتحابون في الله يومَ القيامة لا يخافونَ إذا خافَ الناسُ، ولا يحزنونَ إذا حزِنَ الناسُ.

يقول ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ والشُّهَدَاءُ».

قيل: مَن هم؟ لعلَّنا نُحِبُّهم؛ قال ﷺ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللهِ، مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلاَ أَنْسَابٍ، وُجُوهُهم نُورٌ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس](٤).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٠)، وأحمد (٥/ ٢٣٩)، وأبو نعيم (٢/ ١٣١)، [«صحيح الترمذي» (١٩٤٨)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٣٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢٢)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٥٢٧)، وابن حبان (٥٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٨٩٩٧)، وأبو يعلى (٦١١٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢٣)].

والحبُّ في اللهِ شأنهُ عظيمٌ، وأثرُه في الأمةِ كبيرٌ، والحبُّ في اللهِ لا يُوَفَّقُ إليه إلا مَنْ أحبَّه اللهُ، فاحرِصوا على أن يحبَّ بعضُكم بعضاً في الله.

ومنَ الأمورِ التي تُقَوي وتساعدُ على بثِّ ونشرِ الحبِّ في اللهِ بينَ العبادِ:

أولاً: أن يخبرَ الإنسانُ أخاه الذي يحبُّه في اللهِ، أنه يحبُّه في اللهِ؛ لقوله ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؛ فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**»(١).

ولقولِ أنس رضي الله عنه: (أنَّ رجلاً كانَ عندَ النبيِّ ﷺ فمرَّ رجلٌ بهِ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إني لأحبُّ هذا، فقال له النبيُّ ﷺ: «**أَأَعْلَمْتَهُ**»؟ قال: لا، قالَ ﷺ: «**أَعْلِمْهُ**»، فلَحقَه، فقال: إنِّي أحبُّك في اللهِ، فقال: أحبَّك الذي أحببتني له)(٢).

فإذا أخبرتَ أخاكَ أنك تحبُّه في اللهِ كانَ ذلك سبباً للمودةِ والمحبةِ، وسبباً لاجتماعِ القلوبِ وتأليفِها.




يقول ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللهِ فَلْيُعْلِمْه، فَإِنَّهُ أَبْقَى فِي الأُلْفَةِ، وَأَثْبتُ فِي المَوَدّةِ**»(٣).

ثانياً: إفشاءُ السلامِ من أهمِّ الأسبابِ الجالبةِ للمحبةِ.

• قال ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُونَ الجَنّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتّى تَحَابّوا، أَوَلا أَدُلّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السلامَ بَيْنَكُمْ**»(٤).

وقد رأينا الكثيرَ من الناسِ يدخلُ المسجدَ فيرى رجلاً يصلي، وآخرَ يقرأُ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٥٩)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٢)، وابن السني (١٩٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٤٠)، وابن حبان (٥٦٩)، [«الصحيحة» (٤١٧)].

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (٥١٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٥٤)، وأحمد (٣/ ١٤٠)، وابن حبان (٥٧٠)، والضياء في «المختارة» (١٦١٨)، [«رياض الصالحين» (٣٩٠)].

(٣) **حسن**: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» (٦٩)، [«صحيح الجامع» (٢٨٠)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٤).

القرآنَ فلا يلقي عليهمُ السلامَ، لِـمَ؟ لأنَّ هذا أو ذاكَ لا يتتميانِ إلى حزبه أو إلى جماعتِه! أيها المسلمُ! آللهُ أمرَك بهذا؟!

ويلقى الرجلُ أخاه المسلمَ في الشارعِ فلا يسلمُ عليه، لمَ؟ لأنه لا ينتمي إلى جماعتِه! وبمثلِ هذهِ الأمورِ الصغيرةِ في أعينِ بعضِ الناسِ تفرقَتِ الأمةُ وتشرذمت جماعاتٍ وأحزاباً!!

فيا أخا الإسلام! إفشاءُ السلامِ يكونُ على مَنْ عرفْتَ ومن لم تعرفْ، فالزمْ ذلكَ حتى تَعُمَّ المحبةُ والمودةُ بين المسلمين.

ثالثاً: الهدية.

لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**تَهادُوا تَحَابُّوا**»(١).




الهديةُ للهِ وفي اللهِ سببٌ للمحبةِ، أما الهديةُ التي تُقدَّمُ للموظفِ لعملِ مصلحةٍ ما فهذه رشوةٌ وليست هديةً، وصاحبُها يُعَرِّضُ نفسَه لِلَعنةِ اللهِ عز وجل، قال ﷺ: «**لَعَنَةُ اللهُ عَلَى الرّاشي والمُرْتَشي**»(٢).

والمسمَّياتُ لا تُغَيِّرُ منَ الحقائقِ شيئاً فلو سَمَّوْها هديةً فهي رِشوةٌ في ميزانِ الكتابِ والسنةِ.

أما الهديةُ التي تقدِّمُها لأخيكَ لا تبتغي من وَرائِها إلا أن يدعوَ لكَ دعوةً بظهرِ الغيبِ، وتعبِّرُ له بها عن محبتِك له في الله، فهذه تُقَرِّبُكَ إلى رضا اللهِ والجنةِ.

رابعاً: أن تزورَه وأن تقتصدَ في الزيارةِ، وأن تتخولَه بها.

أن تزورَه لكنْ لا تكثرْ منَ الزيارة ولا تقللْ منها.

(١) **حسن**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، وفي «مسند الشهاب» (٦٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٨٩٧٦)، وفي «السنن» (٦/ ٢٨٠)، [«صحيح الجامع» (٣٠٠٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ٣٨٧) وابن الجارود في «المنتقى» (٥٨٥)، وابن الجعد (٢٧٦٧)، وابن حبان (٥٠٥٤)، [«صحيح الجامع» (٥١١٤)].



لا إفراطَ ولا تفريطَ.

فالرسولُ ﷺ يقول: «**زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً**»(١).

أي: زرْ يوماً بعدَ يوم، أو أسبوعاً بعدَ أسبوعٍ تزدَدْ حباً.

فلا تكثرْ من زيارةِ مَنْ تحبُّه في اللهِ فيملَّك ولا تُقْلِلْ فينْسَاكَ، ولكن تَخوَّلْه بالزيارةِ.

خامساً: أن تقتصدَ في حبِّك وبغضِك.

فالذي تحبُّه اليومَ عسى أن تبغضَه غداً، والذي تبغضُه اليومَ عسى أن تحبَّه غداً، فالقصدَ! القصدَ في الحبِّ والبغضِ!





قال ﷺ: «**أَحْبِبْ حَبِيبَك هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِض بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عسَى أنْ يَكُونَ حَبِيبَك يومًا ما**»(٢).

سادساً: الحرصُ على الطاعةِ والأعمالِ الصالحةِ، وتركُ المعاصي.

الأعمالُ الصالحةُ سببٌ هامٌّ جداً لنيلِ محبةِ اللهِ للعبدِ، ثم إنَّ اللهَ عز وجل إذا أحبَّ عبداً ما، ألقى محبتَه في قلوبِ العبادِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم] أي: محبةً في قلوب العباد.

ومن أكثرِ ما يُفرِّقُ بينَ الأحبةِ المعاصي والذنوب.

يقول ﷺ: «**مَا تَوَادّ اثْنَان فِي اللهِ عَزّ وجَلّ، أَوْ فِي الإِسْلامِ، فيُفَرَّقُ بَيْنَهُما؛ إلاَّ**

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه الطيالسي (٢٥٨٩)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٢١) وفي «الأوسط» (١٧٥٤)، والبزار «كشف الأستار» (١٩٢٢)، والحارث في «مسنده» (٩٢٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٩٩٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣٣٩٥)، [«صحيح الجامع» (١٧٨)].

ذَنْبٌ يُحَدِثُه أَحدُهُما»[1].

فليتقِ اللهَ كلٌّ منا في نفسِه وفي إخوانِه، وليتجنبِ المعاصي.

فأكثرُ ما فرّق بَيْنَ كثيرٍ من الإخوةِ وزرعَ بينهمُ العداوةَ والبغضاءَ إنما هي المعاصي التي اقترفَها بعضُهم أو جميعُهم.

فتعالَوا بنا لنتعلمَ الصدقَ في الحبِّ في اللهِ من كتابِ ربِّنا ومن سنةِ نبيِّنا ﷺ.

أولاً: ففي كتابِ ربِّنا جلَّ وعلا، أخبرَنا اللهُ عز وجل في كتابه عما كانَ بين المهاجرينَ والأنصارِ منَ المحبةِ في الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ -أي: الأنصار- ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ -وهم المهاجرين- ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].



ولقد برهنَ الأنصارُ لإخوانِهمُ المهاجرينَ رضي الله عنهم عن حبِّهم لهم في اللهِ عمليّاً، فلربما قالَ الأنصاريُّ لأخيهِ المهاجرِ:

هذا مالي أَقْسِمُهُ بيني وبينَك، وهذا بيتي أجعلُه بيني وبينَك، بل وبلَغَ الأمرُ بالأنصاريِّ إذا كانَ متزوجاً بامرأتين قال لأخيه المهاجرِ: انظرْ أَيُّهما أعجبُ إليك أطلقْها حتى إذا انقضَتْ عدتُها تزوجْتَها.

فَمَنْ منا جاءَ بماله وقَسَمه بينَه وبينَ أخيه الذي يحبُّه في اللهِ؟

مَنْ منا -يا عبادَ الله- قسَمَ بيتَه بينه وبينَ أخيهِ الذي يحبُّه في اللهِ؟!

من منا -يا عبادَ الله- فعلَ مع أخيهِ المسلم ولو شيئاً بسيطاً مما فعلَه الأنصارُ معَ المهاجرين؟! أظنُّ أنَّ الجوابَ: لا يوجدُ بيننا أمثالُ هؤلاءِ إلَّا مَنْ رَحِمَ ربي،

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٠١)، وأحمد (٢/ ٦٨)، وإسحاق بن راهويه (٤٥٣)، وابن المبارك (١٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٨٤)، [«الصحيحة» (٦٣٧)].



وقليلٌ ما هم.

وهنا أمرٌ مهمٌّ لابدَّ من التنبيهِ عليهِ ألا وهو:

إخلاصُ النيةِ للهِ عز وجل في الحبِّ في الله.

فعلى كلٍّ منّا أن يسألَ نفسَه بصدق: هل يحبُّ هذا الشخصَ للهِ أم لأنه مِنْ حزبِه أو من جماعتِه، أو من وطنِه، أو لأَنَّ بينهما تجارةً أو نسباً أو مصلحةً ما؟

فليتقِ اللهَ الذينَ فَرَّقوا الأمةَ، وجعلوا الحبَّ والولاءَ والبراءَ للحزبِ وللجماعةِ.

والولاءُ يا عبادَ الله!: يكونُ منَ العبدِ المؤمنِ للمؤمنين جَـميعاً.

والبراءُ: يكونُ منَ المشركين والكفارِ دائماً وأبداً.

أمَّا أن يواليَ الرجلُ مَنْ دخلَ في حزبِه، ويعاديَ مَنْ خرج من حزبهِ ومن لم ينتسبْ إليه فهذه طامَّةٌ كبرى.



المحبةُ في الله سببٌ لتوحيدِ الصفوفِ والاتحادِ على التقوى والتوحيدِ والسنّة، وأن نصبحَ أمةً واحدةً.

فاعتبروا يا أمةَ الإسلام بحالِ المهاجرينَ والأنصار الذين تحابُّوا في الله وصَدَقوا في ذلك.

قال سبحانه وتعالى في وصفهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

لأنهم تحابوا في الله، فلما تحابوا في الله كانت الشدةُ والغلظةُ منهم على الكفارِ الذين يعادون المسلمينَ ويصدونَ عن سبيلِ اللهِ. والرحمةُ لعبادِ اللهِ المؤمنينَ.

أمَّا إذا كَانتِ العداوةُ والفرقةُ بيننا وقَعَتِ المحبةُ للكفارِ.



فيا أمةَ الإسلام: الحبُّ الحبُّ في الله!

ولقد قَلَّ مَنْ يحبُّ في هذا الزمانِ للهِ وفي اللهِ.

ومما جاء في سنةِ رسولِ الله ﷺ في شأنِ الحبِّ في الله وفضلِه:

ما أخبرَ به الرسولُ ﷺ عن هذا الرجلِ الطيبِ الذي زار أخاً له في الله، فأرسلَ اللهُ له ملكاً ليسألَه عن سببِ زيارتِه ويبشرَه بمحبةِ الله له.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: **«أن رَجُلاً زارَ أَخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فأَرصَدَ اللهُ لَهُ عَلى مَدْرَجته[1] مَلكًا، فلمّا أَتَى عَلَيْهِ، قال: أَيْنَ تُريدُ؟ قال: أُريدُ أَخًا لي في هَذِهِ القَرْيَةِ، قال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمةٍ ترُبُّها؟ قال: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ. قال: فإِنّي رَسولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَه فِيه»**[2].

أي: أَبشرْ! فإنَّ اللهَ مِن فوقِ سبعِ سمواتٍ قد أحبَّك كما أحببتَه فيه.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ منَ هذا الحديثِ فهي كثيرةٌ، وكثيرةٌ جداً، فعلى سبيلِ المثال:

أولاً: أنَّ مَن أحبَّ أخاه في اللهِ أحبَّه الله.

فالأنصارُ لمّا أحبوا المهاجرينَ في الله، لا لنسبٍ، ولا لحسبٍ، ولا لمنصبٍ، ولا لدنيا، أحبَّهُمْ اللهُ عز وجل، بل وأحبَّ اللهُ عز وجل مَنْ يحبُّ الأنصارَ.

قال ﷺ: **«الأَنْصارُ لاَ يُحِبّهم إلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُم إلاّ مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبّهُم أَحَبّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»**[3]. اللهُمَّ إنا نشهِدُكَ أننا نحبُّ الأنصارَ في الله.

---

(١) أي على طريقه وفي سِكّتِه.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٧).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).



وهذا الرجل الذي زار أخاً له في الله، وسأله المَلَكُ عن سببِ زيارتِه هذه، فأخبرَه أنه قد أحبَّ هذاَ الإنسانَ في اللهِ، بَشَّره الملَكُ وقال له: إني رسولُ اللهِ إليك، أُخبرُك أنَّ اللهَ قد أحبَّك كما أحببتَه فيه.

واللهُ عزَّ وجلَّ أخبر كما جاءَ في الحديثِ القدسيِّ: إذا أحبَّ الله عبداً ألقى محبتَه في الأرض في قلوبِ العبادِ[1]، وإذا أحبَّ الله عبداً استجابَ دعاءَه وأعطاه سُؤْلَه.

ثانياً: الزيارةُ في اللهِ عملٌ صالحٌ يتقربُ بهِ العبدُ إلى رَبِّه، فهذا الرجلُ الطيبُ زار أخاه في اللهِ، أرادَ بذلك أن يتحصلَ على محبةِ الله، فليحرصْ كُلٌّ منا على زيارةِ أخيهِ في اللهِ مُتقرباً بذلكَ إلى اللهِ تبارك وتعالى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِبُنا إلى حُبِّكَ

(١) يشير إلى حديث صحيح عند البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧).



٢٨

موقفُ إيمانيٌّ في محبةِ النبيِّ ﷺ (الصحابةُ رضي الله عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الثامنِ والعشرين من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ في محبةِ النبيِّ ﷺ.

وكانَ الناسُ قبلَ بعثة محمّدٍ ﷺ في ضلالٍ مبين، وفي ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعض، مِنْ كُفرٍ وشركٍ وجهلٍ ومعاصي، فكان حالُهم كما وصفَهُمْ ربُّنا جلَّ وعلا في كتابِه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

فأرسلَ الله تباركَ وتعالى رسولَه محمّداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ، بشيراً ونذيراً، ليخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ، ومنَ الضلالِ إلى الهدى، ومن الكفرِ إلى الإيمانِ، ومن الشركِ إلى التوحيدِ.

فجاءهم بالنورِ من رَبِّهم كما وصَفَه ربُّنا جل وعلا في كتابه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ

رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب].

فكان ﷺ بهذا النورِ العظيمِ الذي جاءَ به من عندِ ربِّه يدعو الناسَ إلى (لا إلهَ إلا الله)، إلى عبادةِ اللهِ وحدَه، ويحذرُهم من الشركِ، ويدعوهم إلى جنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ.

فَبلَّغ ﷺ الرسالةَ، وأدى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وكشفَ الغمةَ، وجاهدَ في سبيلِ الله حتى أتاه اليقينُ، وتَركَنا البيضاءِ، ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ أو ضالٌّ.

ولذلك امتنَّ اللهُ عز وجل على المؤمنينَ بهذهِ النعمةِ العظيمةِ وهي بعثةُ محمّدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

فالواجبُ على كُلِّ مسلمٍ رضيَ بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً:

أولاً: أن يُحبَّ النبيَّ ﷺ أكثرَ من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ، والنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

• وقال عمرُ رضي الله عنه لرسولِ اللهِ ﷺ: يا رسولَ الله! لأنتَ أحبُّ إليّ من كُلِّ شيءٍ إلا من نفسي.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).




فقال النبيُّ ﷺ: «**لاَ وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**».

فقال له عمرُ: فإنه الآنَ واللهِ لأنتَ أحبُّ إليّ من نفسي.

فقال النبيُّ ﷺ: «**الآنَ يا عُمر!**»[1].

كيفَ لا؟

وقال اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: النبيُّ أولى بالمحبةِ من نفسِك التي بين جَنْبَيكَ.

لأنَّ نفسَكَ تدعوكَ إلى الشهواتِ والملذاتِ، وتدعوكَ إلى الضلالِ وإلى النارِ.

أما النبيُّ ﷺ فإنه يدعوكَ إلى ما يجلبُ لكَ السعادةَ في الدنيا والآخرة.

وفي هذه الآية تنبيهٌ على أنه يجبُ على كُلِّ مؤمنٍ أن يُحبَّ النبيَّ ﷺ أكثرَ من نفسِه التي بينَ جنبيه.

واعلموا أنَّ اللهَ عز وجل يتوعدُ ويفسِّقُ الذين يحبونَ الآباءَ والأبناءَ والإخوانَ والأزواجَ والعشيرةَ والأموالَ والتجارةَ والمساكنَ أكثرَ من حبِّهم للهِ ولرسولِه ﷺ والجهادِ في سبيلِه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

وتبينَ لنا بهذا أنه يجبُ على المسلمِ أن يُحبَّ النبيَّ ﷺ أكثرَ من نفسِه التي بين جَنبيه، وأكثرَ من ولدِه ووالدِه، والناسِ أجمعين، فالرسولُ ﷺ يدعونا إلى

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

الصراطِ المستقيم، يدعونا إلى جنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ، يدعونا إلى سعادةِ الدنيا والآخرة.

وكيفَ لا نحبُّه ﷺ ونتقربُ إلى اللهِ بحبِّه؟!

والجبالُ التي لا تعقِلُ ولا تحسُّ تحبُّه.

وأنتَ يا ابنَ آدمَ أينَ تذهبُ بحُبِّكَ، تحبُّ الدنيا الفانيةَ.

يقولُ ﷺ عن جبلِ أحدٍ: «**أُحدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ**»[(١)].

أتحبُّ الجبالُ النبيَّ ﷺ وأنتَ يا ابنَ آدمَ تؤْثرُ حبَّ المال والشهواتِ!!

كيف لا نحبُّ النبيَّ ﷺ والحجرُ الصَّلْبُ الذي لا يعقلُ كانَ يُسلِّمُ على رسولِ اللهِ ﷺ لأنه يحبُّه.؟!

يقول ﷺ: «**إِنِّي لأعْرِفُ حَجَرًا بِمَكّةَ كَانَ يُسَلّمُ عَلَيّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأعْرِفُهُ الآنَ**»[(٢)].

كيف لا نحبُّ النبيَّ ﷺ؟! والشجرُ الذي لا عقلَ له يحبُّه.

يقول يعلى بنُ مرةَ الثقفيُّ رضي الله عنه: سرْنا -معَ رسولِ اللهِ ﷺ- حتى نزلنا منزلاً فنامَ النبيُّ ﷺ فجاءتْ شجرةٌ تَشُقُّ الأرضَ حتى غشيته، ثم رجَعَتْ إلى مكانها، فلما استيقَظَ رسولُ اللهِ ﷺ ذكرتُ له، فقال: «**هِيَ شَجَرَةٌ استَأذَنَتْ رَبَّها فِي أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ فأذِنَ لَهَا**»[(٣)].

كيف لا نحبُّ النبيَّ ﷺ وها هو الجذعُ اليابسُ الذي لا يعقلُ يحبُّه ﷺ؟!

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٨٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٧٣)، وعبد بن حُميد (٤٠٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٧١٨)، [«هداية الرواة» (٥٨٦٥)].

فعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: (كان النبيُّ ﷺ يخطبُ إلى جذعٍ، فلما اتخذَ المنبرَ تحوّلَ إليه، فحنَّ الجذعُ، فأتاه فمسحَ يدَه عليه)(١).

وعن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما قال: (كانَ المسجدُ مسقوفاً على جذوعٍ من نخلٍ فكانَ النبيُّ ﷺ إذا خطبَ يقومُ إلى جذعٍ منها، فلما صُنعَ له المنبرُ فكانَ عليهِ فسمعنا لذلكَ الجذعِ صوتاً كصوتِ العِشارِ، حتى جاءَ النبيُّ ﷺ فوضعَ يدَه عليه، فسكت)(٢).

كيف لا تحبُّ النبيَّ ﷺ أيها المسلمُ والحيواناتُ التي لا عقلَ لها تحبُّه ﷺ وتحنُّ إليه؟!

دخلَ النبيُّ ﷺ حائطاً(٣) لرجلٍ منَ الأنصارِ فإذا فيه جملٌ، فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ وذَرَفتْ عيناه، فأتاه رسولُ اللهِ ﷺ فمسح ذِفْراه(٤) فسكَتَ.




فقال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمل؟ لِمَنْ هَذَا الجَملُ؟**» فجاءَ فتىً من الأنصارِ، فقال: لي، يا رسولَ الله!

فقال ﷺ: «**أَفَلا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ البَهِيمةِ التّي مَلّكَكَ اللّـهُ إيّاهَا؟ فَإِنّهُ شَكَا إِليّ أَنّك تُجَيْعهُ وتُدْئِبُهُ**(٥)»(٦).

جملٌ يحبُّ النبيَّ ﷺ، ويحنُّ إليهِ، ويبكي بينَ يديه وأنت -يا ابنَ آدم- مشغولٌ بحبِّ الدنيا والحنينِ إلى ما غابَ عنكَ منها!

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٨٥).

(٣) **الحائط**: هو البستان.

(٤) **ذفرى البعير**: بكسر الذال المعجمة مقصور: هي الموضع الذي يعرق في قفا البعير عند أذنه، هما ذفريان.

(٥) **تُدئبه**: بضم التاء ودال مهملة ساكنة بعدها همزة مكسورة وباء موحدة، أي: تتعبه بكثرة العمل.

(٦) **حسن**: أخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، وأحمد (١/ ٢٠٥)، والحاكم (٢/ ١٠٩)، وأبو يعلى (٦٧٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦٩)].

أمةَ الإسلام! إن حبَّ النبيِّ ﷺ دينٌ وإيمانٌ، والمؤمنُ الصادقُ يجدُ حلاوةَ هذا الحبِّ وطعمَه في قلبِه.

قال رسولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهما..**»[1].

والتعبيرُ عن محبةِ النبيِّ ﷺ لا تكونُ بالكلامِ ولا بالشعاراتِ، ولا بالاحتفالاتِ بمولدِه، وأكلِ الحلوى يومَ مولدِه.

وإنما المحبةُ الصادقةُ من المؤمنِ الصادقِ تكونُ على النحوِ التالي:

أولاً: محبةُ النبيِّ ﷺ تكونُ في القلبِ يشعرُ بها العبدُ المسلمُ.

فهو يميلُ إلى محبةِ النبيِّ ﷺ، ويشعرُ من قلبِه أنه يحبُّ النبيَّ ﷺ، وتراه يعملُ بالليلِ والنهارِ ليكونَ معَ النبيِّ ﷺ في جنةِ النعيم، ثم هذا الحبُّ الذي في القلبِ يظَهرُ على الجوارحِ فترى هذا المحبَّ الصادقَ متبعاً سنةَ النبيِّ ﷺ سالكاً منهجَه.

قال اللهُ عز وجل: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:٣١].

فمحبةُ اللهِ تبارك وتعالى هي الأصلُ، ومحبةُ النبيِّ ﷺ فرعٌ مِنْ هذا الأصلِ، فَمَنْ أحبَّ اللهَ أحبَّ رسولَه ﷺ، ومَنْ أحبَّ اللهَ اتبعَ رسولَ اللهِ ﷺ، وسلَكَ سبيلَه ومنهجَه.

وذلك: لأن النبيَّ ﷺ يدعو إلى الصراطِ المستقيم، ويهدي إلى الصراطِ المستقيمِ قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٧٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

فالرسولُ ﷺ يدعو الناسَ ويسلكُ بهم سبيلاً إلى الجنةِ، فمن أطاعه دخلَ



---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).



الجنة، ومن أبى وعصى دخلَ النارَ، كما قال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبى**»، قالوا يا رسولَ الله ومن يأبى؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّة، ومَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبى**»[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥**﴾ [النساء].

ثانياً: يجبُ على هذا المحبِّ للنبيِّ ﷺ أن يتأسَّى بالنبيِّ؛ لقوله تعالى: ﴿**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١**﴾ [الأحزاب].

فتأملوا يا إخوةَ الإسلامِ حالَ شبابِنا ورجالِنا ونسائِنا وحالَ بيوتِنا، تجدْنا -إلا مَنْ رحِمَ اللهُ- نتأسى بالكفارِ، ونتشبَّهُ بهم في أشكالِنا وفي لباسِنا وفي أكلِنا وفي تجارتِنا وفي كلامِنا!

فالواجبُ على المسلمِ المحبِّ لرسولِ اللهِ ﷺ أن يتأسَّى به؛ لأنَّ اللهَ عز وجل حصرَ الأسوةَ الحسنَة في شخصِ رسولِ اللهِ ﷺ، وذلك لأنه ﷺ لا ينطقُ عن الهوى إنْ هوَ إلا وحيٌ يوحى.

ثالثاً: يجبُ علينا أن نُعظِّم رسولَ اللهِ ﷺ بدونِ إفراطٍ ولا تفريطٍ، وعلينا أن نوقِّرَه وأن نصليَ عليه، وأن نتّبعَه فيما جاءَ به من عندِ ربِّه.

قالَ تعالى: ﴿**إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩**﴾ [الفتح].

فالتسبيحُ بكرةً وأصيلاً للهِ تبارك وتعالى، والتعزيرُ هو التعظيمُ والتوقيرُ للرسولِ ﷺ.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

رابعاً: يجبُ على المؤمنِ الصادقِ في محبةِ النبيِّ ﷺ أن لا يُقَدِّمَ قولاً لأحدٍ ولا لحزبٍ، ولا لجماعةٍ، ولا لشيخٍ بينَ يَدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ، لقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١﴾ [الحجرات].

خامساً: ويجبُ على المؤمنِ الصادقِ في محبةِ النبيِّ ﷺ أن ينصرَ النبيَّ ﷺ، وأن يدافعَ عن سنتِه، ودينِه ويفديَه بالنفسِ، والمالِ، والولدِ.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

سادساً: ويجبُ على المسلم إذا سمعَ ذكرَ النبيِّ ﷺ أن يصلِّيَ عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

وقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[١].

فتعالوا بنا يا **عباد الله!** لنتعلمَ الصدقَ في محبةِ النبيِّ ﷺ من الصحابةِ الكرامِ رضي الله عنهم، فقد ضربوا لنا مثالاً أعلى في ذلك:

١ – فهذا الصحابيُّ الجليلُ: خُبيبُ بنُ عَدِيٍّ.

أخذه كفارُ مكةَ، وعذبوه وقالوا له: أتحبُّ أنَّ محمداً مكانَك؟ فقال: لا والله العظيمِ ما أحبُّ يفديني بِشوكةٍ يُشاكُها في قدَمِه، فضحكوا منه[٢].

ولذلكَ قال فيه القائلُ:

أَسَرَتْ قُرَيْشٌ مُسْلِمًا فَمَضَى بلاَ وَجَلٍ إلى السَّيَافِ
سَأَلُوه: هَلْ يُرْضِيْكَ أَنَّكَ سَالِمٌ ولَكَ النبيُّ فِدًى مِنَ الإتْلافِ؟

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٨٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٢٢٥).

فأَجَابَ: كَلاَّ، لاَ سَلِمْتُ مِنَ الرَّدَى   وَيُصَابُ أَنْفُ مُحَمّدٍ بِرُعَافِ

وقال أبو سفيانَ قبلَ أن يسلمَ: (واللهِ ما رأيتُ أحداً منَ الناسِ يحبُّ أحداً كحبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً)(١).

أمةَ الإسلام! أين الحبُّ لرسولِ الله ﷺ؟!

أيها المسلمُ أما تنظرُ إلى ولدِك ما شكْلُه؟! أما تنظرُ إلى ابنتِك وإلى لباسِها؟!!

أيها المسلمُ أما تنظرُ إلى لباسِك ومظهرِك، بل وعبادتِك لله، أين إثباتُ المحبةِ لرسولِ اللهِ ﷺ في التأسي والاتباع؟!

هذا رجلٌ يعذَّب ومعَ ذلك يقولُ: كلا، لا سلمْتُ من الرّدى ويصابُ أنفُ محمّدٍ ﷺ برُعاف.



٢- وهذانِ غلامان صغيران يُحبان النبيَّ ﷺ حباً شديداً، فلما سمعا أنَّ أبا جهلٍ يسبُّ النبيَّ ﷺ قررا قتلَه.

يقولُ عبدُالرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه: (بينا أنا واقفٌ في الصفِّ يومَ بدر، نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بينَ غلامين من الأنصارِ، حديثةٌ أسنانُهما، تمَنَيْتُ لو كُنتُ بين أضلَعَ(٢) منهما، فغمزَني أحدُهما فقال: يا عمِّ هل تعرفُ أبا جهلٍ؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتُك إليه يا ابنَ أخي! قال: أُخبرتُ أنه يَسُبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده! لئنْ رأيتُه لا يفارقُ سوادي سوادَه(٣) حتى يموتَ الأعجلُ(٤) منا، قال: فتعجبْتُ لذلك، فغمزَني الآخرُ فقال مثلَها، قال: فلم أنشبْ(٥) أن نَظَرْتُ إلى أبي

(١) «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٣٥٧).

(٢) **أضلع**: أقوى.

(٣) **سوادي سواده**: أي شخصي شخصه.

(٤) **حتى يموت الأعجل منا**: أي: لا أفارقه حتى يموت أحدنا وهو الأقرب أجلاً.

(٥) **لم أنشب**: أي: لم ألبث، أي: لم يمض زمن كثير على سؤالهما إلا وأنا رأيته.



جهلٍ يزولُ[١] في الناسِ، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبُكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسولِ الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ**» فقال كلٌّ واحدٍ منهما: أنا قتلْتُه، فقالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُما**»؟ قالا: لا، فنظرَ في السيفين فقال: «**كِلاَكما قَتَلَه**»[٢]).

الشاهدُ: الإيمان الصادقُ بالله، والحبُّ الصادقُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فأينَ نحنُ أيها الرجالُ منْ هؤلاء؟ أين نحنُ يا أمةَ الإسلام مِنْ فعلِ هؤلاء؟

الدِين يُسَبُّ، والنبيُّ يُسَبُّ، والابتداعُ يطغى على السنةِ، ونحنُ نلهو، ونلعبُ..!! اللهمَّ رُحْماك! اللهم لا تؤاخذْنا بما فعلَ السفهاءُ منا! ولا تهلكْنا بما فعلَ المبطلون.

أمةَ الإسلام! من المؤسفِ أن نقولَ أننا في وادٍ والإسلامُ الحقيقيُّ في وادٍ آخرَ.

أين نحنُ من هذين الغلامينِ؟؟ غلامٌ يتألمُ مِنْ سَبِّ رجلٍ للنبيِّ ﷺ فدفعه إيمانُه وحبُّه للنبيِّ ﷺ إلى قتلِ هذا الجاهلِ الكافرِ!!




٣- وهذه صحابيةٌ جليلةٌ قُتلَ يومَ أُحدٍ أبوها، وأخوها، وزوجُها، وهي لا تسألُ عَنْ أحدٍ منهم بل تقولُ: كيفَ فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ -تريدُ أن تطمئنَّ على رسولِ الله- فقيل لها: هو على خيرِ ما تُحبين.

فقالت: أرونيهِ حتى أنظرَ إليه، فأشاروا لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كُلُّ مصيبةٍ بعدَك جَلَلٌ! -أي صغيرةً- يا رسولَ الله[٣].

٤- ولما حاولَ عروةُ بنُ مسعودٍ -موفَدُ الكفارِ في صلح الحديبية- أن يلمسَ لحيةَ رسولِ اللهِ ﷺ وهو يتكلمُ معَه، ضربَ الصحابيُّ الجليلُ المغيرةُ بن شعبة رضي الله عنه يدَه بنعلِ السيفِ، وقال له: أَخِّرْ يَدَك عن لحيةِ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) **يزول**: يتحرك وينزعج ولا يستقر على حاله ولا في مكان، والزوال: القلق.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢) واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١١٩٣)، من طريق ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٩٩).

ولما رجَع عروةُ بنُ مسعودٍ إلى كفارِ مكةَ قال لهم: أيْ قوم! واللهِ لقد وفَدْتُ على الملوكِ، ووفدْتُ على قيصرَ وكسرى والنجاشيِّ، واللهِ إن رأيتُ ملِكاً قطُّ يعظِّمه أصحابُه ما يُعظِّمُ أصحابُ محمدٍ ﷺ محمداً، واللهِ إن يتنخمْ نخامةً إلا وقَعَتْ في كفِّ رجلٍ منهم فدلَكَ بها وَجْهَهُ وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه، وإذا توضأَ كادوا يقتتلونَ على وَضوئِه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتَهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظرَ تعظيماً له، وإنه قد عرضَ عليكم خطةَ رشْدٍ فاقبلوها..[1].



٥- وهذا أبو بكرٍ رضي الله عنه عندما سمعَ النبيَّ ﷺ يُودِّعهم ويقول لهم: «**إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَن يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**»، فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائِنا وأمهاتِنا[2].

إنه الحبُّ العظيمُ في اللهِ، ولو أردنا أن نتحدثَ عن أمثلةٍ من محبةِ الصحابةِ للنبيِّ ﷺ لطالَ بنا الحديثُ، ولكنَّ اللبيبَ بالإشارة يفهم.



أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هذه المواقف فهي كثيرة جداً، منها:

أولاً: يجبُ على المسلمِ أن يحبَّ النبيَّ ﷺ ليكونَ معه في الجنة.

عن أنسٍ رضي الله عنه: (أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعةِ فقالَ: متى الساعةُ؟

قال النبي ﷺ: «**وَمَاذا أَعْدَدتَ لَهَا**».

قال: لا شيءَ، إلا أني أحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ.

فقال ﷺ: «**أَنْتَ مَعْ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

قال أنسٌ رضي الله عنه: فما فَرِحْنا بشيءٍ فرحَنا بقولِ النبيِّ ﷺ: «**أَنْتَ مَعْ مَنْ أَحْبَبْت**» قال أنسٌ: فأنا أحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ، وعمرَ وأرجو أن أكونَ معهم بحبي إياهُم

(١) انظر القصة كاملة عند البخاري (٢٧٣٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

وإن لم أعملْ بمثلِ أعمالِهم)(١).

قال عبدُالله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيف تقولُ في رجلٍ أحبَّ قوماً ولمَّا يلحقْ بهم؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ**»(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسولَ الله! الرجلُ يحبُّ القومَ ولا يستطيعُ أن يعملَ بعملهم؟

قال: «**أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعْ مَنْ أَحْبَبْت**».

قال: فإني أحبُّ اللهَ ورسولَه.

قال: «**فَإِنَّكَ مَعْ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

قال: فأعادها أبو ذرٍّ، فأعادَها رسولُ اللهِ ﷺ(٣).




ثانياً: الصحابةُ رضي الله عنهم ضربوا لنا مثلاً أعلى في محبةِ النبيِّ ﷺ، ولكنْ بدونِ غلوٍّ ولا تفريطٍ.

لأنَّ اللهَ نهى عن الغُلوِّ في الدين، والرسولُ ﷺ قال: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبدُاللهِ ورَسُولُهُ**»(٤).

فإياكم يا عبادَ الله والغلوَّ الذي ضلَّ به مَنْ قبلنا! واحذروا مظاهرَ الغلوِّ الذي انتشرَ ودبَّ في الأمةِ، فالكثيرُ من المسلمين تركوا التمسكَ بسنةِ رسولِ الله ﷺ ولم يسلكوا منهجَه، وأخذوا يحتفلونَ في كُلِّ عامٍ بمولدِه أو بإسرائِه ومعراجِه أو بهجرتِه، مع أنَّ الرسولَ ﷺ لم يحتفلْ بذلكَ، والصحابةُ رضي الله عنهم -الذين ضَربوا لنا

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥١٢٦)، وأحمد (٥/ ١٥٦)، والدارمي (٢٨٢٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥١)، وابن حبان (٥٥٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

مثلاً أعلى في محبتِهم لرسولِ اللهِ ﷺ- لم يفعلوا ذلك، ولو كانَ خيراً لسبقونا إليه.

فيا أمةَ الإسلام! عليكم بمحبةِ رسولِ الله ﷺ بدونِ إفراطٍ ولا تفريطٍ، وإياكم والغلوَّ.

فإنَّ الغلوَّ في الدين مما حَرَّمه اللهُ تبارك وتعالى، فالواجبُ على كُلٍّ منا إنْ كانَ صادقاً في محبتِه لرسولِ اللهِ ﷺ أن يتقيَ اللهَ في نفسِه وفي عبادتِه، وفي بناتِه، وفي زوجتِه وفي أولادِه، وعليه أن يتقيَ اللهَ في أخلاقِه، وعلمه ومالِه، وأن يتخلقَ بأخلاقِ النبيِّ ﷺ، الذي ضربَ لنا مثلاً أعلى في الأخلاقِ الحسنةِ، والذي قالَ اللهُ تباركَ وتعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

ولما سألوا عائشةَ رضي الله عنها عن خُلُقِ النبيِّ ﷺ قالت: (كان خلقُه القرآنَ)[1] أي: كان يهتدي في كلِّ أقوالِه وأفعالِه وحركاتِه وسكناتِه بالقرآنِ.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأحمد (٦/ ٩١) واللفظ لأحمد.



٢٩

موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في التمسك بسنة رسولِ اللهِ ﷺ (الصحابةُ رضي الله عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ، وعظاتٌ، وعبرٌ، وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الموقفِ التاسعِ والعشرينِ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في التمسكِ بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

النبيُّ ﷺ بلّغَ الرسالةَ، وأدى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وكشفَ الغمةَ، وجاهدَ في سبيل دينه حتى أتاه اليقينُ، وتركَ أمته على مثل البيضاءِ ليلُها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ.

ومنْ هنا كان لزاماً على كُلِّ مسلمٍ رضي باللهِ رباً وبالإسلام ديناً، أن يحبَّ النبيَّ ﷺ أكثرَ من نفسِه التي بينَ جَنبيه، وأكثرَ من والدِه وولدِه والناسِ أجمعينَ.

ثم هذه المحبةُ لا تكونُ بالكلامِ المبتدَعِ، ولا بالأناشيدِ، ولا بالاحتفالاتِ التي تقامُ في كُلِّ عامٍ في يومِ مولدِه ﷺ، وإنما هذه المحبةُ تتمثلُ في إتباعِ سنتهِ، وفي التمسكِ بسنتهِ، وفي إحياءِ سنتِه، وفي الدفاعِ عنها، لأنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقول: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران].

فمنْ أحبَّ اللهَ أحبَّ رسولَ اللهِ ﷺ، ومنْ أحبَّ رسولَه اتبعَ سنتَه وهديَه.

فاللهُ تباركَ وتعالى قال على لسانِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿ **فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى** ﴾

[إبراهيم: ٣٦].



وقال تعالى عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وكذلك نقولُ: إن أولى الناسِ بمحمدٍ ﷺ همُ الذين اتبعوه وتمسكوا بهديهِ وسنتِه.

والمرادُ بالسنةِ الطريقةُ والـهَدْيِ.

كما قال علماءُ السلفِ: السنةُ هي العملُ بالكتابِ والسنةِ، والاقتداءُ بصالحِ السلفِ، واتباعُ الأثرِ.

وكما قالَ علماءُ اللغةِ: السنة: هي السّيرةُ والطريقةُ، فقولهم: فلانٌ على السنةِ، أو منْ أهلِ السنة، أي: هو موافقٌ للتنزيلِ والأثرِ في القولِ والعملِ.

والواجبُ على كُلِّ مسلم رضيَ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، أن يحبَّ النبيَّ ﷺ، ومحبةُ النبيِّ ﷺ هي أن يتبعَ طريقتَه، وأن يسلَكَ سبيلَه، وأن يهتديَ بهديه وذلك:

أولاً: لأنَّ اللهَ أمرنَا في كتابهِ باتباعِ سنةِ النبيِّ ﷺ.

فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ثم حذَّرنا ربُّنا جلَّ وعلا في كتابهِ من مخالفةِ سنةِ النبيِّ ﷺ، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

ثانياً: لأنَّ النبيَّ ﷺ أمرنَا باتباعِ سنته، وأن نسلكَ سبيلَه، وأن نتمسكَ بهديه.

عن العرباضِ بن ساريةَ رضي الله عنه قال: وعظَنا[1] رسولُ اللهِ ﷺ موعظةً، وَجِلَتْ

(١) **الوعظ**: التخويف بطريق النصيحة.

منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العيونُ، فقلنا: يا رسولَ اللهِ كأنها موعظةُ مودّعٍ فأوصِنا.

قال: «**أُوْصِيكُمْ بِتَقْوى اللهِ، والسمعِ والطّاعة، وإِنْ تَأَمّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فسَيَرَى اخْتِلافًا كَثيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنّتي**» -أي: بطريقتي- «**وَسُنّة الخُلَفاء الرّاشدينَ المَهْدِيِّين، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَوَاجِذ**»(١).

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ عما سيحدُث بعدَه، فقال ﷺ- وكأنه يصفُ هذا الزمان-: «**فإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فسَيَرَى اخْتِلافًا كَثيرًا**» وهذا ما نراه الآنَ، فما هو العلاجُ والمخرجُ؟ وما هو السبيلُ للمسلمينَ الآن؟ قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنّتي**» -أي: بطريقتي وبهديي- «**وَسُنّةِ الخُلَفاءِ الرّاشدينَ المَهْدِيّين، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَوَاجِذ**».

فها هو النبيُّ ﷺ يأمرُنا أن نتمسَك بسنتِه وهديهِ عندَ الاختلافِ، وعند كثرةِ الجماعاتِ والأحزابِ والآراءِ، هذا هو العلاجُ والمخرجُ الوحيدُ لنا في هذا الزمانِ، وفي كُلِّ زمانٍ.

فعليكُم بسنتي في مجالِ الدعوةِ إلى اللهِ.

وعليكم بسنتي في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وفي الولاءِ والبراءِ.

وعلينا بالسنةِ في التعاملِ معَ الأحداثِ التي نسمعُها في كلِّ يومٍ وليلةٍ، علينا أن نلتزمَ فيها بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وَبهَديهِ، بذلكَ نكونُ قد أَخذنا بوصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وسنجدُ في ذلكَ صعوبةً شديدةً، ولذلكَ قالَ ﷺ: «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَواجِذ**».

فإنْ لم نفعلْ ونُنَفِّذْ هذه الوصيةَ الغاليةَ فقد حذَّرنا النبيُّ ﷺ من مخالفةِ هديِه، ومن مخالفةِ سنتهِ ﷺ.

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].




يقول أنس رضي الله عنه: جاءَ ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تَقَالُّوها.

فقالوا: وأينَ نحنُ مِنَ النبيِّ ﷺ، قد غفرَ اللهُ له ما تقدمَ من ذنبه وما تأخرَ.

قال أحدُهم: أما أنا فإني أصلي بالليل أبداً.

وقال آخرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أفطر.

وقال آخرُ: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوجُ أبداً، فجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**أَنْتُمُ الذِينَ قُلْتُم كَذَا وَكَذَا؟ أَمَّا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُم للهِ وَأَتْقَاكُم لَهُ، لَكنّي أَصُومُ وَأُفْطِر، وَأُصَلي وَأَرْقُد، وَأَتَزَوّجُ النّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي**»[1].

فسنةُ رسولِ اللهِ ﷺ وسطٌ واعتدالٌ، بينَ الإفراطِ والتفريطِ، بين الغالي والجافي.

فانظروا عندما قال الأولُ: أصومُ ولا أفطرُ أبداً، قال ﷺ: «**وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُم للهِ وَأَتْقَاكُم لَهُ، ولَكنّي أَصُومُ وَأُفْطِر**»، فلا إفراطَ ولا تفريطَ.

ولما قالَ الثاني: أقومُ الليلَ ولا أرقدُ أبداً، قال ﷺ: «**وَلَكِني أُصَلي وَأَرْقُد**»، فلا إفراطَ ولا تفريطَ.

وكذلك الثالثُ لما قال: أنا اعتزلُ النساءَ فلا أتزوجُ أبداً، قال ﷺ: «**وَأَتَزوجُ النّساءَ**»، فلا إفراطَ ولا تفريطَ.

فالأمرُ منَ اللهِ عز وجل جاء باتباعِ سنةِ النبيِّ ﷺ، ويحذرُ من مخالفته، وكذا أمرَ النبيُّ ﷺ بإتباعِ سنتِه وحذَّرَ من مخالفتِه، قال ﷺ: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي**».

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

ثالثاً: لأنَّ الصحابَةَ رضي الله عنهم ، والعلماءَ قديماً وحديثاً يأمرونَ بالتمسكِ بسنةِ رسولِ الله ﷺ ويحذرونَ من مخالفةِ هَدْيِه ﷺ .

فهذا ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقول: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)[١].

أي: اتبعوا ما جاءَكم به محمّدٌ ﷺ فقد كُفيتم، ولا تبتدِعوا في دينِ اللهِ أيضاً فقد كُفيتم، وهذا أمرٌ بالإتباعِ ونهيٌ عن الابتداعِ في دينِ اللهِ.

ويقولُ رضي الله عنه أيضاً: مَنْ كان مستناً، فليستنَّ بمن قد ماتَ؛ فإن الحيَّ لا تُؤمَنْ عليه الفتنةُ، أولئكَ أصحابُ محمّدٍ ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمةِ: أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ﷺ، وإقامةِ دينه، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتبعوا على آثارِهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقِهم وسِيَرِهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[٢].



وهذا الحسنُ البصريُّ رحمَه اللهُ يقول: (السنةُ والذي لا إله إلا هو بينَ الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكُمُ اللهُ، فإنَّ أهلَ السنة كانوا أقلَّ الناس فيما مضى، وهمْ أقلُّ الناسِ فيما بقي، همُ الذين لم يذهبوا معَ أهل الترفِ في إترافِهم، ولا معَ أهلِ البدَعِ في بدَعِهم، وصبَروا على سنتِهم حتى لقوا ربَّهم فكذلكَ إنْ شاءَ اللهُ فكونوا)[٣].

وهذا عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ يكتبُ كتاباً لرجلٍ يقولُ فيه: (أما بعد: أوصيكَ بتقوى الله والاقتصادِ في أمرِه، واتباعِ سنةِ نبيِّه ﷺ، وتركِ ما أحدَثَ المحْدِثون..

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الدارمي (٢١١)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٧٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١٧٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٢٤)، وأبي خيثمة في كتاب «العلم» (٥٤)، [«كتاب العلم» لزهير بن حرب النسائي (ص١٦)].

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠)، وأبو نعيم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (١/ ٣٠٥، ٣٠٦)، [«هداية الرواة» (١٩١)].

(٣) أخرجه الدارمي(٢٢٢).



فعليكَ بلزومِ السنةِ فإنها لكَ بإذنِ الله عصمةٌ)[١].

وهذا سفيانُ الثوريُّ رحمَه الله يقولُ: (استوصوا بأهلِ السنةِ خيراً؛ فإنهم غرباءُ)[٢].

• وقالَ -رحمَه الله- أيضاً لرجلٍ: (إذا بلغَكَ عن رجلٍ بالمشرقِ صاحبِ سنةٍ فابعثْ إليهِ بالسلام، وإذا بلغَكَ عن رجلٍ بالمغربِ صاحبِ سنةٍ فابعَثْ إليه بالسلامِ، فقد قلَّ أهلُ السنةِ والجماعةِ)[٣].

وقال سفيانُ رحمَه الله: (لا يستقيمُ قولٌ إلا بعملٍ، ولا يستقيمُ قولٌ ولا عملٌ إلا بنيّةٍ، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا بموافقةِ السنةِ)[٤].

فانظروا عبادَ الله! كيفَ دعا الجميعَ إلى الرجوعِ إلى السنةِ.



وكانَ شيخُنا الألبانيُّ رحمه الله دائماً يقولُ: (الحمدُ للهِ على نعمةِ الإسلامِ والسنةِ، فالإسلامُ والسنةُ نعمةٌ عظيمةٌ).

وكم من المسلمينَ حُرموا نعمةَ سنةِ رسولِ الله ﷺ؟! ومَنْ منَّ اللهُ عز وجل عليه بالتمسكِ بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، يعلمْ ويدركْ أنَّ فضلَ اللهِ عليهِ عظيمٌ، ويحمدُ اللهَ دائماً على نعمةِ الإسلامِ، وكذلك يحمدُ اللهَ دائماً على أنْ وفقه للسنةِ.

وكانَ من آخرِ ما وَصَّى به شيخُنا الألبانيُّ رحمه الله قبلَ موته، قَولُهُ لنا: (أوصيكُم بالعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ)، ثم قالَ: (العلمُ النافعُ: هو قالَ اللهُ، قالَ رسولُه، قال الصحابةُ، والعملُ الصالحُ هو ما كانَ للهِ ووافقَ السنةَ).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١٢)، وأبو نعيم (٥/ ٣٣٨)، وابن بطة في الإبانة (١٦٣)، [«صحيح أبو داود» (٣٨٥٦)].

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٢)، وابن بطة في «الإبانة» (١٩٠).



اللهُ عز وجل يأمرُ باتباع سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ويحذرُ من مخالفتِه، والنبيُّ ﷺ يأمرُ باتباعِ سنتِه ويحَذِّرُ من مخالفتِه.

والصحابةُ رضي الله عنهم والعلماءُ قديماً وحديثاً يأمرونَ باتباعِ السنةِ، ويحذرون من مخالفتِها.. أتدرون لمَ يا عبادَ الله؟

أولاً: لأنَّ في إتباعِ السنةِ الهدى وفي مخالفتها الضلالَ.

فالرسول ﷺ يهدي البشريةَ إلى كُلِّ خيرٍ.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور].

وقال ﷺ: «**لِكُلِّ عَمل شرَّة**[1]**، وَلِكُلِّ شرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَترتُه إلى سُنّتي فَقَد اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فترتُهُ إلى غَيْرِ ذلِكَ فَقَد هَلَكَ**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُم بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبدًا، كِتَابَ اللهِ، وسُنّةَ نَبيِّه**»[3].

فَتَمَسَّكُوا بِالسُّنَّةِ وَإِلاَّ سَتَضِلوا.

وبيَّنَ اللهُ عز وجل أنَّ من عصى الرسولَ فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً.

فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لو تركتم سنةَ نبيِّكم لضَلَلْتم)[4].

(١) **شرة**: نشاط وحماس.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٨٨، ٢١٠) وابن حبان (١١) وابن خزيمة (٢١٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (٣٨٧٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن» (١٠/ ١١٤)، والحاكم (١/ ١٧١)، وابن حزم في «الأحكام» (٦/ ٨٥٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٠)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).



ثانياً: لأنَّ في اتباعِ السنةِ النجاةَ، وفي مخالفتها الهلاكَ.

يقول ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال ﷺ: «**إنَّما مَثَلي وَمَثَلُ مَا بَعَثَني اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْماً فقالَ: يا قَوم، إِنّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنِي، وإِنِّي أَنَا النّذيرُ العُريانُ، فَالنّجاءَ، فَأطَاعَهُ طَائفةٌ مِنْ قَومِهِ، فأَدْلَجوا فانْطَلَقُوا عَلَى مهْلِهم فنَجَوا، وكَذّبَتْ طائفةٌ منهُمْ فأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فأَهْلَكَهُمْ واجْتَاحَهُم، فَذَلك مَثلُ مَنْ أَطَاعَنِي فاتّبَعَ مَا جِئتُ بِهِ، ومَثَلُ مَنْ عَصاني وكَذّب بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ**»[1].

وقال ﷺ: «**كُلُّ أُمّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَى**» قالوا: يا رسولَ اللهِ! ومن يأبى؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[2].

وقال ﷺ: «**لَقَدْ تَركْتكُمْ عَلَى مِثلِ البَيْضاءِ؛ لَيْلُهَا كَنهَارِها، لاَ يَزِيغُ بعدي عَنْهَا إلاّ هَالِكٌ**»[3].

• وقال الزهري رحمه الله: الاعتصامُ بالسنةِ نجاةٌ[4].

لأن السنةَ -كما قالَ الإمامُ مالكٌ-: مِثْلُ سفينةِ نوحٍ مَنْ ركبها نَجا، ومن تخلفَ عنها هلكَ[5].

عبادَ الله! تعالَوا بنا نتعلمِ الصدقَ في اتباعِ سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ من الصحابةِ الكرامِ رضي الله عنهم فقد ضربوا لنا مثلاً أعلى في ذلك.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه وابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨)، والحاكم (٣٣١)، [«ظلال الجنة» (ص٢٧)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الدارمي (٩٧)، وأبو نعيم (٣/ ٣٦٩)، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٩)، [«مسند الدارمي»، تحقيق: حسين سليم الداراني (١/ ٢٣٠)].

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخه (٧/ ٣٣٦).

١- هذا أبو بكرٍ الصديقُ ﵁ يقولُ: (لستُ تاركاً شيئاً كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يعملُ به إلا عملتُ به، فإني أخشى إن تركتُ شيئاً مِنْ أمرِه أن أزيغَ)(١).

أبو بكرٍ الصديقُ يخشى على نفسِه الزيغَ إن خالفَ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ، كم منا يا عبادَ الله خالفَ أمرَ رسولِ الله ﷺ أفراداً وجماعاتٍ وشعوباً ودولاً؟! لقد انسلخَ الكثيرونَ من سنةِ رسولِ الله -إلا مَنْ رحمَ ربي-، وفي هذا الانسلاخِ الزيغُ والهلاكُ بعينه، ويا ليتَ الكثيرَ من الناسِ وقفَ عندَ تركِ السنةِ، بل هنالك مِنَ الناسِ ومنَ الجماعاتِ مَنْ يسخرُ ويستهزيءُ بالسنةِ وبأهلِ السنةِ، ولذلك -والله- ما رأينا إنساناً ولا جماعةً ولا حزباً ضَلَّ وتركَ سنةَ رسولِ الله ﷺ إلا وقد زاغَ وضَلَّ ضلالاً مبيناً.




٢- وهذا الفاروقُ عمرُ ﵁ يُقبِّل الحجرَ الأسودَ ويقولُ: (إني أعلمُ أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولولا أني رأيتُ النبيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ ما قبلْتُكَ)(٢).

عقيدةٌ وإيمانٌ وتوحيدٌ، واتباعٌ لرسولِ الله ﷺ، وكم من المسلمين -بجهلهم- يَسْتَشْفونَ بالحجرِ الأسودِ، ويتبركونَ به، ويستشفونَ بقماشِ الكعبةِ ويتمسحونَ بجدرانها، وأفعالُهم هذه ليسَ فيها اتباعٌ لسنةِ رسولِهم ﷺ ولا هديه، إنما هو البدعة والانحراف عن السُنَّة.

٣- عن سالمِ بنِ عبدِالله أنَّ عبدَالله بنَ عمرَ قالَ: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكم المَسَاجِدَ إِذَا استَأْذَنَّكُم إِلَيْهَا**» قال: فقالَ بلالُ بنُ عبدِالله: والله لنمْنعُهُنَّ. قال: فأقبلَ عليهِ عبدُالله بنُ عمرَ فسبَّه سبَّاً سيئاً، ما سمعتُه سبَّهُ مثلَه قطُّ، وقال: أُخبرُكَ عن رسولِ الله ﷺ وتقولُ: والله لنمنَعُهُنَّ)(٣).

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).
(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٤٢).

٤- وهذا ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما عندما أفتى بجوازِ التمتعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ قالوا: لكنَّ أبا بكرٍ وعمرَ يقولان خلافَ قولِك؟

فغضبَ ابنُ عباسٍ وقال: أراهم سيهْلِكون! أقولُ: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم؟ وتقولون: قال: أبو بكر وعمرُ[1]؟

إنه التمسكُ بالسنةِ، والاتباعُ لهديِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

اخوةَ الإسلام! كم من الناسِ الآنَ تقولُ له: توفيرُ اللحيةِ واجبٌ، وحلقُها حرامٌ يُلحِقُ بكَ الإثمَ، فيجيبُك قائلاً: ولكنَّ الشيخَ الفلانيَّ يخرجُ لنا بدونِ لحيةٍ، ويقولُ: إن توفيرَ اللحيةِ سنةٌ، ولا داعيَ لإطلاقِها!! وعندما نقولُ لبعضِهم: الحجابُ فرضٌ على نسائِنا، يقال لنا: فلانٌ منَ الدعاةِ يظهرُ لنا عبرَ القنواتِ الفضائيةِ، يقولُ: إنه مستحَبٌّ!! هل هناكَ قولٌ لأحدٍ معَ قولِ اللهِ ومعَ قولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟!



٥- وهذا عبداللهُ بنُ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه رأى رجلاً يخذفُ فقالَ له: لا تخذفْ، فإنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذفِ -أو كانَ يكرهُ الخذفَ- وقال: «**إنَّه لاَ يُصادُ بِهِ صَيْدٌ وَلاَ يُنكى بِهِ عَدُوٌّ، ولَكِنّها قد تَكْسِرُ السّنَّ، وَتَفْقَأُ العَينَ**» ثم رآه بعدَ ذلك يخذفُ فقال له: أحدثكَ عنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنه نهى عنِ الخذفِ -أو كرهَ الخذفَ- وأنت تخذفُ!؟

لا أُكلمُك كذا وكذا[2].

لأنه خالفَ أمرَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وفعلَ ما نهى الرسولُ عنه.

وفي هذا الزمانِ نرى الرجلَ الآنَ يعيشُ في البيتِ ومعه زوجتُه وابنُه لا يصليان.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٧)، والضياء في «المختارة» (٤/ ٢٠٤، رقم ٣٥٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).



واللهِ ما نجدُ أحداً -في هذا الزمانِ- يقولُ لزوجته أو لابنه يوماً: والله إن لم تصلِّ لا أكلمُك أبداً.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٦- وهذا عبدُالله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه كان يُعلِّمُ رجلاً التشهدَ فلما وصلَ إلى قولِه: «أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله» قال الرجلُ: وحده لا شريكَ له.

فقالَ عبدُاللهِ بنُ مسعودٍ: هو كذلكَ، ولكنْ نتنهي إلى ما عُلِّمنا[1].

علماً أن لفظَ (وحدَه لا شريكَ له)[2] ثبتَ في تشهدِ ابنِ عمرَ، ولكنَّ الشاهَد: أنَّ ابن مسعودٍ رضي الله عنه كان وقّافاً عند الّذي يَعْلَمُهُ مِن سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وهديه.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي نتعلمُها مما سبقَ ذكره فكثيرة جداً، نذكرُ منها على سبيل المثال:

أولاً: أن التمسكَ بالسنةِ فيه سعادةُ الدنيا والآخرةِ.



فها همُ الصحابةُ أَحبوا رسولَ اللهِ ﷺ حباً شديداً، وقَدَّموا الأرواحَ والأموالَ والأجسادَ فداءً ونصرةً لرسولِ اللهِ ﷺ، وأظهروا لنا هذه المحبةَ من خلالِ تمسكهِم بسنتِه، وبهديِه في حياتِه ﷺ وبعد موتِه أيضاً، فنصرهُمُ اللهُ في الدنيا، وبيّضَ وجوهَهم يومَ القيامة.

فاللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران:١٠٦].

قال علماءُ التفسيرِ: تبيضُّ وجوهُ أهلِ السنةِ -ونسألُ اللهَ أن نكونَ منهم- وتسودُّ وجُوه أهلِ البدعةِ.

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٩٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٩٧١)، والدارقطني (١٣٢٩)، وأبو نعيم (٧/ ١٨٠)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ١٩٩)، [«صحيح أبو داود» (٨٥٧)].



فكنْ يا عبدَالله من أهلِ السنةِ، وتمسَّكْ بها وأحِبَّ أهلَها، ودافعْ عنها، وَأْمُرْ بها في كلِّ مكانٍ وزمانٍ؛ فإنَّ فيها الهدى، وفيها سعادةُ الدنيا والآخرة.

ثانياً: أننا إذا تركنا السنةَ، وتركنا أمرِ رسولِ الله ﷺ انهزمنا أمامَ أعدائنا، وأولُهم إبليسُ أعاذَنا اللهُ منه.

كثيرٌ من الناسِ يظنُّ أنَّ السنَة أمرٌ هين، فنسمعهم يقولون: إنها قشورٌ!! كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواهِهم إنْ يقولون إلا كذباً، ويقولُ بعضهم: دَعونا من السنةِ الآن! بل منهم من تركَ الصلاةَ، ولا همَّ له كما يزعمُ إلا أن يقيمَ دولةَ الإسلام!! وهذا المسكينُ نسيَ أنَّ لله عز وجل في هذا الكونِ سُنناً لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ولا تتحولُ، فاللهُ عز وجل لا ينصرُ قوماً أبداً إلا إذا نصروه أولاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ [محمد]، ونصرُ الله عز وجل: هو أن نقيمَ دينَ الله في أنفسِنا، وفي أهلِنا، وفي غيرنا حسبَ الاستطاعةِ، وعلينا أيضاً أن نتمسكَ بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)﴾ [الرعد].

وها هوَ حالُنا يا عبادَ الله يُرثى لهُ: فالنساءُ كاسياتٌ عارياتٌ، والرجالُ أشكالُهم كأشكالِ الكفارِ، وبيوتنا كبيوتِ الكفار، أما الأموالُ ففي البنوكِ الرِّبويةِ، أما المجالسُ فلا تخلو إلا بالغيبةِ والنميمةِ، ثم الناسُ قد هجَروا المساجدَ، وعصَوُا اللهَ تبارك وتعالى، ثم بعدَ ذلك يقولون لِمَ لا ينصرُنا اللهُ عز وجل؟

إن مخالفةً واحدةً للسنةِ يومَ أُحدٍ حَوَّلَتِ النصرَ إلى هزيمة؛ حين أمرَ النبيُّ ﷺ الرماةَ أن يقفوا على الجبلِ ولا يتركوا أماكنهم أبداً، وإنْ تخطَّفهمُ الطيرُ، ومعَ ذلك عندما انهزَم الكفارُ نزلَ الرماةُ وأخذوا يجمعونَ الغنائمَ، فالتفَّ جيشُ الكفرِ مِنْ خلفهم وكانتِ الهزيمةُ، فتعجبَ الصحابةُ مِنْ هذا الذي أصابَهم، فقال تعالى:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران].

عبادَ الله! فالعجَبُ مما نسمعُ ونرى اليومَ من رغبةِ المسلمينَ في النصرِ والعزّةِ والتمكينِ، ومعَ ذلك لا تجدُ عددَ المصلين في المساجدِ يزدادُ، ولا تجدُ ولا تسمعُ عن رجلٍ ممن يضعونَ أموالَهم في البنوكِ أنه تابَ إلى اللهِ، ولا تجدُ امرأةً متبرجةً تقول: لعلَّ الله أن ينصرَ الأمةَ بحجابي، فتحجّبَت، ولا تجدُ إنساناً قاطعاً للرحمِ، وصلَ رحِمَه طاعةً للهِ، لعلَّ الله ينصرُنا، ومع ذلك نتكلمُ في مجالسِنا عن النصرِ بدونِ تفكيرٍ في التوبةِ والرجوعِ إلى الله.

فمتى نتوب؟ ومتى نعودُ إلى السنةِ؟ متى نرجعُ إلى الله؟.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوُلاةَ أُمُورِهِمْ!




٣٠

موقفٌ إيمانيٌ صادقٌ في إنكارِ البِدَعِ
(عبدُالله بنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ، وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الثلاثينَ من المواقفِ الإيمانيةِ .. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في إنكارِ البِدَعِ.

لعلَّ الجميعَ يعلمُ أنَّ المعاصيَ والذنوبَ شرٌ على الفردِ والجماعةِ؛ فالمعاصي سببٌ للهلاكِ وسببٌ للدمارِ، وسببٌ للذلِّ والفقرِ، وسببٌ لانتشارِ الأمراضِ الفتاكةِ، وسببٌ للهزيمةِ أمامَ الأعداءِ، وما ضَعُفْنا معشرَ المسلمينَ إلا بعد أن عَصَينا الله، فالمعاصي سببٌ لكلِّ شرٍّ، وسببٌ لشقاءِ الدنيا والآخرةِ.

فما الذي أخرجَ أبَوينا منَ الجنةِ دارِ النعيمِ إلى الدنيا دارِ الهمِّ والحزنِ؟ إنها المعصيةُ.

ما الذي أغرقَ قومَ نوحٍ جميعاً؟!.. إنها المعصيةُ.

ما الذي أغرقَ فرعونَ وقومَه جميعاً؟! إنها المعصيةُ.

ما الذي دمَّر عاداً فجعلَهم كأعجازِ نخلٍ خاويةٍ؟ إنها المعصيةُ.

ما الذي خسفَ بقارونَ ومالِه؟ إنها المعصيةُ.

قال تعالى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٦].

وإذا علمتم هذا وأيقنتم أنَّ المعاصيَ من أهمِّ أسبابِ وقوعِ الشرورِ والمصائبِ على الأمةِ، وعلى الفردِ، فتذكروا أيضاً يا عبادَ الله أن البدعةَ شرٌّ من المعصيةِ على الفردِ وعلى الجماعةِ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ:

(..والبدعةُ شرٌّ من المعصيةِ كما قالَ سفيانُ الثوريُّ: البدعةُ أحبُّ إلى إبليسَ منَ المعصيةِ، فإنَّ المعصيةَ يُتابُ منها، والبدعةُ لا يُتابُ منها[1])[2].

فالشيطانُ يحرِصُ على أنْ ينقلَ الإنسانَ منَ الإيمانِ إلى الكفرِ، ومن التوحيدِ إلى الشركِ، فإن عجَز انتقلَ الشيطانُ إلى المرحلةِ الثانيةِ وهي أن ينقلَ الإنسانَ من السنةِ إلى البدعةِ، فإن عجَز انتقلَ إلى المرحلةِ الثالثةِ وهي أن ينقلَ الإنسانَ منَ الطاعةِ إلى المعصيةِ.



فسعادتُك في الدنيا والآخرة بالتوحيدِ، والسنةِ، والطاعةِ.

وشقاؤُك في الدنيا والآخرة بالشركِ، والبدعةِ، والمعصيةِ.

فالبدعةُ أحبُّ إلى إبليسَ من المعصيةِ.

واستدلَّ شيخُ الإسلامِ على ذلك من السنةِ بحديثين:

الأول: استدلَّ بحديثِ هذا الرجلِ الذي كانَ يُدعى حِماراً: فعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أن رجلاً كانَ على عهدِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كان اسمُه عبدَالله وكان يُلقَّبُ حماراً، وكان يُضْحِكُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد جلَده في الشرابِ، فأُتي به يوماً فأمرَ به فَجُلِدَ، فقالَ رجلٌ من القومِ: اللهمَّ العَنْه، ما أكثَرَ ما يُؤتى به! فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تَلْعَنُوهُ، فواللهِ ما علمْتُ أنّهُ يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ**»[3].

(١) أخرجه علي بن الجعد في «مسنده» (١٤٧٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٣٨).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٤٧٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٨٠).



فهذا الرجلُ معَ أنه كان يشربُ الخمرَ، ويعصي اللهَ تبارك وتعالى، لكنَّ الرسولَ ﷺ منعَ الصحابيَّ أن يلعَنه، وشهدَ له بحسنِ الاعتقادِ فقال: إنه يحبُّ اللهَ ورسولَه.

الحديثُ الثاني: حديثُ الرجلِ الذي اعترضَ على قسمةِ النبيِّ ﷺ: فعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: بعثَ عليٌّ رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ بذُهيبةٍ فقسمها ... فأقبلَ رجلٌ غائرُ العينين مُشرفُ الوجْنتين ناتئُ الجبين كثُّ اللحيةِ محلوقٌ فقال: اتقِ اللهِ يا محمدُ! فقال: «**مَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا عصيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللهُ على أَهْلِ الأرضِ ولاَ تأمَنُوني؟** » ... فلمّا ولّى قال: «**إنَّ مِنْ ضَئِضئِ هذا** -أو في عقبِ هذا- **قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَناجِرَهُم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدّين مُروقَ السّهمِ مِنَ الرّميةِ، يقْتُلونَ أَهْلَ الإسلامِ ويَدَعُونَ أهلَ الأوْثانِ لَئِنْ أَنا أَدْرَكْتُهُم لأَقْتُلَنَّهُمْ قتلَ عَادٍ**»[1].

فتأملوا يا عبادَ الله! يُصَلُّونَ، ويصومونَ، ويقرءونَ القرآنَ ولا يزدادون بذلكَ منَ الله إلا بعداً، وما ذاكَ إلا لأنهم مبتدعةٌ.

ولَما تبينَ أنَّ المبتدعَ شرٌّ من العاصي، وأن البدعةَ شرٌّ منَ المعصيةِ، جاءَ التحذيرُ منْ مصاحبةِ المبتدعةِ ومن مجالستِهم، ومنَ الاستماعِ أو حتى النظرِ إليهم:

١- يقول سعيد بن جبير رحمه الله: (لأن يصحَبَ ابني فاسقاً سارقاً سُنِّياً، أحبُّ إليَّ من أن يصحَبَ عابداً مبتدِعاً)[2].

أمة الإسلام! ما لكم تتطلعونَ إلى النصرِ على أيدي المبتدعةِ؟! أتأملونَ أن يأتيَكُمُ النصرُ على يدِ الرافضةِ المبتدعةِ الذين لا يحبونَ أهلَ السنةِ، ويتمنَّون لهمُ الهلاكَ؟!

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه «الإبانة الصغرى» لابن بطة (١٣٢).

٢- وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (لا تجالسْ أهلَ الأهواءِ -وهمُ المبتدعةُ- فإن مجالسَتَهم مُمْرِضَةٌ للقلوبِ)(١).

٣- وقال الفُضَيْلُ بن عِياض: (إذا رأيتَ مبتدعاً في طريقٍ فخذْ في طريقٍ آخر)(٢)، وقال: (ومنْ أعانَ صاحبَ بدعةٍ فقد أعانَ على هدمِ الإسلامِ)(٣) فهؤلاءِ الذين يقدّمون المبتدعةَ عبرَ القنواتِ الفضائيةِ، ويكرمونهم هم في الحقيقةِ يسيئونَ إلى الإسلامِ وهم يحسَبون أنهم يحسِنون صنعاً، فاحذروهم يا عبادَ الله!

٤- وقال رحمَه الله: (مَنْ زوَّج كريمَته -أي: ابنته- من مبتدعٍ فقد قَطَعَ رَحِمَها)(٤).



٥- وقال أبو إدريسَ الخَولانيُّ: (لَأن أرى في المسجدِ ناراً لا أستطيعُ إطفاءَها أحبُّ إليَّ مِنْ أن أرى فيه بدعةً لا أستطيعُ تغييرَها)(٥).

٦- وقال عبدُالله بنُ المباركِ: (إياكَ أن تجالسَ صاحبَ بدعةٍ)(٦).

والبدعةُ خطرٌ عظيمٌ، وهي شرٌّ من المعصيةِ على الفردِ والجماعةِ، ولذلكَ جاءَ الإسلامُ يُحَرِّمُ الابتداعَ في الدينِ ويحذرُ من مجالسةِ المبتدعينَ في الدينِ.



أولاً: من كتابِ الله.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

(١) أخرجه ابن بطة العكبرى في «الإبانة» (٣٧١).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٩٣).
(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٩٢).
(٤) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٨/ ١٦٦).
(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٢٤)، وابن بطة في «الإبانة» (٥٩٩).
(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٦٠).

فالصراطُ المستقيمُ الذي أمرَ الله باتباعهِ هو سبيلُ الله، هو السبيلُ الذي سلكَه النبيُّ ﷺ وأصحابُه.

والسبلُ التي نهانا الله أن نسلكَها هي سبلُ أهلِ البدعِ والأهواءِ، على كُلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليها.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (فأما الذين ابيضتْ وجوهُهم فأهلُ السنةِ والجماعةِ وأولو العلم، وأما الذين اسودتْ وجوهُهم فأهلُ البدعِ والضلالةِ)(١).

ثانياً: من السُّنّة:

جاءتِ الأحاديثُ في ذمِّ البدعةِ والابتداعِ في الدينِ.



قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرنا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ**»(٢).



وقال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فَهُو رَدٌّ**»(٣).

وكان ﷺ إذا خطبَ احمَّرتْ عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه كأنه منذرُ جيش يقولُ «**أَمّا بَعدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ مُحَمّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكَلَّ بِدْعةٍ ضَلالَةٍ**»(٤).

وزاد النسائي: «**وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النّارِ**»(٥).

وقال ﷺ في موعظتِه البليغةِ التي وعظَ بها أصحابَه بعد صلاةِ الفجرِ، فقالوا

---

(١) أخرجه اللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٧٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٥) **صحيح**: أخرجه النسائي (١٥٧٨)، وابن خزيمة (١٧٨٥)، وأبو نعيم (٣/ ٢٢٠)، [«خطبة الحاجة» (ص٢٦)]

له: كأنها موعظةُ مودِّع فأوصِنا، فبعد أن أوصاهم بتقوى اللهِ والسمع والطاعةِ قال لهم: «**وَإِيّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعةٍ ضَلاَلَةٌ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقصُ ذَلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثامِ مَنْ تَبِعَه، لا يَنقُصُ ذلكَ مِنْ آثامِهِم شَيْئاً**»(٣).

ثالثاً: جاءتِ الآثارُ عن الصحابةِ، والأئمةِ، ومَنْ بعدهم يُحذرونَ من البدعةِ ومن المبتدعةِ.

١- هذا الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يقولُ في خطبتِه: (..إنما أنا متبعٌ ولستُ بمبتدعٍ، فإن استقمتُ فتابعوني، وإن زُغْتُ فقوِّموني)(٤).

٢- وهذا الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه يقولُ: (إياكم وأصحابَ الرأي، فإنهم أعداءُ السننِ، أعيَتْهمُ الأحاديثُ أن يحفظوها فقالوا بالرأي، فضلّوا وأضلّوا)(٥).




٣- وهذا ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقولُ: (..إياكم والتبدعَ والتنطعَ، وإياكم والتعمقَ، وعليكم بالعتيقِ)(٦).

٤- وهذا ابنُ عباس رضي الله عنهما يقول: (عليكم بالاستقامةِ والأثرِ، وإياكم والتبدعَ)(٧).

٥- ويقول ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وإن رآها الناسُ حسنةً)(٨).

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٨٣).

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٠١).

(٦) أخرجه الدارمي (١٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٤٥)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٨).

(٧) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢٠٠)، وابن وضاح في «البدع» (٦٥).

(٨) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٠٥)، واللالكائي (١٢٦).

٦- وعطسَ رجلٌ إلى جنبِ ابنِ عمرَ فقال: الحمدُ الله، والسلامُ على رسولِ اللهِ، قال ابنُ عمرَ: وأنا أقولُ: الحمدُ لله، والسلامُ على رسولِ الله، وليسَ هكذا علَمنا رسولُ اللهِ ﷺ، علمنا أن نقولَ: الحمدُ للهِ على كُلِّ حالٍ[(١)].

فانظروا عبادَ الله! كيفَ أنكرَ ابنُ عمرَ رضي الله عنه على الرجلِ لأنه زادَ: (والسلامُ على رسولِ اللهِ)، لأنه زادَ عن هدي محمّدٍ ﷺ!

٧- وهذا الإمامُ مالكٌ رحمَه اللهُ يقولُ: (مَنِ ابتدعَ في الإسلام بدعةً يراها حسنةً فقد زعمَ أنَّ محمداً ﷺ خانَ الرسالة، لأنَّ اللهَ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] الآية فما لم يكنْ يومئذٍ دينا، فلا يكونُ اليومَ دينا[(٢)].

٨- وجاءَ رجلٌ إلى الإمام مالكٍ فقالَ له: من أينَ أُحرِمُ؟

قال له: (من ذي الحُلَيفةِ، مِنْ حيثُ أحرمَ رسولُ اللهِ ﷺ).

فقال الرجلُ: أني أريدُ أن أُحْرِمَ منَ المسجدِ -أي: النبويِّ- من عندِ القبرِ.

قال له: (لا تفعلْ، فإني أخشى عليكَ الفتنةَ).

فقال الرجلُ: أيُّ فتنةٍ هذه؟ إنما هي أميالٌ أزيدُها.

فقال له: (وأيُّ فتنةٍ أعظمُ مِنْ أن ترى أنك سَبَقْتَ إلى فضيلةٍ قصَّرَ عنها رسولُ اللهِ ﷺ؟)[(٣)].

إني سمعتُ اللهَ عز وجل يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[(٤)] [النور].

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم (٤/ ٢٩٥) والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٤)، [«إرواء الغليل» (٣/ ٢٤٥)].

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٤٩).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٢٦١)، وابن العربي المالكي في «أحكام القرآن» (٣/ ٣٦٥).

(٤) أخرجه ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرى» (٩٨).




٩- وهذا سعيدُ بن المسيِّبِ رحمه الله -من التابعين- رأى رجلاً يصلي بعدَ طلوعِ الفجرِ أكثرَ من ركعتين، يكثرُ فيها الركوعَ والسجودَ، فنهاه عن ذلك- لأنَّ الإنسانَ إذا طلعَ الفجرُ وصلى ركعتي السنةِ لا يجوزُ له أن يتنفلَ بعد ذلكَ حتى يصليَ الفريضةَ، فهذا الرجلُ قامَ يتنفلُ بعدَ أن صلى ركعتي سنةِ الفجرِ، فنهاه سعيدُ بنُ المسيِّبِ عن ذلك- فقال الرجلُ: يا أبا محمد! يعذبُني اللهُ على الصلاةِ؟

قال له: لا، ولكن يعذبُك على خلافِ السنةِ[1].

وهذه حجةُ المبتدعِ إذا أنكَرْتَ عليه بدعةً يقولُ لك: الصلاةُ حرامٌ؟!! قراءةُ القرآنِ حرامٌ؟ ذكرُ الله حرامٌ؟!!

عبادَ الله! البدعةُ شرٌ وخطرٌ على الفردِ والجماعةِ والدينِ، والمبتدعةُ شرٌ وخطرٌ على الفردِ والجماعةِ والدينِ؛ ولذلك جاءَ العقابُ منَ اللهِ للمبتدعةِ؛ تحذيراً من البدعةِ ومما جاءَ في ذلك ما يلي:




أولاً: المبتدعُ عملُه مردودٌ عليه، لا يقبلُ اللهُ منه عملاً.

قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رِدٌّ**»[2].

وقال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فَهُو رِدٌّ**»[3].

وبخاصةِ أولئكَ الذين يحبونَ البدعَ ويزينونها للناسِ، وينشرونها عبرَ وسائلِ الإعلامِ، فهؤلاء خابوا وخسروا!

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

(١) **صحيح:** أخرجه البيهقي في «السنن» (٢/ ٦٥٤)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٢)، [«إرواء الغليل» (٢/ ٢٣٦)].
(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٣) **صحيح:** أخرجه مسلم (١٧١٨).



ثانياً: المبتدعُ محرومٌ منَ التوبةِ ما دام مُصِرّاً على بدعته.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَجَبَ التّوبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**»(١).

ثالثاً: المبتدع لا يردُ حوضَ النبيِّ ﷺ يومَ القيامة، ولا يحظى بشفاعتِه، قال ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُم عَلَى الحَوْضِ، لِيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيتُ لأُنَاوِلَهم أُخْتُلِجُوا دُونِي، فأَقُولُ: أَيّ رَبِّ! أَصحَابِي. فيقول: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدكَ**»(٢).

وفي رواية: «**فيُقال إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا بَدّلوا بَعْدَك، فأقول: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»(٣).

رابعاً: المبتدعُ عليهِ إثمُه، وإثمُ مَنْ عملَ ببدعته إلى يوم القيامة.

يقول اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

وقال ﷺ: «... **وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلام سُنّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْه وِزْرُها، وَوِزرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهم شيءٌ**»(٤).

خامساً: المبتدعُ ملعونٌ منَ اللهِ ومنَ الملائكةِ ومن الناسِ أجمعين، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**المَدينةُ حَرمٌ مَا بينَ عائرٍ إلى كذا، مَنْ أَحْدَثَ فيها حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائكةِ والنّاسِ أَجْمَعينَ**»(٥).

---

(١) **صحيح:** أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٨١)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤)].

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧).

(٣) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٤) **صحيح:** أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٥) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).



سادساً: المبتدعُ لا يزدادُ ببدعته منَ اللهِ إلا بعداً، انظروا إلى النبيِّ ﷺ ماذا قالَ في المبتدِعَةِ: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحقِرونَ صَلاَتَكُم مَعَ صَلاتِهم، وصِيَامَكم مَعْ صِيامهم، وعَمَلَكمْ معَ عَملِهم، ويَقرَءُونَ القُرآنَ لا يُجَاوِزُ حَناجِرَهم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كَما يَمْرُقُ السّهمُ مِنَ الرّميةِ**»(١).

وقال أحدُ الصالحين: (ما ازدادَ صاحبُ بدعةٍ اجتهاداً إلا ازدادَ من اللهِ بعداً)(٢).

والبدعةُ شَرٌّ على الفردِ والجماعةِ والأمةِ.

وما نحنُ فيه مِنَ الذلِّ والهوانِ إنما هو بسببِ المعاصي والبدعِ التي ابتدعناها في ديننا، ولذلكَ يجبُ على كُلِّ مسلم أن يَحذَرَ من البدعِ ومن المبتدعةِ، وأن يُحذِّرَ الناسَ من البدعِ والمبتدعةِ، مُبتَغياً بذلكَ وجهَ اللهِ عز وجل.




فتعالَوا بنا لنتعلمَ الصدقَ في إنكارِ البدعِ منْ عبدِالله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، فقد ضربَ لنا مثلاً أعلى في ذلك، كيفَ وهو رضي الله عنه مَنْ قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)(٣).

وهو الذي قال: (الاقتصادُ في السنةِ أحسنُ من الاجتهادِ في البدعةِ)(٤).

ففي يومٍ من الأيامِ جاءَ أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه إلى عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه فقالَ له: يا أبا عبدِالرحمن! إني رأيتُ في المسجدِ آنفاً أمراً أنكرتُه، ولم أرَ والحمدُ

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٩) عن أيوب السختياني.

(٣) **صحيح**: أخرجه الدارمي (٢١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٠٧)، [«كتاب العلم» لزهير بن حرب (٥٤)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الدارمي (٢٢٣)، والحاكم (١/ ١٨٤)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٨)، وابن بطة العكبري في «الإبانة» (١٦١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤١)].



لله إلا خيراً قال: فما هو؟

فقال: إنْ عشتَ فستراه.

قال: رأيتُ في المسجدِ قوماً حِلَقاً جلوساً، ينتظرونَ الصلاةَ، في كُلِّ حلقةٍ رجلٌ، وفي أيديهم حصى، فيقول: كَبِّروا مائةً، فيكبرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة، فَيُهللون مائةً، ويقول: سبِّحوا مائةً، فيسبحونَ مائةً.

قال: فماذا قلتَ لهم؟

قال: ما قلتُ لهم شيئاً انتظارَ رأيِك، أو انتظارَ أمرِك.

قال: أفلا أمرتَهم أن يَعُدُّوا سيئاتِهم، وضمنتَ لهم أن لا يضيعَ من حسناتِهم شيءٌ؟




ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقةً من تلكَ الحِلق، فوقفَ عليهم.

فقال: ما هذا الذي أراكم تصنَعون؟

قالوا: يا أبا عبدالرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ، والتسبيحَ.

قال: فعدّوا سيئاتِكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتِكم شيءٌ.

ويحكم يا أمةَ محمد! ما أسرَع هَلَكَتَكُم!.

هؤلاءِ صحابةُ نَبِيِّكُم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُه لم تَبْلَ، وآنيتُه لم تُكْسَرْ، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملةٍ أهدى منْ ملَّة محمّدٍ، أو مفتتحوا بابَ ضلالة؟!

قالوا: واللهِ يا أبا عبدالرحمن! ما أردْنا إلا الخيرَ.

قال: وكم من مريدٍ للخيرِ لنْ يصيبَه.

إنَّ رسولَ الله ﷺ حدثنا: «**أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لاَ يُجاوِزُ تَراقيَهم، يَمْرُقُونَ**

مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمرُقُ السّهمُ مِنَ الرّميةِ» وايمُ اللهِ ما أدري، لعلَّ أكثرَهم منكم! ثم تولَّى عنهم.

فقال عمرُو بن سَلِمةَ: (فرأينا عامةَ أولئك الحِلَقِ يُطاعنوننا يومَ النهروان معَ الخوارجِ)(١). نعم والله! ما ابتدعَ رجلٌ بدعةً إلا استحلَّ السيفَ.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هذا الموقفِ لابنِ مسعود رضي الله عنه فكثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: أنَّ العملَ لا يُقبَلُ عندَ اللهِ تعالى إلا إذا توفرَ فيه شرطان اثنان:

الشرط الأول: الإخلاصُ لله تبارك وتعالى في العملِ.

الشرط الثاني: موافقةُ السنةِ.

فلا يكفي لقبول العملِ عندَ الله عز وجل الإخلاصُ دونَ موافقةِ السنةِ، بل يجبُ عليكَ يا عبدَ الله عند أيِّ عبادةٍ أن تسألَ نفسك سؤالين:

السؤالُ الأول: لِمَ تعملُ؟ **الجوابُ بصدق**: لله.

والسؤالُ الثاني: كيفَ تعملُ؟ **الجوابُ**: على طريقةِ رسولِ الله ﷺ.

ثانياً: أنَّ البدعةَ سببٌ للهلاكِ، وذلك لأنَّ البدعةَ تقودُ صاحبَها إلى تركِ السنة، وإذا تركَ الإنسانُ السنةَ ضلَّ ضلالاً مبيناً، وما رأينا إنساناً ابتدعَ بدعةً إلا حُرِمَ من السنةِ مثلَها، ولذلك قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لو تركتم سنةَ نبيِّكم لضلَلتم)(٢).

فإياكَ ومصاحبَةَ المبتدعِ، فصحبتُه مُمرِضَةٌ للقلوبِ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الدارمي (٢١٠)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص١٩٨، ١٩٩)، [«الصحيحة» (٢٠٠٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).

ثالثاً: التقليلُ من عظيمِ خطرِ البدعِ يقودُ إلى الفسوقِ والعصيانِ، والخروجِ على جماعةِ المسلمين وإمامِهم، فانظروا إلى المبتدعَة قديماً وحديثاً كيفَ أضرّوا بالأمةِ الإسلامية:

بدعةُ الخوارجِ ماذا فعلَت في الأمةِ يا عبادَ الله؟

بدعةُ المعتزلةِ ماذا فعلَت في الأمةِ يا عبادَ الله؟

بدعةُ الإرجاءِ ماذا فعلَت في الأمةِ يا عبادَ الله؟

بدعةُ التشيع ماذا فعلَت في الأمةِ يا عبادَ الله؟

بدعةُ التحزبِ -البغيضِ الذي فَرَّقَ الأمةَ- ماذا فعلَتْ في الأمةِ يا عبادَ الله؟

ما الذي يمنعُنا الآنَ أن نجتمعَ على رجلٍ واحدٍ، ونحنُ نعبدُ إلهاً واحداً، ونتبعُ رسولاً واحداً، وقرآناً واحداً، فما الذي يمنعُنا أن نتحدَ ونجتمعَ، وأن نقفَ صفاً واحداً؟ إنها البدعُ، إنها المعاصي، وإياك أن تظنَّ يا عبدَ الله أن النصرَ يأتي على يد مبتدعٍ! كلا واللهِ! فعلِّقوا قلوبَكم بالله، واطلبوا النصرَ منَ الله، وما النصرُ إلا من عند الله قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد]

رابعاً: أنَّ النيةَ الحسنةَ لا تجعلُ الباطلَ حقاً.

ولعلَّ الكثيرَ من الناسِ يتقربُ إلى الله بالبدعةِ ويقول: نيتي حسنة! ولهذا نقول إن النيةَ الحسنةَ لا تجعلُ هذا الباطلَ حقاً، ولا هذا العملَ غيرَ المشروع مشروعاً إلا أن يوافقَ السنةَ، فقد قال الله تعالى عن شرّ خلقه: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف].

فلا بُدَّ أن نتعلَم، وأن نعودَ إلى اللهِ، وأن ننصرَ اللهَ في أنفسِنا، فإنْ نَصَرْنا اللهَ في





أنفسنا، نصَرَنا اللهُ على النفسِ الأمّارةِ بالسوءِ وعلى شياطينِ الإنسِ والجنِّ.

فإنَّ أمرَه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له: كن فيكون.

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلَى كِتَابِكَ وَإِلَى سُنّة نَبِيِّكَ رَدّاً جَمِيلاً





٣١

موقفُ إيمانيُ صادقُ في التوبة إلى الله (الرجلُ الذي قتل مائةَ نفسٍ، والمرأةُ التي زَنَتْ)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ، وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الحادي والثلاثين من المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في التوبةِ والرجوعِ إلى اللهِ.

كلُّ ابنِ آدمَ خطاءٌ، فكلٌّ منا يقترفُ الذنوبَ، ولكنْ ما هو المخرجُ؟ قالَ ﷺ: **«كُلُّ ابنِ آدمَ خَطّاءٌ، وخَيرُ الخَطّائينَ التّوابُونَ»**(١).




إنها رحمةٌ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ عظيمةٌ إذْ فتحَ بابَ التوبةِ على مِصْرَاعَيه لمنْ أرادَ أن يتوبَ، وهذا البابُ لا يُغلَقُ حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربِها.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إنَّ من قِبَلِ المَغْرِبِ لَباباً مَسيرةُ عَرْضِهِ أَرْبَعُونَ عامًا، أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً، فَتَحَهُ اللهُ عَزّ وجَلّ للتَّوْبَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، فلاَ يُغْلِقُهُ حَتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ»**(٢).

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: (قالتْ قريشٌ للنبيِّ ﷺ: ادْعُ لنا ربَّك يجعلْ لنا الصَّفا ذَهباً، فإنْ أصبحَ ذهباً اتبعْناك، فدعا ربَّه، فأتاهُ جبريلُ عليه السلام فقال: إنَّ ربَّك يُقرئُكَ السلامَ ويقولُ لكَ: إنْ شئتَ أصبحَ لهم الصَّفا ذهباً، فمنْ كفرَ منهم عذبتُه

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣/ ١٩٨)، والحاكم (٤/ ٢٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)].

(٢) **حسن**: الترمذي (٣٥٣٥)، وأحمد (٤/ ٢٤٠)، وعبدالرزاق (١/ ٢٠٥)، والحميدي (٨٨١)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٥٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٧)].

عذاباً لا أُعذِّبُه أحداً منَ العالمين، وإنْ شئتَ فتحتُ لهمْ بابَ التوبةِ والرحمةِ، قال ﷺ: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ والرَّحْمَةِ»(١).

ويترتبُ على فتحِ بابِ التوبةِ للعبادِ أمورٌ:

أولاً: أمرَ اللهُ عز وجل عبادَه بالتوبةِ النصوحِ.

فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور].

كما حذَّرَ سبحانَه وتعالى عبادَه من تأخيرِ التوبةِ وتسويفِها.

فقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزمر].

فبعدَ أن فتَح اللهُ أمامَنا بابَ التوبةِ، وأمَرنا بالتوبة، وحَذَّرنا منَ التسويفِ والتأخيرِ؛ أخبرَنا ربُّنا في كتابه:

ثانياً: أنه سبحانه وتعالى يقبلُ التوبةَ ممن تابَ إليه.

فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٢٥﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [التوبة].

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٤٢)، والحاكم (١/ ١١٩) والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٥) وعبد بن حُميد (٧٠٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٦١٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٢)].




ثالثاً: أخبرَنا اللهُ عزَّ وجَلَّ في كتابه أنه يغفرُ الذنوبَ جميعاً.

فمن تابَ مِنْ كفره تابَ اللهُ عليهِ، ومن تابَ من شِركهِ تابَ اللهُ عليه، ومنْ تابَ من الزنى تابَ اللهُ عليه، ومنْ تابَ من قطيعةِ الرَّحم تابَ الله عليه، ومَنْ تابَ مِنْ تركِ الصلاةِ تابَ اللهُ عليه، ومَنْ تاب مِنَ الإفطارِ في رمضانَ بغيرِ عذرٍ تابَ اللهُ عليهِ.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقال في الحديثِ القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[1].

وقال أيضاً في الحديثِ القدسيِّ: «**يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يا ابْنَ آدمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبكَ عَنَان السَّماء، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لكَ وَلاَ أُبَالِي، يا ابْنَ آدم، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لقيتَنِي لا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[2].

وقال ﷺ: «**لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمْ السَّماءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ عَلَيْكُمْ**»[3].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٦٧)، والدارمي (٢٧٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩)، وفي «الصغير» (٨٢٠)، [«الصحيحة» (١٢٧)].

(٣) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٨)، [«الصحيحة» (٩٠٣)].



رابعاً: أخبرَ اللهُ عز وجل أنَّ الملائكةَ المقربينَ حملةَ العرشِ يَدْعونَ اللهَ عز وجل بالمغفرةِ للتائبينَ، ودعاءُ الملائكةِ مستجابٌ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر].

خامساً: أخبرَ اللهُ عز وجل أنه يحبُّ التائبين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة].

وإذا أحبَّكَ اللهُ أيها التائبُ فلا يعذِّبُكَ في النارِ أبداً.

وإذا أحبَّكَ اللهُ أيها التائبُ فسيُلقي محبتَك في قلوبِ العبادِ.

وإذا أحبَّكَ اللهُ استجابَ دعاءَك وأعطاك ما تسألُ وتطلبُ.



سادساً: وأخبرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنه يفرحُ بالتائبينَ إذا تابوا إليه.

قال ﷺ: «**لَلَّـهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إليه مِنْ أَحدِكُم كَانَ عَلَى رَاحِلَتِه بِأَرضِ فلاةٍ، فانْفَلَتَتْ مِنه وعَلَيْها طَعَامُهُ وشَرابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّها، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنتْ عَبْدِي وأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**»[1].

وإذا نَظَرْنا في أحوالِ الناسِ -هذهِ الأيامَ، في شهرِ رمضانَ- نرى الكثيرَ منهم جاءوا إلى المساجدِ، ورجَعوا إلى اللهِ، فمنهم مَنْ هو صادقٌ في توبتِه، قد أقلعَ عن الذنوبِ، وندمَ على فعلِها ،وعزَمَ على أن لا يعودَ إلى المعاصي أبداً، في رمضانَ وبعدَ رمضانَ، وقليلٌ ما هم.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٧).



ومن الناسِ مَنْ هو كاذبٌ في توبتِه، جاءَ إلى المسجدِ ولم يُقْلعْ عن الذنبِ، ولم يندمْ على فعلِه، وهو عازمٌ على أن يعودَ إلى الذنبِ بعدَ رمضان، وهذه توبةُ الكذابين، وإلى هؤلاءِ نقولُ: اعلموا أنَّ اللهَ تبارك وتعالى جعلَ الناسَ على قسمين: تائبٌ وظالمٌ.

فالتائبُ الصادقُ في توبتِه معَ اللهِ يتوبُ اللهُ عليه.

والظالمُ هو الكاذبُ في توبتِه، قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

فيا مَنْ ظلمتم أنفسَكم وكَذَبتم في توبتِكم اعلموا أنَّ الموتَ يأتي بغتةً، وأنَّ التوبةَ لا تُقْبَلُ عندَ الموتِ.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[(١)].

ثم اعلموا أنَّ التوبةَ لا تُقبلُ إذا طلعتِ الشمسُ من مغربِها، فمن يضمنُ لكم أنَّ الشمسَ لا تطلعُ غداً من مغربِها؟!

يقول ﷺ: «**إنّ اللهَ عَزَّ وجل يبسُطُ يَدَهُ بِاللّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسيءُ النَّهَارِ، ويبسطُ يدَهُ بِالنّهارِ، لِيَتُوبَ مُسيءُ اللّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[(٢)].

فما الذي يمنعُ تاركَ الصلاةِ من أن يتوبَ؟

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، والحاكم (٤/ ٢٨٦)، [«صحيح الجامع» (١٩٠٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

ما الذي يمنعُ المفطرَ في رمضانَ من غيرِ عذرٍ أن يتوبَ؟

ما الذي يمنعُ آكلَ الربا أن يتوبَ إلى اللهِ عز وجل؟

ما الذي يمنعُ المبتدعَ أن يتوبَ إلى اللهِ، ويلتزمَ بالسنّة؟

ما الذي يمنعُ المتبرجةَ من أن تتوبَ إلى الله؟

ما الذي يمنعُ القاطعَ للرحم أن يتوبَ إلى اللهِ؟

وفي هذهِ الأيام يدورُ الكلامُ في مجالسِنا ونسمعُ الكثيرَ من الناسِ -ممن يصلي وممن لا يصلي، من آكلِ الربا ومن تاركٍ للربا، منَ المتبرجةِ ومن المتحجبةِ- كلُّهم يطالبُ الحكامَ المسلمينَ في كُلِّ مكانٍ أن يقاطعوا اليهودَ وأمريكا؛ نُصرةً لإخواننا في فلسطينَ، وهذا مطلبٌ حقٌّ، يجبُ على حكامِ المسلمينَ أن يقطعوا علاقاتِهم باليهودِ ومَنْ والاهم؛ نُصرةً لإخوانِنا في فلسطين، ولكنْ كما أننا نطالبُ الحكامَ بذلك فالواجبُ أن نطالبَ أنفسَنا بما يلي:

أولاً: عليكَ أيها المودعُ أموالَك في بنوكِ الربا أن تسحبَ أموالَك فوراً من بنوكِ الربا؛ فأنت بوضعِ أموالكَ في بنوكِ الربا تُعَرِّضُ نفسَك والمجتمعَ لعذابِ اللهِ.

ثانياً: على كُلِّ من يسمحُ لزوجته وابنتِه بالتبرجِ أن يُحَجِّبَها فوراً؛ نُصرةً لإخواننا في أرضِ فلسطينَ، وفي كُلِّ مكانٍ.

ثالثاً: يجبُ على كُلِّ من يدعو الأولياءَ من دون الله أو يُنذرُ لهم أو يطلبُ منهم المددَ والشفاعةَ، أن يدعوَ اللهَ وحدَه وينذرَ للهِ وحدَه، مع أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن النَّذْرِ، وقال: «**إنه لا يأتي بخيرٍ، وإنما يُستَخْرَجُ به من البخيلِ**»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٣٩).

رابعاً: ويجبُ على من يفطرُ في رمضانَ بغيرِ عذرٍ أن يتوبَ إلى اللهِ ويصومَ.

خامساً: ويجبُ على كُلِّ مَنْ تركَ الصلاةَ أن يحافظ عليها من الآن.

سادساً: ويجبُ على المبتدعِ أن يتركَ البِدعَ ويعودَ إلى السنةِ.

سادبعاً: ويجبُ على كلِّ متبرجةٍ أن تتحجَّبَ.

ثامناً: يجب علينا جميعاً أن نرجعَ إلى الله، لِمَ؟

لأننا إن تُبنا إلى اللهِ نَصَرْنَا اللهَ في أنفسِنا، وإذا نَصَرْنَا اللهَ في أنفسنا، نَصَرَنَا اللهُ على أعدائنا من الجنِّ والإنسِ، والشبهاتِ والشهواتِ، **فإنَّ** اللهَ عز وجل رَبطَ النصرَ والعزةَ بالإيمانِ والعملِ الصالحِ، وربطَ الذلَّ والهوانَ بالمعاصي.

فيجبُ علينا أن نتوبَ إلى الله من المعاصي، وأن نُقلعَ عنها توبةً إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ونُصْرةً لسنةِ نبيِّه ﷺ.

فإذا تبنا جميعاً إلى اللهِ أنزلَ علينا النصرَ، وهيأ لنا أسبابَه، قالَ تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:١٠].

فتعالَوا بنا لنتعلمَ الصدقَ في التوبةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من هذا الرجلِ الذي قتلَ فأسرفَ في القتلِ، وعصى فأسرفَ في المعاصي، ولم يسجدْ لله سجدةً، ولكنه تابَ إلى اللهِ بصدقٍ فتابَ اللهُ عليه.

يقول ﷺ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأرضِ فدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مَائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبينَ التَّوبَةَ؟! انْطَلِقْ إِلَى أرضِ كَذَا وكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى فاعْبُد اللهَ**




تَعَالَى مَعَهُمْ، ولاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّها أَرْضُ سُوءٍ، فانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الموتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلاَئِكَةُ العَذابِ؛ فقالتْ ملائكةُ الرّحمة: جاءَ تَائِبًا مُقْبلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تعالى، وقالتْ مَلائكةُ العَذابِ: إِنَّهُ لَم يَعْملْ خيرًا قطُّ.

فأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورةِ آدَميٍّ فجعلوهُ بَيْنَهُم» -أي: حكماً- «**فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيّتِهما كانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أدنى إلى الأرضِ التّي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرّحمةِ**»[1].

وفي روايةٍ: «**فكانَ إلى القَريةِ الصّالحةِ أقربَ مِنهَا بِشِبرٍ، فجُعِلَ مِن أهلِها**»[2].

وفي رواية: «**فأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تقرَّبي، وأَوْحَى اللهُ إِلى هَذِهِ أن تَبَاعَدِي، وقال: قيسُوا ما بينَهُما، فوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أقربَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ**»[3].

وفي رواية: «**فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا**»[4].

صدقٌ، إيمانٌ، رجوعٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.



أمَّا أن تقولَ: أَستغفرُ اللهَ، والأموالُ في البنوكِ! وتقولُ: أستغفرُ اللهَ وأنت ترى بأمِّ عينك ابنتَك تخرجُ متبرجةً! تقول: أَستغفرُ الله، وأنتَ تحلقُ لحيتَك! تقول: أستغفرُ اللهَ، ولا تأتي المسجدَ إلا يومَ الجمعة! تقولُ: أستغفرُ الله، وأنت تفطرُ بدونِ عذرٍ في نهارِ رمضانَ!

فتعالَوا بنا يا **عباد الله**! لنتعلمَ الصدقَ في التوبةِ إلى اللهِ منْ هذهِ المرأةِ التي زَنَتْ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ وجاءتْ إلى النبيِّ ﷺ وهي حُبلى من الزنا، فقالت: يا نبيَّ الله! أصبتُ حداً فَأَقِمْهُ عليَّ، فدعا نبيُّ اللهِ ﷺ وليَّها، فقال: «**أَحْسِنْ إِلَيْهَا،**

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٦٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٧٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٧٠).



فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا» ففعلَ، فأمرَ بها نبيُّ اللهِ ﷺ **فَشُكَّتْ** عليها ثيابُها[١]، ثم أَمَرَ بها فرُجِمَت، ثم صَلَّى عليها، فقالَ له عمرُ: تصلي عليها يا نبيَّ الله! وقد زنت؟

قال: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُم، وهَلْ وَجَدْتَ تَوْبةً أفضلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا[٢] للهِ تَعالى؟**»[٣].

وفي هذا دليلٌ على صدقِها.

وهكذَا فتوبوا، ومِنْ هؤلاءِ تعلموا الصدقَ في التوبةِ، والصدقَ في الرجوعِ إلى اللهِ.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هذين الموقفينِ العجيبين فكثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: أنَّ مَنْ تابَ إلى الله عز وجل توبةً نصوحاً تابَ اللهُ عليه.

فهذا الرجلُ بعدَ أن قَتلَ مائةَ نفسٍ تابَ إلى اللهِ عز وجل فتابَ اللهُ عليه.

وهذه المرأةُ التي حَملتْ من الزنى تابتْ إلى اللهِ فتابَ اللهُ عليها.

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

فعليكَ يا عبدَ الله أن تتوبَ إلى اللهِ مهما كانت ذنوبُك، فإنَّ اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً.

---

(١) **فشكت عليها ثيابها**: وفي هذا استحباب جمع أثوابها عليها وشدها، بحيث لا تنكشف عورتها في تقلبها، تكرار اضطرابها.

(٢) **جادت بنفسها**: أي، أخرجت روحها ودفعتها إلى الله.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٩٦).

ثانياً: أن البيئةَ تؤثرُ على الإنسانِ.

فالبيئةُ الصالحةُ تدعوكَ وتدفعُك إلى كُلِّ خيرٍ، والبيئةُ السيئةُ تدعوكَ وتشجعُكَ على كُلِّ شر.

فَمَنْ صاحَبَ التقيَّ قادَه إلى كُلِّ خير.

ومن صاحَبَ الفاجرَ قادَه إلى كُلِّ شرٍّ.

يقول ﷺ: «**إنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسُ السوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ، إمَّا أن يُحْذِيَكَ[1]، وَإمَّا أن تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبًا، وَنَافِخُ الكِيرِ، إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ منهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»[2].

فانظرْ يا عبدَالله! مَنْ هذا الذي تصاحبُه؟

قال ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[3].




ثالثاً: فضلُ العالمِ على العابدِ.

انظرْ إلى هذا العابدِ الذي لا علمَ عندَه، عندما ذهبَ إليه هذا الرجلُ الذي قتلَ تسعةً وتسعينَ نفساً يريدُ أن يتوبَ، أغلقَ هذا العابدُ بجهلِه بابَ التوبةِ أمامَ الرجلِ، فأضرَّ بالرجلِ وأضرَّ بنفسِه، وكان من نتيجةِ ذلك أن قتلَه الرجلُ، وهكذا يقتلُ الجهلُ أصحابَه.

فكم من جاهلٍ يخرجُ بينَ الناسِ في مظهرِ العلماءِ، فيحرّمُ ما أحلَّ اللهُ، ويحلُّ ما حرَّمَ اللهُ، ويتكلمُ في دينِ اللهِ بغيرِ علمٍ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على اقترابِ الساعةِ.

---

(١) **يُحذيك**: يعطيك.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) واللفظ لمسلم.

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٤)، والحاكم (٤/ ١٨٨)، [«صحيح الجامع» (٣٥٤٥)].

أما العالِمُ فعندَما سأله الرجلُ -وقد قتل مائةَ نفسٍ- دلَّه على الخيرِ، ونصحَه بعلمِه وقال له: نعَم، ومن يحولُ بينَك وبينَ التوبةِ؟ ثم أرشدَه إلى ما ينفعُه: أنْ يغَيِّرَ البيئةَ التي كانَ يعيشُ فيها فقال له: «**انْطَلِقْ إِلَى أرضِ كَذا وكَذَا فإِنّ بِهَا أُناسًا يَعْبُدُونَ الله تَعَالَى فاعْبُدِ الله تَعَالَى مَعَهُمْ وَلاَ تَرجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّها أَرضُ سُوءٍ**».

فعليكم بالعلمِ يا عبادَ الله! تعلَّموا علمَ الكتابِ والسنةِ، فبالعلمِ يا أخا الإسلام تُميِّزُ بينَ الإيمانِ والكفرِ.

وَبالعلمِ تفرقُ بين التوحيدِ والشركِ.

وَبالعلمِ تفرقُ بين السنةِ والبدعةِ.

وَبالعلمِ تفرقُ بينَ الحلالِ والحرامِ.

أَسْأَلُ الله العَظِيم رَبّ العَرْشِ العَظِيم أَنْ يَرْزُقَنا عِلْماً نَافِعاً




٣٢

موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في المسارعةِ والتنافسِ على الدارِ الآخرةِ (الصحابةُ رضيَ الله عنهم)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الثاني والثلاثين من المواقفِ الإيمانيةِ .. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في المسارعةِ والتنافسِ على الدارِ الآخرةِ.

إذا نظرنا إلى كثيرٍ منَ الناسِ في هذا الزمان العجيبِ نراهم يتنافسونَ على الدنيا الفانيةِ، ويسارعون إلى جمعِ المالِ من حِلِّهِ ومن غيرِ حِلِّه، في حينِ لا تخطرُ الآخرةُ لهم على بالٍ!

تنافسٌ عجيبٌ في البنيان، في اللباسِ، في المركِبِ، في الوصولِ إلى مناصبِ الدنيا الفانية، وإلى كُلِّ من يتنافسونَ في الدنيا نقول: مهلاً يا عبادَ الله! مهلاً يا أمةَ الإسلام! أَعَلى الدنيا تتنافسون؟!

هذه الدنيا التي وصفَها لنا مَنْ خلقها:

فقال جل وعلا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ -نعم واللهِ يا ربَّنا هذا الذي يَشغَلُنا بالليلِ والنهار!- ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد].

بعد أنْ وصَفَ رَبُّنا جلَّ وعلا لنا الدنيا بهذه الأوصافِ، أمر عبادَه بالتنافسِ



في الآخرةِ ووجَّههم لذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١].

أي: هنا التنافسُ، أي: هنا تجبُ المسارعَةُ! أي: على هذا يكونُ السباقُ.

عن جابرِ بن عبدِالله رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ مرّ بالسوق، داخلاً من بعضِ العاليةِ، والناسُ كَنَفَتَهُ (١) فمرّ بجَدْيٍ أَسَكَّ (٢) مَيِّتٍ، فتناولَه فأخذَ بأُذُنه، ثم قالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فقالوا: ما نحبُّ أنه لنا بشيءٍ، وما نصنعُ به؟ ثم قال: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قالوا: واللهِ لو كانَ حيّاً كان عَيبًا فيه، لأنه أسكُّ، فكيفَ وهو ميتٌ! فقالَ: «**فَواللهِ! لَلدُّنيا أهونُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيكُم**»(٣).

• **مهلاً يا أمةَ الإسلام!** أعلى الدنيا تتنافسونَ وتَنْسَوْنَ الآخرةَ؟ هذا أبو الدرداءِ رضي الله عنه الذي تربى في مدرسةِ محمّدِ بنِ عبدِالله ﷺ جاءَ يوماً إلى بلادِ الشامِ، فوجدَهم يتنافسونَ على حُطامِ الدنيا، فقامَ فيهم خطيباً فقال لهم: (يا أهلَ الشامِ، أنتمُ الإخوانُ في الدينِ، والجيرانُ في الدارِ، والأنصارُ على الأعداءِ، ولكن مالي أراكم لا تَستَحْيون، وتجمعونَ ما لا تأكلونَ، وتبنونَ ما لا تسكنونَ،... إلى أن قالَ لهم: أولئكَ قومُ عادٍ ملئوا ما بينَ عدنَ إلى عُمانَ أموالاً وأولاداً، ثمَّ قال لهم: (مَن يشتري مني تركةَ آل عادٍ بدرهمين)(٤)؟

عادٌ التي لم يخلَقْ مثلها في البلادِ، عادٌ الذين قالوا: مَنْ أشدُّ منا قوةً، أينَ هم؟ أين تركَتُهم؟ فأبو الدرداءِ رضي الله عنه ذكَّرهم أنَّه مهما جمعتم وتنافسْتم في الدنيا فإنها زائلَةٌ، فالدنيا لم تدُمْ لأحدٍ من قَبلِكم ولم يدُمْ لها أحد.



(١) **كنفته**: جانبه.

(٢) **جدي أسك**: أي: صغير الأذنين.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٥٧).

(٤) أخرجه أبو نعيم (١/ ٢١٧، ٢١٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٧٤٠).



ابنَ آدم!

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ ... يبقى الإلـهُ ويفْنَى المالُ والولدُ
لم تغنِ عـنْ هُرمزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قدْ حاولَتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ له ... والأنسُ والجنُ فيما بينها تردُ
أيـنَ الملوكُ التي كانت لعزتِها ... منْ كُلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يَفِدُ
حوضٌ هنالكَ مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ من وِرده يوماً كما وَردوا

• مهلاً يا عبادَ الله! أعلى الدنيا تتنافسون؟!

فالذي يتنافسُ على الدنيا كالذي يبني لنفسِه داراً على موجِ البحرِ، وهل هناكَ عاقلٌ يفعلُ ذلكَ؟!

مَنْ ذا الذي يبني على موجِ البحرِ داراً؟! تلكُمُ الدنيا فلا تتخذوها قراراً.

والدنيا كالدابةِ إن رَكبتَها حَملَتْك، وإن ركِبَتْك قَتلَتْكَ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥].

أيُّ الدارينَ خيرٌ، الدنيا أمِ الآخرةُ؟

العاقلُ يقولُ: الآخرةُ خيرٌ منَ الأولى، ولكن نقولُ: الذي يجيبُ على هذا السؤالِ ربُّنا جل وعلا الذي خلقَ الدارَين الدنيا والآخرة؛ فإنَّ لسانَ حالِنا يقولُ: الدنيا خيرٌ منَ الآخرةِ، وهذا تنافسُنا وتسابقُنا يدلُّ على أننا نقولُ ذلكَ -إلا مَنْ رحمَ ربي-.

واللهُ الذي خلقَ الدنيا والآخرةَ يقول: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ

﴿ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت] أي: الآخرةُ هي الدارُ الباقيةُ.

وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة].

وها نحنُ على التجارةِ عكفنا، وتركْنا الصلاةَ، ومنعْنا الزكاةَ، ثم إلى اللهوِ سارَعنا! وكم من المسلمينَ من سارعَ إلى اللهوِ واللعبِ وتركَ صلاةَ المغربِ والعشاءِ وقيامَ رمضان؟!! أإلى اللهوِ تسارعون؟! إلى أينَ وَصَلْنا يا أمةَ الإسلام؟!

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة].

وقال الله عز وجل: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦].

أي: يفنى، ولكنْ ما عندَ الله في الآخرةِ باقٍ، فالآخرةُ خيرُ من الأولى.

وقال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

وهذا رسولُنا ﷺ يقول: «**مَالِي وَللدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاح وتَرَكَهَا**»[1].

ويقول ﷺ: «**لقَابَ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُب**»[2].

وهل الآخرةُ خيرٌ من الدنيا؟! الجوابُ: نعم؛ لأنَّ الذي أخبرَنا هو اللهُ تعالى،

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١)، والحاكم (٤/ ٣٤٥)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٩٣).

والذي أخبرَنا بذلك أيضاً هو رسولُ الله ﷺ.

فإذا كانَتِ الآخرةُ خيراً وأفضلَ وكانتْ هي الباقيةُ، فالواجبُ علينا أن نسارعَ إليها، ولذلك أمرَ ربُّنا جل وعلا عبادَه أنْ يسارعوا إلى الدارِ الآخرةِ، وإلى الأعمالِ الصالحةِ التي توصلُهم إلى دارِ النعيم.

فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد].

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

وقال تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي! إِنَّما هِيَ أَعْمالُكم أُحصيها لَكُمْ، ثُمّ أُوفيِّكم إيّاها، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فلْيَحْمَدِ اللهَ، ومَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ**»(١).

ويقول ﷺ: «**بَادِرُوا بالأَعْمَالِ فِتنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرّجلُ مُؤمنًا ويُمْسِي كَافراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصبِحُ كَافراً، يَبيعُ دينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(٢).

ويقولُ ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ**(٣) **وَأَحبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٨).

(٣) **المؤمن القوي خير**: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك.




كُلٍّ خَيْرٍ[١]، احْرِصْ عَلى مَا يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ[٢]»[٣].

إنه أمرٌ منَ اللهِ تعالى، وأمرٌ منْ رسولِه ﷺ بالمسارعةِ إلى الدارِ الآخرةِ.

ثم اللهُ عز وجلَّ وصفَ الجنةَ لعباده، وأمرَهم أن يتنافسوا على نعيمِها.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

ولكن وللأسفِ، على أيِّ شيءٍ نحنُ نتنافسُ اليومُ؟!

نتنافسُ على منصبٍ زائلٍ!

نتنافسُ على مالٍ سنتركه خلفَنا!

نتنافسُ في البنيانِ والمراكبِ الفانيةِ!

لقد تنافَسنا في أمورٍ هابطةٍ حقيرةٍ، كُلُّها من حطامِ الدنيا الفانيةِ.

قال تعالى -على لسانِ رجلٍ منْ أهلِ الجنة، وقد رأى ما في الجنةِ من نعيم-: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات].

ولما أمرَ اللهُ عبادَه بالمسارعةِ إلى دارِ النعيمِ والعملِ لها، مَن الذي استجاب؟

الجوابُ: استجابَ أهلُ الإيمانِ الصادقِ فإليها سارَعوا، وفيها تنافسوا.

---

(١) **وفي كل خير**: معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات.

(٢) **لا تَعجز**: لا تكسل عن طلب الطاعة وطلب الاستعانة.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

فوصفَ لنا ربُّنا جلَّ وعلا حالهم، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

أولئكَ يسارعونَ في الخيراتِ، وليسَ إلى مبارياتِ كرةِ القدمِ، ولا إلى دورِ السينما، ولا إلى السهراتِ الحمراء!

وقد ضربَ لنا ﷺ مثلاً أعلى في المسارعةِ إلى فعلِ الخيراتِ، فعن عائشةَ رضي الله عنها: أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقومُ من الليلِ حتى تَتَفطَّرَ[1] قدماه، فقالت عائشةُ: لم تصنعُ هذا يا رسولَ اللهِ وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدمَ من ذنبكَ وما تأخَّرَ؟

قال ﷺ: «**أفلا أُحبُّ أنْ أكونَ عَبْدًا شَكُورًا**»[2].

وقد ربَّى النبيُّ ﷺ أصحابَه على ذلك.

فتعالَوا بنا يا عبادَ الله! لنتعلمَ الصدقَ في المسارعةِ إلى فعلِ الخيراتِ، والتنافسِ على الدارِ الآخرةِ من صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ الذين ضربوا لنا مثلاً أعلى في ذلك،



(١) **تتفطر**: أي تتشقق.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) مختصراً.



وفي كُلِّ المجالاتِ، نذكرُ من ذلك:

أولاً: الإنفاقُ في سبيلِ الله:

انظروا إلى المسارعة:

١- عن المنذرِ بنِ جريرٍ قالَ: كنا عندَ رسولِ الله ﷺ في صدرِ النهارِ، قال: فجاءَه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتَابي(١) النِّمار أو العَبَاء(٢)، مُتقلِّدي السيوف، عامتُّهم من مُضر، بل كلُّهم من مضر، فَتَمَعَّر(٣) وجهُ رسولِ الله ﷺ لِـمَا رأى بهم من الفاقة، فدخلَ ثم خرجَ، فأمرَ بلالاً فأذَّن وأقامَ فصلى ثم خطَبَ فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، والآيةُ التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨] **تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهُ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، من صاعِ تَمْرِه** -حتى قال:- **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».



قال: فجاءَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ بصُرّةٍ كادت كفُّهُ تعجَز عنها، بل قد عَجزَت، قال: ثم تتابعَ الناسُ، حتى رأيتُ كومَين من طعامٍ وثيابٍ، حتى رأيتُ وجْهَ رسولِ الله ﷺ يَتَهَلَّلُ، كأنه مُذْهَبةٌ(٤). فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسْلَامِ سُنّةً حَسَنَةً فلَهُ أَجْرُهَا وأَجرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، من غيرِ أن يَنقُصَ مِنْ أُجُورِهم شيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسلامِ سُنّةً سيّئةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُها ووِزْرُ**

(١) يقال: اجتبت القميص أي: دخلت فيها، والنمار: جمع نمر: هي ثياب صوف فيها تنمير كأنها أخذت من لون النمر؛ لما فيها من السواد والبياض. أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف، ومجتابي النمار، أي: خارقي أوساطها.

(٢) **العباء**: جمع عباءة وعباية لغتان: نوع من الأكيسة.

(٣) **فتمعر**: أي تغير.

(٤) **مُذهبة**: معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه. أو شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها إثر بعض.



مَن عَمِلَ بها مِن بعده، من غيرِ أن يَنقُصَ من أوزْارِهم شيء»[1].

٢- وهذا الفاروقُ عمرُ يحاولُ أن يسابقَ أبا بكر ويتنافسَ معَه في الإنفاقِ في سبيلِ الله.

يقولُ عمرُ رضي الله عنه: (أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نتصدقَ، فوافقَ ذلك عندي مالاً. فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكر إنْ سبقتُهُ يوماً. قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**».

فقلتُ: مثلَه.

وأتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عندَه -أي: بكلِّ مالِه-.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا أَبا بكرٍ! مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**».

قلت -أي: أبو بكرٍ-: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَه.

قال عمرُ: لا أسبقُه إلى شيءٍ أبداً)[2].




فما بالُكم يا معشرَ الأغنياءِ إذا أخرجَ الواحدُ منكم شيئاً من مالِه في سبيلِ اللهِ فكأنما اقتطعَ جُزءاً من جسِده؟!

يا معشرَ الأغنياءِ! تعلَّموا من أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه الذي جاءَ بكلِّ مالِه، ومن عمرَ رضي الله عنه الذي جاءَ بنصفِ ماله!

ومن يسبقُ أبا بكرٍ رضي الله عنه الذي جلسَ يوماً عندَ رسولِ الله ﷺ مع الصحابةِ فسألَ النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُم اليومَ صَائِماً**» قال أبو بكرٍ: أنا.

قال: «**فَمَن تَبِعَ منكُمُ اليومَ جَنازةً**»؟ قال أبو بكرٍ: أنا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والحاكم (١/ ٥٧٤)، والدارمي (١٧٠١)، [«مشكاة المصابيح» (٦٠٣٠)].

قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا**» قال أبو بكرٍ: أنا.

قال: «**فَمَنْ عَادَ منكُمُ اليومَ مريضاً**،» قال أبو بَكرٍ: أنا.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[1].

تنافسٌ عجيبٌ على الأعمالِ الصالحةِ وعلى الدارِ الآخرةِ.

ثانياً: التنافسُ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وطلبِ الشهادة.

١- عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخَذَ سيفاً يومَ أُحُدٍ، فقال: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**» فَبَسَطُوا أيديَهم، كلُّ إنسانٍ منهم يقول: أنا، أنا -الشاهدُ: انظرْ إلى هذا التنافسِ!-

قال ﷺ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّه**»؟ فَأحجَمَ القومُ -أي: توقفوا- فقال سِماكُ بن خَرَشَةَ، أبو دُجانة رضي الله عنه: أنا آخُذُهُ بحقه، قال فأخَذَهُ، فَفَلَقَ به هَامَ المشركين[2]- أي: شقَّ رؤوسَهم-.

٢- وهذا عمرو بنُ الجَموحِ رضي الله عنه، كان أعرجَ شديدَ العرجِ، وكان له أربعةُ أبناءَ شبانَ يغزونَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ، فلما توجَّه إلى أُحدٍ أراد أن يخرجَ معه، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لكَ رخصةً، فلو قَعدْتَ ونحنُ نكفيكَ، وقد وضعَ اللهُ عنك الجهادَ.

فأتى عمرُو رسولَ اللهِ ﷺ فقال: إن بَنيَّ هؤلاء يمنعونني أنْ أجاهدَ معَك، وواللهِ إني لأرجو أن أُستشهَدَ فأطأَ بعَرْجتي هذهِ في الجنة!!

فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**أمّا أَنْتَ فَقَدْ وُضِعَ عَنْكَ الجِهَاد**» وقال لبنيه: «**وَما عَلَيكُم أن تَدَعُوه لعلَّ اللهَ عزّ وجلّ أنْ يَرزُقَهُ الشّهَادةَ**».

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٢٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٧٠).

فخرجَ معَ رسولِ الله ﷺ فقُتلَ يومَ أحدٍ شهيداً[١].

هؤلاءِ همُ الرجالُ الذين فتحوا الدنيا من مشرقِها إلى مغربِها، ونشروا التوحيدَ والسنةَ.

ثالثاً: في التنافسِ في عبادةِ الله، وفي ذكرِ اللهِ والحرصِ على العملِ الصالحِ.

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن فقراءَ المهاجرينَ أتَوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا: قد ذهبَ أهلُ الدثور[٢] بالدرجاتِ العُلى[٣]، والنعيم المقيم، فقال: «**ومَا ذَاكَ**»؟ قالوا: يُصَلُّون كما نُصلي، ويصومونَ كما نصومُ ويتصدقون ولا نتصدقُ، ويُعتقونَ ولا نُعتقُ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُم، وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُم؟**».



قالوا: بلى يا رسولَ الله!

قال: «**تُسَبِّحُونَ وتُكَبِّرُونَ وتَحْمَدون في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثلاثاً وثَلاثينَ مَرّةً**».

فرجعَ فقراءُ المهاجرينَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ. فقالوا: سمعَ إخوانُنا أهلُ الأموالِ بما فعلنا، ففعلوا مثلَه؟

فقال ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاء**»[٤].

رابعاً: تنافسٌ آخرُ عجيبٌ وهو تنافسٌ في لُبْسِ الحجابِ.

١ – تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (يرحمُ اللهُ نساءَ المهاجرينَ الأُوَلَ، لَـمَّا أنزلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ

---

(١) **حسن**: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٤٢)، [«فقه السيرة للغزالي» (ص٢٦٦، ٢٦٧)].

(٢) **الدثور**: واحدها دثر، وهو المال الكثير.

(٣) قيل: الباء للتعدية أي أذهبوها وأزالوها، وقيل: للمصاحبة، فيكون المعنى: استصحبوها معهم ولم يتركوا لنا شيئاً.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥) واللفظ لمسلم.



﴿بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فاختَمَرْنَ بها)[١].

كلُّ النساءِ، ما تخلفتْ منهنَّ امرأةٌ واحدةٌ، لم تقلْ واحدةٌ منهن ما تقولُه نساؤُنا: حتى أقتنعَ! حتى أُفكِّرَ! حتى أتعوَّدَ على الحجابِ! لا، إنه صدقُ التنافسِ على فعلِ الخيراتِ، إنه تنافسٌ على لُبس الحجابِ، تنافسٌ على سترِ هذا الجسدِ.

أما الحالُ عندَ نسائِنا الآن -إلا من رحمَ ربي-، فهو تنافسٌ في التبرجِ، تنافسٌ في السفورِ، لقد ذهبَ الحياءُ وتبعَه الإيمانُ؛ فإنَّ الحياءَ والإيمانَ قرينان، والمرأةُ إذا تخلَّت عن الحياءِ والإيمانِ فُتحَت لها أبوابُ الشرِّ كلِّها.

وإنَّ بعدَ هذه الدارِ الدنيا دارَ الآخرةِ ففي ذلك فليتنافسِ المتنافسونَ.

يا أخا الإسلام! مَن نافسكَ في الآخرةِ فنافِسْه، ومَن نافَسَك في الدنيا فادْفَعْها إليه.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخَذُ من هذه المواقفِ فكثيرةٌ جداً، منها على سبيلِ المثالِ:

أولاً: أيها العاقلُ، أيها الصادقُ في إيمانِك، هذا موسمٌ من مواسمِ التنافسِ وهو شهرُ رمضانَ فلا تهمِلْه ولا تُضَيِّعْه.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

فهذا رسولُ اللهِ ﷺ الذي غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّر، ومع ذلك قامَ الليلَ حتى تفطَّرتْ قدماه[٢].

يقولُ ابنُ عباس رضي الله عنهما: (كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ، وكان يلقاه في كُلِّ ليلة من رمضانَ، فيدارسُه

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٥٨).

(٢) إشارة إلى حديث عند البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

القرآنَ، فلَرَسولُ اللهِ ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المُرسَلَة)(١).

ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (ما سُئِلَ النبيُّ ﷺ على شيءٍ قَطُّ فقال: **لا**)(٢).

وتقولُ عائشةُ رضي الله عنها قالتْ: (كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا دخلَ العشرُ أحيا الليلَ، وأيقظَ أهلَه، وجدَّ، وشدَّ المِئْزَرَ(٣))(٤).

و(كان ﷺ له قصعةٌ يقالُ لها الغراءُ، يحملُها أربعةُ رجالٍ يُطْعِمُ فيها الأصحابَ والجيرانَ وسائرَ المؤمنين(٥).

فهذا شهرُ رمضانَ: صيامٌ، قرآنٌ، قيامٌ، إنفاقٌ على الفقراءِ والمساكينِ، وفي مثلِ هذا فتنافسوا يا عبادَ الله!

تشبهوا بالصحابةِ، وأخرِجوا من مالِ اللهِ الذي بين أيديكم، أَدْخِلوا السرورَ على قلوبِ الفقراءِ والمساكينِ، فهذا مالُ اللهِ أعطاه اللهُ لكم، وأمرَكم أن تعطوهم منه ابتلاءً وامتحاناً منَ الله عز وجل لكم، فمن تصدّقَ فقد نجحَ في الابتلاء، ومَن بَخِلَ ومَنعَ فقد خَسِرَ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد].

ثانياً: نقولُ للذين يتنافسونَ في الدنيا ونَسُوا الآخرةَ: ستندمون يومَ القيامة، وأنتمُ الخاسرون.

ونقول للذين يتنافسونَ على الآخرةِ وأخذوا من الدنيا ما يستعينونَ به على الآخرةِ: أَبشروا بخيرِ الدنيا والآخرة.



قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) **معناه**: التشمير في العبادات، وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء. والمئزر بكسر الميم هو الإزار.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤) واللفظ لمسلم.

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٧٧٣)، [«صحيح الجامع» (٤٨٣٣)].



وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

ويقول ﷺ: «**مَنْ كَانَت الآخِرةُ هَمَّه، جَعلَ الله غناهُ في قَلبِه، وجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيا وَهِيَ رَاغمةٌ، ومَنْ كَانَت الدُّنْيا هَمَّهُ، جَعَلَ الله فَقرَهُ بَينَ عَيْنَيْهِ، وفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، ولَمْ يَأْتِه مِنَ الدُّنْيا إلاَّ ما قُدِّرَ لَهُ**»[1].

ثالثاً: نقولُ: يا عبدَالله، يا مسلمُ، إذا ذهب العمرُ، وانقضَتِ الأيامُ، ونزلَ بساحتِك الموتُ، -والموتُ يأتي بغتةً- فمتى تتنافسُ على الدارِ الآخرة، ومتى تعملُ صالحاً؟

هل إذا جاءك الموتُ ستقول: ربِّ ارجعونِ لعلي أعملُ صالحاً فيما تركت؟! ليقال لك: كلا.

ابنَ آدم!

نسيرُ إلى الآجالِ في كُلِّ لَحْظَةٍ	وأيَامُنا تُطوَى وهُنَّ مَراحِلُ
وَلَمْ أرَ مِثْلَ الموتِ حَقاً كأنَّهُ	إذَا مَا تَخَطَّتهُ الأمَانيُّ بَاطِلُ
وَمَا أَقْبَحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبَا	فَكَيْفَ بِهِ والشيبُ للرَّأْسِ شَاعِلُ
ترحّلْ مِنَ الدُّنْيا بزادٍ مِنَ التّقَى	فعُمرُكَ أيّامٌ وهُنَّ قَلائِلُ

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمينَ إلَى دِينكَ رَدّاً جَميلاً، اللَّهُمَّ انْصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِنَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، وابن ماجه (٤١٠٥)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، والدارمي (٢٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٦٦)، [«صحيح الجامع» (٦٥١٠)].

٣٣

موقفُ إيمانيٌّ صادقٌ في التصدقِ على الفقراءِ والمساكينِ

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ، وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاء الله تعالى- مع الموقفِ الثالثِ والثلاثين من هذهِ المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في التصدُّقِ على الفقراءِ والمساكينِ.

١- تَصَدَّقوا مما أعطاكُم الله، فإنَّ الصدقَة لها شأنٌ عظيمٌ يومَ القيامة، يومَ يخرجُ الناسُ من قبورِهم حفاةً عراةً غُرْلاً، والحرُّ شديدٌ، والزحامُ شديدٌ، وثمَّ وُضِعَتِ الموازينُ ونزلَ الربُّ تبارك وتعالى لمحاسبةِ العبادِ ليجزيَ الذين أَساءوا بما عملوا ويجزيَ الذينَ أحسنوا بالحسنى.

ابنَ آدم!

مَثِّلْ وقوفَك يومَ العرضِ عُريانا ... مستوحشاً قلقَ الأحشاءِ حيرانا

والنارُ تلهَبُ من غيظٍ ومن حَنقٍ ... على العُصاةِ وربُّ العرشِ غضبانا

اقرأ كتابَك يا عبدِي على مَهَلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا

لما قرأتَ ولم تنكرْ قراءتَه ... إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عِرفانا

نادى الجليلُ خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنارِ عطشانا

المجرمونَ غداً في النارِ يلتهبوا ... والمؤمنونَ في دارِ الخلدِ سُكانا

في هذا الموقفِ الرهيبِ، وفي هذا اليوم الشديدِ، الصدقةُ لها شأنٌ عظيمٌ، فالمتصدقُ يكونُ في ظِلِّ صدقَتِه يومَ القيامةِ، حتى يقضيَ اللهُ بينَ العبادِ.

يقول ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ»[(١)].

وقال ﷺ: «إِنَّ ظِلَّ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ صَدَقَتُهُ»[(٢)].

٢- تصدَّقوا يا عبادَ الله مما رزقكُمُ الله؛ فإنَّ المتصدقَ على الفقراءِ والمساكينِ يكونُ يومَ القيامةِ في ظلِّ عرشِ الرحمن، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّهُ.

يقول ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالى فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» -وهذا هو الشاهد- «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[(٣)].

٣- تصدَّقوا يا عبادَ الله مما رزقَكُمُ الله؛ فإنَّ الصدقةَ تُدَّخَرُ لكمْ عندَ الله، فيُنَمِّيها لكم، ويُرَبيها بيمينِه حتى تصبحَ كالجبلِ.

• يقول ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ -وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطيبَ- فإِنَّ اللهَ يَتقَبَّلُها بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبِه كَما يُرَبِّي أَحدُكُمْ فَلُوَّهُ**[(٤)]، **حَتَّى تكونَ مِثْلَ الجبلِ**»[(٥)].

ما عندَكم ينفدُ وما عندَ اللهِ باقٍ فتصدَّقوا.

وقد أخبرَنا اللهُ في كتابه أنه سبحانه وتعالى يقبلُ الصدقاتِ.



(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان (٣٢٩٩)، والحاكم (١/ ٥٧٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٣)، [«صحيح الجامع» (٤٥١٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٣)، وابن خزيمة (٢٤٣٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٨٣٦)، [«هداية الرواة» (١٨٦٧)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٤) فلوّه: قال أهل اللغة: الفلو: المهر، سُمي بذلك لأنه فلي عن أمه أي: فصل وعزل.

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).



فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٤- تصدَّقوا يا عبادَ الله مما رزقكمُ الله؛ فإنَّ الصدقةَ سببٌ لمغفرةِ الذنوبِ، وَتحصيلِ الأجرِ العظيمِ من الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى أن قال ربُّنا جل وعلا: ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ -أي: المتصدقين من الرجال والمتصدقات من النساء- ماذا أعددتَ لهم يا ربَّنا: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد].

٥- تصدَّقوا يا عبادَ الله مما رزقكمُ الله؛ فإنَّ الصدقَةَ تُطهِّرُ النفسَ والمالَ.

• قال ربُّنا -سبحانه وتعالى-: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]

٦- تصدقوا يا عبادَ الله مما رزقكُمُ الله؛ فإنَّ المالَ الذي بين أيديكم يزيدُ بالصدقةِ.

• يقول ﷺ: «**ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنِ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ...**»(١) الحديث.

• يقول ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه إلاّ مَلَكان يَنْزِلانِ، فَيَقولُ أحدُهما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا، ويقُولُ الآخر: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٢).

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٤١)، [«صحيح الجامع» (٣٠٢٤)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).




• واللهُ عز وجل يقولُ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾ [سبأ].

مَنْ يتصدقُ منكم يا عبادَ اللهِ على الفقراءِ والمساكينِ مخلصاً نيتَه للهِ عز وجل، فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى يُخْلِفُ عليه، مَنْ كانَ منكمْ من المتصدقينِ يعلمُ ذلك جيداً ويلمَسُه.

٧- تصدَّقوا يا عبادَ الله! فإنَّ الصدقةَ تطفئ ُغضبَ الربِّ.

• قال ﷺ: «**صَدَقَةُ السرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الربِّ، وصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ في العُمُرُ، وفَعلُ المَعروفِ يَقِي مَصَارِعَ السُوءِ**»[1].

٨- تصدَّقوا يا عبادَ الله، مما رزقكُم الله؛ فإنَّ الصدقةَ تطفئُ الخطيئةَ.

• يقول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟** » قال: بلى يا رسول الله! قال: «**الصَوْمُ جُنَّةٌ، وَالصدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النّار**»[2].




٩- تصدَّقوا يا عبادَ الله مما رزقكمُ الله؛ فإنَّ الصدقةَ تُطفئُ عن أهلها حرَّ القبور.

• يقول ﷺ: «**إنَّ الصَدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ القُبورِ، وَإِنَّما يَسْتَظِلُّ المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِه**»[3].

١٠- تصدقوا يا عبادَ الله! فإن الصدقةَ تُنجي من عذابِ النارِ.

• قال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَه وبَيْنَهُ تُرْجُمان،**

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٤٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٩٤٣)، والقضاعي (١٠٢)، [«صحيح الجامع» (٣٧٦٠)].

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، والحاكم (٢/ ٤٤٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٦٨)].

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣٣٤٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧٣)].

فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُر بَينَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» وفي روايةٍ: «**وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[1].

ويقول ﷺ: «**اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَابًا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[2].

وبهذا يتبينُ لنا أنَّ الصدقةَ فضلُها عظيمٌ، وأجرُها كبيرٌ، من أجلِ ذلكَ جاءَ الأمرُ بالصدقةِ في الكتابِ والسنة.

فالله عز وجل يقول: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

ويقول تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [النور: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾ [الحديد].



وقال رسولُ الله ﷺ: «**تَصَدَّقُوا قَبْلَ أَنْ لا تَصدَّقوا..**»[3].

ولقد أمرَ النبيُّ ﷺ أصحابَه بالتصدقِ مما يملكونَ، حتى إنه أمرَهم أن يتصدَّقوا ولو بشقِّ تمرة.

فيا عبدَ الله تذكرْ أنَّ اليومَ حياةٌ، وغداً موتٌ، فإن لم تتصدقِ الآنَ أتتصدقُ بعد أنْ تُحملَ على الأعناقِ إلى المقابرِ؟!!

تصدَّقْ يا عبدَ الله قبل أن تلاقيَ فتناً كقطعِ الليلِ المظلمِ، فتصابَ في هذه الفتنِ بالبخلِ الشديدِ، فيمنعُك بخلُك حينَها أن تتصدقَ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**تَصَدَّقُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُل بِصَدَقَتِهِ**

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) واللفظ لمسلم.

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٠٣)، [«الصحيحة» (٨٩٧)].

(٣) **صحيح**: وهو جزء من حديث أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٣٢٠)، في «السنن» (٤/ ٢٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٣٠)، [«صحيح الجامع» (١٣٥٤)].



فلاَ يجِدُ مَنْ يَقْبَلُها، يقولُ الرّجلُ: لَوْ جِئْتَ بِها بالأَمْسِ لَقَبلْتُها، فَأَمَّا اليَوْمَ فَلا حَاجَةَ لِي بِهَا»[١].

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجار! إِنَّ هَذَا البيعَ يَحْضُره اللَّغوُ والحَلْفُ فشَوِّبُوهُ**[٢] **بالصَدَقةِ**»[٣].

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ النّساءِ! تَصدّقْن وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنَّكُنّ أَكْثرَ أهلِ جَهنّم يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٤].

والصدقةُ قسمان: فرضٌ، ونافلة.

فالفرضُ كالزكاةِ، فقد أمرَ اللهُ تباركَ وتعالى بإخراجِها، وحذَّرَ من منعِها، وهي تشمَلُ زكاةَ المالِ والأنعامِ والزروعِ...إلخ.

قال تعالى محذِّراً من منع الزكاةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

يفسرُ لنا ذلكَ النبيُّ ﷺ فيقولُ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضّةٍ لا يُؤدي مِنْهَا حقَّهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ**[٥] **فأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١).

(٢) **فشوبوه**: أي: اخلطوه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٣٢٦)، والنسائي (٣٧٩٧)، وابن ماجه (٢١٤٥)، وأحمد (٤/ ٦)، والحاكم (٢/ ٥)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٤٣٦)، [صحيح الجامع» (٧٩٧٤)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٦٣٥)، وأحمد (١/ ٤٢٥)، وابن حبان (٤٢٣٤)، والحاكم (٢/ ٢٠٧)، وأبو يعلى (٥١٤٤)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨١)].

(٥) **صفحت له صفائح**: الصفائح جمع صفيحة وهي العريضة من الحديد وغيره، أي: جعلت كنوزه الذهبية والفضية كأمثال الألواح.

جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وجَبِينُهُ، وظَهْرُهُ، كُلَّمَا رُدَّتْ أُعِيدَتْ لَه، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وإِمَّا إِلَى النَارِ»[١].

أيها الغنيُّ المانعُ للزكاةِ، أتقدِرُ على هذا العذابِ؟

ويقولُ ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مالاً فلَمْ يُؤدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجاعاً أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطوِّقُهُ يومَ القِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهزِمَتَيْهِ** -يعني بشِدْقَيه- **يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ!**» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى آخر الآية[٢].

وقال ﷺ: «**مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي النَّارِ**»[٣].

وقال ﷺ: «**مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلاَّ ابْتَلاَهُمُ اللهُ بِالسِّنِين**»[٤] أي: بالفقر والجدب.





وقال ﷺ: «**وَلاَ مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلاَّ حَبَسَ اللهُ عَنْهُمْ القَطْرَ**»[٥] -أي: المطر-.

فتعالَوا بنا لنتعلمَ الصدقَ في إخراج الصدقةِ من هذا الرجلِ الطيبِ، الذي لم يكن له همٌّ إلا أن يتصدَّقَ، وأن يُخرِجَ الصدقةَ، وبنيَّتِه الصحيحةِ الصادقةِ قَبِلَ اللهُ منه صدقَتَهُ، وانتفعَ مَنْ أخذها منه.

١- يقولُ ﷺ: «**قالَ رجلٌ: لأَتَصدَّقَنَّ بِصَدَقةٍ، فَخَرجَ بصَدَقَتِه فَوضَعَهَا فِي يدِ زَانِيَةٍ، فأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ الليلةَ عَلَى زَانِيةٍ قال: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ! عَلَى زَانِيةٍ؟ لأَتصدقَنَّ بِصَدَقَةٍ.**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٨٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٥٦٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الصغير» (٩٣٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٢)].

(٤) **صحيح لغيره**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٧٨٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

(٥) **صحيح لغيره**: أخرجه الحاكم (٢/ ١٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣٣١٢)، وفي «السنن» (٣/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِه فَوَضَعَها في يد غَنِيّ، فأَصْبَحُوا يتَحَدّثون: تُصُدِّقَ على غَنِيٍّ؛ قالَ: اللّهمّ لكَ الحمدُ! على غَنيّ؟ لأَتصدَّقَنَّ بِصَدَقةٍ فَخَرجَ بِصَدقتهِ، فَوَضَعها في يدِ سارقٍ، فأصبَحُوا يتحدّثونَ: تُصُدّقَ على سارقٍ، فقال: اللّهُمّ لكَ الحمدُ! على زانيةٍ، وعلى غَنِيٍّ وعلَى سَارِقٍ؟ فأُتِيَ فقيل له: أمَّا صَدَقَتُك فقد قُبِلَتْ، أمّا الزانيَةُ، فلعَلّها تسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الغَنيَّ يعتَبِرُ فيُنْفِقُ مِمّا أَعْطَاهُ الله، ولعَلّ السارقَ يَسْتعِفُّ بها عن سرقتِه»[1].

إنه الإيمانُ يدفعُ أصحابَه إلى كلِّ خيرٍ.

وإليكم خبرَ متصدقٍ مخلصٍ آخر:

٢- قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بفلاةٍ مِنَ الأرض فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَن، فَتَنَحّى[2] ذَلِكَ السَّحابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ[3]، فَإِذَا شَرْجَةٌ[4] من تِلكَ الشِّرَاجِ قَد اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّه، فَتَتَبَّعَ الماءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ في حَدِيقَتِه يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فقال له: يَا عَبدَ الله! مَا اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ، للاسم الَّذِي سَمِعَ في السَّحَابَةِ[5]، فقال له: يَا عَبْدَ الله! لِمَ سَأَلتَني عَنِ اسْمِي؟ قال: إِنِّي سَمِعتُ صَوتاً في السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُه يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، لاسْمِكَ، فَما تَصْنَعُ فِيها؟!

قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِه، وَآكُلُ أَنَا

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، واللفظ لمسلم.

(٢) فتنحى ذلك السحاب: قصد يقال: تنحيت الشيء، وانتحيته ونحوته إذا قصدته، ومنه سمي علم النحو لأنه قصد كلام العرب.

(٣) **حرة**: الحرة أرض بها حجارة سود كثيرة.

(٤) **شرجة**: جمعها شراج وهي مسايل الماء في الحرار.

(٥) **بمسحاته**: قال في القاموس: سحا الطين يسحيه ويسحوه ويسحاه سحواً قشره وجرفه، والمسحاة ما سحي به.





وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيها ثُلُثَهُ»[١].

انظروا عبادَ الله، أمرٌ منَ اللهِ عز وجل للسحابِ: اسقِ حديقةَ فلانٍ منْ دونِ الناسِ، فَمَنْ منا يا أمةَ الإسلام -مثلاً- يملكُ محلاً تجارياً، أو مصنعاً فأعطاه الله تباركَ وتعالى مثلاً ربحاً ثلاثمائةِ ألفٍ فقال: هذه مائةُ ألفٍ للفقراءِ والمساكينِ، وهذه مائةُ ألفٍ لي ولأولادي، وهذه مائةُ ألفٍ تعودُ على المصنعِ وعلى تجارتي مرةً ثانيةً؟؟ مَنْ منا يفعلُ ذلك؟

وإذا نظَرنا إلى كثيرٍ منَ المسلمين في هذا الزمانِ وجدناهم حتى لا يُخرجونَ الزكاةَ التي فُرِضَتْ عليهم -إلَّا مَنْ رَحمَ رَبي-.

٣- وبعدُ، فهذا موقفُ صحابيٍّ كريمِ النفسِ إنه أبو طلحةَ الأنصاريُّ الذي كانَ من أغنياءِ الأنصارِ في المدينة، فعن أنسِ بن مالكٍ ﵁ قال: (كانَ أبو طلحةَ أكثرَ الأنصارِ بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكان أحبَّ أموالِه إليه بيرحاءُ، وكانت مستقبلةَ المسجدِ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يدخلُها ويشربُ من ماءٍ فيها طيبٍ. قال أنسٌ: فلما أُنزِلَتْ هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيرُحاءُ، وإنها صدقةٌ لله أرجو بِرَّها وذُخْرَها عندَ اللهِ، فَضَعْها يا رسولَ الله حيثُ أراكَ اللهُ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«بَخٍ، ذلكَ مالٌ رابِحٌ، ذَلك مالٌ رابحٌ، وقد سَمِعْتُ مَا قُلتَ، وَإِنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبِين»**.

فقال أبو طلحةَ: أَفعلُ يا رسولَ اللهِ! فقسَّمَها أبو طلحةَ في أقاربِه وبني عَمِّه)[٢].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

أما الدروسُ والعبرُ التي تُؤخَذُ من هذهِ المواقفِ، فمنها:

١- الإخلاصُ في التصدقِ هو سرُّ قبولِها عندَ اللهِ عز وجل.

فانظروا إلى هذا الرجلِ الذي قالَ: لأتصدَقَنَّ هذهِ الليلةَ فتصدقَ على زانية، وعلى غنيٍّ، وعلى سارقٍ، فتقبَّلَ اللهُ منه صدقتَه، وانتفعَ الذين أخذوا الصدقةَ، كلُّ ذلكَ ببركةِ الإخلاصِ في إخراجِ الصدقةِ، فتصدَّقوا يا عبادَ اللهِ! للهِ، لا رياءَ ولا سُمعةَ.

٢- صدقةُ السّرّ فيها خيرٌ كثيرٌ.

• فهذا الرجلُ الذي قالَ: لأتصَدَّقَنَّ الليلةَ، لم يكن يعلمُ به أحدٌ، لولا أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَنا بما أخبرَه اللهُ مما كانَ منْ أَمرِ هذا الرجلِ.

• وهذا الرجلُ الذي كانَ يُخرجُ ثُلُثَ ثمارِ بستانه صدقةً للفقراءِ والمساكينِ، لم يكن يعلمُ بعملِه ذلكَ أحدٌ، فاعلمْ يا أخي أنَّ إخفاءَ الصدقةِ سببُ في حصولِ البركةِ، وسببٌ في قبولِ الصدقة.

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

٣- عدمُ المنِّ بالصدقةِ على الفقراء.

فلا تقلْ: فعلتُ، ولا تقلْ: تصدقتُ، اجعلْ ذلكَ بينك وبين الله تباركَ وتعالى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ومنَ الأهميةِ بمكانٍ أن نذكِّرَ أيضاً بزكاةِ الفطرِ، فاسمعوا وعوا:

١- **أما زكاةُ الفطرِ**: هي ما يُخرجُه المسلمُ في نهايةِ شهرِ رمضانَ وقبلَ صلاةِ العيد، وحكْمُها: أنَها فريضةٌ واجبةٌ على كُلِّ مسلمٍ غنياً كان أو فقيراً، ذكراً أو أنثى،

حراً أو عبداً.

لحديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: (فرضَ رسولُ اللهِ ﷺ زكاةَ الفطرِ صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعيرٍ، على العبدِ والحرِّ، والذكرِ والأنثى، والصغيرِ والكبيرِ منَ المسلمين، وأمرَ أن تُؤدى قبلَ خروجِ الناسِ إلى الصلاةِ)[١].

٢- **حكمتُها**: طهرةً للصائمِ من اللغوِ والرفثِ، وطعمةً للمساكينِ لحديثِ ابنِ عباس رضي الله عنه[٢].

٣- **وقتُها**: تُخرَجُ في نهايةِ رمضانَ وقبلَ صلاةِ العيدِ، فمنْ أخرجَها قبلَ صلاةِ العيدِ فهي زكاةٌ، ومَنْ أخرجَها بعدَ صلاةِ العيدِ فهي صدقةٌ من الصدقاتِ.

فعنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: (أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَ بزكاةِ الفطرِ أن تُؤدَّى قبلَ خروجِ الناسِ إلى الصلاةِ)[٣].

٤- **مقدارُها**: يقولُ أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: (كنا نُخْرِجُ زكاةَ الفطرِ صاعاً من طعامٍ، أو صاعاً من شعيرٍ، أو صاعاً من تمرٍ، أو صاعاً من أَقِطٍ[٤]، أو صاعاً من زبيبٍ)[٥].

وأَجمعَ الفقهاءُ على أنه لا بدَّ للمسلم أن يُخرِجَ صدقةَ الفطرِ طعاماً، وأنَّ القيمةَ لا تُجزِئُ، إلا عندَ الإمامِ أبي حنيفةَ -رحمهُ اللهُ- فإنه قالَ: تُجزِئُ القيمةُ.

والصوابُ مع جمهورِ: العلماءِ أنَّ زكاةَ الفطرِ لا تجزئُ إلا طعاماً، لأنَّ الرسولَ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤) و(٩٨٦).

(٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والدارقطني (٢٠٦٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٨٥)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥٠٩)، ومسلم (٩٨٦) واللفظ لمسلم.

(٤) **أقط**: وهو لبنٌ مجفف يابس مستحجر يطبخ به.

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

ﷺ فرضَها صاعاً مِن طعامٍ، معَ وجودِ النقدَين والحاجةِ إليهما.

والطعامُ الذي بينَنا الآنَ هو الأَرُز.

والصاعُ يعدِلُ كيلَوين تقريباً من الأرز.

فعلى المسلمِ أن يتقيَ اللهَ، وأن يلتزمَ بأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأن يخرجَ زكاةَ الفطرِ عن نفسِه، وعن كُلِّ مَنْ تلزَمُه النفقةُ عليهِ في بيتِه، يُخرجُ ذلكَ في نهايةِ رمضانَ؛ طهرةً له من اللغوِ والرفثِ، وطعمةً للمساكينِ.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وَارْزُقْنَا اتّبَاعَهُ وَأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ





٣٤

موقفُ إيمانيٌ صادق في الحرص على دخول الجنة (الصحابة رضي الله عنهم)

عبادَ الله! هذهِ مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ، وعظاتٌ، وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقف الرابع والثلاثين من المواقف الإيمانية.. أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌ صادقٌ في الحرصِ على دخولِ الجنةِ.



١- الجنةُ دارُ المتقينَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].



وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

٢- الجنةُ دارُ المحسنينَ، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ -أي في الدنيا- ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن].

٣- الجنةُ دارُ المؤمنينَ الصالحينَ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

٤- الجنةُ دارُ المصلين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون].

فهنيئاً لمَنْ حافظَ على الصلاةِ وأداها في وقتها جماعةً، والويلُ لمن ضَيَّعَ الصلاةَ، وَتركَها وتهاونَ فيها.

٥- الجنةُ دارُ الصائمين، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ في الجَنّةِ بَابًا يُقالُ لَهُ الرّيّان، يَدْخُلُ مِنْهُ الصّائِمُونَ يومَ القِيامَة، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غيْرُهُمْ، يُقالُ: أيْنَ الصّائمُون؟ فيَقُومُونَ لاَ يدْخُل مِنْهُ أَحَدٌ غيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**»[١].

فهنيئاً لمن صامَ رمضانَ، والويْلُ لمن أفطرَ رمضانَ بدونِ عذرٍ شرعيٍّ، لقد خابَ وخسرَ.



٦- الجنةُ دارُ السلام، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

٧- الجنةُ دارُ النعيم المقيم، مَنْ دخلَها لا يخرجُ منها أبداً، قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨ ﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ ﴾ [الدخان].

وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٣٣ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥ ﴾ [فاطر].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

٨- الجنةُ دارُ الأمنِ والأمانِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر].

أبوابُ الجنةِ يا عبادَ الله مفتوحةٌ للمتقين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص].

زوَّارُ أهلِ الجنةِ هم ملائكةُ الرحمنِ، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

٩- الجنةُ دارُ الخلودِ، مَنْ دخلَها لا يموتُ أبداً، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان].

وقال تعالى -على لسانِ أهلِ الجنةِ-: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات].

ويقول ﷺ: **«يُنَادِي مُنَادٍ: إنّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكُمْ أن تَنْعَمُوا فلاَ تبْأَسُوا أَبَدًا»**(١).

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

١٠- الجنةُ دارٌ لا غِلَّ فيها ولا حسدَ ولا ضغينةَ، قالَ اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف: ٤٢، ٤٣].

ولقد وصفَ اللهُ عزَّ وجلَّ الجنةَ في كتابِهِ لعباده، وبعدَ أن وصفَها قال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾ [الإنسان].

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**قالَ اللهُ: أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**»[1].




ورسولُنا ﷺ وصفَ الجنةَ لأمته أيضاً:

قال الصحابةُ يوماً: يا رسولَ اللهِ حَدِّثْنا عن الجنةِ، ما بناؤُها؟

فقال لهم ﷺ: «**لَبِنَةٌ ذَهَبٌ، ولبِنَةٌ فضّةٌ، مِلاَطُها**[2] **المِسْكُ، حَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزعْفرانُ، مَنْ يَدْخُلُها ينعَمُ ولاَ يَبْأَسُ، ويَخْلُدُ ولاَ يَمُوتُ، لاَ تُبْلَى ثِيَابُهُ، ولا يَفْنَى شَبَابُهُ**»[3].

أمةَ الإسلام! وهذهِ الجنةُ التي وصفَها اللهُ عز وجل لعبادِه حفَّها الله عزَّ وجلَّ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) **الملاط**: بكسر الميم: هو الطين الذي يجعل بين سافي البناء، يعني أن الطين الذي يجعل بين لَبِن الذهب والفضة وفي الحائط مسك.

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٥)، والترمذي (٢٥٢٦)، والطيالسي (٢٧٠٦)، وابن حبان (٧٣٤٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧١٠١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧١١)].

بالمكاره ثم دعا عباده إليها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس].

بل أمرَ عبادَه أن يسارعوا إليها، فقال تعالى: **﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾** [آل عمران: ١٣٣].

• ورسولُنا ﷺ بعد أن وصفَ الجنةَ لأمته دَلَّهم على الأعمالِ الصالحةِ التي توصِلُهم إلى رضا اللهِ والجنةِ،

فقال ﷺ: «**يا أيُّها النّاسُ! أَفْشُوا السَّلاَمَ، وأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وصَلُّوا بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ**»[1].

لقد كانَ الصحابةُ رضي الله عنهم مِنْ أحرصِ الناسِ على معرفةِ الأعمالِ الصالحةِ التي توصِلُهم إلى رضا اللهِ والجنةِ، فلما سمعوا عن الجنةِ ما سمعوا في كتابِ ربِّهم، وعلى لسانِ نبيِّهم ﷺ، أخذوا يسارعونَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، كُلٌّ يسألُ عنِ العملِ الصالحِ الذي يُدْخِلُه الجنةَ ويباعدُه عنَ النارِ.



١- فهذا معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه يقول: يا رسولَ الله! أخبرني بعمل يدخلُني الجنةَ، ويباعدُني من النارِ، قال ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَني عَنْ عظِيم، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْه: تَعْبدُ اللهَ، ولاَ تُشرِكُ بِهِ شَيئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِي الزّكاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحجُّ البَيْتَ**».

قال: «**أَلاَ أَدلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصدَقةُ تُطفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصلاةُ الرّجلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**» قال: ثم تلا: **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾** حتى بلغ **﴿يَعۡمَلُونَ﴾**، ثم قالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرأْسِ الأَمْرِ وعَمُودِهِ**

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والدارمي (١٥٠١)، [«صحيح الجامع» (٧٨٦٥)].

وَذِرْوَةِ سنامِهِ؟» قلت: بلى يا رسولَ الله! قالَ: «رأسُ الأمْرِ الإسْلامُ، وعَمُودُهُ الصّلاةُ، وذِرْوَةُ سِنامِهِ الجِهَادُ» **ثم قال:** «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلكَ كُلِّه!**».

قلت: بلى يا نبيَّ الله، فأخذ بلسانِه، وقالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**».

فقلت: يا نبيَّ الله! وإنا لمؤاخَذون بما نتكلمُ به؟

فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعاذُ! وَهَلَ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم أوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتَهُم؟**»(١).

٢- يقولُ أبو هريرةَ ﵁ جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ إذا عملتُه دخلْتُ الجنةَ.

قال: «**تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيئاً، وَتُقيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضانَ**».

قال: والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا.

فلما ولّى، قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فلينْظُرْ إِلَى هَذَا**»(٢).

ومن شهدَ له النبيُّ ﷺ بالجنة فهو من أهلِ الجنةِ، أمَّا مَنْ لم يشهدْ له النبيُّ ﷺ بالجنة أو النارِ، فلا يجوزُ لنا الحكمُ عليه بإحداهُما؛ فإنه لا يعلمُ خاتِمةَ العبادِ إلا اللهُ.

فتعالَوا بنا نتعلمُ الصدقَ في الحرصِ على دخولِ الجنة من الصحابةِ ﵃، فقد ضربوا لنا مثلاً أعلى في ذلك:

١- يقولُ عطاءُ بنُ أبي رباحٍ ﵁: (قال لي ابنُ عباسٍ ﵄:

ألا أُرِيكَ امرأةً من أهلِ الجنةِ؟ قلتُ: بلى.

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«الإرواء» (٤١٣)].
(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).



قال: هذه المرأةُ السوداءُ، أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: إني أُصرَعُ وإني أتكشفُ، فادعُ الله لي.

قال: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّة، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فقالت: أصبر.

فقالت: إني أتكشفُ، فادعُ الله لي أن لا أتكشفَ، فدعا لها)[(١)].

أتدرون لم صَبَرَتْ هذه المرأةُ يا عبادَ الله؟ إنه الحرصُ على دخولِ الجنةِ.

لو أنَّ امرأةً من نسائِنا في هذا الزمانِ مكانَ هذه المرأةِ لذهبَت إلى المشعوذين والسحرةِ والكهنةِ، وتراها -وبكُلِّ جراْةٍ تقول كما يقولُ غيرُها مِنَ المرضى-: الغريقُ يتعَلَّقُ بقشة!! فَلْيُعْلَمْ أنَّ الغريقَ لا يجوزُ له أن يتعلقَ إلا باللهِ وحدَه؛ معَ الأخذِ بأسبابِ النجاةِ والشفاءِ المشروعة.



فهذا يونسُ عليه السلام وهو في جوفِ الحوتِ، وفي بطنِ البحرِ، وفي ظلمةِ الليلِ، هل تعلَّق بقشةٍ أم أنه عليه السلام دعا ربَّه وتعلَّقَ بالله وحدَه؟!

فيا أيها المريضُ! خذْ بالأسبابِ المشروعةِ، وتعلمْ منْ هذه المرأةِ السوداءِ التي خيّرها رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أن تصبرَ ولها الجنةُ، وبين أن يدعوَ لها، فقالت: أصبرُ يا رسولَ الله! الشاهدُ.. حرصُ المرأةِ على الجنةِ.

ولكنها قالت: يا رسولَ اللهِ إني أتكشفُ فادعُ اللهَ أن لا أتكشفَ، فدعا لها.

اللهُ أكبرُ يا أمةَ الإسلام! امرأةٌ مريضةٌ بالصَّرَعِ تتكشفُ عندما ينزلُ بها الصَّرَعُ، من غيرِ إرادتِها، لكنْ لِما عندَها من الحياءِ لا تريدُ أنَ تتكشفَ حتى وهي مريضةٌ، فما بالنا نذهبُ بنسائِنا إلى الكهنةِ والعرافينَ، فَيُدْخِلُ الكاهنُ هذه المرأةَ في غرفةٍ مظلمةٍ ويكشفُ عن جسدِها، ويفعلُ بها ما لا يعلَمُه إلا اللهُ، وَزوجُها في الغرفةِ الأخرى

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).



ينتظرُ حتى تخرجَ إليه!! وكلُّ امرأةٍ ذهبَت إلى المشعوذين تعرفُ ذلكَ جيداً، ولكنها لا تتجرأُ أن تتكلمَ بما حدثَ معها خوفاً من أهلِها.

وأما هذه المرأةُ المريضةُ بالصَّرعِ فلقد كان عندَها من الحياءِ ما دفعها أن تقولَ: يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن لا أتكشفَ! فهي تستحي أن تتكشفَ حتى في حالِ مرضِها، ونساؤنا يتكشَّفْنَ ويَعْرِضْنَ أجسادَهُن في الأسواقِ بدونِ مرضٍ، بل وهُنَّ في كاملِ صحتِهن وزينتِهن! فإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

٢- وفي بدر،عندما دنا المشركونَ من المسلمين قال ﷺ لأصحابه: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**». فقال عُميرُ بنُ الحُمَامِ الأنصاريُّ رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ! جنةٌ عرضُها السمواتُ والأرضُ؟

قال ﷺ: «**نَعَمْ**».

فقال عُمير: بَخٍ بَخٍ[1].

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما يَحْمِلُك عَلى قولِكَ بَخٍ بَخٍ؟**».

قال عميرُ: لا، واللهِ! يا رسولَ الله إلا رجاءةَ أن أكونَ منْ أهلِها، قال ﷺ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**».

فأخرجَ تُمَيراتٍ من قَرَنِه[2] فجعلَ يأكلُ منهن ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكلَ تمراتي هذه، إنها لحياةٌ طويلةٌ، فرمى بما كان معه من التمرِ، ثم قاتلَ حتى قُتل[3]. إنه الحرصُ على الجنةِ!

٣- وهذه أمُّ حارثةَ بنِ سراقةَ، أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت:

---

(١) **بخ بخ**: فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منوناً. وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه.

(٢) **قرنه**: أي جعبة النشاب.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٠١).



يا نبيَّ اللهِ ألا تحدثُني عن حارثةَ -وكان قُتِلَ يومَ بدرٍ، أصابَه سهمٌ غَرْبٌ[١]- فإنْ كانَ في الجنةِ صَبَرْتُ، وإن كانَ غيرَ ذلكَ اجتهدتُ عليهِ في البكاءِ، فقالَ ﷺ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّها جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**»[٢].

إنه حرصُ هذا الابنِ على دخولِ الجنةِ الذي دفعه لأنْ يموتَ شهيداً يومَ بدرٍ!!

وتأملوا حرصَ الأمِّ على دخولِ ابنِها الجنةَ!!

إنه الإيمانُ جعلَهم يحرِصون بصدقٍ على الفوزِ بالجنةِ.

٤- وهذا أنسُ بنُ النَّضرِ رضي الله عنه في غزوةِ أحدٍ تقدمَ لقتالِ المشركينَ فاستقبلَه سعدُ ابنُ معاذٍ رضي الله عنه، فقالَ: يا سعدُ بنَ معاذٍ، الجنةُ وربِّ النَّضرِ! إني أجدُ ريحَها مِنْ دونِ أحدٍ.

قال سعدٌ: فما استطعتُ يا رسولَ اللهِ ما صنعَ!

قال أنسٌ: فوجدنا به بضعاً وثمانينَ ضربةً بالسيفِ، أو طعنةً برمحٍ، أو رميةً بسهمٍ، ووجدناه قد قُتِل، وقد مَثَّل به المشركون، فما عرفهُ أحدٌ إلا أختُه ببنَانه.

يقولُ أنسٌ: كنا نرى أنَّ هذهِ الآيةَ نزلَت فيه وفي أشباهِه: ﴿**مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب:٢٣] إلى آخر الآية[٣].

٥- وهذا ربيعةُ بنُ كعبٍ الأسلميُّ يقولُ: كنتُ أَبيتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ فآتيه بِوَضوئِه وحاجتِه.

فقال لي: «**سَلْ**».

---

(١) **سهم غَرْب**: أي: لا يُعرف راميه.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).



فقلت: أسألُكَ مرافقتكَ في الجنةِ.

قال ﷺ: «**أَوَ غيرَ ذَلِكَ**»؟

قلتُ: هو ذاك.

قال ﷺ: «**فأَعِنِّي عَلَى نَفْسكَ بِكَثْرَةِ السّجُودِ**»[1].

انظروا إلى هذا الرجلِ الفقيهِ الحريصِ على الجنةِ، يقولُ له ﷺ: سلني، فيقول: أسألُك مرافقَتك في الجنةِ.

لو خرجَ علينا رسولُ اللهِ الآنَ، وجلسَ معَ أحدنا ثم قالَ له سلني؟ فماذا سيكونُ الردُّ؟ أخشى أن لا نسألَه إلَّا مالاً، أو جاهاً وسُلطاناً، أو عَقاراً، فإن حبَّ الدنيا ملأَ قلوبَنا، فلأجلِها نحيا ولأجلِها نموتُ، -إلا من رحمَ ربي- ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ تعالى.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ مِنْ هذهِ المواقفِ فكثيرةٌ جداً، نذكرُ منها على سبيلِ المثالِ:

أولاً: المؤمنُ حريصٌ على دخولِ الجنةِ.

فيا أيها الغنيُّ! احرِصْ على دخولِ الجنةِ، ويا أيها الفقيرُ احرِصْ على دخولِ الجنةِ، أيها القويُّ احرِصْ على دخولِ الجنةِ، أَيها الضعيفُ احرِصْ على دخولِ الجنة، أيها الموظفُ الكبيرُ احرِصْ على دخولِ الجنةِ، أيها الموظفُ الصغيرُ احرِصْ على دخول الجنةِ، لأنه مَنْ دخلَ الجنةَ فقدْ فازَ.

قال تعالى: ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥**﴾ [آل عمران].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٩).

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [الحشر].

ثانياً: علينا أن نحرِصَ على الأعمالِ الصالحةِ التي توصِلُنا إلى الجنةِ.

فمنْ حافظَ على الصيامِ في رمضانَ، فلا يَحْرِمُ نفسَه من صيامِ النافلةِ بعدَ رمضانَ.

ومن كانَ حافظَ على القيامِ في رمضانَ، فلا يحرمْ نفسَه من قيامِ الليلِ بعدَ رمضانَ.

ومن كانَ حافظَ على الإنفاقِ في رمضانَ، فلا يحرمْ نفسَه من الإنفاقِ بعدَ رمضانَ.

ومن كانَ حافظَ على الصلاةِ في المسجدِ جماعةً في رمضانَ، فلا يحرمْ نفسَه ويتركْ صلاةَ الجماعةِ بعدَ رمضانَ.

فهؤلاءِ الصحابةُ -كما سمعتم- كانوا من أحرصِ الناسِ على معرفةِ الأعمالِ الصالحةِ التي توصِلُهم إلى رضا اللهِ والجنةِ، فإذا علموها عملوا بها.

ثالثاً: علينا أن نصبرَ على المكارِه.

لأنَّ اللهَ تباركَ وتعالى -لحكمتِه البالغةِ- عندما خلقَ هذا النعيمَ في هذه الجنةِ حفَّها بالمكارِه، فلا يدخلُها إلا المؤمنون الصادقونَ العاملونَ لها، وهؤلاءِ هُمُ الذين يصبرونَ على المكارِه في سبيلِ الوصولِ إلى رضا اللهِ والجنةِ.

وتأملوا يا عبادَ الله حالَ هذه المرأةِ السوداءِ التي صَبَرَتْ على شدةِ المرضِ لتفوزَ بالجنةِ.

وتقديمُهُما لأنفسِهما في سبيلِ اللهِ؛ حرصاً منهما على الفوزِ بالجنةِ؛ أمُّ حارثةَ




التي صبَرت على موتِ ابنِها وفراقِه، لأنه قدْ فازَ بالجنةِ.

ولا تنسَوا موقفَ عُميرِ بنِ الحُمام رضي الله عنه، وأنسِ بنِ النَّضرِ رضي الله عنه.

صبروا على تقديمِ أرواحِهم رخيصةً في سبيلِ اللهِ ليفوزوا بالجنة

فلا بدَّ أن نصبرَ على المكارِه لنفوزَ بجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ





٣٥

موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الحياءِ

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعِظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الخامسِ والثلاثينَ منَ المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه **موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الحياءِ.**




١- الحياءُ منَ الإيمانِ: يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما قال: مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ على رجلٍ من الأنصارِ -وهو يعظُ أخاه في الحياءِ- فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإيمانِ**»[(١)]. أي: لا تُنكرْ عليه حياءَه.

٢- الحياءُ شعبةٌ من شُعبِ الإيمان: قال ﷺ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ** -أوْ بِضْعٌ وستون- **شُعْبَةً فأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ**»[(٢)].

ويقولُ ﷺ: «**الحَيَاءُ والعَيُّ**[(٣)] **شُعْبَتَانِ مِنَ الإيمانِ والبَذاءُ**[(٤)] **والبيَانُ**[(٥)] **شُعْبَتَانِ من النِّفَاقِ**»[(٦)].

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٩)، مختصراً ومسلم (٣٥) واللفظ لمسلم.

(٣) **العي:** أي: قلة الكلام.

(٤) **البذاء:** أي: الفحش في الكلام.

(٥) **البيان:** أي: كثرة الكلام.

(٦) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٠٢٧)، وأحمد (٥/ ٢٦٩)، والحاكم (١/ ٥١) وابن الجعد (٢٩٤٩)، والروياني (١٢٦٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٢٩)].

٣- الحياءُ قرينُ الإيمانِ: فإذا وُجِدَ الإيمانُ وُجدَ الحياءُ، وإذا ذهبَ الإيمانُ ذهبَ الحياءُ.

قال ﷺ: «**الحَيَاءُ والإيمانُ قُرَنَاءُ جَميعاً، فإِذَا رُفِعَ أَحدُهُمَا رُفِعَ الآخرُ**»(١).

٤- الحياءُ من دينِ الإسلامِ، بل هو الدينُ كُلُّه، وهو خُلُقُ الإسلامِ:

يقول رجلٌ كنا عندَ النبيِّ ﷺ فَذُكِرَ عنده الحياءُ، فقالوا:

يا رسولَ اللهِ! الحياءُ منَ الدينِ؟

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ الدّينُ كَلُّهُ**»(٢).

وفي حديثٍ آخرَ قالَ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ دينٍ خُلُقًا، وإنّ خُلُقَ الإسلامِ الحَيَاءُ**»(٣).

٥- الحياءُ ما وُجدَ في شيءٍ، ولا في رجلٍ، ولا في امرأةٍ إلا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانه: يقول ﷺ: «**مَا كَانَ الفُحْشُ في شَيءٍ إلاَّ شانَهُ، ومَا كانَ الحَيَاءُ فِي شَيءٍ إلاَّ زَانَهُ**»(٤).

٦- الحياءُ يقودُ صاحبَه إلى الجنة: قال ﷺ: «**الحَيَاءُ مِنَ الإيمانِ، وَالإيمانُ في الجَنّةِ، والبَذَاءُ(٥) مِن الجفَاءِ، والجَفاءُ في النّارِ**»(٦).




---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٣)، الحاكم (١/ ٧٣)، وأبو نعيم (٤/ ٣٢٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٦)].

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٩، ٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧١١)، وفي «السنن» (١٠/ ١٩٤، ١٩٥)، وأبو نعيم (٣/ ١٤٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٠)].

(٣) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧١٤)، [«صحيح الجامع» (٢١٤٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، وأحمد (٣/ ١٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠١)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٥)].

(٥) **البذاء**: كالمباذأة: المفاحشة. والجفاء: ضد البر.

(٦) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٠٠٩)، وابن ماجه (٤١٨٤)، وأحمد (٢/ ٥٠١) وابن حبان (٦٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٢٨)].

٧- **الحياءُ خلقٌ كَريمٌ يحبُّه اللهُ تباركَ وتعالى:** قال رسولَ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزّ وجَلّ حَيِّيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ**»(١).

٨- **الحياءُ يمنعُ صاحبَه من الفعلِ القبيح ومنَ القولِ القبيح:** فهذا أبو سفيانَ قبلَ إسلامِه عندما وقفَ أمامَ هرقلَ ليسألَه عن النبيِّ ﷺ قال الصدقَ، ومنعَه الحياءُ منَ الكذبِ حتى أنه قال: (فواللهِ لولا الحياءُ مِنْ أن يَأثِروا عليَّ كذباً لكذَبْتُ عنه)(٢).

أمَّا إذا نُزِعَ الحياءُ منَ الرجلِ أو المرأةِ فإنك ترى هذا الإنسانَ يفعلُ ما يشاءُ ويقولُ ما يشاءُ، كما قالَ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»(٣).




فإذا رأيتَ امرأةً تفعلُ ما يَندى له الجبينُ، فاعلمْ أنَّ ذلكَ إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أنَّ الحياءَ قد رُفِعَ منها وتبعَهُ الإيمانُ، فالمرأةُ إذا لم يكن عندَها حياءٌ ولا إيمانٌ فإنك تجدُها لا تستحي منَ الناسِ، ولا تستحي منَ اللهِ.

والحياءُ شرعاً هو: خلقٌ كريمٌ يمنعُ صاحبَه من فعلِ القبيحِ وقولِ القبيحِ، ومنَ التقصيرِ في حقِّ اللهِ، وحقِّ عبادِ اللهِ.

ولقد قسَّمَ العلماءُ الحياءَ إلى قسمين:

القسمُ الأولُ: الحياءُ منَ اللهِ.

القسم الثاني: الحياءُ منَ الناسِ.

أما الحياءُ منَ الناسِ فمن صورِه بيننا حياءُ الولَدِ من والدِه، والمرأةِ من

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦)، والبيهقي في «السنن» (١/ ٣٠٥، ٣٠٦)، [«إرواء الغليل» (٢٣٣٥)].

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، انظر القصة هناك كاملة.

(٣) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٣٤٨٤).



زوجها، والجاهلِ منَ العالِم، والصغيرِ من الكبيرِ، وحياءُ البكرِ من الإفصاح بالرغبةِ في النكاحِ، تقول عائشةُ رضي الله عنها: يا رسولَ الله! إنَّ البكرَ تَسْتَحيي، فقال صلى الله عليه وسلم: «**رِضَاهَا صَمْتُهَا**»(١).

فالفتاةُ ذاتُ الحياءِ إذا عُرِضَ عليها الزواجُ منْ إنسان فإنها تستحيي أن تتكلَّم، ويعرفُ الناسُ علامَة موافَقَتِها من صمتِها، فالحياءُ يمنعُها أن تُفصحَ بالكلامِ عن رغبتِها في النكاحِ.

أينَ الحياءُ يا أمةَ الإسلامِ؟!

فأينَ الحياءُ في بناتِنا، أينَ الحياءُ في نسائِنا؟

إني لأرى الحياءَ قد ذهبَ من نسائِنا، فلا حياءَ عندهُنَّ منَ الناسِ، ولا حياءَ منَ الله -إلا مَنْ رحمَ اللهُ-.




وأما الحياءُ منَ اللهِ فالكثيرُ منَ الناسِ لا يعرفونه، وكثيرٌ من الناسِ لا يستحيي منَ اللهِ!!، وقد بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأمته كيفَ يكونُ الحياءُ منَ الله.

يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**» قال: قلنا يا نبيَّ الله! إنا لَنستحيي والحمدُ للهِ، قال: «**لَيْسَ ذَلِكَ، وَلكنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقّ الحَيَاءِ، أَنْ تحفَظَ الرّأْسَ ومَا وَعَى، وتَحْفَظَ البَطْنَ ومَا حَوَى**(٢)**، وتَذْكُرَ المَوْتَ وَالبِلَى، ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**»(٣).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥١٣٧).

(٢) **تحفظ البطن وما حوى**: يعني: ما وضع فيه من طعام وشراب حتى يكونا من حلِّهما

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (٤/ ٣٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٤)].

فالنبيُّ ﷺ يخبرُنا في هذا الحديثِ أنَّ الحياءَ منَ اللهِ يكونُ بأُمورٍ:

أولاً: «أن تحفظَ الرأسَ وما وعى».

١- وهي أن تحفظَ الرأسَ منْ أن تسجدَ لغيرِ الله، لأنَّ السجودَ لغيرِ اللهِ حرامٌ.

قال ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»[1].

٢- أن تحفظَ الرأسَ منْ أن تتكبرَ على عبادِ اللهِ، فالتكبرُ على عبادِ اللهِ حرامٌ، قالَ ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ كِبْرٍ**»[2].

٣- أن تحفظَ كذلكَ هذا البصرَ مِنْ أن ينظرَ إلى النساءِ الكاسياتِ العارياتِ المنتشراتِ في الشوارعِ، قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ**﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].

وعن جريرِ بنِ عبدِالله قالَ: (سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن نَظْرَةِ الفُجَاءةِ[3]، فأمرَني أن أصرفَ بصري)[4].

٤- أن تحفظَ هذا اللسانَ من الغيبةِ والنميمةِ، والكذبِ، وشهادةِ الزور، والغناءِ، والفُحْشِ في القولِ والبَذاءَةِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لمعاذٍ رضي الله عنه: «**تكُفُّ**

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، والحاكم (٤/ ١٩٠)، والدارمي (١٤٦٤)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٤٧٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٤٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١).

(٣) **الفُجَاءة**: بضم الفاء وبالهمزة بعد الألف، ويقال: بفتح الفاء وسكون الجيم والقصر، وهي البغتة.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٥٩).

عَلَيْكَ هَذَا»[١].

وقال -للرجلِ الذي طلبَ منه أن يبينَ له طريقَ النجاةِ-: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُك، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِك**»[٢].

٥- أن تحفظَ هذا السمعَ مِنْ أن يُصغيَ إلى الغيبةِ والنميمةِ والغناءِ والموسيقى؛ فاللهُ سائلُك عن سمعِك يومَ القيامةِ، يقول ﷺ: «**كُتِبَ عَلَى ابن آدمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى، مُدركٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَة، فَالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذلكَ الفَرْجُ ويكَذِّبُهُ**»[٣].

٦- ومِنْ حفظِ الرأسِ عندَ الرجلِ بشكلٍ خاصٍّ أن لا يحلِقَ الرجلُ لحيتَه، لأنَّ حلقَ اللحيةِ حرامٌ، فالأئمةُ الأربعةُ أجمعوا على أنَّ حلقَ اللحيةِ حرامٌ، والحالقُ للحيَتِهِ مُغيِّرٌ لخلقِ اللهِ، ومتشبهٌ بالنساءِ، ومستجيبٌ ومطيعٌ للشيطانِ الذي قال: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩].

٧- ومنْ حياءِ المرأةِ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ أن تحفظَ الرأسَ وما وعى أيضاً فتحفظُ وجهَها من النَّمْصِ -لأنَّ النمصَ حرامٌ- حتى ولو أمرَها زوجُها بذلك فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ، فعَنْ عبدِالله قال: (لعنَ اللهُ الواشماتِ والمستوشماتِ، والنامصاتِ والمتنمصاتِ، والمتفلجاتِ للحُسنِ المغيراتِ خلقَ الله)[٤].




(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٤)].

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ لمسلم.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥) واللفظ لمسلم.



ثانياً: «وأن تحفظَ البطنَ وما حوى».

• احفْظ بطَنك منَ الحرامِ، فآكلُ الربا الذي يملأُ بطنَه من الحرامِ لا يستحيي منَ الله.

• المرتشي الذي يملأُ بطنَه من الحرام لا يستحيي منَ الله.

• الذي يَغُشُّ في تجارته وعملِه ويأكلُ الحرامَ هوَ وأولاده، لا يستحيي من الله.

وقوله ﷺ: «**ومَا حَوَى**» يشمل: الفرجَ، فعليكَ يا عبدَ الله أن تحفظَ فرجَكَ من الزنى.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمنْ لَهُ الجَنّة**»[1].



وعليكَ أيضاً أن تحفظَ رِجْلَيك منْ أن تسيرَ إلى ما لا يحبُّه اللهُ.

وعلى المرأةِ أنْ تحفظَ جسمَها من التبرج والسُّفورِ والعُريِ -الذي نراه في أيامِنا هذه، في أيامِ العيدِ، وكأنه قد جاءَ خبرٌ منَ الله يأذنُ للنساءِ بالتبرجِ والعُري في أيامِ العيدِ!!

ما الذي أصابَنا يا أمةَ الإسلام؟

ألا نستحيي من الناسَ؟!! ألا نستحيي منَ الله.

ثالثاً: من الحياء أن تتذكرَ الموتَ، ومن قلةِ الحياءِ أن تنسى الموتَ، كيف تنسى الموتَ وأنتَ ملاقيه، وهو نازلٌ بك في أَيّةِ لحظة، وقد أحسنَ مَنْ قال:



نسيرُ إلى الآجالِ في كُلِّ لَحْظَةٍ ... وأَيامُنا تُطْوَى وهُنّ مراحِلُ

ولم أرَ مثلَ الموتِ حَقّا كأنهُ ... إِذَا مَا تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٦٤٧٤).

وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا فكيفَ بِهِ والشيبُ للرأسِ شاعلُ
ترحَّلْ من الدُّنيا بزادٍ من التُّقَى فعُمْرُكَ أيَّامٌ وهُنَّ قلائلُ

رابعاً: ومنَ الحياءِ أن تعملَ للآخرةِ، فلا يكونُ لكَ همٌّ إلا الآخرةَ؛ لأن الآخرةَ هي الدارُ الباقيةُ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

وقد ضربَ لنا رسولُ الله ﷺ مثلاً أعلى في الحياءِ.

قال اللهُ عزَّ وجلَّ مخبراً عن حياءِ النبيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

يقول أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: (كانَ رسولُ اللهِ ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء[١] في خِدْرِها[٢]، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه)[٣].

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فَخذَيه، أو ساقَيه، فاستأذَن أبو بكرٍ فأذنَ له وهو على تلكَ الحالِ، فتحدَّثَ، ثم استأذَنَ عمرُ فأذنَ له، وهو كذلكَ، فتحدثَ، ثم استأذَنَ عثمانُ، فجلسَ رسولُ اللهِ ﷺ، وسوَّى ثيابَه، فدخلَ فتحدَّثَ، فلما خرَج قالت عائشةُ رضي الله عنها: دخلَ أبو بكرٍ فلم تَهْتَشَّ له ولم تُبالِه[٤]، ثم دخلَ عمرُ فلم تَهْتَشَّ ولم تُبالِهِ، ثم دخلَ عثمانُ فجلسْتَ وسوَّيتَ ثيابَك؟

(١) **العذراء**: البكر، لأن عذرتها باقية، وهي جلدة البكارة.

(٢) **خدرها**: الخدر: ستر يجعل للبكر في جنب البيت.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠) واللفظ لمسلم.

(٤) **فلم تهتش ولم تباله**: الهشاشة بمعنى طلاقة الوجه وحسن اللقاء، لم تباله: لم تكترث به وتحتفل لدخوله.



فقال ﷺ: «**أَلاَ أَسْتَحي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلاَئِكَة**»(١).

فتعالَوا يا عباد الله! بنا لنتعلمَ الحياءَ من نبيِّ الله موسى عليه السلام، الذي ضربَ لنا مثلاً أعلى في الحياء، ومنْ زوجتِه التي تربَّتْ هي وأختُها على الحياءِ في بيتِ أبيها الشيخِ الكبيرِ.

يخبرُنا الرسولُ ﷺ عن حياءِ موسى عليه السلام فيقولُ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيرًا لا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شيءٌ اسْتِحْياءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فقالوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إلاَّ مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ؛ إمّا بَرَصٌ أوْ أَدِرَةٌ وإمّا آفَةٌ، وإنَّ اللهَ أَرَادَ أنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالوا لموسى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ فوضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ، أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَها، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فجَعَلَ يَقول: ثَوبِي حَجَر، ثَوْبِي حَجَر، حَتَّى انتَهَى إِلَى ملأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرِيانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ وأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُون، وَقامَ الحَجرُ، فأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فوالله إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلاثًا أَوْ أَرْبَعًا، أَوْ خَمْسًا فذلكَ قوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب]»(٢).

أما بالنسبةِ لزوجتِه وما كانت عليه من الحياءِ هي وأختُها حيثُ نشأتا في بيتِ الرجلِ الصالحِ الشيخِ الكبيرِ.

فتعالَوا بنا عند ماءِ مديَن؛ لنتعلمَ الحياءَ من هاتين البنتين؛ لِنُعَلِّمَ بناتِنا ونساءَنا الحياءَ الذي فُقدَ في هذا الزمانِ، وفي هذه الأيام بشكلٍ خاصٍّ.

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).



أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص:٢٢-٢٣] أي: تمنعان الغنمَ من أن تختلط بغنمِ الناسِ.

إنه الحياءُ يا مَنْ خرجَتْ زوجتُك أوِ ابنتُك أو أختُك في ليلةِ العيدِ وفي أيامِ العيدِ إلى الأسواقِ، تضربُ هذا بكتفِها ويضربُها هذا، تمازحُ هذا، وتتكلمُ معَ ذاك، فلا حياءَ عندَها من الناس، ولا حياءَ منَ الله يردعُها، ومحرَمُها معها كأنه جدارٌ بلا إحساسٍ ولا حياءٍ، رجالٌ بلا رجولةٍ ونساءٌ بلا حياءٍ! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فتعجبَ موسى منهما و: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ لا نختلطُ بالرجالِ، وإن طالَ الموقفُ، وإن طالَ الزمانُ لا يمكِنُ أبداً أن نتقدمَ لسقي الغنمِ إلا بعدَ أن يذهبَ الرجالُ، وهكذا يفعلُ الحياءُ! هذه هي التربيةُ السليمةُ، ثم أخبرَتا عن السببِ الذي دفعهما للخروجِ إلى هذا المكانِ: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص] أي لولا هذا العذرُ ما خَرَجْنا من بيوتِنا.




أيتها المرأةُ المتبرجةُ! لماذا خرجتِ معَ زوجِك إلى السوقِ في أيامِ العيد؟ أما يكفي أن يذهبَ الزوجُ وحدَه ليشتريَ للأولادِ؟ أم أنَّ قلةَ الحياءِ عندَكِ دفعتكِ أن تخرجي لتنظري إلى الرجالِ، وتتكلمي معهم، إن دلَّ هذا يا أمةَ اللهِ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أنكِ فاقدةٌ للحياءِ منَ الناسِ، وإنك لا تستحيينَ من الله عز وجل.

ثم قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

تأملوا يا عبادَ الله! باللهِ لِيقِفْ كلُّ واحدٍ منكم الآنَ معَ حياءِ هذه الفتاةِ، ثم لِيقارنْ هذه المرأةَ بزوجتِه وابنتِه التي لبستِ الملابسَ -التي تستحيي المرأةُ المسلمةُ أن تلبَسَها في غرفةِ نومِها لزوجِها- وخرجت إلى الشارعِ!

ألا ترونَ ما أرى يا أمةَ الإسلام؟!

ما هذا الذي نراه في أسواقِنا في أيامِ العيد من التبرجِ والسفورِ، إنه لأكبرُ دليلٍ على قلةِ حياءِ نسائِنا وبناتِنا!

فيا عبدَالله! يا من تركْتَ ابنتكَ وزوجتَك تتبرجُ! اسمعْ خبرَ هذهِ الفتاةِ قالَ تعالى عنها: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص:٢٥] حياءٌ في لباسِها، حياءٌ في كلامِها، حياءٌ في مِشْيتِها، حتى كأنما الحياءُ بُسِطَ على الأرضِ لتمشيَ عليه!

قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ [القصص:٢٥].

إنه الحياءُ، دفَعها إلى أن تذكرَ له السببَ في دعوةِ أبيها له؛ حتى لا يَظُنَّ بها السوءَ.

ورجعَ موسى إلى بيتِ هذا الرجلِ الطيبِ، البيتِ الذي يُرَبِّي على الحياءِ، فقال له هذا الرجلُ الطيبُ -بعد أن قصَّ موسى عليه خبرَه، قال له-: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ [القصص].



ثم قالَتْ إحداهُما: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص].

أتدرون لِمَ قالت استأْجِرْهُ؟ أي: ليعملَ عندَنا حتى يرعى هو الغنمُ ويسقيَها فلا تخرجُ المرأةُ من بيتِها، فالمرأةُ حياتُها في بيتِها، سعادتُها في بيتِها، فإن خرجَت فإنما تخرجُ للضرورةِ كما قالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾، فالله عز وجل قال: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب:٣٣].

فهذه البنتُ تقولُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ حتى يقومَ هو برعيِ الغنم وسقيِها، وتقعدَ هي في البيتِ ولا تخرجَ، إنْ دلَّ ذلك على شيءٍ فإنما يدلُّ على الحياءِ!



وكم من فتاةٍ في هذا الزمانِ غضبَت مِنْ أبيها لأنه منعَها من الذهابِ إلى الجامعةِ حتى لا تختلطَ بالشبابِ؟! وكم من امرأةٍ غضبَت من زوجِها لأنه منعَها أن تخرجَ أيامَ العيدِ إلى الأسواقِ؟! لقد ذهبَ الحياءُ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الرجلُ الطيبُ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ [القصص:٢٧].

فانظروا عبادَ الله! موسى عليه السلام الذي ضربَ لنا مثلاً أعلى في الحياء، يلتقي بأسرةٍ فيها هذا الحياءُ، وكم نفتقدُ لمثل هذه الأُسَرِ في أيامنا هذه!

إذا كانَ الرجلُ عندَه خلقُ الحياءِ، والمرأةُ لبستْ لباسَ الحياءِ، وتربّت الأسرةُ كُلُّها على الحياءِ تكونت الجماعةُ المسلمةُ التي نتطلعُ إليها، والتي عمادُها الأُسَرُ المسلمةُ التي تربت -ذكوراً وإناثاً- على الإيمانِ الصادقِ والحياءِ.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ منْ هذا الموقفِ.

أولاً: أن الحياءَ لا يأتي لصاحبه إلا بكلِّ خيرٍ.

كما قال النبيُّ ﷺ: «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**»(٢).

فانظروا إلى الخيرِ الذي عادَ على موسى من حيائهِ حيثُ تزوجَ منِ امرأةٍ صالحةٍ.

وانظروا إلى حياءِ هذه الفتاة الذي كان عاقبتُه أن رزقَها اللهُ بزوجِ رسولٍ من أولي العزمِ من الرسل، فلتتقِ اللهَ كلُّ فتاةٍ تتبرجُ، وتعرضُ نفسَها ولحمَها رخيصاً في الأسواقِ بحجةِ البحثِ عن زوجٍ!!

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٧).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

ثانياً: أنَّ الحياءَ يمنعُ الرجلَ والمرأةَ من فعلِ القبيحِ ومن قولِ القبيحِ.

ألم تسمعوا قولَ الفتاتينِ: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾.

لأنَّ الاختلاطَ بالرجال أمرٌ قبيحٌ وحرامٌ لا يرضاهُ الله، والمرأةُ التي عندَها حياءٌ تقولُ: لا أذهبُ إلى السوقِ، لا أختلطُ بالرجالِ، بل زوجُها هوَ الذي يذهبُ ويشتري ويخالطُ الرجالَ.

أما المرأةُ التي لا حياءَ عندها فإنها تذهبُ إلى السوقِ بغيرِ حاجةٍ ولا ضرورةٍ وتختلطُ بالرجالِ وتمازحُهم، فهيَ التي تأمرُ وتنهى في البيتِ وزوجُها لا وزنَ له!! فأينَ الرجولةُ؟ وأينَ الحياءُ؟ ولكن إذا فقدَ الرجلُ رجولتَه، وفقدَتِ المرأةُ حياءَها تكونتْ أسرةٌ فاسدةٌ، تُخَرِّجُ لنا شباباً ضائعين، لا يعرفونَ الرجولَةَ، وبناتٍ أشبهَ ما يكنَّ بالكافراتِ منهنَّ بالمسلماتِ، فاتقوا الله عبادَ الله، فالحياءُ خلقُ الإسلامِ، والحياءُ مِنْ شُعَبِ الإيمان.



ثالثاً: إنَّ المرأةَ التي تتزينُ بلباسِ الحياء، وتتخلقُ بخُلقِ الحياءِ، هي المرأةُ التي يبحثُ عنها الشابُّ الصالحُ لتكونَ زوجةً له، أما المرأةُ التي فقدَت حياءَها، وباعَت لحمَها في الأسواق فلا يرغبُ بها الرجالُ الصالحونَ أبداً.

وكلُّ شابٍّ صالح يبحثُ عن الفتاةِ التي عندَها حياءٌ، أما قليلةُ الحياءِ بنتُ الأسواقِ التي تمشي مع هٰذا وذاك فلا يرغبُ بها أحدٌ.

فليتقِ اللهَ كلٌّ منا في بناتِه، ولْيُنَشِّئهنّ على الحياءِ، ليأتيَه اللهُ بالرجلِ الصالحِ فيزوجَه ابنتَه، ولتتقِ اللهَ المرأةُ في بناتِها، فلا تأمرْ ابنَتها أن تتبرجَ حتى تتحصلَ على زوجٍ؛ فالزوجُ الصالحُ لا يرغبُ إلا في صاحبةِ الحياءِ.

وأما التي فقدَت حياءَها فلا تصلُح أن تكونَ زوجةً، ولا تصلُح أن تكونَ أمّاً لأولادنا.



فائدة:

اعتادَ الكثيرُ منَ الناسِ إذا أرادَ الواحدُ منهم أن يسألَ سؤالاً فيه ما يَسْتحي من ذكرهِ أن يقولَ: لا حياءَ في الدين، وهذا قولٌ باطلٌ؛ لأنَّ الحياءَ منَ الدينِ، بل هو كما قال ﷺ: «**بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ**»[١] والحياءُ منَ الإيمانِ، والحياءُ من خلقِ الإسلامِ.

والصحيح إذا أراد الإنسانُ أن يسألَ سؤالاً فيه ما يحرِجُه أن يقولَ بينَ يَدَي السؤالِ: ﴿**وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾ [الأحزاب:٥٣] كما قالتْ هذهِ المرأةُ للنبيِّ ﷺ عندما أرادَتْ أن تسألَ سؤالاً فيه حياءٌ.

فقالت: يا رسولَ الله! إن اللهَ لا يستحيي من الحقِّ، هل على المرأةِ غسلٌ إذا احتلَمَت؟

قال ﷺ: «**نَعَمْ إِذَا رَأَتِ المَاءَ**»[٢].

قالت عائشة رضي الله عنها: (نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصارِ، لم يكنْ يَمنعُهُنَّ الحياءُ أن يتفقَّهنَ في الدينِ)[٣].

فيا أمةَ الإسلام! الحياءَ! الحياءَ! الزموهُ فإنه خلقٌ كريمٌ منْ أخلاقِ الإسلامِ، فلا بدَّ أن نربيَ أنفسَنا على الحياءِ، ونربيَ أولادَنا على الحياءِ.

نَسْأَلُ اللهَ العَظِيم أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُم
بِهَذَا الخُلُقِ الكَرِيمِ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٩، ٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧١١)، وفي «السنن» (١٠/ ١٩٤، ١٩٥) وأبو نعيم (٣/ ١٤٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٠)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٠٩١)، ومسلم (٣١٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٣٢).



موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ
في المحافظةِ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاء الله تعالى- مع الموقفِ السادسِ والثلاثينَ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقف إيماني صادقٌ في المحافظةِ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ.

ولا يحافظُ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ إلا الرجالُ الصالحونَ، ولا يتخلفُ عنها إلا المنافقونَ، والنساءُ وأصحابُ الأعذارِ.

وها أنتم ترونَ بعد أنِ انتهى شهرُ رمضانَ أنَّ بعضَ مَنْ كان يحافظُ على صلاةِ التراويحِ تركَ صلاةَ الجماعة.

فَلِمَنْ بُنيتِ المساجدُ يا أمةَ الإسلام؟ إن المساجدَ تشتكي إلى اللهِ قلةَ المصلين!

- أما قولُنا لا يحافظُ على صلاةِ الجماعةِ إلا الرجالُ الصالحونَ، فدليلُه قولُ الله عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

الذي لا ينشغلُ عن صلاةِ الجماعةِ ويذهبُ ملبياً نداءَ اللهِ همُ الرجال الصالحون الذين وصفَهُم اللهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ.

● أما من يتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ، فهذا فيه شَبَهٌ من المنافقينَ؛ لأنَّ اللهَ عز وجل وصفَ المنافقينَ في كتابهِ بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤].

ووصفَهمْ في موضعٍ آخرَ أنهم إذا جاءوا إلى المسجدِ وقاموا للصلاةِ لم ينشَطوا لها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢].

ويقول ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ العِشَاءِ وصلاةُ الفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِما**» -أي: من الأجر- «**لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[١].

ويقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (ولقدَ رَأَيْتُنا وما يتخلفُ عنها -أي: عن صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ- إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ)[٢].

● ولا يتخلفُ عنْ صلاةِ الجماعةِ، إلا النساءُ؛ فإنها لا تجبُ عليهن شرعاً، بل صلاتُهن في بيوتِهنَّ أفضلُ.

قال النبيُّ ﷺ قال: «**لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ المَسَاجِدَ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**»[٣].

فصلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ من صلاتِها في المسجدِ، لكنْ إذا جاءتِ المرأةُ بالشروطِ الشرعيةِ إلى مسجدٍ فلا تُمنعُ من الصلاةَ خلفَ الرجالِ.

● لا يتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ إلا أصحابُ الأعذارِ، لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

والنبيَّ ﷺ يقولُ: «**إِذَا أَمَرْتَكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[٤].



(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد (٢/ ٧٦)، وابن خزيمة (١٦٨٤)، والحاكم (١/ ٣٢٧)، والبغوي (٨٦٤)، [«صحيح الجامع» (٧٤٥٨)].

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).



ويقولُ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ؛ فَلا صَلاةَ لَهُ إلاَّ مِنْ عُذْرٍ**»(١).

فيا أمةَ الإسلام! الجماعةَ الجماعةَ! المساجدَ المساجدَ!

فأينَ مَنْ كان يحافظُ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ في شهرِ رمضانَ؟ وأينَ مَنْ كان يحافظُ على صلاةِ الفجرِ في المسجدِ في شهر رمضانَ؟ أينَ ذهبوا؟ كم منهم ضَيَّعَ صلاةَ الفجرِ بعد شهرِ رمضانَ؟

ألم يتأكدْ لديكم أنَّ الذي يحافظُ على الصلاةِ في المسجدِ في جماعةٍ همُ الرجالُ الصالحونَ!!

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (ولقدْ كانَ الرجلُ يؤتى به يُهادى بين الرجلين(٢) حتى يُقامَ في الصفِّ)(٣).

فاعلَموا عبادَ الله أنه لا يؤديها في المسجدِ في جماعةٍ إلا الرجالُ الصالحونَ.



فهذا الذي يقومُ من نومِه، ويتغلبُ على هواهُ وشهواتِه، ثم يأتي لصلاةِ الفجرِ في المسجدِ لَـهُوَ منَ الرجالِ الذين وصفهُمُ الله عز وجل في كتابهِ بقوله: ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾**﴾ [النور].

أما الذين ضَيَّعوا صلاةَ الفجرِ ثم يتطلعونَ إلى نصرِ الله وتأييدِه، فأولئكَ همُ الظالمون، فالذي لا يقدِرُ على مجاهدةِ نفسِه لصلاةِ الفجرِ، كيفَ له أن يقفَ أمامَ أعداءِ الإسلامِ ويُقَدِّمَ روحَه رخيصةً في سبيلِ اللهِ؟! أنضحَكُ على أنفسِنا؟

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٧٩٣)، ابن حبان (٢٠٦١)، والدارقطني (١٥٥٥)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٦)].

(٢) **يهادي بين رجلين**: أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه، يعتمد عليهما.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).



ولقدْ قالَ أحدُ اليهودِ لأحدِ المسلمينَ طالما أنكم معشرَ المسلمينَ لا تحافظونَ على صلاةِ الجماعةِ عامةً، وعلى صلاةِ الفجرِ خاصةً فلا نخشاكم ولا نخافُكم!!

ويومَ أن تحافظوا معشرَ المسلمين على صلاةِ الفجرِ جماعةً في الفجرِ كما تحافظون على صلاةِ الجمعةِ، عندها نخشاكم ونعملُ لكم حساباً!!

صدقَ واللهِ في هذا اليهوديُّ، ما دمنا نضيّعُ صلاةَ الجماعةِ فلا خيرَ فينا.

وإذا رجعنا إلى المساجدِ وعَمرناها، واصطففنا بين يدَي اللهِ عز وجل؛ يومَها ينصرُنا الله! فيا عبادَ الله! لم يبقَ لنا من دينِنا إلا الصلاةُ وها قد ضيعناها! فهذا ضيَّعَ صلاةَ الجماعةِ! والآخر فمصيبتنا فيه أعظمُ لأنه قد ضيَّعَ الصلاةَ كلَّها! ثم ها نحن بعد ذلك نطلبُ النصرَ منَ الله!!




أمةَ الإسلام! اعلموا أنَّ صلاةَ الجماعة واجبةٌ على الرجالِ إلا مِنْ عذرٍ، وقد جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ تبينُ ذلك، ففي كتابِ ربِّنا:

يقول اللهُ عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].

ففي هذه الآيةِ أمرَ الله عز وجل عبادَه بأمورٍ:

الأول: أمرهم بإقامةِ الصلاةِ، **والثاني**: أمرَهم بإيتاءِ الزكاةِ، **والثالث**: أمرهم بالركوعِ معَ الراكعين، أين؟ في بيوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويذكَرُ فيها اسمُه، في المساجدِ، وليسَ في البيوتِ ولا في الأسواقِ..!!

فما الفرقُ بينَ الأمرِ الأولِ والثاني والثالث؟! لا فرقَ، فالأمرُ للوجوبِ.

ويقول ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ



يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

ففي قوله تعالى: ﴿فَلْتَقُمْ﴾ اللامُ هنا للأمر، والأصلُ في الأمرِ الوجوبُ، والدليلُ على وجوبِ صلاةِ الجماعةِ من هذه الآيةِ أنَّ الله عز وجل أمرَ بصلاةِ الجماعةِ حتى في زمنِ ووقتِ الخوفِ، في أرضِ المعركةِ، أمرَ المسلمين بإقامةِ صلاةِ الجماعةِ وعدوُّ اللهِ وعدوُّ نبيّه وعدوّ كتابه يقاتلُهم.

فلو كانت سنةً كما زعمَ البعضُ، ما أمرَهُمُ اللهُ أن يصلوا جماعةً في أرضِ المعركةِ وفي زمنِ القتال!!

أما الأدلةُ من السنةِ على وجوبِ الصلاةِ جماعةً في المسجدِ فنذكرُ منها:

١- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ أعمى فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إنه ليس لي قائدٌ يقودُني إلى المسجدِ، فسأل رسولَ الله ﷺ أن يُرخِّصَ له فيصليَ في بيته، فرخَّصَ له، فلما ولى دعاه فقال: «**هَلْ تَسْمَعُ النّداءَ بِالصّلاةِ**»؟ فقال الرجل: نعم.

قال ﷺ: «**فَأَجِبْ**»[1].



فيا أيها المتخلفُ عن صلاةِ الجماعة! أما تخشى أن يسلُبَكَ اللهُ بصرَك؟ وحتى لو سُلبتَ بصرَك فلا عذرَ لكَ أن تتخلفَ عن صلاةِ الجماعة!!

فاتقِ الله يا مَنْ منَّ الله عليكَ ببصرٍ وصحةٍ، وقربٍ من المسجدِ، ودابةٍ تحملُك، ومالٍ وولَدٍ وزوجةٍ، ثم أنتَ بعد ذلكَ تسمعُ النداءَ في اليوم خمسَ مراتٍ ولا تلبي داعيَ الله!! يا من تتشدقُ بالكلامِ عن الجهادِ في سبيلِ الله، كيف تلبي غداً نداءَ الجهادِ في سبيلِ الله؟

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٣).



٢- يقول ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النّداءَ فَلَمْ يُجِبْ؛ فَلاَ صَلاةَ لَهُ إلاَّ مِنْ عُذْرٍ**»[١].

٣- ويقول ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصّلاةِ فَتُقَام، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلّيَ بِالنّاس، ثُم أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصّلاةَ فأُحَرِّقَ عَلَيْهِم بيُوتَهم بِالنَّارِ**»[٢].

وما امتنعَ الرسولُ ﷺ عن فعلِ ذلكَ إلا لأنه لا يُحرِّقُ بالنارِ إلا الذي خلَقها.

٤- وقال ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلاَثَة فِي قَرْيَةٍ ولاَ بدو، لاَ تُقَامُ فِيهم الصّلاةُ، إلاَّ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهم الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُل الذِّئْبُ القَاصِيَةَ**»[٣].

٥- وقال ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ عَنْ تَرْكِ الجَمَاعَةِ، أَو لأُحَرِّقَنَّ بيُوتَهُم**»[٤].

فهذا الذي لا يصلي في جماعة استحوذَ عليه الشيطانُ، ومنكم أيها الأخوةُ من يصلي في جماعةٍ، ومنكم من يصلي في بيتِه بعضَ الصلواتِ، فبالله عليك يا عبدَ الله هل تستوي عندَك الصلاةُ في المسجدِ وصلاتُك وحدَك في بيتِك، أو في محلِّكَ، أو في سوقِك؟ أمَّا رسولُ اللهِ ﷺ وصالحُ المؤمنين فلم يجدوها سواءً، والأهمُّ من ذلك أنَّ اللهَ أمرهم بالصّلاةِ في المسجدِ فاستجابوا لأمره.



٦- يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (ولقد كانَ الرجلُ يُؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقامَ في الصفِّ)[٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٧٩٣)، وابن حبان (٢٠٦١)، والدارقطني (١٥٥٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٦)].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) واللفظ له.

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وأحمد (٦/ ٤٤٦)، [«صحيح الجامع» (٥٧٠١)].

(٤) **صحيح لغيره**: أخرجه ابن ماجه (٧٩٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٣٣)].

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).



وإذا كان الرجلُ المريضُ في زمنِ الصحابةِ يؤتى به يمشي بين الرجلين حتى يقامَ في الصفِّ، فذلك دليلٌ على وجوبِ الصلاةِ جماعةً في المسجدِ.

والصحابةُ ﵃ في ذلكَ مقتدون بالنبيِّ ﷺ، فقد خرجَ النبيُّ ﷺ إلى الصلاةِ في مرضِ موته بينَ رجلين من أهله، ورجلاه تَخُطَّانِ في الأرض.

وعلى ذلك بوَّبَ الإمامُ البخاريُّ في «صحيحهِ»: بابُ حدِّ المريضِ الذي يشهدُ الجماعةَ، وساقَ فيه هذا الحديثِ.

وأما الذين قالوا: إن صلاةَ الجماعةِ سنةٌ وَاستدلوا على قولهم بما يلي:

١- يقولُ النبيُّ ﷺ: «**صَـلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الفَذِّ**[1] **بِسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجَةً**»[2].

٢- ويقولُ النبيُّ ﷺ: «**صَلَاةُ الرَّجل فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وفي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا**»[3].

استدلَّ بعضُ المتخلفينَ عن صلاةِ الجماعة بهذه الأدلة على سُنِّيَّةِ صلاةِ الجماعةِ.

نقولُ: هذا استدلالٌ ضعيفٌ جداً ولا يجوزُ، لِمَ؟

أولاً: لأنَّ هذه الأحاديثَ جاءت لبيانِ فضلِ وثوابِ صلاة الجماعة، ولم تأتِ لبيانِ حكمِ صلاةِ الجماعةِ.

ثانياً: هذه الأحاديثُ تبينُ أنَّ مَنْ صلى وحدَه في بيته أو سوقِه فصلاتُه تجزئهُ ولا يطالَبُ بإعادتها، ولكنه آثمٌ بتخلفِه عن صلاةِ الجماعة بدونِ عذرٍ شرعي بدليلِ الأحاديثِ التي سبقتها.

(١) **الفذ**: أي: الفرد، بمعنى: الذي ترك الجماعة.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٧).

فنقول: مَنْ صلى وحدَه في بيته أو في سوقِه فالصحيحُ أنَّ هذه الصلاةَ سقطت عنه، ولا يطالَبُ بإعادتها، ولكنه آثمٌ بتخلفِه عن صلاةِ الجماعة بدونِ عذرٍ شرعيٍّ.

أمة الإسلامِ! كيفَ نتخلفُ عن صلاةِ الجماعة في المسجدِ وهي واجبةٌ، وفيها أجرٌ عظيمٌ؟

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**صَلاَةُ الرّجل في الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِه في بَيْتِه، وفي سُوقِهِ خَمْسًا وعِشْرينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إلاّ الصّلاةُ، لَمْ يَخطُ خُطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وحُطّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَم تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلّي عَلَيْه، مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ: اللَّهُمَّ صَلّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصّلاة**»[1].

وفي رواية: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيه، مَا لَم يُحْدِث فِيه**»[2].

كيف نتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ والرسولُ ﷺ يقول: «**مَنْ تَوَضّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَصلاَّهَا مَعَ الإِمام؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»[3].

كيف نتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ، والرسولُ ﷺ يقول: «**أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، ويَرْفَعُ به الدرجاتِ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**إسباغُ الوُضوءِ عَلَى المَكارِه، وَكثرةُ الخُطَا إلَى المَسَاجِدِ وانْتِظَارُ الصّلاةِ بَعْدَ الصّلاة، فَذَلِكُمْ الرِّباط**»[4].

وقال ﷺ: «**إسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ، وإعْمالُ الأقدامِ إلى المَساجِدِ، وانْتِظَارُ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه مسلم (٦٤٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٦٧)، وابن خزيمة (١٤٨٩)، وابن المنذر في «الأوسط» (١٩١١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٠)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥١).

الصّلاةِ بعَدَ الصّلاةِ؛ يغْسِل الخَطَايَا غَسلاً»(١).

فتعالَوا بنا لنتعلمَ الحرصَ والمحافظةَ على صلاةِ الجماعة في المسجدِ من صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ الذين ضربوا لنا مثلاً أعلى في ذلك:

أولاً: اسمعوا لابنِ مسعودٍ رضي الله عنه وهو يبينُ لنا الفرقَ بين من يحافظُ على صلاةِ الجماعة، وبين المتخلفِ عن صلاةِ الجماعةِ، وانظرْ يا عبدَ الله في أيِّ الفريقين أنت؟

يقول رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنادَى بهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، ولَوْ أَنّكُمْ صَلّيْتُمْ فِي بيُوتكُم كَمَا يُصَلّى هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُم سُنّةَ نَبِيّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنّةَ نَبِيّكُم لَضَلَلْتُم، .... وَلَقَدْ رَأَيْتُنا وَمَا يَتَخَلّفُ عَنْها –أي: عن صلاة الجماعة في المسجد– إلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النّفَاقِ، ولَقَدْ كَانَ الرّجُل يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرّجُلَيْنِ حَتَّى يُقامَ فِي الصَّفِ)(٢).

أيها المسلمُ المضيِّعُ لصلاةِ الجماعةِ من أجلِ التجارةِ، أو من أجلِ الوظيفةِ، أو من أجلِ اللهوِ، أو من أجلِ الزوجةِ، أما تستحيي منَ الله عز وجل؟! إنَّ اليومَ حياةٌ وغداً موتٌ، اليومَ صحةٌ وغداً مرضٌ، اليومَ تستطيعُ أن تأتيَ إلى المسجدِ على الأقدام، غداً تتمنى أن تأتيَ لتشهدَ صلاةَ الجماعة لكنك ربما من شدةِ المرضِ لن تستطيعَ!

ومن قسا منكم قلبُه فليذهبْ إلى المستشفياتِ لِيَعلمَ أنه في نعمة، ومن قسا قلبُه فليذهبْ إلى المقابرِ، لعله أن يستيقظَ ويعملَ قبل الموت.

(١) **صحيح**: أخرجه أبو يعلى (٤٨٨)، وعبد بن حُميد (٩١)، والبزار (كشف الأستار) (٤٤٧)، والحاكم (١/ ٢٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).




إذا ضيعنا صلاةَ الجماعةِ فمتى نصلي في المسجدِ الذي أذنَ اللهُ أن يُرفَعَ ويذكَرَ فيه اسمُه؟ متى تأتلفُ القلوبُ؟ أيُّ أمةٍ على وجهِ الأرضِ تجتمعُ على طاعةِ الله في اليوم الواحدِ خمسَ مرات؟! لا يوجدُ إلا نحنُ المسلمين، أيُّ أمةٍ تجتمعُ في كلِّ أسبوعٍ؟! لا أحدَ إلا نحن المسلمين.

أيُّ أمةٍ تجتمعُ في عيدِ الفطرِ وفي عيدِ الأضحى في الصلاةِ؟ لا أحدَ إلا نحن، أيُّ أمةٍ تجتمعُ في كُلِّ عام من كلِّ مكانٍ في الحجِّ؟ لا أحدَ إلا نحنُ معشرَ المسلمين.

وها نحنُ لّما تركَ الكثيرُ منا الجماعةَ، والصلاةَ في جماعةٍ وقعتِ الفُرقةُ في الأمةِ، وانتصرَ علينا أعداؤُنا!! فالجماعةَ الجماعةَ! فإنه لا يتخلفُ عن الجماعةِ إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ!

فاحرص يا عبدَ الله من هذه اللحظةِ على صلاةِ الجماعةِ، واتقِ اللهَ وتبْ إليه وتذكَّرْ أنك في نعمةٍ عظيمةٍ، فإن لم تحافظْ على صلاةِ الجماعة سلَبَ اللهُ منكَ هذه النعمةَ، وستندمُ وقتَها في يومٍ لا ينفعُ فيه الندم.

ثانياً: وهذا أُبيُّ بنُ كعب ﵁ يقولُ: (كانَ رجلٌ لا أعلمُ رجلاً أبعدَ منَ المسجدِ منه، وكانت لا تخطِئُه صلاةٌ، فقيلَ له: لو اشتريتَ حماراً تركبُه في الظلماءِ وفي الرمضاءِ، قال: ما يسرُّني أن منزلي إلى جنبِ المسجدِ، إني أريدُ أن يُكتَبَ لي ممشايَ إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسولُ الله ﷺ: «**قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**»)[1].

ابنَ آدم! إذا جئتَ إلى المسجدِ فإنَّ لك أجراً عظيماً، وإذا رجعتَ إلى بيتِك فإنَّ لكَ أجراً عظيماً! ولكننا يا عبادَ الله زَهِدْنا في الحسناتِ -إلا مَنْ رحم ربي- مع أنَّ حسنةً واحدةً قد تحددُ المصيرَ يومَ القيامة، فإنَّ الحسناتِ إنْ زادت فالمصيرُ إلى جنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ، أما إذا زادتِ السيئاتُ فإلى نارٍ حاميةٍ -والعياذُ باللهِ-.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٦٣).

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ مما سبقَ ذكرُه:

أولاً: أننا إذا تركْنا صلاةَ الجماعةِ في المسجدِ ضللنا، كما قالَ ابنُ مسعودٍ ﷺ:

(فإنَّ اللهَ شرعَ لنبيكم سننَ الهدى، وإنهن من سننِ الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتِكم كما يصلي هذا المتخلفُ في بيتِه لتركتم سنةَ نبيِّكم، ولو تركتم سنةَ نبيِّكم لضللتم)[١]، فتركُ صلاةِ الجماعة في المسجدِ سببُ الضلالِ والفُرقةِ والضَّياعِ.

ثانياً: أنَّ المتخلفَ عن صلاة الجماعةِ بدونِ عذرٍ شرعيٍّ منَ المنافقين.

لقولِ ابنِ مسعودٍ ﷺ: (ولقد رأيتُنا وما يتخلفُ عنها -أي: صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ- إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ)[٢].

أترضى يا عبدَالله أن تكونَ من المنافقين؟!

أترضى يا عبدَالله أن يُساءَ بكَ الظنُّ؟ فالذي لا يحضُرُ من جيرانِ المسجدِ إلى صلاةِ الجماعة عامةً، وإلى صلاةِ الفجرِ خاصة فهو -في نظر الذين يحافظونَ على صلاةِ الجماعة في المسجدِ- من المنافقين؟!

ثالثاً: أنَّ المشيَ إلى المسجدِ لأداءِ لصلاةِ جماعةً فيه أجرٌ عظيمٌ.

فهذا الرجلُ الذي قيل له: لو اشتريتَ حماراً لتركَبه في الظلماءِ وفي الرمضاءِ، قالَ: ما يسرُّني أن منزلي إلى جنبِ المسجدِ، إني أريدُ أن يُكتبَ لي ممشايَ إلى المسجدِ، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي.

فهذا الرجلُ كان حريصاً على الأجرِ العظيم الذي يُكْتَبُ للعبد إذا جاءَ إلى المسجدِ، كيف لا، والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلاً**

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤).

في الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاح»[١].

ويقول ﷺ: «**بَشِّرِ المَشَائِينَ فِي الظُّلم إلى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يومَ القِيَامَةِ**»[٢].

ويقول ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ كُلُّهُم ضَامِنٌ عَلَى الله إِنْ عَاشَ رُزِقَ وكُفِيَ، وإِنْ ماتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّة: مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فسَلَّم، فهُوَ ضَامِنٌ على اللهِ، ومَنْ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ فَهُوَ ضامِنٌ على اللهِ، ومَنْ خَرَجَ فِي سَبيلِ اللهِ فهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ**»[٣].

فإذا خرجْتَ من بيتِك إلى المسجدِ يا عبدَ الله فأنتَ في حفظِ اللهِ ورعايتِه وفي ذمةِ الله، إن عشتَ أيها المحافظُ على صلاةِ الجماعةِ رزقَك اللهُ وكفاكَ، وإن متّ أدخلَك الجنةَ.

ويقول ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ؛ فَهُوَ زَائِرٌ للهِ، وحَقٌّ عَلَى المَزور أَنْ يُكرِمَ الزَّائِرَ**»[٤].




فأنتَ عندما تأتي إلى المسجدِ تنزلُ ضيفاً عندَ اللهِ في بيتِ اللهِ، فكيفَ يهونُ عليكَ تركُ ذلكَ يا عبدَالله؟!

سبحانَك ربَّنا، ربَّنا لا تؤاخذْنا بما فعلَ السفهاءُ منا، ولا تهلِكْنا بما فعل المبطلون.

فالصلاةَ الصلاةَ، والجماعةَ الجماعةَ؛ فلم يبقَ لنا من ديننا إلا الصلاةُ، فإذا ضيعناها لم يبقَ لنا من ديننا شيءٌ، فتوبوا إلى الله يا من ضيعتْم صلاةَ الجماعةِ.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه أبـو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وابن ماجه (٧٨١)، والطيالسي (٢٣٢٦)، وابن خزيمة (١٤٩٨)، وأبو يعلى (١١١٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٤٩٤)، البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٩٤)، وابن حبان (٤٩٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢١)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٥٣، ٢٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٢)].

أما أنتَ يا من ضيعتَ الصلاةَ فلا تعرفُها إلا في يومِ الجمعةِ! يا من ضيعَت وترْكتَ الصلاةَ طوالَ الأسبوعِ إنك على خطرٍ عظيم جداً.

فعُد إلى اللهِ قبلَ أن ينزلَ بك الموتُ، واعلم أنَّ من تَرك الصلاةَ جاحداً لها منكراً لفرضيتها فهو كافرٌ خارجٌ منَ الملةِ وإذا ماتَ فلا يُكَفَّنُ ولا يُغَسَّلُ ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدفن في قبور المسلمين.

اللَّهُمَّ رُدَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دِينِكَ رَدّاً جَمِيلاً






موقفٌ إيمانيٌ صادقٌ
في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ السابعِ والثلاثين من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكر.

عبادَ الله! إن مما يؤسَفُ له في هذا الزمانِ ظهورَ الفسادِ في البرِّ والبحرِ بما كسبتْ أيدي الناسِ، ظهرَ الربا وانتشرَ في كُلِّ مكانٍ، وانتشرَ الزنى، وامتلأتِ الأسواقُ بالمتبرجاتِ، وشُربَتِ الخمورُ في بلادِ المسلمينَ وتُركتِ الصلاةُ، وقُطِعَتِ الأرحامُ! ولا حولَ ولا قوة إلا بالله!

والسببُ في ذلكَ كُلِّه أنَّ الأمةَ المسلمةَ تركَتْ وظيفَتها وعملَها الذي أُخرِجَت في هذا الكونِ من أجلِه ألا وهوَ الأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ.

أمةَ الإسلام! إنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ هو عملُ الأمةِ المسلمةِ لأنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقول: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[التوبة:٧١].

فالأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ هو عملُ المؤمنينَ الصادقينَ.

والمسلمونَ إذا تركوا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ كثرتِ المعاصي والذنوبُ، وانتشرَ الفسادُ في البرِّ والبحرِ.

وإذا كثرَتِ المعاصي والذنوبُ، وكثرَ الخَبثُ هلكَتِ الأمةُ؛ فاللهُ تبارك وتعالى أخبرنا أنه ما من أمةٍ أُهلكَتْ إلا بسببِ الذنوبِ التي اقترفَت، قال تعالى: ﴿**فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ**﴾ [الأنعام:٦].

وقال تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ**﴾ [العنكبوت:٤٠].

وعن أمِّ المؤمنينَ زينبَ بنتِ جحش رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ عليها فَزِعاً يقول: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**»، وحَلَّقَ بإِصْبَعِهِ الإبهامِ والتي تليها.

قالت زينبُ رضي الله عنها: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! أنهلِكُ وفينا الصالحون؟

قال ﷺ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»[1].

إذا كثرتِ المعاصي، إذا انتشرَ الربا والزنى والتبرجُ وكَثُر الخَبثُ، جاءَ العقابُ منَ اللهِ، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠**﴾ [الشورى]، ﴿**وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ [النساء:٧٩]، ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران:١٦٥]، اللهمَّ سَلِّمْ سلمْ، اللهم نَجِّنا من الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ.

ويقول ﷺ: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ**» (وهو الصالح) «**وَالوَاقِعِ فِيهَا**» (وهو الطالحُ الفاسدُ العاصي)، «**كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ**» (أي اقترعوا)، «**فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ**

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[١].

والعصاةُ في الأمةِ سببٌ لهلاكِها، والعصاةُ يَكْثُرونَ في الأمةِ إذا تركْنا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ، ومن ثَمَّ إذا تركْنا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر نزلَ بنا العذابُ وحلَّ بنا العقابُ.

يقول ﷺ: «**وَالَّذي نَفسي بيَدِه لتأمرُنَّ بالْمَعْرُوفِ، ولتنهَوُنَّ عَن الْمُنكر، أَو ليوشِكَنَّ اللهُ أن يبْعَثَ عَلَيْكُم عِقَاباً مِنْهُ، ثمَّ تَدعُونَهُ فَلَا يستجيبُ لكم**»[٢].

وقال ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ وَلاَ يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**»[٣].

وقال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفسهم عَذَابَ اللهِ**»[٤].

وقال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الْسُوءُ فِي الأَرْضِ أَنْزَلَ اللهُ بَأْسَهُ بِأَهْلِ الأَرْضِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِم قَوْمٌ صَالِحُون، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلى رَحْمَةِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ**»[٥].

أمةَ الإسلام! إذا تركْنا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ حلتْ بنا اللعنةُ، وحَلَّ بنا الذلُّ والهَوانُ، فالرسولُ ﷺ ربَطَ بين الذلِّ والهوانِ، وبينَ المعاصي.




قال ﷺ: «**إذا تبايعتمْ بالعِينة، وأخذتمْ أَذْنَابَ الْبَقرِ، ورضيتم بالزرعِ، وتركتمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذلاً لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى ترجعوا إِلَى دينكُمْ**»[٦].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٥٨)، وفي «السنن» (١٠/ ٩٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣١٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٥)، وابن حبان (٣٠٥)، وأبو يعلى (١٢٨)، [«صحيح الجامع» (١٩٧٤)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٣١)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٥٩٩)، والحاكم (٤/ ٥٦٨)، وأبو نعيم (١٠/ ٢٣٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٠٨٩)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠)].

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار «البحر الزخار» (٥٨٨٧)، وأبو نعيم (٥/ ٢٣٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، [«الصحيحة» (١١)].

فالذلُّ دائماً معَ المعاصي، وأيّ ذلٍّ بعدَ الذي نحنُ فيه؟! ثم المعاصي تجلبُ اللعنةَ.

قال الله عز وجل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة].

وتأملوا حالَنا يا عبادَ الله! فهذا الواحدُ منا يرى ولدَه في البيتِ جالساً ولا يصلي فلا يُنكِرُ عليه! ويرى ابنتَه تخرجُ كاسيةً عاريةً فلا يُنكرُ عليها! ويرى الخمرَ تُشْرَبُ والرّبا يفشو فلا يتمعَّرُ وجهُه غضباً للهِ ولا يأمرُ ولا ينهى! حتى عُدَّتِ المعاصي بيننا شيئاً مألوفاً، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.



أمةَ الإسلام! إذا تركنا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ وكثرتِ المعاصي والذنوبُ، واسودَّتْ قلوبُ الناسِ فأصبحوا لا يعرفونَ معروفاً ولا ينكرون منكراً؛ عندها ينشطُ المنافقونَ ودعاةُ السوءِ، ودعاةُ الضلالةِ، ودعاةُ الحزبيةِ والجهلةُ والمبتدِعةُ.

واللهُ تباركَ وتعالى يقول: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾-أي: بعضُهم يشبُه بعضاً، وهدفُهم واحدٌ، وغايتُهم واحدةٌ- ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧].

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

أمةَ الإسلام! إنَّ اللهَ يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، أي: بموتِ العلماءِ: «**حتى**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).



إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذَ الناسُ رؤوساً جُهالاً» أي: لا علمَ لهم -كما نرى في وسائلِ الإعلامِ- يدعونَ الناسَ إلى دينٍ غيرِ الذي جاءنا به محمّدُ بنُ عبدِالله ﷺ، ويُقَدِّمونَ آراءَهم على نصوصِ الكتابِ والسنةِ وفقهِ الأئمةِ الأعلامِ الأُوَل، والعوامُّ بسببِ جهلِهم بدينِهم لا يعرفونَ إلا هؤلاءِ الذين يُحِلُّونَ لهم الحرامَ، ويُحَرِّمونَ عليهِمُ الحلالَ، ويأمرونهم بالمنكرِ، ويَنْهَونَهم عن المعروفِ، ولكنْ متى يظهرُ علماءُ السوءِ هؤلاء؟! إذا قلَّ العلماءُ الربانيون.

أمةَ الإسلام! قبلَ عام فقدتِ الأمةُ المسلمةُ عالِمَها الربانيَّ الشيخَ عبدَالعزيز بنَ بازٍ رحمه الله[١]، وما هي إلا أشهرٌ حتى فقدتِ الأُمةُ محدِّثَ العصر محمّدَ ناصرَ الدينِ الألبانيَّ رحمه الله[٢] وما هي إلا فترةٌ وجيزةٌ حتى فقدَتِ الأمةُ العالِمَ الربانيَّ الشيخَ محمّدَ بنَ صالحِ العثيمين رحمه الله[٣]، وها هي الفتنُ في كُلِّ مكانٍ قد خرجَتْ بقرونها: دعاةُ الضلالة، دعاةُ الحزبية، دعاةُ الفتنةِ، فكونوا على حذرٍ واسلكوا يا عبادَ الله المنهجَ والسبيلَ الذي مات عليه العلماءُ، فإنها واللهِ الفتنُ، وإنها والله لأيّامٌ عصيبةٌ، وهي حُبلى بما لا نعلمه، فنسألُ اللهَ أن يُثَبِّتَنا وإياكم على الإيمان.

فعليكم بكتابِ ربِّكم، وعليكم بسنةِ نبيِّكم، وعليكم بمنهجِ السلفِ الصالح الذي كانَ عليه الصحابةُ ومنْ سارَ على نهجهم مِنْ بعدهِم إلى يومِ الدينِ، واحذروا دعاةَ الضلالةِ، واحذروا دعاةَ الفتنةِ؛ فهم بقلّةِ فقهِهم وقلةِ رويّتهم سيوقعون الأمةَ في بحرٍ من الدماءِ، وأنا أُحذِّركم وأنصحُكم يا طلابَ العلم! لا تكونوا معَ هؤلاءِ ولا هؤلاءِ وكونوا على الحقِّ والمنهجِ، كونوا على الصراطِ المستقيم، لا تستمعوا لأحدٍ يسبُّ العلماءَ، وإذا تعلمتَ يا أخي على يدِ إنسانٍ يدعوكَ إلى اللهِ، ويأمُرُكَ

(١) توفي رحمه الله تعالى بتاريخ (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) الموافق ١٩٩٩م.
(٢) توفي رحمه الله تعالى بتاريخ (٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ) الموافق ١٩٩٩م.
(٣) توفي رحمه الله تعالى بتاريخ (١٥/ ١٠/ ١٤٢١هـ) الموافق ٢٠٠١م.




بالمعروفِ وينهاكَ عن المنكرِ، يريدُ أن يهدِيَك صراطَ اللهِ، ويبينَ لكَ السبيلَ، ولا يدعو إلى حزبيةٍ ولا عصبيةٍ، فَعَضَّ عليهِ بالنواجذِ.

أما إذا وَجَدْتَ إنساناً يغتابُ العلماءَ، ويدعوكَ إلى الحزبيةِ، وإلى العصبيةِ، وللتنظيمِ، وإلى المنهاجِ البشريِّ، وإلى شبهِ ذلكَ من الضلالاتِ؛ فكنْ مِنْ هؤلاءِ على حَذَرٍ.

عبادَ الله! على كُلٍّ منا أن يأمرَ بالمعروفِ وينهى عن المنكر، كلٌّ منا حسبَ استطاعته، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»(١).

فإذا أمَرْنا بالمعروفِ ونَهَيْنا عن المنكرِ جَنَيْنا الثمارَ.

ومن هذه الثمارِ:

١- **كُنا بذلك خيرَ أمةٍ أُخرِجَتْ على وجهِ الأرضِ**، كما قال ربُّنا جَلَّ وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢- **ينصُرنا اللهُ على أعدائِنا ويُمَكِّنُ لنا في الأرضِ**، لأننا إذا أمَرْنا بالمعروفِ ونَهَينا عن المنكرِ انتشرَ المعروفُ بينَ الناسِ، وقلتِ المعاصي، وعندها نكونُ قد نَصَرْنا اللهَ في أنفسِنا، وإذا فعلنا ذلكَ نَصَرَنا اللهُ تبارك وتعالى.

قال ربُّ العزةِ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٩).

٣- يُنزِّلُ اللهُ علينا رحمتَه في الدنيا والآخرةِ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٧١].

٤- يرفعُ اللهُ عز وجل عنا العذابَ، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ -وهم الذين يأمرونَ بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ- ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ -أي: فعلوا المعاصي- ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف].

٥- ندركُ الفوزَ والفلاحَ في الدنيا والآخرةِ، كما قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران].




وإذا أَمرْنا بالمعروفِ ونَهينا عن المنكرِ -كلٌّ منا حسبَ استطاعتِه- فيجبُ علينا جميعاً أن نراعيَ قواعدَ هامةً في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر:

القاعدة الأولى: العلمُ.

لا بدَّ منَ العلمِ بالمعروفِ الذي ندعو إليه، والمنكرِ الذي ننهى عنه، وكذلكَ لا بدَّ من العلم بحالِ الذي تأمرهُ بالمعروفِ وتنهاهُ عن المنكر، لأنَّ اللهَ عز وجل قال: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف].

أما الذي يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ على جهلٍ، يُفْسدُ أكثرَ مما يُصلحُ! فتنبهوا!

القاعدةُ الثانية: الرفقُ بالناسِ.

إذا أَمَرْنا بالمعروفِ ونَهينا عن المنكر فعلينا بالرفقِ والرحمةِ بالناس، يا دعاةَ الإسلام! فاللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال تعالى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى لموسى وهارونَ -وقد أرسلَهما إلى الطاغيةِ فرعونَ-: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

والرسولُ ﷺ يقولُ: «**مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ**»(١).

ويقولُ الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(٢).

فيا دعاةَ الإسلام! بشّروا ولا تنفّروا، وإياكم والعنفَ، وإياكم وتكفيرَ العبادِ وتكفيرَ المسلمين، فَمَنْ قالَ لأخيه: يا كافرُ، فقد باءَ بها أحدُهما، فعلى الداعي إلى الله أن يأمرَ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ على منهاجِ النبوةِ الذي نبّه على أهميةِ الرفقِ بالعبادِ.

يقول سفيانُ الثوريُّ رحمه الله: (لا يأمرُ بالمعروفِ ولا ينهى عن المنكرِ إلا مَنْ كان فيه ثلاثُ خلالٍ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٥٥٢)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٢٥٣٤)، [«التعليقات الحسان» (٢/ ٤٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٩٣).

١- رفيقٌ بما يأمرُ، رفيقٌ بما ينهى.

٢- عَدْلٌ بما يأمرُ، عدلٌ بما ينهى.

٣- عالمٌ بما يأمرُ، عالمٌ بما ينهى)(١).

القاعدةُ الثالثة: الصبرُ.

قالَ الله عز وجل لرسولِه عندما أمرهُ أن ينذرَ قومَه، وأن يدعوهم إلى عبادةِ اللهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾[المدثر]

فعلى الداعي إلى اللهِ الآمرِ بالمعروفِ والناهي عن المنكرِ، إذا آذاهُ الناسُ بألسنتهم أو بأيديهم أن يصبرَ لله.

كما قال لقمانُ لابنِه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال ربُّنا جلَّ وعلا لرسولِه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾[المزمل].

القاعدة الرابعة: الاستطاعَةُ.

الآمرُ بالمعروفِ والناهي عن المنكرِ يأمرُ وينهى في حدودِ استطاعتهِ، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٧].

ويقول ﷺ: «**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(٢).

فدلَّ ذلكَ على أنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ يكونُ بحسَبِ القدرةِ والاستطاعةِ.

---

(١) ينظر: «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٩).

القاعدة الخامسةُ: النظرُ إلى المصالحِ والمفاسدِ.

لا بدَّ في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر من النظرِ في المصالحِ والمفاسدِ.

فإذا ترتبتْ مفسدَةٌ على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ نتوقفُ، وإذا ترتبتْ مصلحةٌ للأمةِ المسلمةِ في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر نتقدمُ ونأمرُ بالمعروفِ وننهى عن المنكر.

عبادَ الله! تعالَوا بنا لنتعلمَ الصدقَ في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ من هذا الرجلِ المؤمنِ الذي جاءَ منْ أقصى المدينة يسعى، ليأمرَ قومَه بالمعروف وينهاهم عن المنكرِ، ومن ثَمَّ يُقَدِّمُ روحَه في سبيلِ ذلك، فيسجلُ اللهُ عز وجل له هذا الموقفَ قرآناً يُتلى إلى يوم القيامةِ، يقولُ اللهُ عز وجل لرسولِه ﷺ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ -أي: يا رسولَ الله اضربْ لقومِك الذينَ كَذَّبوك مثلاً- ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ -أي رسولين- ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ -أي: بادروهما بالتكذيب- ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ -أي: شَدَدْنا أَزْرَهما برسولٍ ثالثٍ- ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ -أي: لأهلِ تلك القريةِ- ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ -أي: من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له- ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس:١٣-١٥] -أي: فكيفَ أوحى اللهُ إليكم وأنتم بشرٌ مثلُنا؟ ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكةً، وهذه شُبْهَةُ كثيرٍ منَ الأممِ المكذِّبة، أنهم كانوا دائماً يتعجبون: أبعثَ اللهُ بشراً رسولاً؟

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن:٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء].



والله عزَّ وجلَّ لو أرادَ أن يبعثَ إلى الناسِ مَلَكاً لأرسلَ إليهم، ولكنْ أرسلَ إلى الناسِ رسولاً بشراً منهم ليخاطِبَهم بلُغتهم ليفهموا ما يخاطبُهم به.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ﴾ -أي:الرسل- ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ الداعي إلى الله إذا اقتدى بالنبيِّ ﷺ وأخلصَ دعوتَه للهِ فإنه لا يخافُ، وما على الرسولِ وما على الداعي إلا البلاغُ، سواءٌ استجابَ الناسُ أم لم يستجيبوا.

﴿قَالُوٓاْ﴾ -أي: أهلُ هذهِ القريةِ- ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ -أي: تشاءَمْنا منكم- ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ -أي: بالكلام أو بالحجارةِ- ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ﴾ -أي: الرسلُ- ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ -أي: مردودٌ عليكم- ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ أي: تتشاءمون منا لأنا ندعوكُم إلى عبادةِ اللهِ وإلى جنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ- ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ وَهَمَّ أهلُ القريةِ بقتلِ الرسلِ فعلمَ هذا الرجلُ المؤمنُ بالخبرِ فجاءَ من أقصى المدينة يسعى، ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ [يس]، فانظروا عبادَ الله إلى هذا الرجل المؤمنِ الذي جاءَ يسعى حِرْصاً على الدعوةِ إلى اللهِ، وقال: يا قومِ اتبعوا المرسلين، اتبعوا مَنْ لا يسألكُم أجراً. والرسلُ يدعونَكم إلى عبادةِ اللهِ، ويدعونكم إلى تركِ هذا الشركِ وعبادةِ الأصنام ثم هم لا يطلبونَ منكم مالاً على دعوتهم، ولا يدعونَكُم إلى حزبيةٍ، ولا إلى قوميّةٍ، ولا إلى عصبيةٍ، فاتبعوا من لا يسألُكم أجراً وهم مهتدون، فهذا المهتدي يدعو الناسَ إلى الهدى، أما الضالُّ فإنه يدعو الناسَ إلى الضلالةِ، الداعي إذا كانَ على هدى وعلى صراطٍ مستقيمٍ، عالماً بالكتابِ والسنةِ، مقتدياً بمنهجِ الصحابة فإنه يدعو الناسَ إلى الهدى.

أما إذا كانَ الذي يسيطرُ على عقلِ الداعي الحزبيةُ النتنةُ، وإشاعةُ الفتنةِ،




فإنه ولا بدَّ سيدعو الناسَ إلى الضلالةِ وهو يظنُّ أنه يحسنُ صنعاً!! ثم قال لهم: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ أي: الذي خلقني، فالذي خلقني هو الذي يستحقُّ العبادةَ وحدَه، فلا يجوزُ لأيِّ مخلوقٍ أن يصرفَ عبادةً إلى غيرِ اللهِ أبداً.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾-ليجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى-

ثم قالَ لهم: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾؟ استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ وتقريعٍ ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾أي: هذه الآلهةُ التي تعبدونها لا تَـملكُ منَ الأمرِ شيئاً، فلو أرادني اللهُ تعالى بسوءٍ لا تستطيعُ هذه الآلهةُ انقاذي. ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾أي: إن اتخذتُها آلهةً منْ دونِ اللهِ. ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾، لم يُخفِ إيمانَه بل أعلَنه على الملأِ ﴿فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ قيل: إنه قال ذلك للرسلِ، قال لهم: إني آمنتُ بربكمْ الذي أرسلَكم فاسمعوني يا أيها الرسلُ لتشهدوا لي عندَ اللهِ يومَ القيامة، وقيل: إنه قالَ ذلكَ لقومه الذين أصروا على الكفرِ والعنادِ. فلما أعلنَ إيمانَه تعدى عليه أهلُ القريةِ رَجماً بالحجارةِ وضرباً بالأرجُلِ حتى خرجَتْ روحُه، ومعَ ذلك كان يقولُ: «**اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» وخرجتْ أنفاسُه وهو يدعو لهم فلما ماتَ قيلَ له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾أي قال اللهُ له: ادخلِ الجنةَ، فلما دخلَها وجدَ فيها النعيمَ المقيمَ.



﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (نصحَ قومَه في حياتِه بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾، وبعد مماتِه بقوله: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾).

ومرادهُ: أنهم لو اطَّلعوا على ما حصَل لهُ من النعيم المقيم، والثوابِ العظيم لقادهم ذلكَ إلى اتباعِ الرسلِ، فرحمه اللهُ ورضي عنه؛ فلقدْ كانَ حريصاً على هدايةِ قومِه -مع أنهم قتلوه-، فأحبّ هدايتَهم حياً وميتاً.

ولكنَّ اللهَ سبحانه وتعالى عاقبَ قومَه الذين كَذَّبوا رسُلَه وقتلوا وليَّه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ قيل: ما أنزلَ اللهُ على قومِه من رسلٍ يدعونهم مرةً ثانية؛ لأنَّ الله عَزَّ وجلَّ أقام عليهِمُ الحجةَ فلا خيرَ فيهم.

وقيل: ما أنزلَ اللهُ عليهم جنداً من السماءِ لتعذيبِ هؤلاءِ، فالأمرُ أهونُ على اللهِ من ذلك، بل أرسلَ اللهُ عز وجل جبريلَ عليه السلام فصاحَ فيهم صيحةً واحدةً فماتوا عن آخرهم.

قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس].

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ العجيبِ فهي كثيرةٌ، منها:

أولاً: أن التَّطَيُّرَ شركٌ وهوَ من أخلاقِ المشركينَ والكفارِ، وليسَ من أخلاقِ المؤمنينَ.

فانظروا إلى أهلِ القريةِ المشركةِ قالوا لرسلهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس:١٨]. أي: تشاءَمنا منكم.

وَهؤلاءِ قومُ فرعونَ كانوا إذا جاءتهم الحسنةُ: ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف:١٣١]، أي: يتشاءمون بموسى عليه السلام وبمن معه.

وقومُ صالحٍ عليه السلام قالوا له: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل:٤٧]، أي: تشاءَمْنا منكم.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»(١).

وقال ﷺ: «**لَيْسَ منَّا من تطيَّرَ أَو تُطيِّرَ لَهُ، أَو تكهَّن أَو تُكهِّن لَهُ، أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَهُ، وَمن أَتَى كَاهِنًا فَصدَّقهُ بِمَا يَقُول؛ فقد كفر بِمَا أُنزلَ على مُحَمَّد ﷺ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفر**»(٣).

فلا ينبغي للمسلم أن يتشاءَمَ، وإن وقعَ عنده شيءٌ من التشاؤمِ فليتوكَّلْ على اللهِ، وليمضِ لما أرادَ، فإنْ رجَعَ عما أراد تشاؤماً فقد وقعَ في الشركِ.

ثانياً: أنَّ الداعيَ إلى الله مأجورٌ على دعوتِه وإن لم يؤمنْ به أحدٌ، وإن لم يستجبْ له أحدٌ؛ فإنما عليه البلاغُ وعليه أن يأمرَ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ، سواءٌ استجابَ له الناسُ أم لم يستجيبوا، فهو مأجورٌ عندَ الله، فإن الاستجابةَ والقَبولَ بيدِ اللهِ وحدَه.




وانظروا إلى هذا الرجلِ المؤمنِ الذي دعا قومَه فلم يؤمنْ معه أحدٌ، ومعَ ذلك قيل له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

لكنك تجدُ الكثيرَ منَ الدعاةِ إذا أمرَ بالمعروفِ ونهى عن المنكرِ ووجدَ إعراضاً منَ الناسِ عنه، تجدُه يتركُ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر، لا يا إخوةَ الإسلامِ! اثبتوا، وَأْمروا بالمعروفِ، وانْهَوا عن المنكرِ على النحوِ الذي جاءَ في الكتابِ والسنة، واصبروا، فإن الله مع الصابرين.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩)، [«الصحيحة» (٤٢٩)].

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه البزار «البحر الزخار» (٣٥٧٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤١)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

ثالثاً: أنَّ الموتَ حقٌّ والكُلُّ سيموت، ولكنْ على أيِّ شيءٍ تحبُّ أن تموتَ؟ أتحبُّ أن تموتَ وأنتَ تصلي، وأنتَ تقرأُ القرآنَ، وأنت تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكر؟ أم أنك تريدُ أن تموتَ وأنتَ تاركٌ للصلاة، مُضَيِّعٌ لأوامرِ اللهِ؟ انظروا يا عبادَ الله لقد ماتَ هذا الرجلُ الداعي المؤمن، وهو يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكر فكانَ جزاؤه دخولَ الجنة.

وانظروا إلى قومِه الذين نزلَ بهم عقابُ اللهِ عزَّ وجَلَّ كيفَ ماتوا على تكذيبِ الرسلِ ولقد ماتوا على الشركِ فالنارُ مصيرُهم.

فاحرِصْ يا عبدَ الله أن يأتيكَ الموتُ وأنتَ على طاعة، وإذا خطرَ ببالك أن تتركَ الصلاةَ فقل لنفسك: يا نفسُ لو جاءَكِ الموتُ ماذا ستقولين لرِّبكِ؟ وإذا خطرَ ببالكَ أن تطلبَ المددَ أو تطلبَ الشفاعةَ من ميت، فقل لنفسِكَ: يا نفسُ إذا نزلَ بكِ الموتُ الآنَ فماذا تقولين لربِّكِ؟ وإذا خطرَ ببالِك أن تأخذَ الربا، فقل لنفسِكَ: يا نفسُ إذا جاءك الموتُ الآنَ فماذا تقولين لربِّك يومَ القيامة؟

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥].




نَسْأَلُ اللهَ العَظِيم رَبّ العَرْشِ العَظَيم أَنْ يَتَوَفانَا وَإِيَّاكُم عَلَى الإِيمَانِ



موقفٌ إيمانيٌ صادقٌ في قَبولِ النصيحة

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ، وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الثامنِ والثلاثينَ من المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هوَ يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في قَبول النصيحة.

والنصيحةُ في اللغةِ هي: الخُلوصُ، فالشيءُ الخالصُ منَ الشوائبِ يسمى ناصحاً، تقول: نصحت العسَلَ، أي: خَلَّصْتُه من الشمعِ.

والنصيحةُ في الشرعِ هيَ: كلمةٌ يُعَبَّرُ بها عن إرادةِ الخيرِ للمنصوح له.

وقالوا: النصيحةُ: كلمةٌ جامعةٌ تتضمنُ قيامَ الناصحِ للمنصوحِ له بوجوهِ الخيرِ إرادةً وفعلاً.

وقالوا: النصيحةُ: هي بذلُ النصح للغيرِ.

أمةَ الإسلام! والنصيحةُ الغاليةُ لا تُقدَّمُ إلا من مؤمنٍ امتلأَ قلبُه بالإيمانِ، يحبُّ للناسِ ما يحبُّ لنفسِه، فالمؤمنُ هوَ الذي ينصحُ، والمنافقُ هو الذي يفضَحُ، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[الحجرات:١٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[١].

فالنصيحةُ لا تكونُ أبداً منْ عدوّ مبين، فهذا إبليسُ عليه لعنةُ الله عدوٌّ مبينٌ لآدمَ وحواءَ، ومعَ ذلكَ قال لهما: ﴿**مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾**﴾[الأعراف].

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

أقسَم هذا العدوُّ المبينُ باللهِ العظيمِ إنه لهما لمن الناصحين!! فهل كانَ إبليسُ ناصحاً لآدمَ يوماً ما؟ الجوابُ: لا.

إذن النصيحةُ لا تقعُ من عدوٍّ وإنِ ادَّعى ما ادَّعى!!

وكذلكَ النصيحةُ لا تأتي من حاسدٍ أبداً؛ فالحاسدُ يتمنى زوالَ النعمةِ عن غيره؟ فكيف له أن ينصحَ غيرَه؟ فهؤلاء إخوةُ يوسفَ عليه السلام حسدوا يوسفَ حتى همّوا بقتله، ومعَ ذلك قالوا لأبيهم: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ١١﴾ [يوسف].

فهل كانَ إخوةُ يوسفَ ناصحينَ ليوسفَ فيما فعلوا؟

الجوابُ: لا.

والنصيحةُ غاليةٌ وهي تعبِّرُ عن الإيمانِ والمحبةِ، لذا فهي لا تقعُ إلا من مؤمنٍ أمينٍ، في حينِ لا يمكنُ أن تقعَ النصيحة أبداً من عدوٍّ ولا من حاسدٍ.

وخيرُ وأفضلُ مَنْ نصحَ همُ الأنبياءُ والمرسَلونَ:

فهذا نوحٌ عليه السلام دعا قومَه إلى عبادةِ الله وحدَه ونصحَ لهم، لكنهم رَمَوْهُ بالضلالةِ، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَـٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَـٰلَةٞ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾ [الأعراف].

وهذا هودٌ عليه السلام بعدَ أن دعا قومَه إلى عبادةِ الله وحدَه ونصحَ لهم اتهموه بالسفاهةِ والكذبِ، لكنه قال لهم: ﴿يَـٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف].

وهذا صالحٌ عليه السلام دعا قومَه إلى عبادةِ الله وحدَه فلم يستجيبوا له، ولمّا

أهلكَهم اللهُ تباركَ وتعالى وقفَ هذا النبيُّ الكريمُ على قومِه وقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ [الأعراف].

وهذا شعيبٌ عليه السلام دعا قومَه فلم يستجيبوا له، ولما أهلكَهُمُ اللهُ تباركَ وتعالى، وقفَ عليهِم وقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾ [الأعراف].

وهذا رسولُنا ﷺ نصحَ الأمةَ، وكشفَ الغمةَ، وبلَّغَ الرسالةَ، فما من عملٍ يقربُنا إلى رضا اللهِ والجنةِ إلا ودَلَّنا عليه، وما من عملٍ يُقَرِّبنا إلى غضبِ اللهِ والنارِ إلا وحَذَّرنا منه.

قال ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قَالُوا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[١].

والنصيحةُ لله: هي صحةُ الاعتقادِ بوحدانيته، وإخلاصُ النيةِ في عبادتهِ؛ أن تعتقَد وأن توحِّدَ اللهَ بربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائهِ وصفاتهِ، وأن تَعْبُدَ اللهَ -عز وجل- مخلصاً له الدينَ، ولا تشركَ به شيئاً.

سُئل ابنُ المباركِ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: النصحُ للهِ عزَّ وجلَّ[٢].

وقال الحواريونَ لعيسى عليه السلام: ما الخالصُ منَ العملِ؟

قال: ما لا تُحبُّ أن يَحمَدَكَ الناسُ عليه.

قالوا: فما النصحُ لله؟

قال: أن تبدأَ بحَقِّ اللهِ تعالى قبلَ حقِّ الناسِ، وإنْ عَرَضَ لك أمران، أحدُهما للهِ، والآخرُ للدنيا بدأتَ بحقِّ اللهِ تعالى[٣].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الزهد» (ص٤١).

(٣) أخرجه وكيع في «الزهد» (٢٤١).



أما النصيحةُ لكتابِ الله: فهي تتضمنُ أن تُصَدِّقَ وتؤمنَ بهِ، وأن تتخلَّقَ بما جاءَ فيه، وأن تعملَ بما أمرَ الله تعالى فيه، وأن تنتهيَ عما نهاكَ اللهُ عنه فيه.

النصيحةُ لرسولِه ﷺ: فهي التصديقُ بنبوتِه ورسالتِه، والانقيادُ لما أمرَ به، والابتعادُ عما نهى عنه، ومحبتُه ﷺ أكثرَ من النفسِ والمالِ والولدِ، وأن نستنَّ بِسُنَّتِه، وأن نسلكَ طريقتَه، ومنهجَه، وأن نعملَ بالليلِ والنهارِ على نشرِ سنتِه بينَ الناسِ.

والنصحُ لأئمةِ المسلمين -وهمُ العلماءُ والأمراءُ- **فهو يتضمنُ**.

أن نحبَّهم، وأن نتعلمَ منهم، وأن لا ننفّرَ الناسَ منهم -لأنَّ ذلكَ عملُ الفساقِ- فالعلماءُ هم ورثةُ الأنبياءِ، والعلماءُ هم حلقةُ الوَصْلِ بين النبيِّ ﷺ وبينَ أمته.

والنصحُ للأمراء: يكونُ بطاعتهم في المعروفِ، وأن ندعوَا اللهَ لهم، وألاّ نغتابَهم، وألاّ نخرُجَ عليهم بالسيفِ وإن جاروا وإن ظَلموا، لأنَّ الخروجَ على الأمراءِ نتيجتهُ فسادٌ في الدينِ والدنيا، وفسادٌ في الأرضِ، وهتكٌ للأعراضِ، ثم علينا أن ننصحَهم إذا أخطأوا في السّرِّ لا على الملأ.

النصيحةُ لعامةِ المسلمينَ: إرشادُهم إلى مصالحِهم، وتعليمُهم أمورَ دينِهم، وسَترُ عوراتِهم، ونُصرتُهم على أعداءِ الدينِ، والذبُّ عنهم، ومجانبةُ الغِشِّ والحسدِ لهم، وأن يُحِبَّ المسلمُ لأخيه المسلم ما يحبُّ لنفسِه، وأن يَكْرَه لَه ما يكرهُ لنفسِه.

قال النبيُّ ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[1].

(١) صحيح: أخرجه (٢١٦٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّما الدِّينُ النُّصُح**»(١).

وقال ﷺ: «... **فَإِذَا اسْتَنْصَحَ رَجُلٌ أَخَاهُ، فَلْيَنْصَحْ لَهُ**»(٢).

ويقول جريرُ بنُ عبدِالله رضي الله عنه: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)(٣).

وقال رضي الله عنه: (بَايعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ على السّمعِ وَالطَّاعَةِ وَأَن أنصحَ لكلِّ مُسلم)(٤).

وقال الحسنُ البصريُّ: قال بعضُ أصحابِ النبيِّ ﷺ: والذي نفسي بيده إن شئتم لَأُقْسِمَنَّ لكم باللهِ إنَّ أحبَّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ الذين يُحَبِّبونَ اللهَ إلى عبادِه، ويحببونَ عبادَ اللهِ إلى اللهِ، ويَسْعَون في الأرضِ بالنصيحةِ(٥).

عبادَ الله! النصيحةُ غاليةٌ، مَنْ أخذَ بها نجا، ومن رَدَّها هلك.

وبالمثالِ يتضحُ البيانُ:

• فهذا موسى عليه السلام أخذ بنصيحةِ الرجلِ المؤمنِ الذي جاءَه من أقصى المدينة يسعى.

قالَ تعالى: ﴿**وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾**﴾ [القصص].

(١) **صحيح**: أخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٨)، [«صحيح الجامع» (٢٣٢٤)].
(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٩)، وعبد بن حُميد (٤٣٨)، والطحاوي في «معاني الآثار» (٥٥٢٣)، والبخاري معلقاً (باب: هل يبيع حاضر لباد...) (٣/ ٧١، ٧٢)، [«الصحيحة» (١٨٥٥)].
(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦)، واللفظ لمسلم.
(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٤٥)، والنسائي (٤١٥٧)، وأحمد (٤/ ٣٦٤)، وأبو يعلى (٧٥٠٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٧٩)].
(٥) ينظر: «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٧).

فانظروا عبادَ الله! خرجَ موسى آخذاً بنصيحةِ هذا الرجلِ المؤمنِ من بلادِ مصرَ إلى بلادِ مدينَ، وهناك عندما دخلَ على الشيخِ الكبيرِ في بيته وقَصَّ عليه القَصصَ، قال له: ﴿لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ [القصص]، فنجا موسى عليه السلام.

• وهذا قارونُ نصحَه قومُه فرَدَّ النصيحةَ، ولم يستجبْ لهم فهَلَكَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص].

فماذا كان منه؟ لم يأخذْ بنصيحتهم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ٨١﴾ [القصص].

وهذا فرعونُ وقومُه نصحَهم الرجلُ المؤمنُ الذي كانَ يكتمُ إيمانَه: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩]، ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ٣٠﴾ [غافر]، ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غافر].

ولكنهم لم ينتصحوا فأهلكَ اللهُ فرعونَ وقومَه.




فتعالَوا بنا يا عباد الله! لنتعلمَ الصدقَ والإخلاصَ والتواضعَ في قبولِ النصيحةِ مِنْ هذا العالمِ الجليلِ الكبيرِ الذي ضربَ لنا مثلاً أعلى في قَبولِ النصيحةِ، فهذا طالبُ علم غريبٌ في بلادِ الغربة، ذهبَ ليحضُرَ درساً في مسجدٍ من المساجدِ، لعالمٍ جليلٍ في قومِه، كان يُعلِّم الناسَ، والمسجدُ مُمْتَلِيءٌ بالناسِ لسماعِ درسِه، فجاء هذا الطالبُ وجلسَ في هذا المجلسِ ليتعلمَ، فماذا حدَث؟؟ لنذكرِ القصةَ كما رواها هذا الطالبُ:

• ذكر ابنُ العربيِّ المالكيِّ في كتابه «أحكامُ القرآن» أنَّ محمّدَ بنَ القاسمِ العثمانيَّ أخبرَه قال:

(وصلْتُ الفسطاطَ مرةً، فجئتُ فجلستُ إلى الشيخِ أبي الفضلِ الجوهريِّ وحَضرْتُ كلامَه على الناسِ.




فكان مما قال -في أولِ مجلسٍ جلستُ إليه-: إن النبيَّ ﷺ طَلَّقَ، وظاهرَ، وآلى).

- **والإيلاءُ**: هو أنْ يَحلفَ الرجلُ أن لا يطأَ زوجتَه مدةً منَ الزمنِ.

والطلاقُ: تعرفونه هو أن يطلقَ الرجلُ زوجتَه.

والظِّهارُ: أن يقولَ الرجلُ لزوجته: أنتِ عليَّ كظهرِ أمي.

فسمعَ ذلك هذا الطالبُ للعلمِ المؤدبُ، فلم يقطعْ كلامَ الشيخِ بل صبَرَ حتى انتهى الشيخُ من درسِه، يقولُ هذا الطالبُ:

(فلما خرج تبعْتُه، حتى بلغْتُ معَه إلى منزلِه -في جماعةٍ- فجلسَ معنا في الدهليزِ، وعرَّفهم أمري، فإنه رأى إشارةَ الغربةِ ولم يعرفْه قبلَ ذلك في الواردينَ عليه.

فلما انفضَّ عنه أكثرُهم، قال لي: أراكَ غريباً! هل لكَ من كلامٍ؟ قلت: نعم، قال لجلسائه: أفرِجوا له عن كلامِه، فقاموا وبقيتُ وحدي معه.

فقلتُ له: حضرتُ المجلسَ اليومَ متبركاً بكَ -أي: التبركَ الشرعيَّ بالعلم وبمجالسِ العلم، والبركةُ من اللهِ ولا تُطْلَبُ إلا منهُ وحدَه- وسمعتُك تقولُ: آلى رسولُ اللهِ ﷺ وَصَدقْتَ، وطلّقَ رسولُ اللهِ ﷺ وصدَقْتَ.

وقلتَ: وظاهَرَ رسولُ اللهِ ﷺ، وهذا لم يكُنْ، ولا يَصِحُّ أنْ يكونَ، لأنَّ الظِّهارَ منكرٌ من القولِ وزورٌ، وذلكَ لا يجوزُ أنْ يقعَ منَ النبيِّ ﷺ).

- انظروا إلى أدبِ الناصحِ يذكرُ حسناتِ المنصوحِ قَبلَ النصيحةِ-

(فضمَّني إلى نفسِه، وقَبَّلَ رأسي، وقال لي: أنا تائبٌ منْ ذلكَ، جزاكَ اللهُ عني من معلمٍ خيراً).





اللهُ أكبرُ!! أينَ نحنُ منْ هذا الأدبِ؟! ما الذي يمنعُنا من قَبولِ النصيحةِ؟

انظروا: صبرَ الطالبُ الذي لم يتكلمْ أثناءَ الدرسِ، وصبرَ حتى وصلَ إلى بيتِ الشيخِ ولم يتكلمْ، وظلَّ صابراً في بيتِ الشيخِ حتى وقتٍ متأخرٍ من الليل ولم يتكلم، وكلُّ ذلكَ ليؤديَ الأمانةَ بالأدبِ الذي أدبه به الإسلامُ، ثم لما خلا بالشيخِ قدَّمَ النصيحةَ.

يقولُ: ثم انقلبْتُ عنه، وبَكَّرتُ إلى مجلسِه في اليومِ الثاني، فألفيتُه قد سبقني إلى الجامعِ، وجلسَ على المنبرِ.

فلما دخلْتُ من بابِ الجامع ورآني، نادى بأعلى صوتِه، مرحباً بمعلِّمي، أَفْسِحوا لمعلمي، فتطاولَتِ الأعناقُ إلي، وحدَّقَتِ الأبصارُ نحوي، وتبادرَ الناسُ إلي، يرفعونني على الأيدي، ويتدافعونني، حتى بلغتُ المنبرَ.

وأنا لِعِظَمِ الحياءِ لا أعرفُ في أيِّ بقعةٍ أنا منَ الأرضِ والجامعُ غاصٌّ بأهلِه، وأسالَ الحياءُ بدني عرقاً.

وأقبلَ الشيخُ على الخلقِ، فقالَ لهم: أنا معلِّمُكم، وهذا معلِّمي.

لما كانَ بالأمسِ قلتُ لكم: آلى رسولُ اللهِ ﷺ، وطلَّقَ، وظاهرَ.

فما كان أحدٌ منكم فَقِهَ عني، ولا ردَّ لي، فاتبعَني إلى منزلي وقال لي كذا وكذا -وأعاد ما جرى بيني وبينه-، وأنا تائبٌ عن قولي بالأمس، وراجعٌ عنه إلى الحقِّ، فمن سمعه ممن حضرَ فلا يُعوِّلْ عليه، ومن غابَ فليبلِّغْهُ مَنْ حضرَ فجزاهُ اللهُ خيراً، وجعلَ يَحفَلُ في الدعاءِ، والخلقُ يُؤَمّنون).

تابَ إلى اللهِ في المسجدِ أمامَ طلابِ العلم، قال على الملأ: وأنا تائبٌ إلى اللهِ مما قلت!!

قال ابنُ العربِّي معلقاً:

(فانظروا -رحمكُمُ الله- إلى هذا الدين المتينِ، والاعترافِ بالعلمِ لأهلِهِ على رؤوسِ الملأ من رجلٍ ظهرَت رياسَتُه، واشتهرَت نفاسَتُه لغريبٍ مجهولِ العَينِ لا يُعْرفُ مَنْ هو، ولا مِنْ أينَ. فاقتدُوا به تَرْشُدوا)[1].

فانظروا عبادَ الله إلى الإيمانِ الذي تمكن في قلبِ هذا الطالب للعلمِ كيفَ جعلَه يتأدبُ بأدبِ الإسلامِ، وصبرَ حتى نصحَ، وبلَّغَ رسالتَه بكلِّ أمانةٍ ودقةٍ، وانظروا إلى هذا العالمِ الذي امتلأ قلبه بالإيمان، كيفَ قَبِلَ النصيحةَ، ورجعَ إلى الحقِّ، وتابَ إلى الله عز وجل وصحَّح ما كان قد أخطأ فيه على الملأ.

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٢٤٨، ٢٤٩).

أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخَذُ من هذا الموقفِ فكثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: التأدبُ في تقديمِ النصيحةِ.

علينا أن نتعلمَ جميعاً آدابَ النصيحةِ، وهذا الأدبُ يتمثلُ في ما يلي:

١- أن تذكرَ حسناتِ المنصوحِ فهذا يؤلفُ قلبَه ويُهيئُه لِقَبولِ نصيحَتِك.

٢- أن تجعلَ هذه النصيحةَ بينكَ وبينَه سراً.

فانظروا إلى هذا الطالبِ المؤدَّبِ الذي تأدبَ بآدابِ الإسلامِ، كيف صبرَ على الشيخِ ولم يقاطعْه في المسجدِ، ولم يتكلمْ أمامَ طلابه في بيته، بل تأدبَ حتى خلا بالشيخِ، ولم يبقَ أحدٌ غيرُهما يسمعُ، فوعظَه وبدأَ الكلامَ عن حسناتِه أولاً قبلَ أن ينصحَ، فقال له: قلتَ: آلى الرسولُ ﷺ وصَدَقْتَ، وقلتَ: طلّقَ الرسولُ ﷺ وصدقتَ...

ثم نصحَه فقال: وقلت ظاهرَ النبيُّ ﷺ وهذا لم يقع.

فما كانَ من العالمِ إلا أنْ قبلَ النصيحةَ وتابَ إلى الله عز وجل!

وصدقَ مَنْ قال:

تَعَمَدني بِنُصحك في انْفِـرَادِي ... وَجَنّبْنِي النّصيحةَ في الجَمَاعَهْ

فَـإِنَّ النُصْحَ بَـيْنَ الـنّاسِ نوعٌ ... مِنَ التَّوْبِيخِ لاَ أَرْضَى استِمَاعَهْ

فـإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْـرِي ... فَلاَ تَغْضَبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهْ

ثانياً: على المؤمنِ إذا نصحَه أخوهُ أن يقبلَ منه النصيحةَ، لِمَ؟

لأننا جميعاً خطّاؤون.

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(١).

فمن نصحَك فادعُ له، وَقلْ له: جزاكَ اللهُ خيراً.

يقول ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْروفٌ، فَقالَ لِفَاعِلِهِ: (جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا)؛ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**»(٢).

وهذا العالمُ الجليلُ عندما نصحه طالبُ العلمِ قال: أنا تائبٌ من ذلكَ، ثم قال له: جزاكَ اللهُ عني من معلم خيراً.

ثالثاً: الظِّهارُ منكرٌ مِن القولِ وزورٌ.



الظِّهار هو أن يقولَ الرجلُ لزوجتِه: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، أو كظهرِ أختي، أو أنتِ عليَّ حرامٌ، أو غيرَ ذلك، وهذا منكَرٌ من القولِ وزورٌ، وهو حرامٌ، ومَنْ قالَ لزوجته مثلَ هذا الكلام فقَد ظاهرَ منها فلا يجوزُ له أن يجامِعَها ولا أن يستمتعَ بشيء منها حتى يكفِّر عن ذلك.



والكفارةُ لذلكَ هي: عِتقُ رقبةٍ، فإنْ لم يجدْ فصيامُ شهرين متتابعينِ، فإن لم يستطع فإطعامُ ستينَ مسكيناً.

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يُفَقِّهَنَا فِي دِينِنَا

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣/ ١٩٨)، والحاكم (٤/ ٢٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٠٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٥٣)، وابن حبان (٣٤٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩١٣٧)، والطبراني في «الصغير» (١١٨٣)، وابن السني (٢٧٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٦٩)].

٣٩

موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ
في الحرصِ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ (موسى عليه السلام)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ التاسعِ والثلاثين منَ المواقفِ الإيمانيةِ.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه **موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الحرصِ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ.**

عبادَ الله! الحرصُ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ أفضلُ بكثيرٍ منَ الحرصِ على طلبِ المالِ، وأفضلُ بكثيرٍ منَ الحرصِ على الدنيا وما فيها.




قالَ تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

واللهُ تباركَ وتعالى لم يأمرْ رسولَه ﷺ أن يطلبَ مزيداً منَ المالِ، أو مزيداً من الجاهِ، إنما أمرَه أن يطلبَ مزيداً منَ العلمِ الشرعيِّ، فقالَ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه].

وكان ﷺ دائماً إذا انصرفَ من صلاةِ الفجرِ يقولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»(١).

ولقد امتنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسولِه ﷺ بنعمةِ العلمِ؛ فهي من أعظم نعم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وأحمد (٦/ ٣٢٢)، والطيالسي (١٧١٠)، وأبو يعلى (٦٩٥٠)، [«صحيح ابن ماجه» (٧٦٢)].

ورسولُنا ﷺ بَيَّنَ لأصحابهِ ﷺ أَنَّ الحرصَ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ أفضلُ من الحرصِ على جمعِ المالِ.

فعن عقبةَ بن عامر قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ ونحنُ في الصُّفةِ[١]، فقال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ**[٢] **كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ**[٣]، **أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ**[٤]، **فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ**[٥] **فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟**» فقلنا: يا رسولَ الله! نحبُّ ذلكَ. قال: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**»[٦].

فإذا أتيتَ يا عبدَ الله إلى المسجدِ لتتعلمَ آيتين منْ كتابِ الله فذلكَ خيرٌ لكَ من ناقتين من أفضلِ إبلِ العربِ.

قال عليٌّ رضي الله عنه: (العلمُ خيرٌ من المال.

العلمُ يحرسُكَ وأنتَ تحرسُ المالَ.

والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه.

والمال تُنقِصُهُ النفقةُ، والعلمُ يزكو بالنفقة)[٧].

• وقالَ ابنُ الزبيرِ بنُ أبي بكرٍ: (كتب إليَّ أبي بالعراق:

عليكَ بالعلمِ فإنك إن افتقرْتَ كان لك مالاً، وإن استغنيتَ كان لكَ جمالاً)[٨].



(١) الصُّفّة: موضع مظلل من المسجد النبوي، كان فقراء المهاجرين يأوون إليه، وهم المسمون بأصحاب الصفة، وكانوا أضياف الإسلام.

(٢) يغدو: أي: يذهب في الغدوة، وهي أول النهار.

(٣) بطحان: اسم موضع بقرب المدينة.

(٤) العقيق: وادٍ بالمدينة.

(٥) كوماوين: الكوماء من الإبل: العظيمة السنام.

(٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٠٣).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ١٨).

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٧) عن مصعب بن الزبير لابنه.



• وقال بعضُ السلفِ: (إذا أردتَ الدنيا فعليك بالعلمِ، وإذا أردتَ الآخرة فعليكَ بالعلمِ).

وأنا أقول: وإذا أردتَ الدنيا والآخرة معاً فعليك بالعلمِ، عليكَ بالعلمِ يا مَنْ زَهِدْتَ به، عليكَ بالعلمِ يا من تركتَ دروس العلمِ وانشغلت بالقيل والقالِ، وإنا للهِ وإنا إليهِ راجعون!

عبادَ الله! إن الحرصَ على طلبِ العلم الشرعيِّ جهادٌ في سبيلِ الله، بل هو أفضلُ الجهادِ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

فسمَّى ربُّنا جلَّ وعلا طلبَ العلمِ والخروجَ لطلبهِ نفيراً، كما أن ملاقاةَ العدوِّ نفيرٌ، فجعلَ ربُّنا جلَّ وعلا الخروجَ من البيتِ إلى المسجدِ، -أو الخروجَ من البيتِ إلى بلدٍ آخرَ- لطلبِ العلمِ نفيراً في سبيلِ اللهِ.

وقالَ اللهُ تبارك وتعالى لرسولِه ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ -أي: بالقرآن وما نزلَ إليكَ منَ الحقِّ -أي: بالعلمِ- ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان].

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»(١).

ومعلومٌ أن الجهادَ باللسانِ يكونُ بإقامةِ الحجةِ على الكفارِ والمشركين، وهذا لا يكونُ إلا بالعلمِ الشرعيِّ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٥٠٤)، وأحمد (٣/ ١٢٣)، والدارمي (٢٤٧٥)، والحاكم (٢٤٢٧)، والبيهقي في «السنن» (١٧٧٩٨)، [«صحيح الجامع» (٣٠٩٠)].

وقال ﷺ: «**مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْـمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ جَاءَه لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ**»(١).

ويقولُ أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (مَنْ رأى الغُدوَّ والرواحَ في طلبِ العلمِ ليسَ بجهادٍ فقد نَقَصَ عقلُه ورأيُه)(٢).

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (أفضلُ الجهادِ: من بنى مسجداً يعلَّمُ فيه القرآنُ والفقهُ والسنةُ)(٣).

(وجاءه رجلٌ فقالَ له: أريدُ الجهادَ، فقال له ابن عباس: ألا أدلُّكَ على ما هو خيرٌ لك من الجهادِ؟ تأتي مسجداً فتُقرئُ فيهِ القرآنَ، وتُعَلِّمُ فيه الفقهَ)(٤).

واعلموا أنَّ العلمَ الشرعيَّ يرفعُ صاحبَه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (يرفعُ اللهُ الذين أوتوا العلم منَ المؤمنين على الذين لم يُؤْتَوا العلمَ درجاتٍ)(٥).

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

نفى ربنا جل وعلا التسويةَ بينَ أهلِ العلمِ وغيرِهم.



(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٢٧)، وأحمد (٢/ ٤١٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٩٨)، [«صحيح الجامع» (٦١٨٤)].

(٢) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (١/ ١٥٩).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٠/ ٤٣٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن».

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٣، ٥٢٤).



وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران].

فاللهُ تبارك وتعالى استشهَد بأولي العلم على أعظمِ شهادةٍ وهي شهادةُ التوحيدِ.

إنَّ أفضلَ العلم هو كلامُ اللهِ، القرآنُ، الذي نبذناه وراءَ ظهورنا وتركناه، حتى أننا لا نقرأُ القرآنَ إلا على الأمواتِ، ولا يهتمُّ أحدُنا بحفظِ القرآنِ أو تَدَبُّرِه، وليسَ مِنْ هَمِّ أحدِنا أن يحفظَ ولدُه القرآنَ! إنما تُنفَقُ الأموالُ في إرسالِ الأبناءِ إلى بلادِ الكفرِ ليحصلوا على شهاداتِ الدنيا الفانية! أما أن يُرْسَلوا لحفظِ القرآنِ، ولطلبِ العلمِ الشرعيِّ فهذا لا يهتمُّ به أحدٌ إلا مَنْ رحم ربي، وقليلٌ ما هم وأينَ هم؟





ابنَ آدم! إذا أردتَ أن تكونَ من خيرِ الناسِ في الدنيا والآخرة فعليكَ بالقرآنِ تعلُّما وتعليماً.

قال رسولُ الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(٢).

فأنتَ إذا حفظَت كلامَ الله تعالى، وعملتَ بما فيه رفعكَ اللهُ في الدنيا والآخرة.

قال رسولُ الله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ**» -أي: يومَ القيامة- «**اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٣).

أمةَ الإسلام: أينَ نحنُ من تدبرِ القرآنِ؟ أين نحنُ من حفظِ القرآنِ؟ أين نحنُ مِن العملِ بما جاءَ في القرآنِ؟

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٨١٧).

(٣) **حسن صحيح:** أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، و الحاكم (١/ ٧٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٦)].



لماذا ضَيَّعْنا وفَرَّطْنا بدروسِ العلمِ يا أمةَ القرآن؟

العلمُ الشرعيُّ من القرآنِ والسنةِ طريقٌ إلى الجنةِ يا مَنْ تريدونَ الجنة؟!

العلمُ الشرعيُّ يجعلُ صاحبَه من ورثةِ الأنبياءِ، مِن ورثةِ محمّدِ بنِ عبدِالله ﷺ؟!

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَع، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[1].

ثم إنَّ العلمَ الشرعيَّ يُوَرِّثُ صاحبَه الخشيةَ منَ اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[الإسراء].

ولقد جاءتْ أحاديثُ نبويةٌ كثيرةٌ تحثُّ على طلبِ العلم الشرعيِّ، منها:

قوله ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**»[2].



(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، [«صحيح الجامع» (٦٢٩٧)].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٤)].



وقوله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَة: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[1].

وقال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّـهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[2].

ويقول ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّـهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[3].

فتعالَوا بنا أيها الأحبةُ لنتعلمَ الحرصَ والصدقَ والإخلاصَ في طلبِ العلمِ من موسى عليه السلام، الذي ضربَ لنا مثلاً أعلى في ذلك.

يقولُ أُبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ هل تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟**» قالَ: لاَ.

فَأَوْحَى اللَّـهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى! عَبْدُنَا خَضِرٌ».

(وفي رواية: «**قامَ موسى النبيُّ خطيباً في بني إسرائيل، فسُئِلَ: أَيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا أعلمُ، فَعَتِبَ اللهُ عليه، إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فأوحى اللهُ إليه إن عبدًا من عبادي بمجمَعِ البحرين، هو أعلمُ منك**»).

(**فسألَ موسى عليه السلام السبيلَ إلى لُقِيِّهِ**).

- (وفي رواية: «**قال** -أي: موسى- **أيْ رَبِّ ومن لي به؟**

وربما **قال: أي ربِّ وكيفَ لي به؟**)-

[«**فجعلَ اللهُ له الحوتَ آيةً، وقيلَ له: إذا افتقدْتَ الحوتَ فارجِعْ فإنك ستلقاهُ،**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٩).



فسارَ موسى ما شاءَ اللهُ أن يسيرَ، ثم قال لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ (وكان يتبعُ أثرَ الحوتِ في البحرِ) فقال فتى موسى: أرأيتَ إذا أوينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيهُ إلا الشيطانُ أن أذكُرَه، فقال موسى لفتاهُ: ذلكَ ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً، فوجدا خضراً، فكان من شأنِهما ما قصَّ اللهُ في كتابه»].

وفي روايةٍ: «فإذا رجلٌ مُسَجّى بثوب -أي: مغطّى- فسلَّم موسى فردَّ عليه، فقال -أي: الخضرُ- وأنّى بأرضِكَ السلامُ.

قال: أنا موسى، قال -أي: الخضرُ- موسى بني إسرائيل؟

قال: نعم، أتيتُكَ لتعلِّمَني مما عُلمْتَ رَشَداً.

قال -أي: الخضرُ-: يا موسى! إني على علم منْ علمِ اللهِ علَّمنيهِ اللهُ لا تعلَمُه، وأنتَ على علمٍ من علمِ اللهِ عَلّمكَهُ اللهُ لا أعلمُهُ.

قال -أي: موسى- هل أتبعُكَ؟ قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾»)(١).

تأدبَ عليه السلام بآدابِ طالبِ العلمِ، ولم يتكبرْ، ولم يقل: أنا مِنْ أولي العزمِ منَ الرسلِ.

قال موسى بأدبٍ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ ثُمَّ قالَ تعالى يَقُصُّ علينا من نبأهما ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤، ٧٨، ١٢٢، ٣٤٠٠، ٣٤٠١) وما بين ( ) له، وما بين [ ] لمسلم (٢٣٨٠).



لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف].

فلما ركبا في السفينةِ خرقَها، ومرَّا بالغلامِ فقتلَه، ومرَّا بالجدار فبناه، وموسى في كُلِّ مرةٍ يسألُ بأدبٍ جمٍّ، وفي النهايةِ قال له الخَضر: هذا فراقُ بيني وبينِكَ، سأنبئُك بتأويلِ ما لم تستطِعْ عليه صبراً، قال تعالى في ذلك: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

ومنَ الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخَذُ من هذا الموقفِ ما يلي:

أولاً: الحرصُ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ حتى الموتِ.

يظهر ذلكَ من موقفِ موسى عليه السلام عندما سألَ ربَّه عز وجل: كيفَ يصلُ إلى هذا الرجلِ الذي عنده من العلم ما لم يؤتَ موسى عليه السلام، ثم خرجَ موسى عليه السلام وتزودَ وركبَ البحرَ ليصلَ إلى هذا العالمِ ليتعلَم منه مهما طالَ بحثُه عنه!

ودَعونا نقفْ هنا ونسألْ كَمْ من الناسِ مَنْ يرحلُ مِن بلدٍ إلى بلدٍ لجمعِ المالِ؟ الجوابُ: الكثيرُ، الكثيرُ.

كم من الناسِ مَنْ يرحلُ من بلد إلى آخر ليتعلمَ العلمَ الشرعيَّ؟ الجواب: القليلُ، القليلُ.

من منا يا أمةَ الإسلامِ أرسلَ ولَده إلى بلدٍ مسلم ليتعلمَ العلمَ الشرعيَّ؟!

إن أهمَّ أمرٍ عندنا هو أن يتخرجَ ابنُ أحدِنا طبيباً أو مهندساً حسناً! ما المانعُ أنْ يكونَ داعياً إلى دينِ اللهِ وطبيباً، داعياً ونجاراً، داعياً وحداداً، داعياً ومهندساً، فيخدمُ هذا الدينَ من خلالِ عمله؟ ما المانعُ يا عبادَ الله؟ مَن لهذا الدين؟ من يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكر؟ من يُعَلِّمُ الناسَ دينَهم؟

لقد رحَل موسى عليه السلام في طلبِ العلم، وهو نبيٌّ من أنبياءِ الله عز وجل.

ورسولُنا ﷺ يقول: «﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾» [طه] كما أمره ربُّه عزَّ وجل.

وكان ﷺ يدعو اللهَ ويقولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا**»[1].

وها همُ الصحابةُ رضي الله عنهم كانوا من أحرصِ الناسِ على طلبِ العلم الشرعيِّ، فأخذوا العلمَ من نبعِه الصافي، تَلَقَّوْهُ من عبدِالله ورسولِه محمّدِ بنِ عبدِالله ﷺ.



ونحن نتلقاهُ من الأئمةِ والعلماءِ -الذينَ حفظَ اللهُ بهِمْ هذا الدينَ- كالإمامِ أحمدَ الذي يقولُ: (أُطلبِ العلمَ من المِحْبَرةِ إلى المقبرةِ) -أي: من أولِ لحظةٍ تكتبُ فيها- إلى الموتِ، أي: منَ المهدِ إلى اللحدِ.

فيا أخي إياكَ أن تتكبرَ على العلمِ وتعلمْ، ومَنْ تعلمَ نفعَ بعلمِه نفسَه ونفعَ الناسَ، وممن ضرَبَ لنا مثلاً أعلى في الحرصِ على طلبِ العلمِ وتعليم الناسِ -في هذا الزمانِ العجيبِ، الذي حَرِصْنا فيه جميعاً على الدنيا- شيخُنا الألبانيُّ -رحمَه الله- فوالله ما كانَ يرفعُ رأسَه منَ الكتاب إلا إذا دخلْتَ عليه في مكتبتِه، وسلَّمْتَ عليه فيردُّ عليكَ السلامَ، فإذا سألتَه أجابكَ، فإذا انتهيتَ وقمتَ رجعَ إلى كتابِه مرةً ثانيةً، كانَ رحمه الله لا يضيِّعُ دقيقةً واحدةً إلا في طلبِ العلمِ وتعليمِ الناسِ، حتى

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وأحمد (٦/ ٣٢٢)، والطيالسي (١٦٠٥)، وأبو يعلى (١٢/ ٣٦١)، [«صحيح ابن ماجه» (٧٦٢)].

في مرضِ موتِه -في اللحظاتِ الأخيرة- وهو في المستشفى دخلَ عليه شابٌّ فقبَّل يد الشيخ ووضعَ جبينَه عليها -كما يفعلُ الكثيرُ مِنَ الناسِ- فنصحَه الشيخُ وقال له: أما التقبيلُ فنعم! أما هذا فسجودٌ لغيرِ اللهِ فلا يجوزُ.

ينصحُ ويأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ حتى وهو في هذه اللحظاتِ الحرجة!

حدثَ في يوم منَ الأيام للشيخِ وهو مسافرٌ بسيارتِه من المدينةِ إلى مكةَ أن انقلَبَتْ بهِ السيارةُ، فنزلَ الناسُ من سياراتهم لينقذوه ويُخْرجوه من داخلِ السيارةِ، وكانَ مِنْ عوامِّ الناسِ مَنْ يقول أثناءَ ذلك: يا ساتر! يا ساتر! يا ساتر! فقالَ لهمُ الشيخُ وهو داخلَ السيارةِ -في هذه اللحظةِ الخطيرةِ الحرجةِ التي لا يفكرُ فيها الإنسانُ إلا في النجاةِ-: قولوا: يا سِتِّير؛ وإنما نهاهم عن قولِهم يا ساتر لأن الساترَ ليسَ منْ أسماءِ الله عز وجل، الله أكبر! يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ حتى في أحرجِ اللحظاتِ.

ثانياً: أنَّ الإنسانَ يجب أنْ يَحرِصَ ويتحملَ المشاقَّ وينفقَ حتى يتَعَلَّمَ الدينَ، فالعلمُ لا يأتيكَ إلى البيتِ، ولا يأتيكَ وأنتَ على كرسيِّ المنصبِ، إنما عليك أن تتواضعَ وتأتيَ إلى بيوتِ الله عز وجل وتجلسَ بين يدَيْ أهلِ العلمِ لتتعلمَ.

ثالثاً: علينا أن نتأدبَ مع العلماءِ، وأن نتأدبَ في دروسِ العلمِ، فها هو موسى عليه السلام وهو مِنْ أولي العزمِ -يقولُ للخضرِ: هل أتبعُك على أن تعلّمنِ مما عُلمت رشداً؟ وقال له: ستجدني إن شاءَ اللهُ صابراً ولا أعصي لك أمراً، فمن تواضعَ تعلَّمْ، ومن تكبَّر لا يتعلَّمُ، فالعلمُ يضيعُ بينَ الكِبْرِ والحياءِ، فالمتكبرُ لا يتعلمُ لأنه لا يتواضَعُ، وصاحبُ الحياءِ لا يتعلمُ لأنه لا يسألُ عن دينهِ، يمنعُهُ




الحياءُ، والحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ، والحياءُ كُلُّه خيرٌ، إلا الحياءَ الذي يمنعُك من أن تتفَّقه، في دينِك فهو مذمومٌ.

رابعاً: نستدلُّ من هذا الموقفِ على أنَّ الخضِرَ نبيٌّ أوحى اللهُ إليه بما فعَل، وأمرَه بما فَعل، وأنَّ موسى عليه السلام كان عندَه علمٌ لم يكنْ عندَ الخضرِ، والخضرُ كانَ عنده علمٌ لم يكنْ عندَ موسى، واللهُ سبحانه وتعالى حكيمٌ يفعلُ ما يشاءُ في ملكِه، وكثيرٌ من الناسِ يعتقد أنَّ الخضِرَ لم يمتْ بعدُ، وهذه عقيدةٌ فاسدةٌ؛ فإنَّ الخضِرَ ماتَ والدليلُ على موتِه أنَّ الله تبارَك وتعالى قالَ لنبيِّه ﷺ في كتابه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء] فلم يخلُدْ في هذهِ الأرض أحدٌ ولا حتى نبيُّنا ﷺ سيدُ ولدِ آدم، ولو كانَ الخضِرُ حياً لأتى إلى رسولِ الله ﷺ واتبعه.



فاحرصوا عبادَ الله على طلب العلمِ الشرعيِّ، وعلى مجالسِ العلمِ قبلَ قبضِ العلمِ بقبضِ العلماءِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً



٤٠

موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ
في الثباتِ على الصدقِ (كعبُ بنُ مالكٍ رضيَ الله عنه)

عبادَ الله! هذه مواقفُ إيمانيةٌ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ، وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع الموقفِ الأربعينَ والأخيرِ من المواقفِ الإيمانية.. أتدرونَ ما هو يا عبادَ الله؟

إنه موقفٌ إيمانيٌّ صادقٌ في الثباتِ على الصدقِ.

إننا نعيشُ في زمانٍ قد اختلَّتْ فيه الموازينُ، يُصَدَّقُ فيه الكاذبُ، ويُكَذَّبُ فيه الصادقُ، يؤتمنُ فيه الخائنُ، ويُخَوَّنُ فيه الأمينُ.

وقد أخبرَنا النبيُّ ﷺ بذلك فقال: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ ﷺ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[١].

أي: الرجلُ التافهُ يتكلمُ في المسائلِ الكبارِ.

أمةَ الإسلام! وعند اختلالِ الموازينِ علينا بلزومِ الصدقِ، **لأنَّ الصدقَ طريقٌ إلى الجنة.**

كما قال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا**

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٦٥٠)].

يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[(١)].

إذا اختلّتِ الموازينُ فعلينا بالصدقِ، **لأنَّ الصدقَ سببٌ للحصولِ على كل خيرٍ**.

قال تعالى: ﴿**فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ** ﴿٢١﴾﴾ [محمد].

إذا اختلّتِ الموازينُ فعلينا بالصدقِ؛ **لأنَّ الصدقَ طمأنينةٌ**.

كما أخبرَ النبيُّ ﷺ: «**فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**»[(٢)].

إذا اختلّتِ الموازينُ فعلينا بالصدقِ؛ لأنَّ **الصدقَ سببٌ للحصولِ على البركةِ** في الأموالِ والأولادِ والصحةِ وفي كلِّ شيء، قال ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»[(٣)].

إذا اختلّتِ الموازينُ فعلينا بالصدقِ، لأنَّ **الصدقَ منْ أخلاقِ المؤمنينَ**، قال تعالى: ﴿**مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا** ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ**﴾-إلى أن قال سبحانه- ﴿**وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ**﴾-ماذا أعدَّ اللهُ لهمْ؟ قال تعالى في نهايةِ الآيةِ- ﴿**أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

إذا اختلّتِ الموازينُ فعلينا بالصدقِ، لأنَّ **الصدقَ يُنْجي صاحبَهُ في الدنيا والآخرة**.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢١٤٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٧٥) واللفظ لهما، والترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١/ ٢٠٠)، والحاكم (٧٠٤٦)، والطيالسي (١٢٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٣٠)].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢١١٠)، ومسلم (١٥٣٢).



ففي الدنيا: الصدقُ ينْجي صاحبَه، كما حصلَ لكعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه.

وفي الآخرة: يُحصِّل الصادقُ الفوزَ العظيمَ قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة].

عبادَ الله! تعالَوا بنا لنتعلمَ الثباتَ على الصدقِ من كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه فقد ضربَ لنا مثلاً أعلى في الصدقِ مع اللهِ، وفي الصدقِ معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وفي الصدقِ مع النفسِ.

وَلْنستمعْ إلى كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه وهو يخبرُنا بقصتِه يومَ تخلفَ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في غزوةِ تبوكٍ يقولُ كعبٌ رضي الله عنه: (لم أتخلفْ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ غزاها قطُّ، إلا في غزوةِ تبوك، غيرَ أني قد تخلفْتُ في غزوةِ بدرٍ، ولم يُعاتبْ أحدًا تخلفَ عنه...).

يقول رضي الله عنه: (وكانَ مِنْ خبري حين تخلَّفْتُ عنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، في غزوةِ تبوكٍ، أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفتُ عنه في تلكَ الغزوةِ، واللهِ ما جمعْتُ قبلَها راحلتين قطُّ حتى جمعتُهما في تلكَ الغزوةِ...).

يقول رضي الله عنه: (فكانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوةً إلا وَرّى بغيرها -أي: أوهَمَ أنه يريدُ غيرَها من غيرِ كذبٍ- حتى كانت تلكَ الغزوةُ فغزاها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديدٍ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبلَ عدواً كثيراً، فَجَلَا للمسلمين أمرَهم ليتأهبوا أُهْبَةَ غزوِهم) -أي: ليستعدوا- (فأخبرَهم بوجهِهِم الذي يريدُ) أي: عَرَّفَهم جميعاً أنه يريدُ أنْ يغزوَ الرومَ أي أنه ذاهبٌ إلى تبوكٍ.

يقول رضي الله عنه: (والمسلمونَ معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كثيرٌ، ولا يجمعُهم كتابٌ حافظٌ




-يريدُ بذلكَ الديوانَ-. فقلَّ رجُلٌ يريدُ أنْ يتغيبُ، يظُنُّ أنَّ ذلكَ سيخفى له، ما لم ينزلْ فيهِ وحيٌ منَ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

وغزا رسولُ اللهِ ﷺ تلكَ الغزوةَ حين طابتِ الثمارُ والظِّلالُ، فأنا إليه أصعَرُ) -أي: أميَلُ-.

يقول رضي الله عنه: (فتجهَّز رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمونَ معه، وطفقتُ أغدو لكيْ أتجهزَ معهم، فأرجعُ ولم أقض شيئاً، وأقولُ في نفسي: أنا قادرٌ على ذلك، إذا أردتُ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمرَّ بالناسِ الجِدُّ، فأصبحَ رسولُ الله ﷺ غادياً والمسلمونَ معه، ولم أقضِ مِنْ جهازي شيئًا، ثم غدوتُ فرجعتُ ولم أقضِ شيئًا، فلم يزلْ ذلك يتمادى بي حتى أسرَعوا وتفارطَ الغزوُ فهمَمْتُ أن أرتحلَ فأدركَهم، فياليتني فعلْتُ، ثم لم يُقَدَّرْ ذلكَ لي.




فطفقتُ إذا خرجْتُ في الناس، بعد خروجِ رسولِ اللهِ ﷺ، يَحْزُنني أني لا أرى لي أسوةً، إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق) -أي: متهماً بالنفاق- (أو رجلاً ممن عَذَرَ اللهُ من الضعفاءِ.

ولم يذكرْني رسولُ اللهِ ﷺ حتى بلغَ تبوكَ فقال، وهو جالسٌ في القوم بتبوك: «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بِنْ مَالِكٍ؟**» قال رجلٌ منْ بني سَلِمةَ: يا رسولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرداه والنَّظرُ في عِطْفَيْه) -كنايةً عن العُجْبِ والكِبْرِ- (فقال له معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: بئسَ ما قلتَ، واللهِ يا رسولَ اللهِ ما عَلِمْنا عليه إلا خيراً، فسكتَ رسولُ اللهِ ﷺ...).

يقول رضي الله عنه: (فلما بلغني أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد توجَّه قافلاً) -أي: راجعاً- (من تبوكَ حضرني بَثِّي، فطفِقْتُ أتذكَّرُ الكذبَ، وأقول: بِمَ أخرجُ من سَخطهِ غداً؟ وأَستعينُ على ذلك كُلَّ ذي رأيٍ مِنْ أهلي).

يقول ﵁: (فلما قيل لي: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أطلَّ قادماً، زاحَ عني الباطلُ، حتى عرفتُ أني لن أنجوَ منه بشيءٍ أبداً، فأجمعتُ صدقَهُ) -أي: عزمت على أن أصدُقَه-.

يقول ﵁: (وصبَّح رسولُ اللهِ ﷺ قادماً، وكان إذا قَدِمَ مِنْ سفرٍ بدأَ بالمسجدِ فركَع فيه ركعتين ثم جلسَ للناسِ، فلما فعلَ ذلك جاءه المخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعاً وثمانينَ رجلاً، فقبلَ منهمْ رسولُ اللهِ ﷺ علانيتَهم، وبايَعهم، واستغفرَ لهم، ووكَلَ سرائرَهم إلى الله).

يقول ﵁: (حتى جئتُ، فلما سَلّمتُ تبسَّم تبسُّمَ المُغْضَب) -أي: الغضبان- (ثم قال ﷺ: «**تَعَالَ**» فجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «**مَا خَلَّفَكَ؟ ألم تكنْ قد ابتعْتَ ظهرَكَ؟**») -أي: اشتريتَ راحلتَك-؟

قال كعبُ ﵁: (قلتُ: يا رسولَ اللهِ إني والله لو جَلَسْتُ عِند غَيرِكَ من أهلِ الدنيا، لرأيتُ أني سأخرجُ منْ سخطِه بعذرٍ ولقد أُعطيتُ جدلاً) -أي: فصاحةً وقدرةً على الكلامِ- (ولكني واللهِ لقد علمتُ لئن حدثْتُكَ اليومَ حديثَ كذبٍ ترضى به عني، ليوشِكَنَّ اللهُ أن يُسخِطَكَ عليَّ، ولئن حدثتك حديثَ صدقٍ تجدُ عليَّ فيه) -أي: تغضبُ- (إني لأرجو فيه عُقبى الله) -أي: العاقبةَ الحسنةَ بتوبةِ اللهِ عليَّ-.

قال ﵁: (واللهِ! ما كانَ لي عذرٌ، واللهِ! ما كنتُ قطَّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفتُ عنك).

قال رسولُ اللهِ ﷺ «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّـهُ فِيكَ**».

يقول كعبٌ ﵁: (فقمتُ، وثارَ رجالٌ من بني سَلِمَة فاتبعوني، فقالوا

لي: واللهِ ما عَلِمْناك أذنبتَ ذنباً قبلَ هذا، لقد عَجَزْتَ في أن لا تكونَ اعتذرتَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، بما اعتذرَ به إليه المخلَّفون، فقدْ كانَ كافيكَ ذنبَك استغفارُ رسولِ الله ﷺ لك).

قال رضي الله عنه: (فواللهِ ما زالوا يُؤنبونني) -أي: يلومونني- (حتى أردتُ أن أرجعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأكذِّبَ نفسي، قال: ثم قلتُ لهم: هل لقيَ هذا معي منْ أحدٍ؟ قالوا: نعم...).

يقول رضي الله عنه: (فذَكَروا لي رجُلين صالِحين قد شهدا بدراً فيهما أسوةٌ، قال: فمضيتُ حينَ ذكروهما لي).

يقول رضي الله عنه: (ونهى رسولُ اللهِ ﷺ المسلمين عن كلامِنا أيها الثلاثةُ، من بينِ مَنْ تخلفَ عنه، قال: فاجْتَنَبَنا الناسُ، وقال، تغيروا لنا حتى تنكَّرَتْ لي) -أي: تغيرت لي- (في نفسي الأرضُ، فما هي بالأرضِ التي أعرفُ، فلبثنا على ذلكَ خمسينَ ليلةً، فأما صاحباي فاستكانا) -ذلاً وخضوعاً- (وقعدا في بيوتهما يبكيان).



(وأما أنا فكنتُ أشبَّ القومِ) -أي: أصغرَهم سناً- (وأجلَدَهم فكنت أخرُجُ فأشهدُ الصلاةَ، وأطوفُ في الأسواقِ ولا يكلمني أحدٌ، وآتي رسولَ اللهِ فأسلِّمُ عليهِ، وهو في مجلسِه بعدَ الصلاةِ، فأقولُ في نفسي: هل حرّكَ شَفَتَيه بردِّ السلامِ، أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقُه النظرَ) -أي: أنظرُ إليه خِفيةً- (فإذا أقبلْتُ على صلاتي نظرَ إليَّ، وإذا التفَتُّ نحوَه أعرضَ عني).

يقول رضي الله عنه: (حتى إذا طالَ عليِّ ذلكَ مِنْ جفوةِ المسلمين، مشيتُ حتى تسوّرتُ جدارَ حائطِ أبي قتادةَ) -أي: عَلَوْتُ سورَ بستانه- (وهو ابنُ عمّي، وأحبُّ الناس إليَّ، فسلمتُ عليهِ، فواللهِ ما ردَّ علي السلامَ). عبادَ الله! هؤلاءِ الصحابةُ



رضي الله عنهم يعلمونَ أنَّ اللهَ يراهم فلا يعصونَ أمرَه ولا أمرَ رسولِه ﷺ، وأطاعوا في السرِّ والعلنِ.

(فقلتُ له: يا أبا قتادةَ أُنشِدُكَ باللهِ!) -أي: أسألُكَ باللهِ- (هل تعلَمنَّ أني أحبُّ اللهَ ورسولَه؟ قال: فسكَت، فعُدْتُ فناشدْتُه، فسكَتَ، فعدتُ فناشدْتُه، فقالَ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، ففاضتْ عينايَ، وتوليتُ حتى تسوّرتُ الجدارَ).

يقول رضي الله عنه: (فبينا أنا أمشي في سوقِ المدينةِ، إذا نبطيٌّ من نَبَطِ أهلِ الشام) -أي: فلاحٌ- (ممن قدِمَ بالطعامِ يبيعُه بالمدينةِ يقولُ: من يدلُّ على كعبِ بنِ مالكٍ، فطفِقَ الناسُ يُشيرون له إليَّ، حتى جاءني فدفعَ إليَّ كتاباً من ملكِ غسان).

وتأملوا هذا الموقفَ، وقارِنوا موقفَ كعبٍ رضي الله عنه وحالَه بأحوالِنا الآنَ، لتعلموا أنَّ الإيمانَ في القلبِ يصنعُ الرجالَ، ولتعلموا أنَّ الصحابةَ تربَّواْ في مدرسةِ عبدِالله ورسولِه محمّدِ بنِ عبدِالله ﷺ، وأنهم جيلٌ فريدٌ!

يقول رضي الله عنه: (وكنتُ كاتباً، فقرأتُه فإذا فيه: أما بعدُ، فإنهُ قد بَلَغَنا أن صاحبَك قد جَفاك، ولم يجعلْك اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالحقْ بنا نُواسِك).

مَن الذي بعثَ هذا الكتابَ؟ إنه مَلِكٌ من ملوكِ الدنيا.

إخوةَ الإسلام! وهذا الذي حدَثَ مع كعبٍ رضي الله عنه يتكررُ ويحدثُ في أيامِنا هذه، فكمْ من داعٍ إلى اللهِ ضُيِّقَ عليه في بلادِ المسلمينَ بسببِ انحرافٍ في عقيدَته ومنهجِه أو سُجِنَ، فإذا به بينَ عَشيةٍ وضحاها يطيرُ إلى بلادِ الكفرِ وهناكَ يُعطى اللجوءَ السياسيَّ، ويُمنحُ جوازَ السفرِ، أتدرونَ لم يا عبادَ اللهِ؟!

إنها هيَ هيَ يا أمةَ الإسلام!!

(الحقْ بنا نواسِك!) ليس حباً في الإسلامِ والمسلمينَ، ولكنْ هذا ضربٌ للصفِّ




المسلمِ. كمْ من الدعاةِ يعيشونَ في بلادِ الكفرِ ومِنْ هناك يُفْتونَ بقتلِ المسلمين، وتفجيرِ بلادِ المسلمينَ، وسبي نساءِ المسلمينَ؟ ليسَ هذا حباً في المسلمينَ، ولكن هي هي من قديمِ الزمانِ، لو أَنَّ أحدَنا مكانَ كعب، فلربما خرجَ فوراً إلى هذا الملكِ وهناك يعيشُ في رغَدٍ من الدنيا ولكنه سيخسرُ الآخرةَ وذلك هو الخسرانُ المبين.

أما الصحابةُ فلا، إنهم طلابُ الآخرةِ، إنهم يريدونَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ، فماذا يفعلُ كعبٌ في الكتابِ الملكيِّ أيجعلُه معه حتى ينظرَ إلى أيِّ شيءٍ ينتهي إليه أمرُه؟ لا، إنه الإيمانُ.

يقول كعبٌ رضي الله عنه: (فقلت –حين قرأتها–: وهذه أيضاً منَ البلاءِ، فتيامَمتُ بها التنورَ فَسَجَرْتُها بها) –أي: أحرَقَ الرسالة.

يقول رضي الله عنه: (حتى إذا مضَتْ أربعونَ منَ الخمسينَ، واستلبثَ الوحيُ) –أي: أبطأ– (إذا رسولُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن تعتزلَ امرأتَك، قال: فقلت: أطلقُها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزِلْها، فلا تَقْرَبَنَّها، وقال: فأرسَل إلى صاحبيَّ بمثلِ ذلك...).




يقول رضي الله عنه: (فلبثتُ بذلك عشرَ ليالٍ، فكمُل لنا خمسونَ ليلةً، من حينِ نُهي عَنْ كلامِنا).

يقول رضي الله عنه: (ثم صليتُ صلاةَ الفجر صباحَ خمسينَ ليلةً، على ظهرِ بيتٍ من بيوتِنا، فبينا أنا جالسٌ على الحالِ التي ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ منا، قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبت، سمعتُ صوتَ صارخٍ أوفى على سَلْع) –أي: صَعِدَ وارتفعَ عليه، وسَلْعٌ: جبلٌ بالمدينةِ معروفٌ– (يقول بأعلى صوته: يا كعبَ بنَ مالكٍ أبشِرْ، فخرَرْتُ ساجداً، وعرفتُ أنه قد جاءَ فرجٌ).

يقولُ رضي الله عنه: (فآذن رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ بتوبةِ اللهِ علينا، حين صلى صلاةَ الفجرِ، فذهبَ الناسُ يُبشرونَنا...).

يقول رضي الله عنه: (فلما جاءني الذي سمعتُ صوتَه يُبشرني، فنزعت له ثوبيَّ فكسوتُهُمَا إياه ببشارته، واللهِ! ما أملكُ غيرَهما يومئذ).

يقول رضي الله عنه: (واستعَرْتُ ثوبيَن فلبستُهما، فانطلقْتُ أتأَمَّمُ) -أي: أقصدُ (رسولَ اللهِ ﷺ يتلقاني الناسُ فوجاً فوجاً، يُهنئوني بالتوبة،... حتى دخلتُ المسجدَ، فإذا رسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ في المسجدِ وحولَه الناسُ...).

يقولُ رضي الله عنه: (فلما سَلَّمْتُ على رسولِ اللهِ ﷺ قال وهو يَبرُقُ وجهُه من السرُّورِ ويقولُ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**». فقلت: أمِنْ عندِك؟ يا رسولَ الله! أمْ مِنْ عندِ اللهِ؟

فقال ﷺ: «**لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**».

يقولُ رضي الله عنه: (وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه، حتى كأنَّ وجهَه قطعةُ قمرٍ، وكنا نعرفُ ذلكَ).

يقول رضي الله عنه: (فلما جلَسْتُ بين يديه قلتُ: يا رسولَ اللهِ إنَّ من توبتي أن أنخلعَ من مالي صدقةً إلى اللهِ وإلى رسولِه) -أي: أُخْرِجُه في سبيلِ اللهِ-، (فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، فقلت: إني أمسِكُ سهمي الذي بخيبرَ، وقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ إنما أنجاني بالصدقِ، وإنَّ منْ توبتي أن لا أحدِّثَ إلاّ صدقاً ما بقيتُ.

يقولُ رضي الله عنه: (فواللهِ ما علمْتُ أن أحداً منَ المسلمين أبلاهُ الله) -أي: أنعمَ عليه- (في صدقِ الحديثِ، منذ ذَكَرْتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ إلى يومي هذا أحسنَ





مما أبلاني اللهُ به، ووالله ما تعمَّدْتُ كِذْبَةً منذ قلتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظَني الله تعالى فيما بقي).

ثم قالَ رضي الله عنه: (فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ حتى بلغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة].

قال كعب رضي الله عنه: (واللهِ ما أنعَم اللهُ عليَّ من نعمةٍ قطُّ بعدَ إذ هداني اللهُ للإسلام، أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ، أن لا أكونَ كذبتُهُ فأهلَكَ كما هلَكَ الذين كَذَبوا)[١].

وما حَدَّثَ إلا صدقاً حتى عَمِيَ في آخرِ أيامِه وقال: أسألُ اللهَ عز وجل أن يُثَبِّتني على الصدقِ حتى ألقاه.

أما الدروسُ والعظاتُ والعبر التي تؤخذُ من هذا الموقفِ، فمنها:

أولاً: في الصدقِ النجاةُ.

فعليكَ يا عبدَ الله بالصدقِ تنجو في الدنيا وتنجو في الآخرةِ، وتَتَحَصَّلُ على خيرِ الدنيا والآخرة.

فهذا كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه **نجا في الدنيا بسبب** صدقِه -كما سمعتم-، وتابَ اللهُ عليه، وأنزلَ فيه وفي أصحابِه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ به.




وفي الآخرة: ينتفعُ الصادقُ بصدقِه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩].

فعليكم بالصدقِ في كُلِّ شيءٍ؛ «**فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ**».

ثانياً: بعدَ الكربِ يأتي الفرجُ.

فهذا كعبُ بن مالكٍ بعدَ أن ضاقت عليه الأرضُ بما رَحُبت، وضاقت عليهِ نفسُه، في هذا الوقتِ سمعَ الصارخَ يصرُخُ: يا كعبَ بنَ مالك أبشر. فَخَرَّ ساجداً، وقال: قد جاءَ الفرجُ. وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لابن عباسٍ: «**وَاعْلَمْ: أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً**»(١).

فعلينا عند الشدائدِ بالصبرِ والصدقِ والثباتِ على الصبرِ والصدقِ حتى يتأتيَ الفرجُ.



ثالثاً: إن أعداءَ الإسلامِ يتربصونَ بنا الدوائرَ، ويَرْصُدونَ ما يقعُ بينَ المسلمين، ألم تسمعوا كيفَ أرسلَ ملكُ غسانَ في اللحظةِ المناسبةِ إلى كعبِ بن مالكٍ يطلبه ويشجعُه على الذهابِ إليه، وما كانَ يريدُ بذلك إلا أنْ يَشُقَّ الصفَّ المسلمَ، فانتبهوا فإنها هي هي يا أمةَ الإسلامِ!

مهلاً يا أمةَ الإسلامِ! ما هذا الذي نراه من تسابقِ المسلمين في الهجرةِ إلى بلادِ الكفار!

هل رضي كعبُ بنُ مالكٍ بالدنيا واستجابَ لملكِ غسانَ وخسرَ الآخرة؟ لا..

أيها المسلمُ، فليكن لكَ في كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قدوةٌ، ولتعِشْ في بلادِ المسلمينَ، حتى وإن ضُيِّق عليكَ، حتى وإن سُجِنْتَ؛ فإنه أشرفُ لكَ من أن تعيشَ في بلادِ الكفرِ وبينَ الكفار، فالكفارُ ينفقونَ أموالَهم بالليلِ والنهارِ ليصدوا عن

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧)، وعبد بن حُميد (٦٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٠٠، ١٠١)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٠٠)، [«ظلال الجنة» (٣١٥)].



سبيلِ اللهِ فكن على حذر.

اللهمَّ قد بَلَّغْتُ اللهمَّ فاشهدْ.. اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.. اللهم قد بلغت اللهم فاشهد..

اللَّهُمَّ رُدَّ المُسْلِمِينَ إِلى دِينك رَدّاً جَمِيلاً





الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث




- فهرس الآثار
- فهرس الفوائد
- فهرس الموضوعات









فهرس الآيات

سورة الفاتحة

سورة البقرة
















سورة النساء



سورة المائدة



سورة الأنعام

سورة الأعراف




سورة الأنفال

سورة التوبة





سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف






سورة مريم



سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج



سورة المؤمنون

سورة النور







سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص





سورة العنكبوت



سورة سبأ



سورة فاطر

سورة يس



سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر



سورة غافر





سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف



سورة الدخان

سورة محمد

سورة الفتح




سورة الحجرات

سورة الذاريات

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن






سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون






سورة المدثر

سورة الإنسان

سورة النازعات

سورة المطففين

سورة التكوير

سورة البروج

سورة الأعلى

سورة الفجر




سورة البينة





سورة العاديات

سورة التكاثر

فهرس الأحاديث

































































فهرس الآثار

















فهرس الفوائد










فهرس الموضوعات







كتبٌ صدرت للمؤلف:

١ - العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون	٤ مجلدات
٢- أحسن البيان	مجلد واحد
٣- الدعاء النافع	مجلد واحد
٤- سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام	مجلد واحد
٥- الصحابة رضي الله عنهم	مجلد واحد
٦- تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام	مجلد واحد
٧- حياة السعداء	مجلد واحد
٨- الفرقان من قصص القرآن	مجلد واحد
٩- البيان من قصص القرآن	مجلد واحد
١٠- البرهان من قصص القرآن	مجلد واحد
١١- ثمرات السيرة النبوية	مجلد واحد
١٢- البشارات النبوية	مجلد واحد
١٣- المبشرون بالجنة	مجلد واحد
١٤- السبيل في فقه الدعوة	مجلدان
١٥- وسائل الثبات عل الدين	مجلد واحد
١٦- محبة علي بن أبي طالبي بين الغلو والجفاء	غلاف